السادات

الذى عرفته



عبد الستار الطويلة

أنور السادات

الذى عرفته

عبد الستار الطويلة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الغلاف : الفنانة سمية الباجوري

اهـداء الكتـاب ٠٠

عندما طلب منى الناشر كتابة هذا منذ عشر سنوات ٠٠ بادرت بتسجيل معظم لقاءاتى وحوارى مع أنور الســادات على اشرطة فى جلســات مع زوجتى حينذاك سميره سعيد رفاعى وأولادى احمد وجميلة وانتصار ٠٠ ثم يعكف الثلاثة بعدها على تفريغ تلك الأشرطة ٠٠ ثم تقوم زوجتى بتبويب المادة وترتيبها ٠٠

والآن وهى قد رحلت عن عالمنا ٠٠ فلا يمكن أن اتصور أن هــذا الكتاب يكتب دون اشارة الى جهدها بل مشاركتها فى بعض وقائعه ٠

لذلك اهدى الى روحها الطاهرة هذا الكتاب ٠٠ وفاء وشكرا ٠٠

عبد الستار

هـذا الكتاب ٠٠ ؟

التفت أنور الســادات الى عبد المنعم الصاوى وزير الاعلام حينذاك قائلا له فى غضب :

ـ لماذا جئت بعبد الستار الطويلة الى الاجتماع ؟ ٠٠

قال عبد المنعم الصاوى فى دهشة لم يستطع أن يكتمها ٠٠

ـ يا أفندم ماهو بييجى دائما فى كل الاجتماعات ! ٠

ولكن أنور السادات التفت هذه المرة الى فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص وكان الى جواره حسن كامل رئيس الديوان الجمهــورى وقال وهو مازال غاضبا :

ـ أنا مش قلت مش عاوز شيوعيين هنا ؟ ٠٠

رد عبد الحافظ بسرعة

ـ ماهو معاه كرنيه الرياسة بيجى وقت ماهو عاوز !

قال السادات فى حسم :

ـ اسحبوا منه الكارنيه ٠٠

هذا بالضبط ما حدث فى أحد أيام شهر يونيه عام ١٩٧٧ عندما كان المرحوم الرئيس أنور السادات قد دعا رؤساء تحرير الصحف ومجالس اداراتها وبعض كبار الصحفيين كعادته للقـــائه فى المعمورة ٠٠ ليطرح عليهم طلبا محددا هو فصل ٣٠٠ صحفى شيوعى من نقابة الصحفيين ٠

والحوار الذى ذكرته قاله لى عبد المنعم الصاوى يرحمه الله ٠٠ وكان ذلك فى أحد أيام شهر يونيه ١٩٧٧ ٠٠ وقبل ثلاثة أعوام من نفس الشهر

من عام ١٩٧٤ بدأت علاقتى بالرئيس المرحوم أنور السادات وتطورت هذه العلاقة الى شبه صداقة سمحت بلقاءات عديدة جرت فيها مناقشات متنوعة فى اطار أحداث تاريخية ضخمة ٠٠ وسأعود الى هذه الواقعة فى صفحات قادمة ٠

وحتى لما طردنى أنور السادات من « رحمة الكنيسة » اذاجاز القول ٠٠ استمرت هذه العلاقة باشكال أخرى أو عن طريق قنوات مختلفة أبرزها استمرار لقاءاتى بالسيدة جيهان السادات التى كانت شخصية سياسية من الدرجة الأولى وشريكا له أو محاورا جيدا على الأقل فى معظم قراراته ٠

وقد أتيح لى أن أعرف الكثير عن السادات ووجهة نظره ٠٠ وأسلوبه فى الحكم وما وراء بعض قراراته المصيرية ٠٠ وبعضا من طباعه الشخصية وأثرها على مواقفه الموضوعية فى حكم البلاد ٠٠

وقد عرفت هذا عن عمد ٠٠ وبعد متابعة واستقراء ٠٠ فقبل أن التقى بأنور السادات شخصيا كنت بحكم أنى مناضل سياسى ٠٠ وصحفى أتابع نشاطه وأحاول تحليل سياسته وتفهم مواقفه ٠٠ كما كنت أفعل ذلك فى عهد الملك فاروق ٠٠ وفى عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ٠٠

ربما كانت أول مرة أحاول فيها تحليل سياسة السادات ببعض الدقة ما كتبته فى كتابى حرب الساعات الست ـ الطبعة الأولى ٠٠ عن تخطيطه لحرب ١٩٧٣ التحريرية ٠٠

وسيرى القارىء فيما بعد كيف أن هذا التحليل كان السبب الرئيسى فى استدعاء أنور السادات لى ٠٠ وبدء علاقتنا الوثيقة ٠٠

وقد كنت أرى أن هذه العلاقة (التى جاءت من السماء !) ٠٠ فرصة عظيمة لدراسة معنى الدولة ٠٠ وكيف تتخذ قراراتها ٠٠ وسبل الحكم وولاية أمر البلاد والعباد ٠٠ فكنت المتفرج والدارس والمتأمل ٠٠ والمقارن بين ما أراه وألمسه على أعلى مستوى فى السلطة وبين ما قرأته فى الماركسية عن الدولة ووظيفتها فى المجتمعات الانسانية ٠٠

ومن حسن الحظ ان ليس فى طبعى شىء من طباع وصفات الندماء للملوك والرؤساء ٠٠ لذلك لم يكن هناك مجال للهزل قط فى لقاءاتنا ٠٠ وما كان أنور السادات نفسه يظهر أى ميل من ناحيته لمنادمتى ٠٠ أو « فرفشة » نفسه فى مثل تلك اللقاءات ٠٠ بل كان دائما جادا ٠٠ يتحدث أحاديث جدية ٠٠ اللهم الا بعض الفكاهة حسب مسار الحديث والجدل ٠٠

ثم انه كان يتملكني شعور سيطر علي تماما طوال علاقتي بالسادات ٠٠ هو أن أعمل على افادة الحركة اليسارية فى مصر قدر استطاعتى من خلال هذه العلاقة ٠٠ كان أشرح له المواقف السليمة لليسار ٠٠ وأحاول تصفية الجو بينه وبين أى يسارى فى مصر كما سيبين فى الصفحات القادمة ٠٠ بل كنت أدعوه دائما للتعاون مع اليسار ٠٠ المصرى والعربى ٠٠ وعندما كان الاتحاد السوفيتى اتحادا سوفيتيا « بحق وحقيق » كنت دائما أدعوه الى تصفية خلافاته معه ٠٠ مع حرصى فى نفس الوقت على نقد أى مواقف خاطئة للاتحاد السوفيتى ازاء مصر ٠٠

وأشهد أن أنور السادات كان مستمعا جيدا ٠٠ ومجادلا طيبا ٠٠ ولم يغضب قط من أى ملاحظة أو نقد لسياسته ٠٠ وكثيرا ما انتقدت مواقف له ٠٠

وهذا الكتاب ليس دراسة أكاديمية لعهد أنور السادات فنحن لم نستهدف مثل تلك الدراسة ولا نزعم قدرتنا على القيام بها فهذا شأن المؤرخين بل كبار المؤرخين ٠٠ وليس فى هذا الكتاب وثائق أو ما أشبه ٠٠ ببساطة لأننا لا نملك وثيقة واحدة ٠٠ وما فكرنا يوما فى اقتناء واحدة منها ٠٠

انما أنا أحاول هنا تسجيل وعرض ما رأيت ٠٠ وما سمعت ٠٠ كما أحاول تحليل هذا الذى رأيته وسمعته بأكبر قدر من الموضوعية أستطيعه ٠٠

وقد حاولت الجمع بين سياسته المعلنة التى يعرفها الناس ٠٠ وبين ما رأيته وسمعته من خلال الاحتكاك الشخصى به ٠٠

وفى تاريخ مصر الحديث لم يوجد زعيم لها هوجم كما هوجم أنور السادات ٠٠ لا فى مصر وحدها ٠٠ ولكن على النطاق العربى كله ٠٠ بل امتد ذلك الهجوم الى نصف العالم تقريبا عندما شن المعسكر الاشتراكى سابقا بقيادة الاتحاد السوفيتى حملة شعواء على أنور السادات ٠٠ ولوث أغلب اليسار العربى والعالمى والمصرى قبلهما شرف أنور السادات وشوه انجازاته بشكل متعسف يناقض كل أسس الموضوعية بل قواعد الأمانة التى تعلمها للشبان الصغار الذين يقصدون دور الصحف ليتعلموا الصحافة ٠٠

والا بماذا نفسر كيف أن الكاتب اليسارى يرفع عقيرته بالصياح ممجدا ومادحا فى حرب أكتوبر البطولية ٠٠ وأثرها فى رفع شأن الأمة العربية ويتجاهل تماما أن صانعها وقائدها هو أنور السادات ٠٠

وليراجع أى قارىء أعـداد المجلات اليسارية فى مصر ٠٠ والعـالم العربى سيجد هذه الظاهرة ٠٠

بل ستجد بعضهم يقدم لك حججا مضحكة كأن يقول ان الذى قام بحـرب أكتـوبر هو الجيش المصرى ٠٠ أو الشعب المصرى ٠٠ هكذا دون قائد !؟

والبعض سيقول ان عبد الناصر كان يعـد للمعركة ٠٠ حسـنا ٠٠ ومن أنكر فضل عبد الناصر وتصميمه على خوض المعركة ؟ ٠٠ لكن كان ممكنا أن يأتى بعده قائد لا يقوم بمعركة !؟ ٠٠

وكثير من النقد غير هذا وجه لأنور السادات ٠٠ وبعضه صحيح حقا ٠٠ ولكن فى الحقيقة ان أنور السادات مر فى تاريخ مصر كالاعصار ٠٠

أحدث انقلابا فى أسلوب الحـكم ٠٠ ولعل أبرز معالم ذلك الانقلاب هو أن المواطن العادى أحس أن حاكم ورئيس جمهوريته هو مجرد مواطن عادى يمشى فى الأسواق ٠٠ ويتطيب ويفـرح ببزة جديدة يرتديها ! ٠ وذلك بعد التأليه الذى حدث للزعيم جمال عبد الناصر ٠٠ حتى لأن الشعب المصرى أحس « باليتم » بعد وفاته وتحدث معظم الناس بما فيهم السوفيت عن الفراغ الهائل الذى تركه بعدها ٠٠

والسادات هو الذى أحدث انقلابا فى الأوضـاع الاقتصادية فى مصر ٠٠ وعلاقات مصر بالعالم ٠٠ وكان الحاكم العربى الأول الذى جرؤ على الاعتراف بدولة اسرائيل وعقد سلاما معها ٠٠ وأقر سياسة الانفتاح ٠٠ وبدأ طريق الديمقراطيـة ٠٠ ثم نكص على عقبيه منذ عام ١٩٧٧ بعد ١٨ و ١٩ يناير ٠٠ واتخذ الانفتاح سبيلا لمسـار مصر الاقتصادية ٠٠ واطلق للصحافة حريتها فترة طويلة من الزمان ٠٠ وانقلب عليها وعلى الصحفيين جميعا ٠٠ وحدثت فى عهده لأول مرة اضرابات ضخمة لم يقمعها البوليس بالحديد والنار كما جرت العادة من قبل ٠٠ ثم حشـد العرب ٠٠ وفرقهم بعد ذلك ٠٠

وكان أول حاكم مصرى يلفت النظر الى المستقبل ٠٠ فهو الذى لفت الأنظار الى مصر عام ٢٠٠٠ ٠٠

وأشياء كثيرة ٠٠ مثيرة ٠٠ حتى انتهى الموقف بأكثر الأحداث اثارة الذى تمثل فى النهاية الدراماتيكية له فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ بعـد خطئـه القاتل فى سبتمبر من نفس العام ٠٠

ومنذ سنوات طويلة .. طلب منى بعض الناشرين كتابة هذا الكتاب .. ورغم وجود مذكرات خاصة عندى عن تلك الفترة التى عرفت فيهـــا أنور السادات .. الا أننى لم أحاول الكتابة ..

على أننى فى الشهور الأخيرة أحسست بدافع لأن أستجيب لما طلب منى منذ سنوات ..

فانى أكاد أرى المسار الذى تتخذه القضية الفلسطينية بالذات فى السنوات الأخيرة يؤكد وجهة السادات التى هوجمت كثيرا ..

بل الأخطـر من هذا ان التطورات العالميـــة الأخيرة .. وخصوصا العـــلاقة بين المعســكرين .. وما جـرى ويجـرى فى الاتحـاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى السابق فيها اتجاهات ساداتية واضحة .. لايمكن الا لمكابر انكارها ..

فهل كان السادات رجلا سبق عصره .. فى بعض الأمور والأفكار .. رغم وقوعه فى أخطاء جسيمة ؟ ..

هذا هو دافعى الى كتابة ذلك الكتاب اليوم .. بل هذا هو موضوع الكتاب نفسه من أول سطر الى آخر سطر ؟ وسنبدأ القصة من أول مرة عرفت فيها أنور السادات ..

عبد الستار الطويلة

١٠ ديسمبر ١٩٩١

هوامش معرفة ..

في شبابنا بعد الحرب العالمية الثانية .. كان الوطنيون المصريون الذين جعلوا نصب أعينهم طرد قوات الاحتلال البريطانية من البلاد فى حالة انقسام .. فرغم أن حزب الوفد المصرى .. كان قائدا للحركة الوطنية والديمقراطية فى البلاد .. الا أن الشباب الذى أفرزته ظروف الحرب والأفكار التى جاءت بها .. وكانت اطارا لها .. كان لايتفق على منهج واحد فى مقاومة الاحتلال .. وكانت أى مجموعة من الشبان الوطنيين تستطيع تشكيل جمعية وطنية يكون شعارها الأول التخلص من الاحتلال وتحقيق الاستقلال الوطنى.. فظهرت جمعيات شبابية مستقلة عن أى حزب أسسها شبان أطهار لاينتمون الى أى جهة من الجهات ولا ولاء عندهم الا للوطن .. مثل جمعية الجهاد الوطنى برئاسة الطالب ابراهيم رشدى (رئيس المحكمة بعد ذلك) .. وجمعية البعث الوطنى بزعامة الطالب أحمد شوقى الخطيب (أحد البارزين من المحامين المصريين المعاصرين) وكانت أقوى هذه الجمعيات وأكثرها نفوذا وانتشارا بين طلبة المدارس الثانوية والجامعة .. فى القاهرة ومدن مصرية عديدة .. لأنه كان لها برنامج واضح .

لكن هذه الجمعيات جميعها كانت تختط طريق النضال السلمى كالمظاهرات والاجتماعات والمؤتمرات والقاء الخطب فى المدارس والجامعة .. وكان يتملكها جميعا شعور بالرغبة فى الابتعاد عن الأحزاب السياسية ..

وفى نفس الوقت ظهر تياران آخران .. يسعيان الى تحرير البلاد من الاحتلال البريطانى ..

الأول التيار الماركسى الذى تأثر بالأفكار التى جلبها انتصار الاتحاد السوفييتى على النازية فى الحرب .. ووضع ذلك التيار فى مقدمة

برنامجه ضرورة تحرير البلاد من الاستعمار البريطـانى ٠٠ وطرح هذا التيار لأول مرة شعار الكفاح المسلح لتحرير الوطن ٠٠ كما ربط النضال الوطنى بالنضال الاجتماعى لتحرير الشعب من الاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعيـة ٠٠

ولكن التيار الماركسى الذى كان ممثلا فى عدة منظمات شيوعية ٠٠ رغم طرحه لشعار الكفاح المسلح لم يضع هذا الشعار موضع التطبيق فى تلك الفترة من تاريخ مصر ٤٥ ـ ١٩٥٠ ٠ وكان تصوره عن هذا الكفاح المسلح أنه لابد أن يكون ذا طابع شعبى أى ثورة شعبية مسلحة ٠٠ وكان لا يرى أنه يعتبر كفاحا مسلحا أن يبادر شـــاب بالقاء قنبلة أو اطلاق رصاصة على جندى بريطانى بشكل منفرد ٠٠ بل هو مجرد عمل نتيجة باعث وطنى بشكل مؤكد ولكنه يتخذ طابعا ارهابيا لأنه فردى ٠٠ ومثل هذه الفردية فى النضال يمكن أن تجعل الشاب أو الشباب الوطنى عرضة للاستغلال من جهات مشبوهة والاســـتفادة فى لعبة السلطة ومؤامرات الاستعمار نفسه سواء على الحرية أو على أحزاب يرى فيها خطرا عليه ٠

أما التيار الثانى فكان يتكون بالذات من ذلك النوع من الشباب الوطنى الذى لم يكن يتحمس له التيـار الماركسى الذى نمى نفوذه بين الطلبـــة والعمال فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى أنه استطاع تشكيل أول جبهة وطنية فى البلاد بعدها تحت اسم اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التى كان سكرتيرها العـام المرحـــوم د ٠ فؤاد محيى الدين رئيس وزراء مصر الأسبق ٠ وهى التى قادت النضال الجماهيرى ضد الاستعمار وأعوانه فى مصر ٠٠ وانتظمت فيها كل القوى الوطنية وعلى رأسها حزب الوفد القائد التقليدى للحركة الوطنية المصرية منذ ثورة ١٩١٩ ٠ وازدهر أيامها لأول مرة التيار اليسارى فى حزب الوفد الذى سمى باسم الطليعة الوفدية ٠

خارج هذا الاطار التنظيمى الشعبى تشكلت جمعيات وطنيـة تضم شبانا هداهم تفكيرهم الى أن الطريقة المثلى للتخلص من قوات الاحتـــلال البريطانى هى اغتيال جنوده بشكل فردى هنا وهنـــاك ٠٠ ولا باس من اغتيال حلفاء ذلك الاحتلال من المصريين أنفسهم ٠٠

وحدثت حوادث اغتيال كهذه فعلا ٠٠ بل هاجمت مجمـوعة وطنية ناديا للقوات البريطانية فى الاسكندرية ٠

كان ذلك نضالا فرديا ٠٠ نظر اليه الماركسيون فى شك واسترابة بل اعتبروه من قبيل الأعمال الارهابية ٠٠

وعزز هذا الرأى ظهور جماعة حسين توفيق التى اغتالت أمين عثمان وزير المالية فى حكومة الوفد بحجة أنه عميل بريطانى ٠

وكانت جماعة حسين توفيق تضم شبانا متحمسين وطنيين لاشك فى ذلك يعيش منهم الآن شخصيات بارزة فى الساحة الثقافية والسياسية فى مصر مثل الأساتذة الكاتبان سعد كامل وعبد العزيز خميس ومحمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الأسبق وكان من بين هؤلاء أيضا أنور السادات ٠٠

ويمكن على ضوء ما شرحناه سابقا تصور نظرتى لأعضاء جمعية حسين توفيق هؤلاء عندما التقيت بهم لأول مرة فى سجن مصر ٠٠ صيف عام ١٩٤٨ ٠٠

اذ كنت فى الأصل مسجونا فى سجن بنى سويف متهما فى قضية شيوعية ٠٠ وبفضل معاونة نادرة من رجل بوليس نادر هو « اليوزباشى » ابراهيم محمد ابراهيم (اللواء الآن) وكيل سجن بنى سويف حينذاك أمكن نقلى الى سجن مصر لأداء الامتحان ٠٠

كانت ادارة السجن تضع المسجونين فى قضية أمين عثمان فى الدور رقم ٦ ٠٠ أما سائر المسجونين السياسيين بما فيهم الشيوعيون فيوضعون فى دور رقم ٢ ٠٠

أخطأ الشاويش فى توزيعى ووضعنى فى الدور ٦ مع قضية أمين عثمان ٠٠

وأؤكد الشعور بالتأفف الذى انتابنى وأنا أرى هؤلاء المسجونين فى الطابق الذى يعلونى وأنا ما زلت فى الدور الأول متوجها الى السلم لصعوده ٠٠ وساءلت نفسى : هل سأقيم مع ارهابيين ؟ ٠٠

وكنا نحن اليساريين قد دمغنا هذه المجموعة بأكثر من وصف الارهابيين ٠٠ بعد اذ اتضح أنهم قد سخروا للهجوم على حزب الوفد ٠٠ مما يخدم أهداف السراى والاستعمار ٠٠ فقد كان موقف الشيوعيين المصريين واضحا ومحددا ازاء الوفد باعتباره حزب البرجوازية الوطنية التى تقود الحركة الوطنية ضد الاستعمار والسراى ومن أجل الديمقراطية ٠

وان كان الشيوعيون لم يخفوا أبدا أنهم يريدون الوصول الى السلطة ٠٠ وأنهم طليعة النضال الوطنى ٠٠

ولكننى تغلبت على تأففى وقلت لنفسى ٠٠ لكن هؤلاء الشبان أغلبهم ان لم يكن كلهم متحمسين ٠٠ ولكنهم مضللون وناقصو الوعى ! فلا بأس

من الحياة معهم .. والتعرف الى أفكارهم ودراستها .. وتجنيد من يمكن تجنيده منهم ان أمكن ؟!

ولم أكن أعرف الى سأطرد من دور ٦ بعد دقائق قليلة .. ولكن كانت هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها بأنور السادات ..

استقبلنا على بداية الدور المرحوم سعيد توفيق شقيق حسين توفيق .. وقال له الشاويش هذا الأخ قادم من سجن بنى سويف للامتحان ..

كان أنور السادات واقفا الى جواره وبمرفته من صورته التي كانت تنشرها الصحف ..

نظر سعيد الى « تذكرتي » التي سلمها له الشاويش .. فقال بصوت عال وهو يلوح بيده للشاويش ..

ــ ده شيوعي ياعم مرسى .. مايقعدش معانا ..

تنبه أنور السادات واقترب منا أكثر ونظر الى « التذكرة » وقال ببساطة .

ــ ليه .. ما يقعد معانا .. نتشرف بيك يا رفيق !.

ومد يده وهو يبتسم ابتسامة عريضة أثارت دهشتي وخصوصا كلمة رفيق .. التي كان يبدو انه يقولها مازحا ..

ولوح سعيد توفيق بيده قائلا .. لا .. لا .. (الشيوعيين لهم حتة تانية !) ولم يعط الشاويش مرسى فرصة لاستمرار الجدل .. فقال بدوره وهو يربت على كتفي لأستدير : معاك حق .. لازم نروح دور ٢ .. ده ممنوع ييجي هنا أصلا ..

قال أنور السادات : طيب لحظة يا شاويش مرسى ..

ودخل غرفة وخرج منها .. يحمل شقة خبز كبيرة محشوة بلحم وأرز وشقة بطيخ ولفهما في ورقة صحيفة .. ثم وضع يده في جيبه العلوى .. وأخرج علبة سجاير « بلايرز » أعطاني منها خمس سجاير ..

وقال : مادام جاى من بنى سويف .. لازم جعان لم تتغد !.

كانت السجاير ممنوعة في السجن أيامها .. والسيجارة الواحدة عملة نادرة .. ثم كان الغذاء الذى تقدمه ادارة السجون للمسجون الذى لا يحصل على طعام من الخارج .. كمية من الفول المسوس أو العدس مع رغيف خبز بايت .. ومن يأتي بعد الظهر مثلى ليست له وجبة عشاء ..

انما يأخذ رغيفا يأكله حاف .. علاوة على شقة خبز يأخذها مع قليل من الملح ليفطر بهـا فى الصبـاح ! . هـكذا كان طعـام السجن للمحبوسين احتياطيـا (أى الأبرياء) مادام المحبوس عاجزا عن أن يطعم نفسـه بنفسـه ..

لهذا يمكن تصوركم كانت قيمة رغيف الخبز المحشو بالأرز واللحم الذى قدمه لى أنور السادات .. وشكرته .. وشكرت سعيد توفيق الذى لانت ملامحه بعـد أن رأى أننى سأرحل كمـا لابد أنه تأثر بسـلوك أنور السادات الودى تجاهى ..

وبارحت المكان .. وأنا أحمـل انطبـاعا طيبا عن أنور السادات هـذا .. وهو أنه ابن بلد .. وليس متعصـبا ضـد أى سياسى يخالفه الرأى والعقيدة ..

وعندما وصلت الى الدور الذى تقيم فيه « عشيرتى والأقربون » من رفاقى الشيوعيين .. ورحبوا بى بحرارة .. وقدموا خير ما عندهم .. دهشوا كثيرا عندما رأوا ما معى من طعام وسنجاير باعتبار كيف أكرمنى هؤلاء الارهابيون من عملاء القصر والانجليز ! .. ومصمصوا فى استعلاء شاركتهم فيـه اشفاقا على هؤلاء الشـبان الذين ضـلوا الطريق .وليس لنضالهم اى معنى أو جدوى .. بل تحولوا الى أدوات ..

وراحت .. واختفت من ذاكرتى حكاية سجن مصر .. الا بقـدر ما كنت أطالع أخبارا عن قضية حسين توفيق وأنور السادات ..

الى أن قامت ثورة ١٩٥٢ وقرأت أنه أصـبح عضـوا فى مجلس الثـورة .. وعرفت أنه من المنوفية .. ولكنه لم يثر اهتمامى .. لأنه رغم اهتمامى بالثورة المصرية منذ لحظة قيامها الا أنى كنت من أشد معارضيها واعتبرتها انقلابا عسكريا أمريكيا .. وكنت أستحلب فى لذة شـديدة وحنق أشد تعبير أنها عصابة الفاشية والحرب !

وسمعت مرة من بعض اهل المنوفيـة أن أنور السـادات اقترض خمسة آلاف جنيه من بنك مصر واشترى فدانين أرض وبنى منزلا نظيفا ملحقا به مضيفة..وانه يتردد على قريته ميت أبو الكوم باستمرار ومعه صديق له فى الطفولة اسمه فتحى سلمان .. ويجلسان تحت الشجرة يشربون الشاى الفلاحى المألوف .. وكان ذلك فى الأعـوام بعد الثورة مباشرة ..

ولفت أنور السادات نظرى مرة عام ١٩٥٤ بعد أزمة مارس الشهيرة عندما أدلى بتصريح قال فيه أنه من المنتظر أن يقدم الشيوعيون الى المحاكمة

العسكرية مثلهم مثل الاخوان المسلمين الذين كان قد بدأ تقديمهم بعد حادث محاولة الاغتيال فى المنشية .

ثم تصريح آخر له عن حرب فيتنام .. حيث قال ان مثل تلك الحرب لاتصلح فى مصر .. على أن ازمة مارس هذه قد أبرزت كاتبا مصريا هو الأستاذ ابراهيم عامر الذى راح بعد ذلك عام ١٩٧٦ ضحية صراع الرافضين والحرب الأهلية فى بيروت ..

فقد وقف أغلب كتاب مصر ضد الديكتاتورية العسكرية وطالبوا بعودة الجيش الى ثكناته وعودة الأحزاب والحياة الديمقراطية وانتخاب جمعية تأسيسية .. لوضع دستور وطنى ديمقراطى ..

واستغل هؤلاء الكتاب التراجع المحدود الذى قام به جمال عبد الناصر فى صراعه مع رئيس الجمهورية حينذاك اللواء المرحوم محمد نجيب وحركة الشعب المطالبة بالديمقراطية وذلك برفع الرقابة عن الصحف فعلاً واصدار وعود بعودة الحياة الديمقراطية .

كان خالد محيى الدين والمرحوم يوسف صديق العضوين الوحيدين فى مجلس قيادة الثورة اللذين تحديا اتجاه أغلبية زملائهما فى المضى فى حكم البلاد بالحديد والنار واستماتا فى الدفاع عن الديمقراطية .. كذلك سيذكر التاريخ أيضا أن أبرز الكتاب دفاعا عن الديمقراطية كان أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى حينذاك ومحمود عبد المنعم مراد الكاتب المعروف ..

على الجانب الآخر .. كان هناك ابراهيم عامر وفاروق القاضى .. وقفا الى جانب مجلس قيادة الثورة .. ولكن ابراهيم عامر توطدت صلته بأنور السادات الذى كان مسئولا عن دار الجمهورية وعرف عنه الكثير ..

وفى معتقل (أبو زعبل) كان معنا المناضل العريق الأستاذ سعد زغلول فؤاد رفيق أنور السادات فى نشاطاته المختلفة بعد الحرب العالمية الثانية .. وكنا نتساءل كيف لم يستخدم أنور السادات نفوذه للافراج عن صديقه ورفيق نضاله .. وراجت اشاعات أيامها أن أنور السادات قد سلمه للبوليس عندما استنجد به ولكن سعد زغلول فؤاد نفى كذلك ذلك تماما ..

لم يكن يبدو للمشتغلين بالسياسة أى دور هام لأنور السادات فى الثورة .. ولا رأى خاص ينفرد به أو موقف مميز ..

وعندما كان اليساريون والديمقراطيون عموما يتحدثون عنه يندون بتاريخه فى التعاون مع الألمان النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ..

وكان وجوده كقائد من قادة الثورة يعزز اتهامهم للثورة بأنها ديكتاتورية عسكرية أو مجموعة فاشية تحكم البلاد حكما ارهابيا ! ٠

وقد فوجئنا بان عرفنا أن أنور السادات قدم خلال وجودنا في المعتقل (حتى عام ١٩٥٦) مساهمة مادية للمرحوم الأستاذ حسن فؤاد الفنان اليسارى الشهير لاصدار مجلة الغد الفنية الأدبية اليسارية معا !٠٠

وبرز اسم أنور السادات مرة أخرى عندما أعلن عام ١٩٥٥ أن دستورا جديدا للبلاد سيتم وضعه عام ١٩٥٦ وتنتهى فترة الانتقال ٠٠ وتعود البلاد تحكم حكما دستوريا ٠٠

هذا كله لم يكن يشكل تقديرا شاملا لدور أنور السادات ٠٠ ولم يثر اهتمام أحد كي يحاول عمل ذلك التقدير حتى أن أحدا لم يلتفت الى الكتب التى كان يصدرها تحت عناوين مثل «هذا عمك جمال»٠٠الخ ٠

على أنني في خلال معتقل الواحات (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) عرفت بعض الأشياء عن أنور السادات من خلال صديقي المرحوم ابراهيم عامر ٠٠ أذكر أنه قال لي أنه ليست له فاعلية تذكر بين قادة الثورة ٠٠ ولا يبدو عليه من سلوكه أنه يحاول أن يبرز على أحد منهم ٠٠ رغم أن له تاريخا طويلا ضد الانجليز في الشوارع ٠٠ والتعاون مع الألمان في الحرب أيضا ! كما أن بعض رجال الثورة كانوا يستهينون بدوره ومواقفه ٠٠ ولكنه كان « يفوت » ويصبر دون اكتراث ٠٠

ويحكي لى ابراهيم عامر أن أنور السادات لم يتصرف تصرفا هاما في حياة الثورة الا عندما حدثت أزمة في مجلس الأمة أثناء رئاسة السيد عبد اللطيف بغدادي له عندما أراد البعض تحويل مشكلة مديرية التحرير الى احراج أصدقاء عبد الناصر (وكان هذا يعتبر احراجا لعبد الناصر نفسه أوتوماتيكيا ٠ بحكم طبيعة النظام الشمولى) وغادر عبد اللطيف البغدادى منصة الرئاسة ٠٠ قائلا أن للشعب أن يعرف كل شيء ٠ فتولى أنور السادات (وكيل المجلس حينذاك) رئاسة الجلسة ولما بدأ عبد اللطيف البغدادى الحديث قال السادات : تعمل الجلسة سرية !

واعتبر عبد الناصر يومها أن هذا تصرف ذكي وحاسم من جانب أنور السادات لأنه يتستر على الثورة ولا يريد نشر فضائح منسوبة اليها٠

وعندما خرج ابراهيم عامر من المعتقل عام ١٩٦٤ التقى بأنور السادات الذى استقبله استقبالا حارا ٠٠ ورحب بعودته الى الجمهورية من اليوم ولما شكا له ابراهيم مما يردده المرحوم

كامل الشناوى ·· من أن « البراغيت الحمر » هجمت ·· يقصد الشيوعيين ·· قال له أنور السادات ضاحكا ·· انت عارف كامل دمه خفيف ·· ده هو اللى توسط لصلاح حافظ علشان يخرج من جهنم بتاعتكم فى الواحات بعد ثمانى أو عشر سنين مش فاكر ·· وهو اللى توسط لرشدى صالح أول ما اعتقل ·· وجاء لى يقول ان لم يفرج عن رشدى اليومين دول لن يخرج أبدا ·· حيموت فى المعتقل !

وقال لى ابراهيم أن أنور السادات قال له وهو يلوح بأصبعه ··

يا ابراهيم ·· الريس مصمم على خروجكم جميعا بما فيه المسجونين أنفسهم مش المعتقلين ·· المره دى عاوز يفتح معاكم صفحة جديدة ·· بعد الاشتراكية اللى مشينا فيها ·· فبلاش بقى المنشورات والتنظيمات ·· والريس ماعندوش عقد من أى حد ·· عقدته الوحيدة منكم هى الولاء ·· يخاف قوى من التنظيم ·· ماتخلونا كلنا ولاءنا لمصر ·· ونشتغل سوى ··

واللى يجرى علينا يجرى عليكم ·· لازم تكونوا جد فى حكاية حل الحزب دى ·· والريس فاتح لكم الباب على الآخر ·· ان شاء الله يبقى الواحد منكم وزير ·· لكن اللى حيلعب بديله ويعمل تنظيمات سرية انت عارف اللى حيحصله ·· هو فيه بلد فى الدنيا صديقة للاتحاد السوفيتى مثل مصر ·· أهو خروشوف جاى وعاملين له زفة ماحصلتش ·· لحد فى الثورة نفسها !

وقال لى ابراهيم ·· أنه دهش من أن أنور السادات يتكلم كلام « سياسى » كهذا ·· وقال لى انه قبل خروجه من مكتبه ·· نصحه بأن يحصل من الجمهورية على مرتب شهرين يسددها على ١٠ أقساط علشان يسوى أموره بعد خروجه من المعتقل ·· وشرع يحرر ورقة بذلك ·· ولكن ابراهيم شكره وقال له انه وجد عند زوجته أموالا كافية لأنها تعمل بمرتب كبير باعتبارها سويسرية فى مؤسسة أجنبية !

أمضى معك ·· أحكى لقطات ·· ومشاهد ·· وآراء ·· عن الصورة التى كانت لدى عن أنور السادات ·· قبل أن ألقاه لقاء شخصيا حقيقيا ··

حدث أيضا أنى رأيت أنور السادات فى اجتماع انتخابى فى انتخابات عام ١٩٥٧ وكانت دائرة مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار فى الروضة ·· وكان موقف الشيوعيين فى تلك الانتخابات هو تأييد كل مرشح من الضباط الأحرار ·· .

ووقف أنور السادات ليخطب تأييدا لمصطفى كامل مراد فحكى عن معركة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وقال فى لهجة بدت لى غريبة اذ كان فيها مط وتطويل كطريقة الحشاشين فى الكلام : ثم جاءهم انذار ·· يقصد جاء الانجليز والفرنسيون انذار سوفيتى ··

وتحدث يومها فى حماس شديد عن الاتحـاد السوفيتى ومساندته لمصر ·· وانبسطت منه طبعا !!

بعد عام واحد من هذا غضبت كما غضب كل الشيوعيين منه أى من أنور السادات عندما استقبل الأستاذ محمود أمين العالم عضـو المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى السرى وطلب منه حل الحزب · وكان ذلك فى صيف عام ١٩٥٨ ·

وقال له قولته المشهورة التى أصبحت مثلا : تنظيم يعنى سلطة ! احنا عملنا تنظيم الضباط الأحرار فاستولينا على السلطة ··

والتقيت مرة بأنور السادات فى واحد من اجتماعاته بالمبعوثين ·· ولما سأله أحدهم عن سبب خروج الدكتـور حلمى مراد من الوزارة ·· فقال أنور السادات : أنا لو كنت مطرح الرئيس جمال عبد الناصر لدبحت حلمى مراد ·· ودهشت كما دهش أغلب أسـاتذة الجامعة والمبعوثين الذين كانوا حاضرين !

وعندما كان يخرج من الاجتماع صافحنى دون أن يعرفنى ·· وهو يصافح الصحفيين الذين كان يعرف بعضهم ·

وأذكر مرة أنى كنت فى تلا فى زيارة أخى الذى كان يعمل مـديرا للطب البيطرى فى محافظة المنوفية ·· فحكى لى أن فتحى سلمان صديق السادات الذى أصبح بمثابة مدير أعماله كان يسـتدعيه من حين لآخـر لعلاج جاموسة يغرم أنور السادات بشرب لبنها بالذات ·· وكان أخى كلما زار بيت الرئيس فى ميت أبو الكوم يدهش من بساطته وتعامله العفوى والودود مع كل أهل القرية الذين كان يستدعى بعضهم من حين لآخر ·· أو يلجئون اليه للشكوى من شىء ما ··

وقد رأيت بنفسى عنـدما أعلن عن انتخاب أنور السادات لمنصب رئيس الجمهورية بعد وفاة الزعيم جمال عبد الناصر ·· وكان السادات فى ميت أبو الكوم ·· ووقف يستقبل أهل القرية جميعا الذين انتظموا فى طابور طويل ليسلموا عليه فكان يقول لكل واحد منهم كلاما يفهم منه انه يعرف أحواله أو الكثير عنها : الجاموسة بتاعتك عملت ايه ياخضره ·· ابنك خرج من المستشفى بعد العمليـة والا لأ ·· مبروك نجـاح الواد حميده ·· الخ هذه العبارات ··

وأحيانا ينطلق أنور السادات صائحا فى صوت عال والله لا أخليك تحج يا عبد العال أو ياخضره أو يا سيد بعد أن يميل عليه واحد من أهل القــرية ويسر له بأمنيتــه بعد أن فتح الله عليه بمنصب الرئاســة (الذى لم يكن يحلم به قط كما صرح عدة مرات) أن يبعث به الى الحجاز لأداء فريضة الحج ..

خــلال هذه الفترة التى حدثتك فيها عن بعض ما عرفتــه عن أنور السادات .. لم يكن أحــد يشعر بنشــاط زوجتــه السـيدة جيهان السادات ..

فقد كان جمال عبد الناصر يضرب ســتارا من حديد على أهل بيته هو وتلك خطة اختطها منذ قيام الثورة وفرضها على أعضاء مجلسها ..

ما كان ممكنا اذن أن ينشر شىء كثير عن نشاط السيدة جيهان فقط بعض سطور عن نشاطها بعد حرب ١٩٦٧ اذ ركزت وقتا طويلا مع جرحى الحرب وضحاياها .

وأيضا كانت تمارس نشاطا واسعا ذا طابع اقليمى فى المنوفية فى مدينة تلا اذ أسست جمعية لتشغيل الفتيات فى مشاغل للانتــاج وحل بعض مشاكل العائلات الفقيرة ..

ولم يكن هناك كتاب يكتبون عن ذلك النشاط اللهم الا بعض أخبار كان ينشرها المرحوم كمال الملاخ فى صفحة الأهرام الأخيرة ..

واذكر أن زوجة أخى حدثتنى عن تلك الجمعية .. فكتبت عنهــا خبرا فى مجلة صباح الخير خلال تحقيق عن محافظة المنوفية .

وهكذا لم تكن لى سابق معرفة بأنور الســادات وأى معلومات عنه كانت مستمدة من استقراءات سياسية أو آراء للغير ..

ولم أحاول قط السعى للتعرف به .. كما لم أحاول ذلك مع أى مسئول كبير .. وقد كان زميلى مفيد فوزى رئيس تحرير صباح الخير يقول لى دائما انك تعيش « بنفسية المطارد » .. اشــارة الى عزوفى عن الاتصال بالسلطة لأننى اضطهدت منها كثيرا .. وكل واحد فيها بالنسبة لى شرطى يطاردنى ويريد أن يعتقلنى ! ..

الى أن وجدت نفسى وجها لوجه مع قمة السلطة .. رئيس الجمهورية نفسه .. بسبب عدة صدف غريبة ..

صدف غريبة

نحكى مزيدا من التفاصيل ‎..‏ لأنهـــا تلقى ضـوءا على شخصية أنور السادات والتغيير الهائل الذى حدث فى أسلوب السلطة فى التصرف والتلاقى مع الكتاب والصحفيين ‎..‏ فقد كان شبه مستحيل أن يلتقى أحد من الصف الثانى والثالث من صحفيى مصر بجمال عبد الناصر ‎..‏ بل حتى من الصف الأول ‎..‏ ولا ينسى القارىء أن كاتبا عملاقا تدين له الصحافة والثقافة المصرية بل الحركة الوطنيـــة بالكثير هو أحمد بهـــاء الدين لم تتح له فرصة اللقاء بجمال عبد الناصر ولو مرة واحدة ‎..‏ وقد كتب عن ذلك فى أحد أعمدته بالأهرام بمرارة شديدة وهو يدافع عنه ويبرز أعماله المجيدة ‎..‏

لم يكن هنـــاك بعد ١٩٥٦ غير صحفى واحد فقط هو الذى يلتقى بجمـــال عبد الناصر ويتحـدث معه ويتبادل معه الرأى والمشـورة ‎..‏ هو الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ‎..‏ والذين ينفسون على هيكل هـذا الامتياز مخطئون فى حق هيكل ‎..‏ لأنه أولا كاتب عملاق ‎.‏ ومن واجب كل مصرى أن يشعر بفخر وزهو أنه أصبح لدينـــا كاتب وصحفى فى مرتبة عمالقة الصحافة فى العالم ‎..‏ معروف على نطاقه ‎.‏

عـلاوة على المواقف الوطنيـة الثابتة فى صف الثـورة السياسية والاجتماعية المصرية منذ بدأت علاقته بجمال عبد الناصر ‎..‏

ان الذى يتحمـــل المسئوليـــة عن هذا الاحتـكار الصحفى هو جمال عبد الناصر الذى تجاهل وجـود كل الصحفيين وكتـاب مصر ‎..‏ وخلق أزمة بين الثورة وبينه اعترف بها هيكل نفســه وصلت الى الذروة الى حد جلد المثقفين جلدا في المعتقلات العديدة التي فتحت لهم أبوابهـــا كأبواب جهنم ‎.‏

أما هيكل فلا ذنب له ٠٠ ان أى كاتب يجد تقديرا من السلطة سيسر بهذا اذا لم يكن هناك تناقضات أساسية بينه وبينها ٠٠ فما بالك اذا كان لسانها الأول ٠٠

ان أنور السادات كسر الحاجز ٠٠ وحطم الستار الحديدى بينه وبين الصحفيين ٠٠ فالتقى بالكبار والصغار منهم على حد سواء فى مؤتمرات خاصة ٠٠ ثم فى لقاءات خاصة ٠٠ ووصل الأمر الى حد أنه التقى بأحدهم ليساعده فى وضع رسالة الدكتوراه عن أمور سياسية ٠

ومعرفة أنور السادات وعلاقته التى توطدت بى بعد ذلك جاءت وفقا لهذا التغيير الذى أحدثه ٠٠ فلم يقدمنى أحد للسادات ٠٠ ولم أكن قريبا له أو قريبا لأحد من حاشيته ٠٠

لقد حدث أننى طلبت من مجلة صباح الخير أن أكون مراسلها الحربى فى حرب ١٩٧٣ ووافقت وحدثت الحرب وبدأت أكتب ٠٠

الى أن التقطنى ناشر لم أكن أعرفه قط من قبل وان كنت اسمع عنه هو الأستاذ اسلام شلبى الذى كان رئيسا لهيئة الكتاب فى بيروت ٠٠ وطلب منى كتابة كتاب عن حرب أكتوبر فرددت عليه على الفور : ولماذا أنا ٠٠ ان هناك زميلى الأستاذ يوسف الشريف عن روز اليوسف أحسن مراسل عسكرى فى رأيى ٠٠

ولكنه أصر ٠٠ وشجعنى المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى ٠٠ وسمح لى بالسفر الى بيروت لأن الناشر أصر على استضافتى هناك لكتابة الكتاب حتى يفلت من الرقابة العسكرية ! ٠٠

وكتبت الكتاب فى ثمانية عشر يوما فى بيروت ٠٠ فطبع ٠٠ ونشر ٠٠ وأحدث ضجة ٠٠ وكان رأيى أنه أحدث ضجة لسبب واحد أنه أفلت من الرقابة فعلا ٠٠ وبالتالى جاءت فيه معلومات وآراء يعرف المراسلون الحربيون الأصلاء أفضل منها ٠٠ ولكنها حذفت من كتبهم التى كتبوها !

ثم عندما ظهر الكتاب أخذت نسختين وسلمتهما لبوابة بيت رئيس الجمهورية واتضح بعد ذلك أنه لم يرهما على الاطلاق ٠٠

حتى جاءت الصدفة الثانية ٠٠ طلب منى رئيس تحرير صباح الخير أن أسافر الى بنى سويف بدلا عن زميلى مفيد فوزى لتغطية زيارة للسيدة جيهان السادات حيث مرض مفيد فجأة ٠٠

وشجعنى على قبول السفر أنه فى بنى سويف كان يوجد زميلى المرحوم الأستاذ شبل اسماعيل الذى كان معتقلا معى ٠٠ وأصبح أمينا للاتحاد الاشتراكى العربى فى المحافظة فقلت فرصة نرى كيف يتصرف شيوعى كامين للاتحاد الاشتراكى البرجوازى !

وفى بنى سويف قدمنى المرحوم الأستاذ شبل للسيدة جيهان ٠٠ فرحبت بى وقالت انها تعرفنى من كتابتى ٠٠ ونظرت اليه ضاحكة قائلة : ده هو زيك يسارى ! وأول مالفت نظرى فى هذا الرد أنه لم تكن لدى السيدة أية حساسية تجاه اليسار مع أنها زوجة رئيس السلطة ؟!

ولاحظت أن السيدة جيهان تعامل الصحفيين والاذاعيين الذين كانوا موجودين باحترام وود شديدين ٠٠ وكانت معنا السيدة كاميليا الشنوانى زوجة طاهر أبو زيد مدير اذاعة الشرق الأوسط سابقا وهو من أحسن المثقفين الوطنيين فى مصر ٠٠ واستبعدنا معا الدكتور عبد القادر حاتم بعد توليه منصبه عام ١٩٧١ ٠٠ من العمل فى الاذاعة ٠٠

وبهرتنى السيدة جيهان حقا فى طريقة تعاملها البسيطة مع الناس ٠٠ وذكائها الحاد ٠٠ وكانت هذه أول مدة التقى فيها بشخصية كبيرة من السلطة ٠٠ فهى زوجة رئيس الجمهورية ٠٠ أى فى مقام ملكة ٠٠ كما أنى كنت قد سمعت الكثير طبعا عن دورها الفعال فى السياسة خصوصا أيام أزمة ١٩٧١ بين السادات ورجال جمال عبد الناصر ٠٠

وبعد انتهاء الزيارة قلت موجها الحديث للسيدة جيهان : من فضلك يا مدام عاوزين نقعد معاكى شوية علشان نتكلم ٠٠

كان فى ذهنى طبعا أن أجرى معها تحقيقا صحفيا ٠٠ وبالنسبة لى كانت فرصة لاتعوض ٠٠

فرحبت على الفور دون أى تردد ٠٠ وقالت تفضلوا عندنا فى القناطر غدا ٠٠ بعد الظهر ٠٠

وانتهت الزيارة ٠٠ بعد أن وعدت السيدة كاميليا الشنوانى أن آتى لها بنسختين من كتابى حرب الساعات الست واحدة لزوجها طاهر أبو زيد ٠٠ والثانى للأستاذ صلاح زكى الاذاعى والتليفزيونى المشهور والذى غضب عليه د ٠ حاتم أيضا ٠٠

فى القناطر التقينا بالسيدة جيهان ٠٠ أربع صحفيات وأنا ٠٠

وانتهزت فرصة وأنا أتحدث ٠٠ لأسألها ٠٠ عما اذا كانت تعلم اذا كان كتابى عن حرب ١٩٧٣ وصل للرئيس أم لا بعد أن أرسلته له فى

فبراير ١٩٧٤ ؟ ٠٠ فقالت بالتأكيد أنه لم يصـــل لأنه لو كان قد وصل لابد كانت ستراه ٠٠ وسألتنى عما اذا كنت كتبت كتابا فعلا ٠٠

وقدمت لها النسختين اللتين جئت بهما لطاهر أبو زيد وصلاح زكى وكان مكتوبا عليهما الاهداء لهما ٠٠ وقلت لها : واحد لسيادة الرئيس وواحـد لك ٠

ولاحظت أن السيدة لم تكترث قط بأن اهداء لشخصين آخرين مدون على الكتابين ٠٠ وقلت فى نفسى : هذه سيدة تصل الى جوهر الأشياء ٠٠ ولا يهمها الشكل ! ٠

وانتهى اللقاء ٠٠ ونشرت التحقيق الصحفى معها ٠٠

المقابلة الأولى

ومرت عدة أسابيع على ذلك ٠٠ الى أن فوجئت يـوم أول يونيـه ١٩٧٤ بجرس التليفون يدق ويقول المتحدث أنه من رئاسة الجمهورية وأن سيادة الرئيس يدعوك الى المشاركة فى احتفال ٥ يونيه ٠٠

وقلت ضرورى أنه قد قرأ كتابى الذى أعطيته للسيدة جيهان منذ أكثر من شهر ٠٠

وكانت أول مرة التقى فيها مع أنور السادات مع كبار الصحفيين الذين كان قد دعاهم وأذكر أننـا عبـد الرحمن الشرقاوى وعلى أمين ـ يرحمهما الله ـ وأنا تلازمنا طول اليوم ٠٠ واكتشفت فى على أمين جوانب انسانية لم أكن أعرفها وروحا مرحة جـدا ٠٠ مما جعلنى أتعـامل معه كأستاذ ومعلم رغم خلافاتنا السياسية الحادة ٠٠

وهذا يؤكد صدق المنهج الذى يتعامل به بعض الناس مع البشر ٠٠ وهو أن هناك كبارى انسانية يمكن أن تقرب فيما بينهم رغم الخلافات الفكرية والسياسية ٠٠

وصافحنا أنور الســادات جميعا ٠٠ وقدم اسمى له عبد الرحمن الشرقاوى ٠٠ ولكن لم يبد عليه أنه يعرفنى ٠٠ وتناولنا معه الغداء ٠٠ وأنا أتأمل فى دقة كيف يأكل رئيس الجمهورية فوجدته انسانا عاديا جدا ٠٠ يضـحك مع الضـباط من حـوله ويداعب الصـحفيين الذين يعرفهم ولو كانوا على بعد أمتار منه ٠٠ ولكنى لاحظت أنه يأكل قليلا ٠٠ ولمست أنه سعيد بنفسه يبدو « شبعان » مبتهجا بالحياة وبوضعه فيها ! ٠

بعد ٤٨ ساعة ٠٠ دق جرس التليفون وقال المتحدث مرة أخرى أنه من رئاسة الجمهورية ٠

أهلا وسهلا ٠٠

قال : سيادة الريس عاوز يشوفك ٠٠ ممكن تشرفنا فى المعمورة الساعة ١٢ ظهر غد ٠٠ تحب نرسل لك عربية !

شكرته وتملكنى السرور طبعا ٠٠ وجلست أفكر فى المسائل السياسية التى سأتحدث فيها مع رئيس الجمهورية الذى تتاح لى فرصة لقائه لأول مرة ٠٠

وبعد بضع دقائق اتصلت بدافع ذاتى من عندى بالشرقاوى وصلاح حافظ ٠٠ وذهبت للقائهما ٠٠ وأخبرتهما بموعدى مع الرئيس ٠٠ وطلبت منهما أن يقولا لى ماذا يريدان من موضوعات أثيرها معه ٠٠ أو طلبات خاصة بالمؤسسة ٠ وعرضت عليهما ما أفكر فى مناقشته مع الرئيس ٠

والحقيقة أن الاثنين لم يقترحا شيئا جديدا غير ما عرضته عليهما ٠٠ الا أن صلاح حافظ قال لى أرجو أن تستفسر من الرئيس عن هجومه على أحد الصحفيين اذ قال أنه أحد أفراد التنظيم الطليعى وأن ذلك الصحفى قد هاجم الرئيس وخرج عن حدود الادب فى الحديث عنه أمام جمهور الصحفيين فى النقابة ٠٠

وقال صلاح انه يعتقد أن الرئيس يقصده هو اى صلاح ٠٠ وطلب منى أن أنفى ذلك للرئيس وأنه لم يحدث شىء كهذا أبدا ٠٠

ذهبت الى بيت الرئيس فى المعمورة ٠٠ واستقبلنى فوزى عبد الحافظ سكرتير الرئيس ٠٠ بحرارة شديدة ٠٠ وأخذ يتحدث معى دقائق — قال لى فيها أن « الهانم » معجبة بك وتحترمك جدا ٠٠ لانك كنت أمينا فى نشر حديثك معها ٠٠ وشكرته ٠٠ وأدخلنى أحد الصالونات ٠٠ حيث استقبلنى ضابط من ضباط الحراسة التى يسمونها « خاصة » ٠٠ اسمه أحمد ٠٠ وكان شابا مهذبا جدا ٠٠ ورقيقا جدا ٠٠ وهذا بالمناسبة كما اكتشفت بعد ذلك هو الطابع العام للأغلبية الساحقة من ضباط الأمن فى الرياسة وبالذات ما يسمى بالحراسة الخاصة وهم الذين يتولون حراسة الرئيس مباشرة ويلازمونه أكثر من أى انسان فى العالم ٠٠

وتذكرت وأنا جالس ما قرأته فى روايات الجيب أيام زمان عن لويس السادس عشر والرابع عشر ٠٠ وتقاليد القصور فيها من أن الزائر للملك لابد أن يجلس فى مكان ما ٠٠ ثم يهل الملك عليه فيهب هو واقفا ٠٠ لأنه اذا ما دخل على الملك فى الصالون مثلا ٠٠ لابد أن يهب الملك واقفا لاستقباله ٠٠ وهذا لا يصح طبعا ٠٠ وانتابتنى أفكار ومشاعر غريبة ٠٠ فشعرت كما لو كنت تحت الرقابة الدقيقة وأننى سأفتش حتى العظام!

ولابد أن هناك أجهزة تصوير خفية ٠٠ هنا وهناك ٠٠ وازداد احساسى بهذا حتى تطور الى مستوى يقرب من شعورى كأنى متهم ! ٠٠ ولا يحس بهذا الاحساس الا من عانى من ويلات المعتقل أو السجن من الدولة اذ هو لا يراها الا فى أسوأ الأحوال ٠٠ حال سلبها أو تهديدها لحريته ٠٠ وتضاعف شعورى بالقلق هذا الى حد تصورى أنه من الممكن أن يعثروا فى جيبى الآن على سكاكين وقنابل كما تشعر بأنك تضع يديك فى جيبك تلقائيا عند سماعك فى الأوتوبيس أن أحدا فقد حافظة نقوده ٠٠ فمن يدرى قد يلفق لك أحد العثور على ممنوعات معك !

وتذكرت أنه مر بخاطرى نفس الشعور تقريبا عندما كنت أزور برلين الشرقية عاصمة المانيا الديمقراطية لأول مرة عام ١٩٦٧ اذ استوقفنى حرس الحدود الذين كنت أقرأ أنهم يطلقون الرصاص على من يحاول الفرار من السور ٠٠ وأدخلونى غرفة ليسألونى ما اذا كان معى نقود شرقية أم لا ٠٠ وأغلقوا باب الغرفة على ٠٠ فقلت لنفسى ضاحكا ساخرا فى البداية : آه يا صاحبى لقد وقعت فى يد ديكتاتورية البروليتاريا ٠٠ ثم تطور السرحان الى القلق ٠٠ ماذا يمنع أن ينكل بى هؤلاء الناس ويتهمونى بانى جاسوس مثلا للامبريالية ٠٠ أو تاجر عملة وسوق سوداء وتملكنى الخوف فعلا ٠٠ ووقفت وفتحت الباب وخرجت أسأل عن الشرطى حتى جاءنى ضابط يتكلم الانجليزية ٠٠ واستقبلنى باسما وحيانى بحرارة وهو يعطينى جواز سفرى ويعتذر عن اللبس الذى حدث ٠٠

واصررت أن أعرف منه سبب هذا الاستيقاف الذى حدث ٠٠ قال بعد تردد : الحقيقة أن هناك عددا كبيرا من العرب يتاجرون فى المارك الشرقى بشكل يخرب اقتصادنا ٠٠

لم أكن خائفا من لقاء رئيس الجمهورية ٠٠ لأنى كنت القاه وفى أعماقى ايمان مستمد من اعتناقى للنظرية الماركسية والنضال الطويل الذى ناضلته تحت رايتها ٠٠ أن هؤلاء الرؤساء فى العالم الثالث ٠٠ لهم دور محدد فى التاريخ ٠٠ وهو دور القيادة الوطنية لتحرير الوطن ٠٠ ثم بعد ذلك يرفضون تطوير مسيرة التاريخ أكثر من ذلك ٠٠ بينما أنا وأمثالى نسعى الى تقدم أكثر ٠٠ بالنضال من أجل الاشتراكية ٠

هم ثوريون الى مرحلة ٠٠ أما نحن الثوار دائما والى الأبد ٠٠ حتى نسيطر على الطبيعة ذاتها !

وانتزعنى من أفكارى المختلطة هذه نداء الأستاذ أحمد لى حيث خرجنا من الغرفة الى ساحة واسعة من أرض مكسوة بالحشائش تطل على البحر ٠٠ وعلى بعد أمتار أمامى رأيت أنور السادات جالسا وهو يتلفع بعباءة خفيفة ٠٠

ونهض من مقعده ٠٠ باسما ابتسامة عريضة مرحبه ٠٠ وسلم على فى ترحاب وحرارة ٠٠ قائلا وهو يوسع المكان ويشير الى مقعد وثير أمامه : تفضـــل ٠٠

وسكت لحظـة ٠٠ ثم قال ٠٠ انت بلدياتى ٠٠ من الجمهـــورية المنوفية المتحدة كما تسمونها ٠٠ وضحك بصوت عال ٠٠

فقلت له : سيادة الرئيس أنا سمعت كثيرا عن غرامك بالمنوفية ٠٠ فلماذا هل هو تعصب ؟!

ـ أبدا ٠٠ كل من يحب الوطن الكبير يحب وطنه الصغير٠٠حتى قريته وبيتـه ٠٠ ومر على أحد العمـال بالشـــاى ٠٠ بينما أنا أملأ عينى من رئيس الجمهورية ٠٠

ها هو رئيس جمهورية مصر ٠٠ الرجل الذى كان وطنيا ارهابيا ٠٠ ثم أحد صناع ثورة يوليو ٠٠ ثم صانع حرب ١٩٧٣ ٠٠ هاهو بلحمه ودمه أمامك ٠٠ ماذا ستقول له أو بالأحرى هل ستستطيع أن تقول له ما تريد ٠٠ وماذا سيقول لك هو ؟ ٠٠

وأنت تلقاه بدون واسطة ٠٠ ولا شفيع ٠٠ فماذا تريد ؟!

ولكن السادات بعد رشف بعض رشفات الشـــاى ٠٠ قال لى وهو يثبت عينيه فى عينى :

ـ يا عبد الستار أنا قرأت وباقرأ كل الكتب اللى طلعت عن حرب أكتوبر ٠٠ وقرأت كتابك فاندهشت كيف كتبت أحسن ما كتب عن تلك الحرب ؟ ٠

وضحك وقال ٠٠

ـ يمكن علشان انت منوفى ٠٠ صـحيح انت من بلد زكى مبارك سنتريس ؟

نعم يا سيادة الرئيس وأتشرف أنه قريب لأمى ٠٠

قال ٠٠

انت ابن مين فى سنتريس ٠٠ أنا كنت أعـرف هنـاك أيام الشقا عبد العاطى أبو حسين صاحب قهوة هناك !

قلت ٠٠ عبد العاطى هذا ابن عمتى ٠٠ وأنا من عائلة فلاحية فقيرة جـدا ٠٠ ولكن جدى استطاع تعليم أبى فى الأزهر ودار العلوم ٠٠ وكان ناظر مدرســـة ٠٠ وربانا حتى جعل منا أفندية ٠٠

أدهشنى أنور السادات عندما قال لى : لما تشوف عبد العاطى ده قول له ييجى لى ٠٠ يمكن يكون عاوز حاجة ٠٠

ـ يا سيادة الرئيس ٠٠ هـذا كرم شديد من جانبك ٠٠ كيف تفتكر كل هؤلاء الناس من زمان بعيد ؟٠٠

قال فى بساطة ٠٠

ولا كرم ولا حاجة ٠٠ اذا أعطـاك الله اعط أنت للغير أيضا ٠٠ والحسنة بعشر أمثالها ٠٠ وهؤلاء الناس كانوا ظراف جدا معى وأنا فى القاع ٠٠ لقد كنت فى يوم من الأيام تباع فى لورى ٠٠ وسائق ٠٠ ومقاول ٠٠ مقاول يعنى غلبان مش زى عثمان أحمد عثمان ٠٠

وضحك ٠٠ ضحكة عالية صافية أيضا ٠٠

كانت ست دقائق قد مـرت على منذ جلست الى الرئيس ٠٠ فقد نظر فى ساعته ٠٠ ونظرت أنا بدورى فى ساعتى ٠٠ ثم قال لى كما لو كان يستعجل انهاء المقابلة ٠٠

ـ صحيح كتابك كويس وشـدلى من أول صفحة ٠٠ لكن عاوز أقول لك حاجة يا ابنى ان فيه مواقع فى الكتاب انت « مفلفص » فيها ٠٠ يعنى ماعندكش معلومات كافية عنها ٠٠ وأنا لما كنت فى الجبهة أثناء سيرى مع المشير أحمد اسماعيل من يومين وبنشاهد مواقع المعارك كنت أفتكر اللى انت كتبته عنها وأقول للمشير شوف عبد الستار الطويلة كاتب عن الحتة دى فى الكتـاب بتاعه بس معرفش يكتب كويس ٠٠ ناقصـة معلومات ٠٠

وسكت أنور السادات لحظة وبدأ يقول أهم ما يريد أن يقولى لى :

أنا رأيى يعنى لو سمحت (أدهشنى كيف يقول لى رئيس الجمهورية هذه الكلمة) ٠٠ انك تعيد كتـابة الكتاب تانى ٠٠ وأنا سـبقت وقلت للمشير أحمد اسـماعيل انه يعطيك كل المعلومات عن الحـرب ويجعلك تقابل جنرالات الجيش جميعا وتتحدث معهـم ٠٠ فروح قابله ٠٠ وهو سيرتب لك كل شيء ٠

اذن الرئيس قرأ الكتاب ٠٠ وكون فكرة عنه ٠٠ وتحدث مع المشير فى شأنه ٠٠ وكلفه بمهمة معينة معى ٠٠ ورتب لى كل شيء ٠٠ واستدعانى لذلك ٠٠ هذا شيء بهيج حقا !

السلطة عندما تريد تفعل ٠٠ وتحطم أى عقبة أمامها ٠٠

عشر دقائق مرت منذ جئت تقريبا ٠٠ وانتهى كل شيء ٠٠ وعلى أن أرحـل ٠٠

ولكنى قلت ٠٠

● سيادة الرئيس ٠٠ تسمح لى ؟ ٠٠

ـ نعم يا ابنى ٠

● الواحد ما بيقابلش رئيس جمهورية كل يوم ٠٠ ولو أذنت لى أنا معى بعض النقط عاوز أتكلم مع سيادتك فيها ٠٠ هل هذا ممكن حسب وقت سيادتك ؟!

فرد على الفور ببساطة ٠

تفضل ياابنى ٠٠

أخرجت من جيبى ورقة بحجم الكف ٠٠ تتضمن حوالى عشر نقاط ٠٠ وبدأت أعرضها نقطة واحدة ٠٠ الاتحاد السوفيتى ٠ الولايات المتحدة ٠ اسرائيـل ٠ ٠العـرب ٠٠ الحـرب ٠٠ مشاكل الداخل ٠٠ الشـيوعيون واليسار عموما ٠٠ واليمين ٠٠

جلست أتكلم سـاعة متواصلة وهو يسـتمع لى فى اهتمام وصبر عجيب ولم يبدو عليه فى اى لحظة تأفف أو ضجر ٠٠ مما كان يشجعنى على الاستمرار فى الحديث والاسترسال ٠٠ وعندما سكت ٠٠ قلت لنفسى ٠٠ والله انه لأمـر طيب جـدا أن يستمع رئيس الدولة الى كلام صـحفى شيوعى من غير الصف الأول ٠٠ وليس له مركز ولا ارتباط أو تأثير فى حزب أو هيئة ٠٠ هذا حاكم يريد أن يعرف الجديد بدلا من الكلام المنمق المسجل فى تقارير ٠٠

ولم أكن أتكلم بتحفظ على الاطـلاق ٠٠ بل تكلمت بصراحة كاملة بل انه بعد قليل كففت تلقائيا عن التخاطب بسيادة الرئيس وسيادتك ٠٠ واصـبح الحديث أنت وأنا ٠٠ وهو لا يتضـايق ٠٠ ولا يندهش ٠٠ ولا يحاول ايقافى ٠٠ وطوال لقاءاتى بأنور السادات لم يكن يهمه اطلاقا ٠٠ بساطة لغتى وخلوها من الألقاب والعبارات البروتوكولية ٠٠

وقد بدا ذلك واضـحا فى لقاءات أنور السـادات مع الطلبة ٠٠ اذ كانوا يناقشونه علانية بلا كلفة ٠٠ ولم يكن يتضـايق من ذلك ٠٠ وساهم السادات ببساطته هذه في تحطيم التأليه التقليدى فى العالم الثالث

للحاكم ·· الا أن الغرب بعـد ذلك وغيره حـاولوا اغراءه بهذا التاليـه كما سنرى فيما بعد ! ·

بعد أن استمع السادات لى ·· قال وهو يبتسم !

يا ابنى ان ما تقوله يحتـاج للرد عليـه الى مجلدات ومجلدات ·· ساعات وساعات :

وأنقل مما كتبته أيامها ·· بعضا من هذا الحوار الذى لم يمكن نشره فى روز اليوسف ··

عندما أثرت موضوع علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى ·· قلت له ··

ـ سيادتك طردت الخبراء السوفيت وعاملت الاتحاد السوفيتى ·· بطريقة مهينة للعسكرية السوفيتية ·· ومع ذلك هم وقفوا الى جانبنا فى الحرب وسيادتك قلت للسفير السوفيتى لقد انتصرنا بالسلاح السوفيتى ·· وكيسنجر قال أنا مش ممكن أعطى لمصر الفرصة بأن تنتصر لأن ذلك معناه أن السلاح السوفيتى انتصر على السلاح الأمريكى ·

لذلك فأظن أنه من مصلحة مصر أن تحسن علاقتها مع السوفيت فى نفس الوقت الذى تقيم علاقات جيدة مع أمريكا ·

قال السادات :

يا سلام ·· يعنى انتم لستم ضد العلاقات مع أمريكا !؟

قلت :

لا ·· بالعكس ان انتصار حرب أكتوبر ممكن يجعل هناك ندية فى العلاقة بيننا وبينها ويفيدنا ذلك كثيرا فى القضية الفلسطينية ·· كما أن تحسن علاقتنـا مع السوفيت يسـاعدنا فى أخذ مواقع أفضـل مـع الولايات المتحدة ·

أمن السادات على كلامى ·· وهز رأسه موافقا ··

ثم سألنى فجأة ··

● ماذا كان رأيك بالنسبة لطرد الخبراء السوفيت ؟ ··

قلت له ··

عاوز الصراحة يا ريس ؟ ؛

قال نعم ؛؛

قلت ..

يعنى تعطينى الأمان !

قال ضاحكا .. نعـــم ..

قلت له .. لقد كنت مع عزيز صـــدقى فى رحلة موسكو وجبنـا ضلفهـا وعدنا .. وذهبت الى مكتب عبد الرحمن الشرقاوى .. وقلت له خبر طردهم .. والحقيقة أنا انتقدتك بشدة أمام الشرقاوى .. والحقيقة أنا ما نمتش ليلتها ! ..

بعد ذلك حكت لى السيدة جيهان السادات أن الرئيس حكى لها هذا الرد .. فكانت تردد فى كل مكان أمام زملائى أننى صريح جدا لأنى قلت رأيى بأمانة أمـام رئيس الجمهورية أنى « عيطت من القهـر » عند طرد الخبراء ! ..

ناقشت أنور السادات يومها أيضا فى علاقة مصر بالعراق .. فرغم اشتراكه فى حرب أكتوبر اذ أرسل لنا سربين من الطائرات .. الا أن العلاقات المصرية العراقية كانت سيئة نسبيا اذ كان يرفع شعار القضاء على اسرائيـل .. وبالتـالى كان يستريب فى احتمالات تطور مباحثـات الفصل بين القوات منذ مباحثات الكيلو ١٠١ .. كما أنه كان لا يستريح لحسن العلاقات بين مصر وسوريا اذ حاربت الدولتان اسرائيل ..

سألت السادات :

لماذا ياسيادة الرئيس لانقيم علاقات جيدة مع العراق التى وقفت معنا ومع سوريا فى الحرب ؟ .

رد على قائلا : انت تتكلم الكلام ده من منطلق عقائدى .. علشان هم شيوعيين زيك !

قلت له ..

أنا أتكلم من منطلق الرغبة فى التعاون والتنسيق العربى فقط .. فقد لاحظت أن الشعب العراقى يحترم مصر جدا .. ويقدرونا قوى ..

رد على السادات فى دهشة ..

ــ ازاى ده .. ده أنا بأسمع انهم يكرهونا .. ازاى بيحبونا .. وكررها فى تساؤل عدة مرات ..

وأدهشنى جدا أن رئيس الجمهورية تصله معلومات خاطئة كهذه ..

عدت أقول : أؤكد لسيادتك أن مشاعرهم كويسة جدا تجاهنا ·· ويمكن أن نبدأ علاقة على المستوى الشعبى ·· نقابات ·· هيئات ·· وفود ثقافيـــة ··

قال ·· يا ابنى لا ·· انتم بتحبوا العراق علشـــان شيوعيين ·· أو علشـــان ماتزعلش عاطفيين على الشيوعيين ·· مش كده بتقولوا على اللى بيحبكم « عاطفى علينا » !!

كان يضحك ··

وقلت ·· له لابد أنك مررت من هنا ··

قال ما معنى مررت من هنا ··

قلت ·· هو تعبير نعنى به أن ذاك الشخص قد مـر على الحـركة الشيوعية ·· واحتك بها ·· ان لم يلتحق بها ··

قال بطريقة فاجأتنى ··

ـ المثقف الذى لايعرف الشيوعية يبقى جاهل ·· وانا لى أصـحاب شيوعيين كتير ·· وحافظ كويس كلامكم ·· وعارف بتفكروا ازاى !

التقطت الخيط بسرعة وتحدثت على الفور عن موقف الشيوعيين من تاييد نظـامه من أول حركة التصحيح ·· وذكرته بالدور الذى قام به د · فؤاد مرسى فى اللجنة الثلاثية التى أعادت تنظيم الاتحاد الاشتراكى··

ودعوته الى السماح لهم بحرية النشـــاط السياسى ·· وتعاونه معهـــم ··

قال لى وهو يلوح بيده ··

ـ ده فيه ناس شيوعيين يا أخى بيقعدوا على القهاوى وبيقولوا أن حرب ۱۹۷۳ متفق عليها بينى وبين أمريكا ·· وانها كلام فارغ !

قلت ··

يا أفندم التطرف اليسارى ده موجود فى كل العالم وهم فى نفس الوقت بيشتموا الشيوعيين الآخرين (الأغلبية) ·· ولا يوجد فى العالم فكر واحد ·· وهذا لايعنى شيئا ·· وذكرته بما كتبته فى كتابى عن أن حرب أكتوبر حرب تحريك لا تحرير ··

ولم يعلق ··

وحدثته عن موضوع صلاح حافظ الذى أوصانى به .. فقال لى ..
لا .. لا .. صلاح حافظ فهم غلط .. هو لم يقل شىء ضدى .. أنا كنت اقصد فى خطبتى أحمد عبد المعطى حجازى ! ..

ورأيت أنور السادات يسرح ببصره بعيدا ويقول : والله أحمد عبد المعطى حجازى ده بلدياتى وأعرف أهله .. ناس غلابة لكن طيبين .. هو عاوز منى ايه بس .. مش عارف .. وأنا أحبه واحترمه لأنه شاعر كويس .. مش عارف أعمل له ايه .. أنا مستعد أعمل له أى حاجه .

وشعرت فى هذه اللحظة أن أنور السادات لديه ميول شوفينية للمنوفية وأبناء المنوفية فعلا !

وعاد أنور السادات يقول : قول لصلاح حافظ انه ليس المقصود ..

ثم صفق أنور السادات بيديه .. قائلا لى .. وكانت الساعة قد أصبحت الثانية بعد الظهر تقريبا ..

يا ابنى أنا ما باتغداش .. بآكل الساعة السابعة ..

ولما جاء العامل .. قال له ..

هات يا ابنى شوية سندوتشات علشان الراجل ده

وأحسست أنى جالس على مصطبة العمدة .. وبدأت آكل السندوتشات وحدى وفى شهية عجيبة ربما خلقتها عندى مشاعرى بأن هذا رئيس جمهورية بسيط جدا فى تعامله مع الناس ..

تحدثت مع الرئيس فى موضوع الاخوان المسلمين والتيارات الدينية .. واقتربت من الموضوع بحرص اذ كان موضوعا حساسا .. فقد كان الجميع يعرفون أنه أى السادات قد استعان بالجماعات الاسلامية فى الجامعات لضرب اليساريين سواء كانوا ناصريين أو من اليسار الجديد .. وعهد بهذه المهمة لشاب حديث عهد بالسياسة ذى اتجاهات غاية فى الرجعية .. فسلحهم بالمطاوى والجنازير والقبضات الحديدية ..

سألته .. هل لدى سيادتك أى تعاطف مع أفكار التيار الدينى ؟..

قال ..

يا ابنى .. أنا مسلم .. وأمارس العبادة طويلا .. منذ كنت طفلا .. وقبل حرب أكتوبر ذهبت الى الكعبة وركعت وأنا متعلق بأستارها وأنا أبكى ضراعة لله أن ينصرنى فى معركتى ضد اسرائيل .. حتى أنهضنى الملك فيصل وطبطب على وهو يردد معى الدعوات ..

واستطرد قائلا ..

ولكن هذا شيء .. وان احنا ندخل الدين فى السياسة أمر آخر .. ستحدث فوضى فى البلد لأن كل واحد سيفسر الدين على مزاجه ..

قاطعته قائلا ..

ـ ومصالحه أيضـــا ..

قال ضـــاحكا ..

ـ دائما تدخلون التفسير الاقتصــــادى فى كل شيء .. لكن فعلا المصالح لها دور فى النظرة لمعنى النصوص والآيات ..

ســـالته ..

● هل ترون ضرورة للحكم الدينى فى البـــلاد حتى لو اختـــاروا سيادتك خليفة ..

أجابنى ضاحكا ..

ـ أنا خليفة ؟ . أعوذ بالله .. انت عاوز يقولوا عن مصر أنها رجعت للوراء وأنا من حكام العصور الوسطى أو محاكم التفتيش ..

ولما قلت له أنى أفهم من هذا أنك « علمانى » النزعة قال لماذا تقول هذه الكلمة التى تسبب دوشة .. لماذا لا تقول : الدين لله والوطن للجميع .. وكفاية الدين الرسمى للدولة هو الاسلام .

سالتـــه ..

ان التيار الدينى يستخدم العنف .. وســـيادتك كنت تســـتخدم العنف .. لتحقيق أهدافكما السياسية .. فلماذا التناقض بينكم ؟ .

ـ نحن كنا نستخدم العنف ضد الانجليز .. هم يستخدمون العنف لفرض آرائهم على الناس بينما الدين بالموعظة الحسنة ..

وسكت أنور السادات وقال لى عبارة ذكية لا أنساها ..

هم يقولون دائما أن النبى صلى الله عليه وســـلم .. قد اســـتخدم القوة لازاحـــة المنكر الذى كان فى المجتمع الجاهلى حينذاك واقناع الناس بالاســـــلام ..

هذا صحيح الى حد ما .. وأقول لك الى حـــد ما لأن النبى لم يكن يقنع الناس للاسلام بالعافية ! ..

لكن الآن .. فى عصر الديمقراطية توجد كل الوسائل السلمية التى تجعلك قادرا على اقناع الناس بافكارك .. فيه صحافة .. وكتب .. وبرلمان .. واجتماعات واذاعة وراديو .. وسفر بره فى مؤتمرات ..

اعمل دعاية زى ما أنت عاوز .. فلماذا العنف ؟ ..

وقال لى أنور السادات فى حديثنا حول تلك المسألة فكرة أخرى لا انساها أبدا أيضا .. عندما سألته عن الفرق بين الشيوعيين والاخوان المسلمين فى رأيه ..

فقال :

انتو الشيوعيين انا لا أخاف منكم .. انما الجماعات الدينية أخاف منها .. عارف ليه ؟!

قلت .. ليه ؟!

ـ لأن لو فيه محاولة ضدى وضد الدولة .. من الطبيعى أن تكون من الجيش والمصيبة أن أى ضابط فى الجيش من المتطرفين الاسلاميين ليس من السهل كشفه لأن البلد كلها مسلمة .. فلن تعرف أنه يدبر لقلب نظام الحكم .. حتى لو بدرت منه تصرفات متعصبة ففيه ناس حتى عندهم هوس دينى ..

أما لو فيه ضابط شيوعى.. فسوف يقول غصب عنه كلامكم المعروف زى الامبريالية والتناقضات والصراع الطبقى .. الخ وبهذا الكلام من السهل كشفه .. وحبسه !

قلت للرئيس السادات وانا أتأمل كلماته ..

ـ هذا يذكرنى بحكاية طريفة ياريس .. أيام زمان فى عهد الملك كان يوجد قاضى اسمه حسين طنطاوى خصصه الملك لمحاكمة الشيوعيين لأن أحكامه ضدهم كانت قاسية ..

فى احدى القضايا أمامه .. وقف المتهم يرد على اتهام النيابة بأنه وزع منشورات فى كل أحياء القاهرة وحده فى أقل من ثلاث ساعات ! وقال :

ـ انا ماعنديش يا سيادة المستشار امكانيات لعمل هذا ..

صاح القاضى قائلا : بس .. بس بيقى انت منهم بقى (يقصد الشيوعيين .. وأشار الى سكرتير الجلسة قائلا ..

أكتب فى المحضر كلمة « امكانيات » هذه ..

الحديث يمضى بنا فى هذا اللقاء الاخاذ مع أنور السـادات .. وهو لايبدى أى اشارة للملل أو رغبة فى انهـاء المقابلة .. وأنـا أنتهز الفرصة لأدخل فى موضوع وراء موضوع ولدى احساس أنه يجب أن اقول كل ما عندى كما لو كنت سأموت بعد ذلك ! أو على الأقل لن أرى الرئيس مرة ثانيـة !

أردت أن استجلى رأيه فى انجازات عبد الناصر .. فقال ..

ـ يا ابنى .. دى مسئولية وأمانة لأنها ملك للشعب .. ثم أنا مش اليمين فى الثورة زى الكلام الفارغ اللى بتقولوه ده .. يا ابنى أنا يسارى .. ده أنا من أصل فقير وغلبان .. وبنتى ماتت علشان وقة سكر ..

وتساءل أنور السادات

هو أنا ابن مين يعنى ؟!

ولما سألته عن رأيه فى جمال عبد الناصر .. أشـاد به وامتدحه كثيرا .. وقال انه أستاذه ومعلمه وهو السبب فى أني بقيت رئيسـا للجمهورية فكيف أعمل على ازالة آثاره ؟ ..

سـألته ..

اذن علام التناقض الذى حدث بينك وبين رجال عبد الناصر ؟ ..

قال .. أولا ليس كلهم رجال عبـد الناصر .. أنا الرجـل الأول لعبد الناصر كنت نائبه وكان يثق بى .. واختـارنى وهو يعـرف أنه سيموت قريبا والأعمار بيد الله ..

وهناك رجال لعبد الناصر لم يشاركوا فى المؤامرة ضدى بل تعاونوا معى .. هوه عزيز صدقى ليس من رجال عبد الناصر ؟ ..

الحكاية انهم كانوا عاوزين أكون مجـرد خيـال .. وهم يحكموا كما يريدون .. لحد ما تيجى فرصة ويجيبوا غيرى ..

- سألت بلهفة ..
- مـن ..

لم يجب السادات على سؤالى ..

وعندما تحدثنا عن حرب أكتوبر قلت له ان الثغرة كانت نقطة خطيرة فى غير صالحنا وأدت الى تحول الحرب لأنها أدت الى تغيير فى التوازن ..

ولذلك فأنا أصف انتصارنا دائما بأنه كان انتصارا نسبيا وان كنت لم أقل هذا صراحة في كتابي عن الحرب ..

لم يبد على وجهه الغضب مما قلت فقد كان يردد دائمـا أن الثغرة مظاهرة تليفزيونية .. ولا أدرى من أين جاء ولماذا جاء ذلك العسكري الفرنسي الذى ردد هذه الحكاية بدوره وكان السادات يرددها دائما ..

وكرر السادات لى دائما أنها مظاهرة تليفزيونية فعلا .. وشعرت أنه لا يريد تشويه انتصار أكتوبر بموضوع الثغرة ..

وعند حديثنا عن لقاءاته بكيسنجر .. قال لى :

ـ اسمع .. أمريكا لا تثق فى مصر على الاطلاق .. بيننا وبينها تار بايت .. وهى طول عمرها بعد ١٩٥٧ كانت مع اسرائيل على طول الخط ..

وكيسنجر أنا أعرف أنه يهودى وصهيونى كمان ..

وأنا لست أقل منكم فهما للاستعمار الأمريكى واهدافه .. وخططه .. وارجع لما كتبت وقلت عن أمريكا قبل كده ..

لكن المسألة أننا فى وضع جديد خلقته حرب أكتوبر .. عاوز سياسة جديدة .. وتفكير جديد علشـان نخلص من المصـيبة دى .. اللى اسمها اسرائيل !

ولم أستطع أن أعرف منه معالم أو تلميحات لتلك السياسة .

كانت الساعة تقترب من الرابعة .. وهواء البحر قد شارك طول فترة الحديث فى اجتذاب جسدى وربما جسد السادات الى دائرة الاسترخاء .. والقيلولة ..

فأدخلت أوراقى فى جيبى .. وقلت له يا سيادة الرئيس أشكرك كثيرا جدا على هذا الوقت الذى أعطيته لى ..

فنظر الى ساعته وهو يضحك ناهضا من مقعده :

ـ أربع ساعات .. يا منوفى يا ناصح !

وقال لى مبروك يا ابنى مرة أخرى على الكتاب ... وفاجأنى بالقول :

ـ أشكرك على الكلام اللى كتبته عنى فيه ..

وسألنى : انت معاك عربية .. واوعى تنسى تمر على المشير !

فأجبت بالايجاب .. وسلمت عليه مرة أخرى .. وخرجت .. وبعد أن قام بتوصيلي الى نهاية الحجرة التى دخلت منها .. حيث تسلمني ضابط الحراسة فى أدب وذوق شديد .. حتى خرجت الى الحديقة ..

في اليوم التالى .. توجهت الى وزارة الحربية .. ولم أجد صعوبة فى لقاء المشير أحمد اسماعيل الذى رحب بي وقال لى الرئيس حدثني عن كتابك .. وازاى يا أخى لم ترسل لى نسخة ..

فأكدت له أني أرسلت له فى مارس نسخة كما أرسلت للرئيس .. ولكن لم تصل النسخ لكما ..

وقال لى ان الريس معجب جدا بكتابك لدرجة أنه كان يذكر بعض ما فيه ونحن نمر على بقايا خط بارليف . ووعد المشير بأن يقابلنى فى أى وقت عندما أحتاج لشيء ..

وحولنى الى اللواء عبد رب النبى حافظ .. الذى رحب لى بدوره ورتب لى مع ضابط من المخابرات العسكرية .. جدولا لمقابلة كل قادة القوات المسلحة لأتحدث معهم عن الحرب .

ولاحظت أن معالم الحزن بادية على وجه عبد رب النبي حافظ .. ويبدو أن ذلك بسبب نقله من قيادة الفرقة ١٦ أثناء الحرب ..

وأعدوا لى البرنامج .. فى أيام قليلة .. وبدأنا تنفيذه .. والحقيقة أنى وجدت تعاونا كاملا من كل الجنرالات ..

وكانت نفسى تحدثنى فى دهشة من حين لآخر .. كيف جاء الوقت الذى أدخل فيه قلعة السلطة الرئيسية (الجيش) .. وأنا الذى حاربت السلطة طويلا ونالنى منها عذاب مقيم لسنوات طويلة .. ويستقبلنى الناس فيها استقبالا طيبا يقدمون لى المعونة .. دون حساسية للصدام أو التناقض القديم بينها وبينى وبين أمثالى .

هل هـذه السلطة تنظر لى على أنى عميـل لها .. أم أن التحالف والجبهة الوطنية بين كل الأطراف شيء لذيذ يجعلك تلتقى فى أمان بالقادة العسكريين الذين طالما القوا بالعشرات ، بل الألوف فى السجن الحربى .. بل هم يقدمون لك القهوة ويستمعون فى اهتمام لأسئلتك ويحاولون مساعدتك قدر الطـاقة .. ويحملونك فى سياراتهم ومعك مرافق برتبة رائد !؟

وكنت أطرح على نفسى سؤالا آخر .. هل هذا الذى يحدث .. من أن رئيس الجمهورية قد بلغك تقديره لعملك ويقدم لك مساعدة لتقديمه

على الوجه الأكمل ·· هل هو دليل على ترهلك الثوري وانحدارك السياسي والقائك أعلام النضال ومبادئك أرضا ؟! أم أنه دليل على أن العمل الجاد والمخلص يفرض نفسه بصرف النظر عن أنك نقيض السلطة عقائديا ··

وكنت أسكن هواجسي هذه ·· بترديد تلك العبارة ·· بيني وبين نفسي : انني حليف لنظام وطني ·· فلا شك أن نظام يوليو ·· سواء في عهد عبد الناصر أو عهد السادات نظام يسعى لتحرير الوطن ··

ولعل ما كان يثير تلك الهواجس في نفسي ·· هو بداية الضجة الكبيرة ضد أنور السادات من جماعات الرفض التي بدأت تظهر في الساحة العربية ·· ومن تحركات الطلبة وبعض المثقفين وما ينشرونه بين الناس عن ردة السادات عن طريق عبد الناصر وميله الى التسليم للولايات المتحدة ··

منذ أدركت عام ١٩٥٥ بعد مؤتمر باندونج أن ثورة يوليو ثورة وطنية وأن عبد الناصر زعيم وطني ولكنه ديكتاتور لم يخالجني هاجس واحد ذات يوم أني أعيش في ظل نظام غير وطني ·· وظللت مؤمنا بهذا الأمر دون أى شك حتى في الوقت الذى كان عبد الناصر يعذبنا في المعتقلات والسجون الى حد القتل ··

وكنت أقول دائما ان كثيرا من القادة الوطنيين حمقى ·· لأنهم يضربون اخوانهم الوطنيين لأنهم فرديون قصار النظر ··

لكن هواجس الشك كانت تبرق فى ذهنى أحيانا ·· فى الفترة الأولى لعلاقتى بأنور السادات ·· ثم توقفت بعد أن استقررت تماما ·· وتيقنت من موقفى السياسى ·· وحددت أسسا وقواعد لعلاقتى بالسلطة ··

والغريب أن العامل الأساسي في استقراري هذا هو الموقف الخاطىء الذى اتخذه بعض زملائى اليساريين من هذه المقابلة مع أنور السادات ·· ومع ما حدث بعدها من تطور ·· اذ تعرضت لحملة ظالمة ورخيصة أيضا ·· ولكن المجادلات التى دخلت فيها بشأن تلك العلاقة قد فتحت لى مجالا أكثر للتأكيد على فائدة هذه العلاقة لليسار نفسه ·· وأنها علاقة صحيحة مائة فى المائة ·· فلم تكن فيها مآرب شخصية ولا تنازلات من أى نوع ·· وكانت علاقة سياسية بالدرجة الأولى ·· وكنت أعرف قدرى تماما ·· فما أنا برئيس جماعة أو حتى شلة ·· ولا تأثير لى فى أى فئة من فئات المجتمع المصرى الا كتأثير أى كاتب قد يجيد أو يخطىء ·· وليست لى أى ارتباطات بأحد فى العالم العربى ولا الخارجى يمكن أن يلعب دورا مؤثرا بشكل ما يفيد هذا النظام أو ذاك ·· ناهيك عن أنه لم تكن لى صفة أو مكانة اجتماعية وسط الطبقة الثرية التى توجه الأمور وتؤثر فى السلطة

ان لم تكن تسيطر عليها ٠٠ ولم أكن أتحكم فى جريدة أو حتى مجرد صحفى واحد أسيره على هواى ٠٠ ولا تأثير فى نقابة أو حزب أو حتى جمعية للبر والاحسان ٠٠

وانا اعرف جيدا على الأقل مما درسته فى الماركسية وعلوم السياسة من الناحية النظرية على الأقل ٠٠ أن السلطة لا تقيم وزنا الا لمن يكون له فعالية وتأثير حتى تستفيد سواء كان حزبا أو فردا ٠٠ وأنها على استعداد للتخلى عنه لحظة أن تنتهى من الاستفادة منه أو كما يقال « قضاء وطرها منه » ٠٠ لأن السلطة لها منطق واحد فى التعامل مع الناس والجماعات ٠٠ وهو منطق يمكن تسميته بالمنطق « العنكبوتى » ٠٠ ان الجميع مع الفارق فى التشبيه مثل الذباب ٠٠ يمتص العنكبوت دمها ٠٠ ثم يلقى بها بعيدا دون رحمة أو اكتراث ٠٠

وقد تلقى السلطة « بالذباب » من أبناء طبقتها فى رفق ورحمة ومودة ٠٠ ولكن مع غير هؤلاء الأبناء قد تسحقهم سحقا ٠٠ وقد رأيت بعينى وحسى وحياتى ومعايشتى كيف كان المجرمون الأغنياء أو الانقلابيون على نظام جمال عبد الناصر بعد أن تنتهى موجة الغضب الأولى بتعذيبهم والتنكيل بهم حتى « تنكسر نفوسهم » يعاملون فى السجون والمعتقلات برفق كأنهم فى فنادق فاخرة ٠٠ وربما سمحوا لنسائهم بقضاء ساعات معهم فى الزنزانات كما رأيت فى السجن الحربى ٠٠ أو يخرجون من السجون لبيوتهم لعدة ساعات ويعودون ٠٠

ورغم شعارات عبد الناصر عن الاشتراكية فانه كان يصلى «الاشتراكيين الآخرين » من أمثالنا نارا وسعيرا ويخسف بهم الأرض ٠

وقد كان الأمر كذلك كما هو الآن وسيظل فى المستقبل ٠٠ أبناء الطبقة الذين سرقوا ونهبوا الملايين وأجاعوا الناس وخربوا بيوتهم ودفعوا بعضهم الى الانتحار ٠٠ اما ألحقوا بمناصب أخرى ٠٠ أو وضعوا تحت الحراسة بضع سنوات لتسلم لهم ثرواتهم بعد ذلك معززة مصونة ٠٠ أو سمح لهم بالهروب من قاعات كبار الزوار بما يحملون ٠٠ أو اذا ما دخلوا السجون فتتحول السجون الى فنادق فاخرة بل ربما أصلحوا من شأنها ومرافقها حتى تتفق مع « قضاء حاجاتهم » ٠٠ وهكذا ٠٠

هذه حقائق كانت واضحة تماما فى ذهنى ٠٠ ولذلك لم يكن يثير دهشتى أى ظاهرة كهذه أراها ٠٠ وأعتبر أنها من طبيعة الأشياء ٠٠ وكنت أعرف موقعى جيدا من السلطة وأحرص على ألا أعيش فى وهم أو اتخطى حاجز الأمانى والآمال ٠٠

وشجع على ذلك أنه لم تكن لى تطلعات طبقية من جانب النظام ‥ اى أن أستخدم علاقتى للاثراء ‥ لذلك لم أقع قط فى خطأ ما من هذه الناحيـــة ‥

وقد قلت للرئيس السادات ذات مرة : الحمد لله يا سيادة الرئيس أن الراسمالية الوطنية قد سدت حاجتى من المال ‥

قال ضاحكا : كيــف ؟ ‥

قلت : أبرمت صفقة اعلانات مع بسيونى جمعة الرأسمالى المعروف مع روز اليوسف فحصلت على مكافأة سخية كما تعرف سيادتك الصحف تدفعها فى مثل هذه الحالات ‥

ولذلك الحمد لله مستورة ‥

قال وقد فهم مغزى كلامى ‥

ـ ده بسيونى جمعة ده عفريت !

أذكر مرة أنى قابلت زميلى وأستاذى المرحوم د· فؤاد مرسى أستاذ الاقتصاد المعروف ووزير التموين الأسبق ‥ وكان أيامها من بين الثلاثة الذين اختارهم أنور السادات لاعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، أى كان رجلا قريبا جدا من السلطة ‥

ولاحظت أن الدكتور فؤاد يبدو متضايقا ‥ فلما سألته فاجأنى بالقول فى غضب :

ـ تصور لا يدعونى الريس فى حفل خطوبة أو زواج ابنته !

وكان يتحدث عن الخطيب الأول لابنة السادات الكبرى والذى فسمت خطبتــه بعــد ذلك وأذكر أن اسمه كان ‥ المسيرى ‥ أو شيئا من هــذا القبيـــل ‥

قلت له فى دهشة :

ـ يا دكتور أنت الذى علمت أجيالا معنى السلطة وموقفها من التحالف مع القوى الأخرى وأهدافها ‥

هل تتصور أن السادات لأنه اختارك فى اللجنة الثلاثية أصبحتما أصدقاء وبالتالى يعزمك على فرح ابنته ؟ ‥‥

ان السلطة تتعاون معك مضطرة نعم ‥ ولكنها لا تقربك منها كصديق وتدعوك لأفراح الأنجــال ! ‥ أنت غريب وستظل غريبــا بالنسبة لها ولمستواها وعاداتها وتقاليدها وخصوصياتها ٠

اعادة الكتابة ••

قدمت لى المخابرات الحربية أو العسكرية كل مساعدة ممكنة كى أعيد كتابة كتابى عن حرب الساعات الست بناء على توجيه أنور السادات ••

أعدوا لى جدولا بمواعيد كثيرة مع كل المسئولين عن حرب أكتوبر من الكبار الى بعض رجال الصفين الثانى والثالث •• واصطحبنى ضابط برتبة رائد فى كل هذه الجولات وكان عنصر تشجيع لى وكان يعطينى فكرة موجزة عن كل جنرال قبل أن ألتقى به •• وكان كريما مهذبا ودودا •• ذكرنى دائما بطريقة الفريق أبو سعده عندما كنا معه فى الجبهة أثناء قيادته للجيش الثانى اذ كان بارعا ورقيقا جدا فى معاملته لنا نحن المراسلين الحربيين ويهتم بأصغر التفاصيل حرصا على راحتنـا وتمكيننا لنا من أداء مهمتنا الصحفية ••

والجنرالات الذين التقيت بهم •• كانوا بدورهم يقدمون لى الكثير •• ويبدون استعدادا للتعاون •• ولم أشعر من جانب أحد منهم بأية حساسية فى التعامل معى لأنى يسارى فقد كان معظمهم يعرف هذه الحقيقة حتى قبل أن ألقـــاه ••

مرة واحدة قال لى المشير أحمد اسماعيل •• فى دهشة وهو يضحك : يا أخويا ايه اللى مخلى سيادة الريس يحط الوثائق والمعلومات دى كلهـا معاك ! •• مين اللى موصيه عليك ؟!

كان السيد سيد مرعى جالسا معنا •• فقال له كلاما طيبا فى حقى •• وكيف أن هذا هو سبب ثقة الرئيس فى ••

فقال المشير : والله أنا آسف يا ابنى أصل ماسمعتش عنك قبل كده •• أنا اسمع عن موسى صبرى وحسنين هيكل وأنيس منصور •• أما أنت دى أول مرة أعرفك وأسمع عنك !

وأمكن تجميع المعلومات الجديدة .. وشرعت فى اعادة كتابة الكتاب .. ونشر وطبع فى بيروت عند اسلام شلبى أيضا .. الذى ابتهج كثيرا برد فعل الكتاب الأول عند رئيس الجمهورية .. حتى أنه أصر على أن يتعاقد معى على اعادة طبع الكتاب كما لو كان كتابا جديدا أؤلفه .. مع أن نص العقد بينه وبينى كان ينص على دفع مبلغ محدود من المال مقابل الطبعة الثـانية .. !

ولكن خلال اعادة الكتاب وتجميع مادته .. يمكن تسجيل عدة مواقف هنـا ...

وجدت أنه كى أستكمل الصورة لابد أن التقى بالفريق سعد الدين الشاذلى الذى كان السادات قد عينه سفيرا لمصر فى لندن .. والصورة التى أردت استكمالها كانت عما جرى فى الثغرة بالذات ..

وقلت لنفسى لابد من أن أستأذن الرئيس فى هذا فانا أعرف أن هناك خلافات بين الاثنين فى هذا الشأن ..

وطلبت مقابلته .. وقابلته ..

ـ يا ريس أنا عاوز أقابل الفريق سعد الدين الشاذلى لأسأله عن حكاية الثغرة .

كنت أتوقع ـ وربما كانت هـذه هى المقابلة الثالثة لى مع أنـور السادات ـ أن يقول لى ولماذا لا تكتفى بالمعلومات التى أعطاها أو سيعطيك اياها الجنرالات .. وأنا شخصيا قد تحدثت عنها فى مناسبات مختلفة (أى أنور السادات) ؟!

ولكن لدهشتى الشديدة .. رد على أنور السادات بلا ثانية تردد :

ـ ما تروح تقابله يا أخى .. حد حايشك ؟! ..

قلت .. شكرا يا سيادة الرئيس .. سأسافر الى لندن واقابله ..

والشهادة للتاريخ أن أنور السادات لم يقل لى كلمة واحدة عن كيف أسأل الفريق سعد الدين الشاذلى .. ولا طريقة التعامل معه .. ولا شىء .. انه فقط قال « ما تروح » ثم دخلنا فى مناقشات عن قضايا أخرى ..

وأدركت أن أنور السادات رجل ذكى ويفهم الشخصية التى أمامه .. وأنه ليس ممكنا أن يكون كل واحد عينا له أو أداة استدراج لخصومه ..

ولما علم المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى بنيتى على السفر الى لندن اذا به يبلغنى أنه قرر أن يوفدنى الى هناك فى مهمة صحفية وكانت تلك لفتة

طيبة مشجعة من جانبه .. وبالفعل عدت وكتبت أربعة موضوعات صحفية فى روز اليوسف وصباح الخير .. فمن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ! ..

وذهبت الى السفارة المصرية فى لندن وطلبت مقابلة الفريق الشاذلى .. وقابلنى الرجل على الفور .. وقدمت نفسى له كمراسل حربى أكتب كتابا جديدا عن الحرب .. قال الشاذلى وهو يرحب بى فى ود :

ـ أنا فاكر قريت لك حاجة من قبل .. لكنى آسف أنى لست من قرائك لذلك أعذرنى اذا لم أعرفك كويس .

حكيت له قصة الكتاب وقصتى مع أنور السادات وأننى استأذنته فى مقابلتك لأسمع منك ما حدث فى الثغرة كما ترى الأمر ..

وبدا على الفور على وجه الفريق الشاذلى الشك فى أمرى فالاحتمال الأكبر أن أكون مدسوسا عليه من أنور السادات ليطعن فيه أمامى أو لأنقل له صورة مشوشة لحديثه كما يفعل العملاء عادة ..

وأدركت على الفور ما يجول بخاطر جنرال الحرب الذى أجلس أمامه .. فقلت له وقد اعتدلت فى مقعدى :

ـ يا سيادة الفريق .. أنا قضيت ١٣ عاما فى السجون والمعتقلات .. منذ عهد الملكية .. وفى عهد جمال عبد الناصر .. وذلك من أجل أمانة الكلمة .. ولذلك فانى لا يمكن أن أعمل لحساب أحد أو جهاز من الأجهزة وأخون نفسى والنـــاس وأصبح مرشــدا أو جاسوسا أو عنصر استدراج واستفزاز ..

وأنا أشعر أنى مسئول عن مصلحة البلد مسئولية لا تقل عن احساس رئيس الجمهورية نفسه والا لما قدمت كل تلك التضحيات طواعية واختيارا .. فأرجوك أن تطمئن تماما الى أن الحوار الذى سيدور بينى وبينك ليس مطلوبا من أحد أو أوعز لى الرئيس مثلا أن أدعوك اليه لأنقله له .. انى سأكتب ما ستقوله لى .. ولكن اذا كان هناك شىء لا تريد منى أن أنشره فالفت نظرى اليه .. ولن أنشره .. ولن أقوله لأحد أبدا .. ولو أنك قلت كلاما ضد رئيس الجمهورية أمامى فلن أنقله له .. وعندى من الشجاعة أن أرد عليك أنا بنفسى اذا كنت ضد رأيك ..

وضحكت قائلا :

الشىء الوحيد الذى سأبلغ رئيس الجمهورية عنه هو اذا قلت لى أنك تدبر انقلابا عسكريا ضده .. لأنى حليف لهذا النظام !!

ضحك الفريق الشاذلى ·· وأحسست أنه بدأ يهدأ ويطمئن لى شيئا فشيئا على مدار الحديث ·· وأخذ يشرح لى رأيه فى الثغرة وكيف حدثت ·· ونفى لى بشدة أنه انهار فى غرفة العمليات كما أعلن السادات ذلك ضـــده ··

واتتقد فى حدة أحيانا قيادة أنور السادات للحرب ··

وعندما عدت لمصر لم أقل قط لأى مخلوق حتى زوجتى ·· ما قاله لى الشاذلى ضد أنور السادات ··

ولما قابلت السادات بعد عودتى أسجل مرة أخرى للتاريخ أنه حتى لم يسألنى ما اذا كنت قابلت الشاذلى أم لا ·· بل كنت أنا الذى قلت له عرضا وأنا أعرض ما تم من جهود لتجميع المادة ·· وقابلت الشاذلى وأخذت منه المعلومات التى أريدها ·· ثم سافرت الى بيروت لأتفرغ للكتاب ·· لم يسألنى السادات ماذا قال الشاذلى ·· أو كيف قابلك ولا كلمة على الاطــــلاق ··

بل ان السادات لم يتدخل ولو مرة واحدة ·· بالتصريح أو التلميح عن الجديد الذى ساضيفه للكتاب ·· ولم يشر على قط بابراز هذه النقطة أو تلك ··

وكان ذلك عاملا مطمئنا لعلاقتى بالسادات ·· وباعثا للراحة فى نفسى ·· ومثارا للدهشة ·· كيف أنه لم يحاول قط استغلالى ·· وكنت أقول لنفسى ·· هوه ليس ضابط مباحث عامة يابنى ·· ان له أهدافا أخرى أبعد مدى ··

وتبدأ المخـاوف والهواجس من هـذه العلاقة الجديدة الخطـيرة مع السلطة تنتابنى فى الأعماق ·· فاطمئن نفسى واهدئها ·· وأقول ألست أنت الذى كتبت يوما ما ·· اننى لا أخشى الجلوس فى غرفة مغلقة مع رئيس المخابرات المركزية الأمريكية ولو لساعات من الزمان !! »

اطمئن يابنى على صلابتك وثوريتك ·· ولا تشك فى نفسك ·· فما أنور السادات الا مناضل كما ناضلت أنت ·· وأنت عانيت وصمدت أكثر منه ·· لا تخف فنصف الدنيا معك ·· (قاصدا المعسكر الشيوعى!!) والمستقبل لنا ·· وليس للبرجوازية !

الموقف الثانى أو الحكاية الجديرة بالذكر خلال اعدادى للكتاب ·· هو مقابلتى لحسنى مبارك ·· كان فريقا أيامها ·· وقائدا لسلاح الطيران ·· ورغم أنى كنت مراسلا حربيا الا انى لم التق به خلال الحرب ·· فلم

يكن بوسعنا مقابلة كل القادة ٠٠ فأغلب عملنا كان فى الجو ٠٠ فى ميدان المعركة ٠٠

وكنت قد رأيت حسنى مبارك قبل حرب أكتوبر ٠٠ على وجه التحديد فى صيف عام ١٩٧٢ ٠٠ عندما كنت فى الوفد الاعلامى الذى صاحب د٠ عزيز صدقى رئيس الوزراء حينذاك فى رحلته لموسكو التى طلب فيها من السوفيت سحب خبرائهم العسكريين من الجيش المصرى ٠٠

فى الطائرة بجانب أحد نوافذ الطائرة كان هناك شاب جالس ٠٠ فى صمت والمقعد المجاور له خال لا يجلس الى جانبه أحد ٠٠

سألت زميلى وصديقى اللدود ـ وقتها ـ الأستاذ محمد الحيوان نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية ٠٠ من هذا الرجل ؟

قال لى ٠٠ انه قائد سلاح الطيران اللواء حسنى مبارك ٠٠

قلت له ٠٠ ده أظن أكبر واحد عنده خبراء سوفيت ٠٠

ورفعنا أيدينا بتحيته ونحن نمر على مقعده ٠٠ ولكننا لم نتحادث معه ٠٠ فلم تكن لنا سابق معرفة به ٠٠ وكان يبدو صامتا راغبا فى الاستمرار فى صمته ووحدته ٠٠

وعندما نزلنا من الطائرة فى موسكو ٠٠ وجدت عبد الملك خليل مراسل جريدة الأهرام هناك وزميلى فى الاعتقال والذى اشتهر بيننا بسعة ثقافته واطلاعه ٠٠ علاوة على خفة دمه ٠٠ وجدت عبد الملك يحتضن حسنى مبارك ويحييه بحرارة ٠٠ وكذلك فعل بعض المستقبلين السوفيت ٠٠

سألت عبد الملك بدهشة ٠٠ لماذا هذه الحرارة فى استقبال ذلك الرجـــل ؟

قال : لأنه كان أجدع ضابط طيران هنا ٠٠ كان يشتغل ويتدرب جيدا ولا يلعب ولا يهلس ٠٠ والسـوفيت يحبـونه ويحترمون فيـه ذلك ويقولون أنه تفوق على كثير من الطيارين أبناء الاتحاد السوفيتى ٠٠

ولم أر حسنى مبارك بعد هذا قط ٠٠ وسمعت عنه خلال حرب أكتوبر ومرة دعونا الى مقر «البنتاجون» المصرى فى مدينة نصر ورأيته بين الضباط الكبار الذين قابلناهم هناك تبادلنا التحية بشكل هادىء دون أن يعرف حتى اسمى ٠٠

الى أن ذهبت اليه مع ضابط المخابرات الحربية لأتحدث معه عن الحرب مثل القادة الكبار الآخرين الذين التقيت بهم ٠٠

وقدمني الضابط اليه ·· وبدأ يتحدث عن مهمتي ·· فقاطعه حسنى مبارك قائلا ·· أنا عارف كل حاجة ··

ورحب بنا ترحيبا حارا ·· وأحسست أنى مع واحد من أهل قريتى سنتريس ·· فى بساطته وكلامه المبسط وهو يشرح لى دور سلاح الطيران فى المعركة ··

وأنا رجل يأسرني الرجل الكبير المتواضع ولا شك أن هذا كان سببا هاما من أسباب احترامي وتعلقي بأنور السادات ·· كذلك دخل قلبى حسنى مبارك من ذلك اللقاء الطويل ·· وكان يبدو متواضعاً جدا وهو يحكي بطولات رجال سلاح الطيران ·· ولم يتكلم عن نفسه قط ··

وبينما نحن نتحاور ·· سألنى فجأة عن اسمى مرة أخرى ··

فقال لى متسائلا : الطويله ·· انت تقرب لدسوقى الطويله ؟ ··

قلت له : ده أخى ··

قال : ده كان أستاذى فى المدرسة الثانوية زمان ··

وسرح بخاطره بعيدا ·· وقال كمن يتذكر شخصا عزيزا عليه ·· هو فين دلوقت ؟

قلت له : مفتش أول بوزارة التعليم ··

قال : ده كان راجــل كويس قــوى ·· أنا عاوز اشوفه ·· قل له يتصل بى ··

وانتــزع ورقة من على مكتبــه وكتب عليهــا رقما وكتب تحتــه حسنى مبارك دون لواء أو فريق وقال اعطها له دى نمرتى المباشرة خليه يكلمنى ··

قلت له ضاحكا :

ـ والله ·· هذا وفاء نادر فى هذه الأيام ··

قال : احنـــا فلاحين ·· يا سـيد عبد الستار ! ·· سلم لى على الأستاذ دسوقى وضرورى يتصل بى !

ولم يمض ثلاثة شهور على هذا اللقاء ·· حتى التقيت بحسنى مبارك مرة أخرى ·· كان الكتاب قد تم طبعه ·· فمررت على كل القادة أقدم لكل منهم نسخة أو نسختين هدية ·· ولما قابلته ·· أعجب بغلاف الكتاب ·· وتأمله طويلا ·· وسألنى عن الرسام فقلت له جمال كامل ·· فقال :

لما أكتب أنا كتاب عن سلاح الطيران في حرب أكتوبر سأطلب منه رسم لحسلافه ..

وقلب صفحات الكتاب .. حتى جاء الى القسم الخاص بسلاح الطيران وجمع صفحاته وأمسك بها بين أصابعه .. وقال ضاحكا : لكن أنا ما قلتلش لك كلام كتير كده .. اوعى تكون فبركت حاجة ! ..

قلت له : ما أنا لى مصادر أخرى يا سيادة الفريق .. كتب اسرائيلية وأمريكية وانجليزية وجرائد كمان ومشاهداتي أنا شخصيا .

قال لى فى رقة وود شديدين : والله انتم يا صحافة لكم دور فى الحرب .. بتقولوا للناس على اللى بيحصل .. وأنا أشكرك كثيرا .. على هذا المجهود .. والشكر ده لكل زملائك ..

وسألنى عن أخى مرة أخرى .. فقلت له انه دائم الحل والترحال .

لكن « الحادث » الذى ترك فى نفسى أثرا أعمق تجاه حسنى مبارك .. ولا أنساه حتى اليوم .. هو أن الشئون العامة بوزارة الدفاع دعتنا نحن المراسلين العسكريين فى نوفمبر أو ديسمبر ١٩٧٤ الى زيارة للمطار السرى فى المنصورة أو الى جوارها .. وهناك التقينا بالفريق حسنى مبارك .. حيث تحدث معنا هو وعدد من كبار الضباط .. وكانت فرصة لأقارن بين بساطة مبارك وبين بعض الضباط الآخرين .. ثم تناولنا الغداء .. وكان يتابع طعامنا .. فيعزم على هذا الصحفى ويشجع آخر على تنـاول هذا الصنف أو ذاك .. حتى تصورت أننا فى ضيافة عمدة أو شيخ بلد كريم فى القرية ..

وبينما نحن نشرب القهوة .. قلت له يا سيادة الفريق ، أريد أن تشرح لى لو سمحت نظرية الطيران .. لأنى لا افهم كيف يطير الحديد .. وهو أثقل من الهواء ؟!

ضحك حسنى مبارك .. وطلب ورقة كبيرة وأمسك قلما وأخذ يشرح لى بالتفصيـل وبالتبسيـط نظرية الطيران .. وقد التف حـوله جميع الصحفيين والضباط ..

ثم بعد أن سكت قال لى : تعال اركب معى الطائرة .. وسأسوقها مخصوص وتركب جنبى علشان ترى التطبيق العملى ..

قلت له وقد هزتنى هذه « المكرمة » اذا جاز التعبير .. لا يا افندم متشكر .. مفيش داعى تتعب نفسك ..

ولكنه أصر ·· واصطحبني معه ممسكا بيدي حتى لا أتراجع ·· وركب احدى الطائرات ·· وبدأ فى قيادتها وهو يشرح لي ·· وأنا شاعر بحرج شديد أنى شغلت وقت هذا « الفريق » الكبير في مسألة كهذه ·· وقلت لنفسى : الجيش يابنى ليس المؤسسة العسكرية المخيفة التى نقرأ عنها عادة !! ·· فها هو جنرال كبير ·· وقائد لمعركة انتصر فيها ·· يبذل جهدا ووقتا ·· ليعلم جاهلا مثلك !!

وكأنما أراد حسني مبارك أن يهدىء من روعى ·· أو يخفف من حرجى ·· فقال لي : أصل أنا رايح القاعدة في إنشاص ·· فأخذتك معي ··

ونزلنا فى انشاص ·· وذهبت معه فى سيارته الى حيث كان الطيارون مجتمعين ·· في ميس أو مكان فسيح لا أدرى ··

وفوجئت بأن الأمر بدا كما لو كنا فى مظاهرة بطلها حسني مبارك فقد التف حوله الطيارون يحيونه فى حماس وحب وحرارة ·· ولولا الإنضباط لحملوه على الأعناق وطافوا به المطار يهتفون !

وجلس بينهم ·· واذا به يعرفهم جميعا تقريبا ·· ليس هذا فقط ·· بل كان يسأل الواحد منهم : أخذت شقتك والا لسه ·· اتجوزت ·· اشتريت العربية ·· بنتك شفيت والا لأ ·· الخطوبة بتاعتك فشلت ليه ·· وهـــــكذا ··

ومكث معهم حتى الساعة الثامنــة والنصف تقريبا ·· ثم ركبنــا الطائرة من جديد ونزلنا فى مطار الماظة ··

وشكرت قائد سلاح الطيران وتأهبت لتوديعه والبحث عن سـيارة تاكسى توصلنى ·· وأنا في غاية التــأثر ·· مما رأيت وسمعت طوال اليـــوم ؛؛

وكانت فى انتظار حسنى مبارك سيارة ··

التفت لى وقال : إنت ساكن فين ؟ ··

قلت له : في نص البلد ··

وأضفت : لا تشغل بال سيادتك سأجد تاكسيا ··

قال : تاكسي ايه يا راجل ·· ده إنت فى سلاح الطيران ··

فضحكت قائلا : بل في دوار العمدة !!

والتفت الى أحد الضباط وقال له : هات سيارة ثانية ·· توصل الأستاذ بيته !!

وهنا حدث شيء لم أكن أتوقعه وشعرت بنفسي أغطس في الأرض من كثرة الحرج .. اذ همس الضابط في أذنه بكلمات .. فاذا بحسني مبارك يقول في بساطة : يبقي العربية توصل الأستاذ عبد الستار الأول وترجع تأخـــذني ..

قلت : لا .. لا .. يا سيادة الفريق ..

قال : مالكش دعوة أنا حاقعد معاهم في المطار أشوف عاوزين ايه .

قلت : لا يمكن .. ولا يمكن أن أقبل تضييع وقتك الثمين .. أنتم أبطال النصر لبلدنا والي رددتم كرامتنا .. والدقيقة لها قيمة ..

قال : مالكش دعـــوة ..

ولكن الموقف أنقذ فجأة اذ ظهر ضابط آخر .. قال ان هناك سيارة ستكون هنا بعد لحظة ..

أعتقد أنه في ذلك اليوم تحقق انطباعي الأول عن حسني مبارك .. وتثبت الاحترام والتقدير العميق له في أعماقي بعد أن عرفته جيدا مهما تطورت أحداث أدت الى انتقادي لسياسته في أحيان متعددة .

وأقول هنا إن الخبرة الشخصية علمتني أن الاحساس الشخصي تجاه انسان ما يساعد على فهم مواقفه العامة والوعي بها ..

كما علمتني أنه مهما كان احساسك الشخصي بشخصية مسئولة مسئولية كبيرة .. لا تنس أبدا الموقف الحقيقي للسلطة .. فلا تخلط الأوراق .. فالسلطة ليست لديها نفس الأهمية التي يقدر بها الأفراد الأحاسيس والمشاعر الشخصية ..

ومراجعة بسيطة لتاريخ الملوك والقياصرة تكشف عن أن الأب كان يقتل ابنه طمعا في الحكم وبالعكس .. والابنة في آل بورجيا كانت تقتل أباها من أجل الاستيلاء على السلطة ... الخ .

السلطة كما قلنا عنكبوتية .. ومشاعرها باردة !

ولعل من يشجع السلطة على أن تكون « عنكبوتية » بقسوة وبلا أخلاق أحيانا هو دور الحاشية ..

قلت مرة للرئيس أنور السادات .. وقد امتد بنا الحديث وتشعب :

ـ يا ريس .. أنا كلما أتيت الى زيارتك أحس أني في جو روايات الجيب بتاع زمان عن باردليان وفوستا ولويس الرابع عشر .. دسائس القصور يعني .. وكل واحد عاوز يأخذ أصبع من قدم السلطان !

قال أنور السادات ضاحكا :

ـ نحن بشر .. أمال ايه ..

قلت :

ـ كل واحد قريب من السلطان عاوز يبعد الثانى ويستأثر بالرضا ولو على حساب الآخرين .. وطبعا السلطان مبسوط ويستفيد من كل هذه التناقضات .. ويضرب ده بده اذا لزم الأمر ..

قال السادات بصراحة :

ـ الحكم له فن .. وضرورات لا يعرفها من هو خارج الحكم .. والأفندية اللى زيك !!

قلت :

ـ على فكرة لماذا تسمى المثقفين بالأفندية ؟ ..

قال :

ـ لأنهم منعزلون عن الواقع .. المثقف مش حاجة عيب .. بالعكس يمكن يفيد بلده بثقافته .. ولا يمكن الحاكم ينجح الا اذا كان مثقف .. ما أنا قرأت فى السجن قد شعر راسى كتب .. لكن الواحد لا ينسى الطين اللى اتربى فيه .. لازم تعرفوا الحقيقة .. مش الشعارات والكلام الكبير بتاعكم ده .. ما أنا أقدر أقول كل يوم وكل ساعة الاستعمار والامبريالية والتناقض فى صفوف الشعب .. الهلمه دى كلها .. ثم ماذا ؟ ..

ـ ولكن النظام لا يستفيد بالمثقفين ..

ـ عاوزين ايه أكثر مما أنتم فيه .. حرية صحافة .. نشر كتب .. منابر وانتخابات حرة .. عملتم ايه ؟ افنديه برضه .. فاكر لما كنت أنا اتحدث عن عام الحسم .. وجمعتم نفسكم وجرجرتم راجل كبير زى نجيب محفوظ وكتبتم البيان اياه ضدى وصورتونى كأنى متخاذل .. وأنا نشفان ريقى فى الاعداد للمعركة .. عاوزينى أكشف ورقى علشان نخسر المعركة .. تدخل اسرائيل القاهرة .. علشان كده أنا باقول افنديه ..

نعود الى الحاشية لدى كل سلطان ..

لاحظت وأنا أخطو خطواتى الأولى فى علاقتى بأنور السادات بتكرار زياراتى له أن عددا من حاشيته وهم مكونون عادة من رجال الأمن وما يسمى بالسكرتارية الخاصة .. ثم كبار موظفى القصر .. كانوا مندهشين من هذه العلاقة بين رئيس الجمهورية وواحد شيوعى ..

وطبعا كانت هناك علاقة وثيقة سابقة لعلاقتي بالسادات بينه وبين يسارى معروف هو الأستاذ لطفى الخولى .. الذى كان يزوره فى الشهور الأولى لتوليه السلطة مرة ومرتين فى الأسبوع .. ثم كان هناك بعد ذلك د. فؤاد مرسى ود. اسماعيل صبرى عبد الله اللذين عينهما وزيرين ..

لكن يبدو أن علاقتى إثارت الدهشة .. والقلق الأمنى فى نفس الوقت فى نفوس بعض رجال الحاشية لأنى بالنسبة لهم كنت « يساريا نكره » لم يعرفونى ولم يسمعوا عنى من قبل كما سمعوا عن الأستاذ لطفى الأشهر منى قطعا وحتى الآن ..

ثم ان الدكاترة أصبحوا وزراء ..

ولكن شاءت الظروف أن بعض هؤلاء الرجال قد وثقوا فى وأحبونى من خلال مناقشتى معهم حتى عن الشيوعية .. وذات مرة التقيت بواحد منهم ممن خرجوا من خدمة الرئاسة واتجه الى الأعمال الحرة .. وجلسنا الى بعضنا عدة مرات .. فحكى لى الكثير من فلسفة رجال الحاشية ..

قال لى مثلا ان حاشية أى حاكم .. لا تحب للحاكم أن يعرف واقع البلاد عن غير طريق أفرادها .. ولذلك كان البعض يتصور أنى عين الرئيس السادات على الواقع المصرى يستدعينى ليستمع الى تقارير عنه منى ..

وكان يعزز ضيقهم بهذه العلاقة معرفتهم أنى يسارى .. وهم يكرهون اليسار ولا يريدون أن يعرف من جانب شخص مثلى ما أقوله له ..

وقال لى أن البعض منهم كان يتصور أننى يمكن أن أشكوا للرئيس بعضهم .. لأى سبب تافه أو حتى بدون سبب ..

والبعض كان يقول أننى قد أستفيد من هذه العلاقة .. فأبدأ فى التهلب والاستنفاع ! وآخرون كانوا يرون أنى قد أكون خطرا على الأمن.. فقد أكون عميلا روسيا باعتبارى شيوعى !

واكتشفت من خلال علاقتى واحتكاكي بتلك الحاشية أن اغلبهم على حظ بسيط جدا من الثقافة .. حتى السياسة ..

أذكر أن السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى .. قال لى مرة فى شكل نصيحة .. ليه شيوعي ولا رأسمالي .. الواحد لازم يكون مصرى بس ..

وأدهشنى أن يكون رجل كبير كهذا قريبا من الصانع الأول للقرار السياسى .. لا يعرف أن هناك فرقا بين الشيوعية والرأسمالية من ناحية

والمصرية من ناحية أخرى .. فالشيوعية مذهب .. والمصرية جنسية .. ويمكن للمرء أن يكون مصريا .. ويعتنق المذهب الرأسمالي أو الشيوعي .

والشيء بالشيء يذكر .. فقد حدث عندما كنت ضمن وفد اعلامي صاحب السيدة جيهان السادات في رحلتها الى المكسيك لحضور مؤتمر المرأة العالمي .. عام ١٩٧٥ .. ان كنا جلوسا مع السيدة جيهان .. في بهو فندق فاخر جدا في أكابولكو .. فقالت السيدة جيهان ضاحكة .. اظن يا فلان أن الشيوعيين يعملون ثورة على الفخامة دي ..

فقالت السيدة همت مصطفى الاذاعية اللامعة : أنا عارفة يا افندم ليه الواحد يبقى شيوعي أو رأسمالي .. ليس مش مصرى فقط .. احنا مصريين بس ..

قالت جيهان السادات ببساطة :

ـ لأ يا همت .. ما هو الواحد ممكن يبقى مصرى ويبقى شيوعي أو اشتراكي أو رأسمالي .. دى حاجة ودى حاجة .. هذه مبادىء يؤمن بها المصرى والانجليزى والفرنساوى ..

وضحكت أنا مضيفا : ونيام نيام كمان .. وضحكت السيدة همت مصطفى .. وقس على ذلك الكثير من رجالات الحكم ..

واذكر مرة أن أحد رجال الرئيس روى لي أن أنور السادات كان جالسا مرة يهاجم الشيوعيين .. فقال له المهندس عثمان أحمد عثمان :

ـ يا ريس كيف تهاجم الشيوعيين وانت صديق لواحد مغلق على راسه ريشة مكتوب عليها أنا شيوعي !!

وفي الحوار تبين أنه يقصدني ..

وقالت لي السيدة جيهان السادات ذات مرة .. وهي تتحدث عن بعض رجال الرئيس وتأثيرهم عليه .. أن السيد عثمان أحمد عثمان .. كلما استمع الى أنور السادات يهاجم بعض العرب مثلا يقول : يا ريس اضربهم بالجزمة .. واذا ما هاجم الشيوعيين انبرى يقول أيضا .. اضربهم بالجزمة يا ريس ..

ويلاحظ أنه في أواخر شهور حكم أنور السادات لم يكن يجالس عناصر الا مثل هذه ومن امثال أولئك الذين زينوا له في سبتمبر ١٩٨١ أنه قام بثورة تصحيحية تفوق ثورتي ٢٣ يوليو و (١٥ مايو) !!

وللتاريخ أيضا ان جيهان السادات حاولت أن تجعله يلتقي بعناصر مستنيرة من أساتذتها أو الأساتذة الذين تعرفهم ·· ليقوموا بتأثير مضاد لما يبثه الجهلة الآخرون ·· ولكن ذلك لم يجد فتيلا ·· وكذلك حاول المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى ·· ولا جدوى !

على انني من بين رجال الرئيس ·· التقيت بمن شجع علاقتي بأنور السادات وحثني على الاستمرار فيها ·· بل وكان يأخذ لى مواعيد أحيانا ·· وهو المهندس سيد مرعى ·· ولقد عرفت سيد مرعى عام ١٩٥٧ لأول مرة عندما أجريت تلخيصا لكتابه عن الاصلاح الزراعى والتقيت به بعدها عدة مرات ··

·· لكن لم تنشأ بيني وبينه أية علاقة سياسية أو خاصة ولكن عندما بدأت علاقتي بالسادات أصبحت أراه مصادفة ··

وكان يقول لى ·· ان الشيوعيين هم المسئولون عن ابتعاد حكومات ثورة يوليو عنهم ·· فان لهم فى رأيه أسلوبا منفرا متعاليا في الحديث مع الآخرين ما عدا عددا قليلا منهم ·· وكان يضرب مثلا على ذلك دائما بالأستاذ لطفى الخولى ·· ويقول عنه انه شيوعى يتحدث بمنطق ·· وبدون تشنج ·· وفى احترام للآخرين ·· ولذلك هو مقبول ومحترم فى نفس الوقت ·· عند « البرجوازية » كما تقولون !

واعتقد أن سيد مرعى لعب دورا فى انهاء كل هواجسى وقلقى ·· وسرعان ما « لبست الدور » كما يقولون ·· وأصبحت أشعر بندية ازاء السلطة ·· كما لم تعد تهمنى أو تؤثر في حملات بعض اليساريين وغمزاتهم بالنسبة لهذه العلاقة مع قمة السلطة ·· ومضيت فى طريقى لا ألوى على شيء ·· أرى ·· وأسمع ·· وأكتشف ·· وأتعلم ·· وأحاول أن أؤثر !!

ملاحظات على ١٥ مايو

عندما يتحدث أحد عن أنور السادات ٠٠ يقفز على الفور فى الذهن ٠٠ موقفان ٠٠ أو انجازان ٠٠ أو حادثان ٠٠ سمهما كما شئت ٠٠ لكنهما هامان ٠٠ وتاريخيان ٠٠ لا فى حياة مصر فقط ٠٠ بل فى حياة العالم العربى ٠٠ وامتد تاثيرهما الى العالم كله ؛

والانجازان هما ٠٠

حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠

والسلام مع اسرائيل ٠٠

ولكن هناك مواقف أخرى مهمة فى عصر السادات الذى مر بأحداثه الخطيرة كالاعصار فى تاريخ مصر ٠٠ فهو حتى كان يتباهى أنه يستخدم أسلوب الصدمات الكهربالية فى قراراته ٠٠ وهو أسلوب مستمد من روح استعراضية تمثيلية فى قرارة نفسه منذ كان طفلا ٠٠

كاد أن يغرق مرة فى الترعة ببلدته ميت أبو الكوم ٠٠ فلما نجا من الغرق قال لأقرانه الأولاد من حوله وهو ولد مثلهم ٠٠ كنت أخشى أن تفقد مصر زعيما من زعمائها فى المستقبل ٠٠ مشيرا الى نفسه !

وأيضا هذا الأسلوب مستمد من اعجابه العريق بالنازية منذ كان شابا اعتنق بعض الأفكار النازية لهتلر اذ رأى فيها منقذا لمصر من الاحتلال البريطانى حتى تطوع بالعمل كجاسوس للنازى فى مصر ضد الانجليز كما اعترف هو فى فخر فى كل ما كتب عن حياته ٠٠ ولم يعترف قط مرة واحدة أنه كان يعمل بهذا التطوع الأخرق ضد حركة تحرير الشعوب كلها من ذلك الخطر الوحشي القادم من سطور كتاب « كفاحى » لأدولف هتلر ٠٠

ان السلام مع اسرائيل يثير موقف السادات من أمريكا والاتحاد السوفيتي والعالم العربي ·· وفى حكم السادات ·· لابد من تناول موقفه الذى يبدو متناقضا مع الديمقراطية ·· كما لابد من مناقشة موقفه من اليسار المصرى ·· وموقفه من التيار الدينى ··

ثم الانفتاح الذى أدخله على الاقتصاد المصرى ·· وفلسفته ، وأخيرا وليس آخرا حادث المنصة ··

وسنتناول فى الفصول القادمة ·· كل هذه الموضوعات واحدا وراء الآخر ·· بعد مرور عشرة أعوام على وفاته ·· مما يسمح بمحاولة تقييمها تقييما موضوعيا ·· وعلى ضوء التطورات الخطيرة التى حدثت خلال تلك السنوات العشر ··

حركة مايو ١٩٧١

وقبل أن ندخل فى عرض لتلك الموضوعات ·· أريد فقط أن أعرض هنا بسرعة لحركة مايو ١٩٧١ التى صورها أنصار السادات الذين جنى معظمهم عليه فى النهاية ·· أنها ثورة ·· فقد كتب الكثير عنها ·· وصدرت حولها كتب كثيرة حررتها أقلام بعض الكتاب والسياسيين البارزين الذين كانوا محيطين بالسلطة أو مشاركين كبارا فى صنع القرار السياسى وعلى رأسهم أكبر كتاب مصر الأستاذ محمد حسنين هيكل ··

ولا يستطيع كاتب هذه السطور أن يزعم أنه كان قريبا من تلك الأحداث أو عالما ببواطن الأمور ·· فلم أكن متداخلا مع السلطة أو الحكومة ·· ولا حتى عضوا فى التنظيم الطليعى فقد رفضت الانضمام اليه اذ لم أفهم لماذا يكون حزب الحكومة الاشتراكى سريا ·· وقلت لمن عرضوا على الانضمام أننا سنتحول الى فرع آخر من المباحث لكتابة التقارير عن الأوضاع والخبص على الناس ·· هذا رجعى وذاك تقدمى ·· وعشت بعيدا عن الانغماس فى أى شلة أو جماعة ··

على أننى شعرت أن شيئا ما فى الأفق سيحدث وأنا فى ندوة عن التأمين الصحى نظمتها روز اليوسف فى الاسكندرية فى مايو ١٩٧١ ·· وكان ممدوح سالم محافظ الاسكندرية قد افتتحها ·· والتقيت به وكان بينى وبينه ود قديم ·· ثم كان مفروضا أن يحضر يوم ١٣ أو ١٤ مايو الاجتماع الأخير ليشارك فيه ·· ولكنه اتصل بى مساء اليوم فى وقت متأخر ·· واعتذر لى عن الحضور ·· وقال انه مضطر للذهاب الى القاهرة ولما سألته لماذا · قال : لا أدرى ··

ولما التحمت عليه قال ضاحكا .. ان شاء الله ستسمع الخبار كويسة :

وكنت اعلم بعض الشيء عن التناقضات في السلطة .. فقلت ليلتها لزميلى صلاح حافظ الذى كان يشرف معى على الندوة .. الظاهر ان شعراوى جمعة حيمشى .. فسالنى : لماذا ؟ قلت : باين ان ممدوح سالم سيعين وزيرا للداخلية لأنه استدعى على عجل ولن يحضر الندوة !.

وكان هذا مجرد تخمين .. فلم أكن أعرف الكثير ..

وكان ابن عم زوجتى المرحوم اللواء جمال رفاعى يعمل قائدا لالية للحرس الجمهورى تحت قيادة اللواء ناصف .. قد ألمح لى كثيرا عن ذلك الصراع .. وان السادات لن يسكت عليهم طويلا ..

وأذكر مرة أننى سألت زميلى وصديقى الأستاذ محمود السعدنى وكنت أعرف أنه صديق حميم لشعراوى جمعة عما يتردد من اشاعات !؟ فقال لى فى أسى شديد : الناس دى باين عليها حتطير بعضها .. والبلد تروح فى داهية فاسرائيل لسه فى أرضنا !! ..

ولم اشارك او اساهم فى أى جهد فى احداث مايو هذه .. ولا حتى بقلمى ..

على انه عندما حدث ما حدث .. لم أتردد فى تأييده فقد جذبنى شعار الديمقراطية الذى طرحه أنور السادات !! وكنت على علم وعلى تجربة وثيقة بديكتاتورية بل بتاله المجموعة الحاكمة بعد عبد الناصر .. بل وبعبد الناصر نفسه ..

لقد كان سائق سيارة أو طباخ واحد من اولئك قادرا على أن يضع انسانا ما تحت الحراسة أو فى غياهب السجن أو وراء الشمس ..

وهناك عشرات ومئات الحكايات التى تؤكد هذه المقولة ونشرت فى عشرات الكتب بل مئات الكتب ..

ورغم أنى كنت على علاقة مصاهرة مع العائلة التى ينتمى اليها المرحوم السيد على صبرى نائب رئيس الجمهورية الأسبق من جهة زوجتى المرحومة فاننى كنت حريصا على الابتعاد عنه وعن المجموعة الحاكمة .. ولم احاول قط الاقتراب منه بحكم هـذه العـلاقة رغم أننى كنت أؤيده ومجموعة عبد الناصر سياسيا ..

لكنى كنت أنفر منهم جميعا بالنسبة لقضية الديمقراطية .. ولم استطع أن أقول رأيى فى الديمقراطية فى ذلك العهد الا مرة واحدة فى

مجلة صباح الخير فى سبتمبر ١٩٦٧ عندما ثار الجدل بين اليساريين ومحمد حسنين هيكل عن الديمقراطية فهاجم اليساريون كلام هيكل باعتباره ليبرالية برجوازية ·· بينما أيدته أنا ·· وانتقدت موقفهم ··

وخلق الحاجز بينى وبين المجموعة الناصرية الحاكمة ·· حادث صغير ولكنه ذو مغزى كبير ·· حدث وأنا فى المعتقل ما بين (١٩٥٩ ــ ١٩٦٤) ·· ويعرفه كل الشيوعيين الذين كانوا معى معتقلين ·· وارويه لتتعلم منه ·

عندما اعتقلت فكرت المرحومة زوجتى السيدة سميرة سعيد رفاعى ·· فى أن تستفيد بقرابتها للسيد على صبرى وكان وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ··· فزارته فى بيته لترجوه أن يسعى للافراج عنى ·· وكان على ذراعها طفلها المولود منذ شهور ·· فقال لها فى تأفف وجفاف ·· أنه لا يعرفنى ·· وسيسأل ما اذا كان ممكنا الافراج عنى أم لا ·· وطلب منها أن تعود بعد أسبوع ··

وبعد أسبوع جاءته فقال لها بالحرف الواحد :

ــ زوجك شيوعى ·· فلا يمكن الافراج عنه ··

قالت له :

ــ الاتستطيع أن تنقله الى مستشفى قصر العينى لينجو من العذاب والهلاك الذى أسمع عنه فى المعتقل ··

فقال بحسم : لا ·· زيه زى غيره (وهذا طبعا من قبيل التمسك بالاشتراكية !) ·

قالت له وهى تشير الى طفلها على كتفها :

ــ وماذا افعل اذن ومعى هذا الطفل دون أبيه ··

قال لها فى بساطة باردة :

ــ احنا ماعندناش بنات تتجوز شيوعيين ·· طلقيه ·· لازم تطلقيه ··

ونهض قائما ·· فى صلف وكبرياء ·· ولم يلفت نظره لحظة ان لهذه السيدة طفل وأنه يجب عليه أن يساعدها اذا عجز عن الافراج عن زوجها تمسكا بمبادىء المساواة بين المعتقلين أو لأى سبب آخر !! ·· كان يلحقها بعمل تتعيش منه بدلا من تركها فريسة لقسوة الأيام وذئاب الحيــــاة من كل نوع ··

هكذا كان بعض القادة الاشتراكيين الناصريين يتصرفون ··

والطريف أن الخطاب الذى ارسلته لى زوجتى فى المعتقل سرا ، وزعته قيادة الحزب الشـيوعى المصرى أو بالأحرى الفقرة التى تضمنت هـذه

الحكاية على المعتقلين لتكشف لهم عن « الطابع الاشتراكي » لقادة الناصريين حيث كانت تلك القيادة تتهم عبد الناصر وجماعته بأنهم معادون للاشتراكية وممثلون للرأسمالية على عكس ما تدل عليه ظواهر الأحوال بينما كانت هناك قيادة شيوعية أخرى (حدتو) كانت تصف تلك القيادة بأنها قيادة اشتراكية ولو غير علمية ·· أى مثالية طوباوية ولكنها منحازة عموما الى الفقراء !

على أن هذا الحاجز الذى خلقه تصرف السيد على صبرى وبالذات مقولته ودعوته الى الطلاق وهو العمل الذى كانت تحرض عليه المباحث العامة حينذاك بقيادة المصيلحى وتضغط على زوجات المعتقلين حتى يضغطن بدورهن على أزواجهن فى المعتقل ·· أقول رغم هذا الحاجز ·· فلم يهتز اعتقادى بما كانت تعتقده (حدتو) من الاتجاهات الاشتراكية لدى عبد الناصر ورجاله ! ·· وهكذا الماركسية ترغمك على الموضوعية ارغاما !! ومع ذلك حرصت على أن أكون بعيدا عن الاحتكاك برجال الرئيس أو عقد أى صلة بهـــم ·

وعنـدما مات جمال عبـد الناصر حزنت حزنا عميقـا مثل ملايين المصريين ·· وشعرت بفراغ هائل تركه هذا الزعيم ·· ولكن بعد أيام بعد أن راحت السكرة وجاءت الفكرة أحسست أن وجود مثل ذلك الفراغ الذى تخافه ولغت كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى نظر رجال الرئيس الراحل اليه فى مواجهة أنور السادات وطالبهم بالقيادة الجماعية ·· أقول أحسست أن ذلك الفراغ دليـل قوى على خطـأ جسيم فى نظـام جمال عبد الناصر ·· اذ المفروض لو كان النظام قائما على مؤسسات لما حدث فراغ وشبه انهيار لو مات رئيس النظام كما يحدث فى كل بلاد العالم الديمقراطى ·· بل أننى لما أمعنت فكرى أكثر خصوصا بعد أن بعث السيد محمد حسنين هيكل باستقالته الشهيرة للرئيس الجديد أنور السادات بلغة شبه مقدسة كمن يتحدث عن اله ·· حتى أنه لم يذكر اسم عبد الناصر بل أشار اليه دائما بالضمير الغائب ·· أن جنازة عبد الناصر التى كان أفرادها يزيدون عن خمسة ملايين نسمة ·· هى دليل إدانة ضـــد نظام عبد الناصر فى نفس الوقت الذى تدل على ارتباط الجماهير به ··

اذ كان هناك احساس باليتم لدى المصريين ·· كما لو كان التاريخ قد توقف ·· وهو أمر حدث كما قرأت عندما مات لينين ·· وستالين فى الاتحاد السوفيتى ··

ولقد تحدثت مرة مع السادات فى مشاعرى هذه ·· فقال ضـاحكا :

ـ هو انت بس ·· ده أنا كنت عامل زى الفرخة الدايخة عندما مات عبد الناصر ·· المرحوم أشعرنا جميعا الا بديل أو مثيل له لا الأمس ولا اليوم ولا غدا زى الحصان ما بيقول ··

قلت :

ـ أظن هذا كان واضحا عندما انحنيت سيادتك أمام تمثال جمال عبد الناصر وانت خارج من مجلس الشعب ··

على فكرة مين اللى أمر بحذف المنظر ده فى التمثيلية بعد كده ··

ـ حسنين هيكل ·· لحق وصلح الغلطة ·· دة أنا كنت تايه !! وقلت له كتر خيرك يا محمد ! ··

سألت السادات :

● متى بدأت تفيق من زد الفعل الشديد هذا ·· وتتجه الى تدبير امور السلطة مع الباقين ؟ ··

قال :

ـ لا الوقت كان لامور السلطة كما تقولون ده من اللحظة الاولى ·· حتى والانسان بيموت تأكد ان كل الواقفين حوله بيفكروا ازاى يحاولوا يمسكوا البلد ازاى ويواجهوا شتى الاحتمالات ·· لازم يبقى فيه حد فايق ·· لأن ده مصير بلد ·· يعنى الانسان بيكون كأنه اتنين : واحد حزين أو مش مصدق كارثة الموت ومذهول ·· وواحد تانى بحكم المسئولية بيفكر فى الخطوة الجاية علشان البلد ما تنطرش !

سألت أنور السادات :

● هل كنت تحب جمال عبد الناصر قوى ؟

قال :

ـ جمال عبد الناصر كان اعز أصدقائى ·· وجيهان ما كانت تحتفل بشخص وتقوم على حيلها فى المطبخ تحتفى بضيف قد جمال عبد الناصر ·· وهو كان يرتاح جدا فى الحديث معى ·· ويحب ييجى عندى دائما ··

ده كان يركب العربية ساعة وتصف من بيته لبيت ابو الكوم علشان ييجى يقعد عندى ·· وقبل كده فى الهرم ··

ولو ماكانش جمال عبد الناصر يحبنى ويثق فى ماكان عيننى فى قيادة الضباط الاحرار ، كان ممكن يقشمنى لهم ·· لكن انت عارف انه وضعنى

فى الجمعية التأسيسية ومر على يوم الثورة .. وكلفنى بقراءة البيـــان الأول .. يعنى وضعنى فى وش المدفع .. لأن أى دبابة كان يمكن تنسف الاذاعة كلها وتطربقها على دماغى أنا والشـــوية الضباط والعساكر اللى كانوا معـــــايا ..

وبعث معايا ناس ورحنـــا اسكندرية علشان نخلى الملك يتخلى عن العرش ..

سألت السادات عما يتردد عنه من أن سر توثق عـــلاقته بجمـال عبد الناصر أنه ما كان يعارضه أبدا .. وعندما يختلف معه يعتكف فى بور سعيد أو قريته وأن البعض اعتبر ذلك نوعا من التثعلب ! ..

قال أنور السادات .. انه كان يعارض جمال عبد الناصر أحيانا .. وقال ان من أبرز معارضاته هو تصعيد على صبرى الى مستويات عليا فى السلطة .. لأنه من رأيه أن على صبرى لم يعرف شيئا فى السياسة لأنه لم يمارسها قط لا فى شبابه .. ولا فى الجيش وأنه دخل الثورة صدفة ..

وعارض عبد الناصر كثيرا فى تسليم سلطات كبيرة للمشير عبد الحكيم عامر ولكنه مع ذلك اختلف معه عندما رفض عبد الناصر اقتراحا للسادات بسفره الى بلد المشير لتعزية أهله ودفنه لأنه كان أعز أصدقائه .. ولمـــا ألح على عبد عبد الناصر كثيرا قال له .. روح أنت يا أخى بدالى !!

ولمـــا سألته هل عارض عبد الناصر أبدا فى القرارات الاشتراكية أو العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ؟

قال : لا .. ولكنى اختلفت معه فى القبضة فى التعامل مع من كان يسميهم الاقطاعيين .. وعارضت ما كان يفعله عبد الحكيم عامر بواسطة لجنة تصفية الاقطاع وخصوصا مع عائلة الفقى .. فقد كنت أعرف بحكم انهم بلدياتى ان حكاية شاهنده دى هى خناقة بين عائلتين كبار : الفقى ومقلد ..

وأذكر أن السادات أثار هذه القضية مرة أخرى معى ومع الأستاذ صلاح حافظ واختلفنا معه اختلافا شديدا ودافعنا عن شاهنده وزوجها الشهيد صلاح وانتقدنا بعنف عائلة الفقى .. وأستطيع القول أننا هزمنا السادات فى تلك المناقشة اذ سكت متراجعا بعد حوار طويل .. كان حرا وظريفا وهو كان يركز فى دفاعه إنها مسألة صراع بين أسر كبيرة .. وليست قضية صراع ضد الاقطاع ..

سألت السادات ذات مرة ·· **هل كان يخالف جمال عبد الناصر فى الموقف مع أمريكا** ·· فنفى ذلك بشدة ·· وقال ·· أنا افهم امريكا احسن منكم ومن جمال عبد الناصر نفسه ·· هو عبد الناصر عمره اتحبس ؟ أنا اتحبست سنين وسنين ·· كله فى سبيل ايه ؟ مش ضد الاستعمار ؟!

وأنا كنت أختلف عن عبد الناصر فى أنى أتصل بالكل ·· أخالط بالاخوان والشيوعيين وأحمد حسين والوفديين والسعديين والحرس الحديدى ·· كل عصابات الملك فى الجيش كانوا أصحابى ولا أحد يعرف حقيقة نواياى ··

أنا اتمرمطت ·· عبد الناصر لم ير يوما واحدا مرمطة ··

★★★

أما عن أحداث ١٥ مايو ·· فكما قلت انى لم أعش معها أو فيها ·· لكن من خلال علاقتى بأنور السادات كنا نتطرق للحديث عنها من حين لآخر ·· وكانت هنــاك اسئلة أثيرها أو تثـار هى حسب « جرجرة » الحـــديث ··

قال لى مرة ·· أن الشخص الذى رأى حصارا حول الاذاعة للقبض عليه اذا ما خرج من الاتحاد الاشتراكى ليتجه اليها لمخاطبة الأمة ·· وأبلغ الأستاذ محمد حسنين هيكل عن ذلك ·· كان شيوعيا ·· وهو يحفظ الجميل للشيوعيين فى هذا الموضوع رغم موقف محمود العالم ضده ··

وسألت أنور السادات كثيرا عمن هو ذلك الشيوعى ·· الذى أبلغ بهذا الحصار ·· فكان يرفض الاجابة على سؤالى ويضحك متلذذا بفضولى ·· ومرة سمعت أنه الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله أحد قادة الحزب الشيوعى السابقين ووزير الاقتصاد بعد ذلك ·· فقلت لأنور السادات أنى عرفته ·· وذكرت اسمه ·· فلم يرد بالنفى أو التكذيب ·

وقد فشلت مع السيدة جيهان السادات فى معرفة من هو أيضا ·

هل كان السادات يخطط منذ البداية لاقصاء المجموعة الناصرية من الحـــكم ؟ ··

هــذا سؤال طرحته يومــا على السادات ·· وسأسجل اجابته دون الخوض فى تحليلات للاجابة على الســؤال ·· فذلك مكانه كتب كثيرة متخصصة فى هذا الموضوع ·· مثل كتاب الزميل الأستاذ موسى صبرى وأيضا ورد هذا الموضوع فى خطب كثيرة للسادات ··

يقول الســادات ·· أنه كان ممكنا أن تمضى الأمور دون حــدوث انقلاب ما ·· لولا أن هذه المجموعة أشعرته من اليوم الأول أنها تتصور

أنه « اهبل » أو « غلبان » يمكن أن يحكموا هم فى الحقيقة من ورائه ..
وقال « وصلنى كل شىء .. وعرفت بيقولوا ايه فى بيوتهم » وهى عبارات ترددت فعلا بعد أن تولى السادات رئاسة الجمهورية ..

ثم انه اختلف مع المجموعة كما قال فى موضوع الديمقراطية .. وهى الورقة التى لعب بها فى مواجهتهم بعد ذلك فى مايو ١٩٧١ .. وقد أكد الأستاذ حسنين هيكل أنه هو الذى أشار عليه بها .. اذ كان شعار السادات الذى كان ينتوى رفعه شعار آخر ..

لكن السادات من اليوم الأول أفرج عن المعتقلين .. ودعا الى الشرعية الدستورية بدلا من الشرعية الثورية .. وقال صراحة انه سيولى موضوع الحراسات اهتمامه .. وينفذ القانون ..

من هنا حدث خلاف .. وتشككت المجموعة الحاكمة .. ورات أن السادات يريد اتباع سياسة مستقلة غير السياسة القديمة ..

وقال السادات مرة لى « ان الأمور وصلت فى يوم من الأيام الى يا أنا يا هم؟ ..

واضاف أنه حذرهم من اليوم الأول من أى محاولة انقلابية عندما أظهر مسدسه وقال انه سيقاوم أى محاولة لمنعه من ممارسة سلطاته ..

ولكن هل نظم أولئك انقلابا حقا ؟ ..

رغم أن السادات كان يؤكد فى خطبه .. كما أكدت المحكمة فى حكمها ضدهم .. ورغم تأكيد السادات وزوجته فى أحاديثهما معى ومع غيرى .. أنه كانت هناك محاولة انقلاب منظمة ..

فالواقع أن استقراء الأحداث يؤكد أنه لم تكن هناك خطة انقلابية .. والا فما معنى استقالة وزير الدفاع وغيره من الوزراء ..

انه يمكن القول أنه كانت هناك أحاديث .. وهمهمات وتحريضات على احداث انقلاب .. لكن لم يحدث وضع خطة وترتيب لشىء .. ولعلنا كلنا تذكرنا محاولة انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ فى مصر عندما رأينا محاولة انقلاب موسكو الخائب فى صيف ١٩٩١ ..

ولم تكن لدى معظم الانقلابيين أى روح نضالية بل تخاذل أغلبهم وانهار عندما قبض عليهم . .وتبادلوا الاعترافات والاتهامات .. واتضح أنهم نمور من ورق .. وكان طبيعيا أن تنهار كوادر الصف الثانى والثالث بدورهم ..

ولم يكن مع الانقلابيين أية جماهير على الاطلاق ..

هذه ملاحظة هامة ·· ان الشعب المصرى الذى خرج أغلبه فى جنازة عبد الناصر وهتف « بالروح ·· بالدم ؟ ·· لم يبد أى اهتمام أو تحرك لناصرة رجال عبد الناصر الذين زعموا أنهم الحفظة والأمناء على منجزاته وتراثه الثورى !

وهذا يعنى أن الجماهير لم تكن ترى فى أى فرد منهم أنه رجل سياسى قائد جماهيرى ·· وذلك لسبب بسيط ·· أن عبد الناصر لم يحاول قط أن يخلق تنظيما شعبيا واحدا حتى فى ظل نظامه الشمولى القائم على وحدانية التنظيم ··

حتى فى عهد هتلر ·· كان هناك زعماء جماهيريون نازيون سفاحون نعم ·· لكن الشعب الألمانى كان مضللا ·· ويحترمهم ويحبهم ·· ويهتف بحياة الواحد منهم اذا ذهب الى مكان وحده ·· لأنه كان هناك تنظيم حديدى جماهيرى اسمه الحزب النازى (الوطنى الاشتراكى) ··

ولكن لا الاتحاد القومى ولا الاتحاد الاشتراكى ·· كان حزبا ·· أو تنظيما جماهيريا ·· فاذا ما مشى شعراوى جمعة (وقد كان أمين التنظيم) أو على صبرى الأمين العام للتنظيم فى الشارع لما التف حوله خمسة أشخاص يحيونه بحرارة وتأييد جماهيرى ·· بينما كان أى وزير وفدى ·· أو حتى رئيس لجنة وفد فى أى اقليم ·· أو كاتب وفدى بارز ·· يظهر فى أى مكان ·· الا والجماهير تحيط به فى حرارة وود وتهتف باسمه ·· وبحياة الوفد ·· لسبب بسيط أن حزب الوفد كان حزبا جماهيريا ومنظما ·· وقائما على أساس شخصيات جماهيرية فى كل نواحى الحياة ·· مغروسة فى العمل وسط الجماهير ·· وليس قاصرا على زعامة رئيسه أو سكرتيره العام ·· مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين ··

منذ ٢٣ يوليو لم تشهد البلاد أى تنظيم جماهيرى حقيقى للثورة فى أى وقت من أوقاتها ·· كانت الجماهيرية قاصرة على زعيم الثورة ·· فقط الذى كان حريصا على ذلك تماما ·· خوفا من أن تظهر شخصية جماهيرية أخرى تنافسه فى الزعامة ·· وتطمع فى الاستيلاء على السلطة ··

وقد رأينا بشاعة تعامل جمال عبد الناصر مع أول رئيس جمهورية لمصر ·· المرحوم محمد نجيب ·· اذ حبسه أكثر من ستة عشر عاما ·· دون توجيه أى اتهام له أو محاكمة ·· ورغم وصول عبد الناصر الى ذرى المجد والجماهيرية ·· الا أنه كان يخشى دائما جماهيرية محمد نجيب القديمة فى سنوات ٥٢ ــ ٥٣ ــ ١٩٥٤ ويخشى أن يستثمر أحد هذه الجماهيرية وينظم انقلابا على جمال عبد الناصر ··

وقد قال لى أنور السادات ذات مرة .. أنه كان يزور محمد نجيب من حين لآخر .. بإذن من جمال عبد الناصر (اربع أو خمس مرات كما قال) .. وأن عينيه كانت تدمع عندما يخرج الى سيارته من سوء حاله .. اذ كان « يصعب عليه » ولكنه كان اذا اقترح على جمال عبد الناصر الافراج عنه قال له فى عصبية ازاى يا أنور تقول كده .. اشكت أنت ما تعرفش حاجـــه ..

وقال لى أنور السادات أنه اقترح مرة أن يفرج عبد الناصر عن محمد نجيب ويقيم فى بيته (بيت السادات) وهو مسئول عنه .. فرفض فى عصبية .. ثم قال له ضاحكا : علشان تتفق معاه على فى الآخر !!

وقال لى السادات كان عبد الناصر يهزر .. لكن كان كلامه يعكس انه لا يثق فى حتى أبوه .. وهو عصبى ومتوتر ! ..

وقد عاصرت أحداث عزل أنور السادات بعد ذلك للدكتور عزيز صدقى رئيس وزراء مصر الذى أسند اليه السادات هذا المنصب بعد أن وقف معه وقفة ثابتة وقوية بعد مايو ١٩٧١ رغم أنه كان يدين بالولاء العميق لجمال عبد الناصر ..

وكان واحدا من أسباب عزل عزيز صدقى هو ما نقله الوشاة كتبة التقارير فى الأجهزة من أن عزيز صدقى أصبحت له شعبية وجماهيرية .. فقد نظم عزيز صدقى زيارات للأقاليم كل أسبوعين .. يجلس فيها مع الناس العاديين ورجال الحكومة والاتحـاد الاشتراكى .. ويستمع الى شكاواهم ويحاول أن يحل تلك المشاكل بالاشتراك مع الوزراء الحاضرين والمحافظ ورجال الادارة المحلية ..

ثم ان عزيز صدقى استحدث إسلوبا فى مكاشفة الشعب بالحقيقة فقد كان يتحدث فى التليفزيون مرة كل شهر الى الجماهير عن مشاكلها وعما تم انجازه وخطط الحكومة فى الشهور القادمة .. وهـــــكذا ..

وكان كل مراقب سياسى يرى فيما يفعله عزيز صدقى تدعيما لنظام أنور السادات الجديد فى منصب الرئاسة .. وربطا للجماهير بهذا النظام .. اذ أن نجـاح أى حكومة هو نجـاح للذى شـكلها .. رأس السلطة التنفيذية..ولكن هذا الأسلوب أخاف أنور السادات بعد أن ضخم له الأمر بعض من حوله أو أصحاب الصوت العالى من اليمين الذى بدأ يبرز ويريد أن يعمل السادات على تصفية ثورة يوليو .. وكان اصطدام الحكومة بمجلس الشعب حول موضوع فرض الضرائب على حدائق الفاكهة نذيرا بالاتجاه الجديد لبدء سيطرة الطبقة الجديدة التى كانت قد مدت جذورها فى عهد

جمال عبد الناصر وفتح لها عهد السادات الباب للقفز والظهور والتأثير فى السلطة .. خصوصا أن نظام السادات بدأت تحيط به عناصر ليس لها أى علاقة بأية أفكار اشتراكية أو مصالح للجماهير بعكس ما كان عليه الحال أيام جمال عبد الناصر ..

هذا رغم أن السادات كان يتحدث دائما عن تمسكه بالاشتراكية وانه الأمين على منجزات عبد الناصر وحليف قوى للاتحاد السوفيتى .. فى السنوات الأولى من حكمه حتى رغم تأزم الموقف فى مسألة التسليح والخبراء السوفيت ..

ولا أشك أن السادات خشى جماهيرية قد تنشأ لعزيز صدقى .. لأنه حدث مرة أن تحدثت عنه بعد عزله عن الحكم بأكثر من سنتين .. فقال لى :

ـ ده كان مغرور قوى !

ولما سألته : كيف ؟

قال ببساطة : كان فاكر نفسه رئيس جمهورية !

والحقيقة أن هؤلاء المسئولين الكبار حساسون جدا لخروج مرءوسيهم من المسئولين عن الحدود .. ويعتبرون هذا الخروج شيئا يمس ذاتهم لأنهم يكرهون محاولة التساوى بهم .. وهذا شىء ضرورى فيما يبدو ويعتبر من لوازم السلطة ..

أذكر مرة أن مجلة روز اليوسف حملت بشدة على المرحوم الدكتور رفعت المحجوب أمين الاتحاد الاشتراكى أيامها .. وتناول الحديث بين السيدة جيهان السادات وبينى حديث الدكتور رفعت .. وفيما يبدو أن الدكتور كان قد قال انه لا يملك فى سيارته تليفونا (كانت تليفونات السيارات فى ذلك الوقت ١٩٧٥/١٩٧٦ شيئا نادرا) ..

ومن بين ما قاله الدكتور لم يشد انتباه السيدة جيهان غير هذا القول فقالت لى وعلائم الغيظ والسخرية على وجهها :

ـ قل له ان مرات رئيس الجمهورية نفسها ليس فى سيارتها تليفون !

ان التساوى .. أو محاولته هو اقتحام لقدس الأقداس .. وهو السلطة .. لأنه مقدمة لتساوى الرءوس .. ومعنى ذلك ضياعها ..

وفى حديث عابر مرة سألت أنور السادات عن سبب اعفاء السيد

زكريا محيى الدين من منصبه كرئيس وزراء أيام جمال عبد الناصر ٠٠ فقال لى ببساطة : كان عاوز يعمل رئيس وزراء بصحيح ٠٠ وكان متشائم ٠٠ وعبد الناصر كان يقول دائما كل ما أقعد معاه يسود الدنيا فى عينى ٠٠ مشاكل فوق بعضها ولا حل !

تبقى بعد هذا ثلاث ملاحظات عن مايو ٠٠ لابد من الحديث عنها ٠٠ الملاحظة الأولى أن معظم اليسار المصرى والشيوعيين بالذات قد أيدوا حركة مايو وساندوا أنور السادات ضد مجموعة مراكز القوى ٠٠ ونقصد هنا اليسار التقليدى ٠٠ أى الشيوعيين الذين قرروا حل حزبهم فى عهد جمال عبد الناصر ٠٠ وهم كانوا أقوى فرق اليسار لأن يسارا جديدا كان قد بدأ يظهر بين الشباب ويتركز فى الجامعات أساسا ٠٠ وكان يتهم الشيوعيين القدامى بأنهم حلوا الحزب وألقوا علم النضال ٠

وكان تعيين د٠ فؤاد مرسى فى اللجنة الثلاثية لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى دليلا على تضامن الشيوعيين مع « ثورة السادات » كما سماها بعد ذلك ٠٠ ثم تعيين الأستاذ نبيل الهلالى الشيوعى البارز والفاضل فى نفس الوقت فى لجنة الثلاثين ٠٠

وكانت هناك مقالات الشيوعى البارز الأستاذ مصطفى طيبة المحرر بالأخبار التى تبارى فيهـا مع مقـالات المرحوم الكاتب الكبير الأسـتاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى تأييد حركة السادات فى جريدة الأخبار فى الأيام الأولى بعد نجاح الحركة ٠

ولم يكن هناك من ثار الشك فى معارضته الا عدد قليل من الشيوعيين الذين كانوا داخل التنظيم الطليعى ومنهم الأستاذ محمود أمين العالم الذى اضطر السادات للافراج عنه بعد القبض على من اتهمهم بمحاولة الانقلاب أو مناصرته لأن العالم قال كلاما فى التحقيقات مؤداه أنه يأسف للتناقض الذى حدث بين خلفاء عبد الناصر ٠٠ وخشى السادات من أن يقوم بدفاع سياسى فى المحكمة يقلب موازين المحاكمة ٠٠ ولم يكن يريد السادات فتح معركة مع الشيوعيين فى تلك الفترة اذ كان واضحا له أن أغلبهم معه ٠٠ وهو يريد الاسـتعانة بهـم لتثبيت أركان حكمـه وهو الذى لم تكن له أى جذور جماهيرية ٠٠

اذن الشيوعيون أيدوا السـادات وشاركوا فى تثبيت حـكمه ٠٠ وساندوه بل وقبلوا الاشتراك معه فى الحكم بوزيرين ونائب معين هو الأستاذ أبو سيف يوسف السكرتير العـام السابق للحزب الشـيوعى المصرى ٠٠

ونحن نقول هذا لأنى لم أقرأ مرة نقدا ذاتيا من أى شيوعى ممن اهالوا التراب بعد ذلك على أنور السادات وحاولوا تشويه كل انجاز له ٠٠ حتى حرب اكتوبر حرموه من شرف الإعداد لها وقيادتها فى طفولة محزنة ٠٠

أما الأسباب التى ارتكز عليها الشيوعيون فى تاييد أنور السادات فأمران :

السبب الأول : انهم رأوا فيه منفذا الى عودة الديمقراطية التى تبناها شعارا له ٠٠ وطبق ذلك عمليا بالإفراج عن ١٢٠ شيوعيا كانوا فى المعتقلات اعتقلهم شعراوى جمعة ٠٠

والسبب الثانى : أنهم تصوروا أن السادات امتداد لجمال عبد الناصر ٠٠ وأن الذى حدث هو مجرد تغيير فى قيادة الثورة ٠٠ وربما كان السادات اكثر مرونة لأنه لم تتكون له الهالة والتاله الذى حدث لجمال عبد الناصر ٠٠

ملاحظة أخرى : ان الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل – وهو فى رايى أشهر كتاب مصر على الاطلاق ٠٠ مصريا وعربيا وعالميا حتى الآن ٠٠ وهى حقيقة يجب أن يعترف بها خصومه ومؤيدوه على السواء ٠٠ والساعد الأول لجمال عبد الناصر ٠٠ حتى أنه كان يسمى برئيس جمهورية الظل ٠٠ واكثر الناس معرفة بأفكار وسياسة جمال عبد الناصر ٠٠ وأقدرهم على التعبير عنها ٠٠ والذى يراه الكثيرون الناصرى الأول فى العالم العربى حتى الآن ٠٠

الأستاذ هيكل – هو الذى لعب الدور الرئيسى فى مساعدة أنور السادات للانتصار على خصومه مجموعة الناصريين بل كان المهندس الأول لخطة السادات فى الحاق الهزيمة بهم ٠٠ ولن ينسى أحد ما رواه السادات ذاته علنا ٠٠ من أنه عندما سمع الشريط الذى حمله المقدم طه زكى عما سمى بالمؤامرة من أنه بعث بابنته فى السادسة صباحا قبل ذهابها الى المدرسة الى مسكن الأستاذ هيكل ليستدعيه خوفا من الاتصال التليفونى المراقب ٠٠ ليعرض عليه الشريط ويتحدثا عما يجب عمله ٠٠

وقد روى الإستاذ هيكل أنه هو الذى أشار على السادات باستخدام شعار الديمقراطية لمواجهة خصومه كما ذكرنا من قبل ٠٠

وظل الأستاذ هيكل نصيرا لحكم أنور السادات خطوة بخطوة وهو الذى أشار عليه بكيفية التعامل مع اليسار وقدم له الأستاذ لطفى الخولى ، حتى اختلف معه ٠٠ وكان واضحا فى ابراز ذلك الخلاف بحق على صفحات الأهـــرام ٠٠

هنا يتحمل الأستاذ حسنين هيكل مسئوليته أيضا فى انفراد أنور السادات بالحكم وسحقه لقوى الناصريين رغم ناصريته هو .

وقد روى لى مرة المرحوم ممدوح سالم .. بعد أن أصبح مجرد مساعد لرئيس الجمهورية فى مكتبه بالدور العلوى لمبنى الاتحاد الاشتراكى .. ونحن نتحدث عرضا عن علاقة هيكل بأنور السادات وأسباب تدهورها .. أن سبب هذا التدهور أمران :

السبب الأول : هو أن الأستاذ هيكل كان يريد أن يلعب دوراً مع السادات مثل الدور الذى كان يلعبه مع جمال عبد الناصر أى « رئيس جمهورية الظل » ..

ولما قلت للمرحوم ممدوح سالم الذى كانت تربطنى به علاقات ودية منذ كان محافظا ان هذه حكاية معروفة .. لكن ما هو السبب الحقيقى .. فقال باسما :

لقد كان الأستاذ هيكل بوابة جمال عبد الناصر نفسه للولايات المتحدة لما كانت تربطه ومدرسة أخبار اليوم من علاقات طيبة بها .. وأراد أنور السادات استخدام نفس الوسيلة فى سنواته الأولى .. ولما أصبحت بينه وبين الأمريكان علاقة مباشرة منذ جلس مع كيسنجر .. لم تعد هناك حاجة لبوابة ولا هم ويحزنون ..

وهذا الذى قاله لى ممدوح سالم .. كان أيضا درسا من الدروس التى تعلمتها فى حياتى بعمق عن منطق السلطة فى التعامل مع الناس .. ومن المواقف التى أكدت لى سياستها « العنكبوتية » التى أشرت اليها من قبل .

وربما كان من المناسب هنا أن أحكى .. حديثا قاله لى أنور السادات عن فهمه هو أو تصوره لجانب من علاقة جمال عبد الناصر بالأستاذ هيكل .. وأنا أذكره فقط وفقا للمنهج التسجيلى الأمين الذى قررت اتخاذه وأنا أكتب هذه الصفحات .. بصرف النظر عن رأيى الشخصى فيما أسجله مما سمعته أو رأيته ..

كان الحديث يدور بيننا من بين تشعباته العديدة .. حول الأستاذ مصطفى أمين .. ففاجأنى بالقول :

ــ ماله مصطفى أمين عاملين عليه هيصه وبيقولوا عليه جاسوس !

قلت له :

ــ لقد سمعت أن الأمريكيين هم الذين طلبوا الافراج عنه ..

قال فى استنكار :

ـ ليه يعنى ‥ هم مالهم ‥

قلت : باعتباره رجلهم حسب ما يقول الناس وظهر فى القضية ‥

قال أنور السادات وأنا أكاد انقل بالحرف الواحد :

ـ اسمع يا عبد الستار ‥ أنا شفت بعينى دول وسمعت بودانى دول ‥ جمال عبد الناصر بيعمل مع حسنين هيكل نفس اللى كان بيعمله مع مصطفى أمين ! ‥

قلت ‥ بسرعة :

● ازاى يعنى ؟ ‥

ـ يعنى يقول رئيس الجمهورية للواحد منهم وهو يعرف أنه صاحب الامريكان ‥ قول لهم كذا وكذا وشوف حيقولولك ايه ‥

قلت :

● بالونات اختبار يعنى دوبل ايجنت (عميل مزدوج يعنى) زى السيما ؟ ‥

ضحك أنور السادات وقال :

ـ لا « دوبل ايجنت » ولا حاجة ‥ هم مصريين مائة فى المائة ‥ لكن بيستكشفوا الأمور لرئيس الجمهورية ‥

وسكت أنور السادات لحظة وقال :

ـ هو يعنى أنا وأنا رئيس الجمهورية اهه لو جيت أستغل انك يسارى وقلت لك قول للسفير السوفيتى كذا وكذا وتعال قول لى حيرد عليك بايه ‥ حترفض يعنى ؟ ‥

أحسست أن هناك كمين يدبر لى ‥ لكنى رددت بسرعة وفى حسم وأنا الوخ بيدى ‥ قائلا :

ـ يا ريس أنا أبويا لم يدخلنى الكلية الحربية علشان اطلع ضابط مخابرات ‥ لا مؤاخذة ‥ أنا اخدمك بقلمى واستخدم مياه البحر كلها حبر للدفاع عنك وعن سياستك ونظامك ‥ لكن لا يمكن أعمل حاجة زى دى ‥ ما انفعش ‥ ده أنا باتكلم اللى فى قلبى على طول وعمرى ما انفع ضابط مخابرات أو شرطة ‥

ولما رأيته يصغى الى فى تفكر تشجعت على الاسهاب فى الكلام لاقطع خط الرجعة نهائيا عن أى تفكير او محاولة لدى رئيس الجمهورية أن يتخذ منى مرشدا ‥ فمضيت أقول :

أنا أقعد أتربص لكلام الناس ·· وأحاول استدراجهم بيقول ايه ·· بيعمل ايه ·· فلان ماشى مع فلان أو فلانة ·· وأفسر الكلام وأصيغ التقرير الذى أقدمه بأفكارى وتصوراتى الشخصية ·· لا أستطيع أن أقوم بهذا العمل ·· انما أخدمك بقلمى ·· ومصارحتك بالأوضاع السياسية وتحليلى لها واقتراحاتى بشأن مشاكل الشعب ·· وكل ما لا أستطيع أن أكتبه فى الصحف للرقابة وغيرها أصارحك به القول هنا ·· دون انتظار لشىء ودون أن أضع فى الاعتبار أن أقتصر على ما يسر سيادتك سماعه فقط ·· وهذا ما قلته لسيادتك أول مرة التقينا فيها ·· وغلطة مصطفى أمين أنه قام بالدور اللى سيادتك قلت عليه وعبد الناصر كان بيكلفه بيه ··

وقد صمت أنور السادات صمتا تاما بعد أن قلت هذا الكلام ··

ودخلنا بعد لحظات فى حديث آخر ·· ولم يبد عليه أنه غضب منى على الاطلاق ·· وهذا شىء كان يجعلنى أزداد تقديرا لأنوار السادات اذ أنه يعرف مقدار الذى امامه ويتعامل معه على هذا الأساس لا يحاول فرض شىء عليه ··

لقد أدرك أنور السادات بهذه البالونة حدود استفادته منى ·· « واستخدامى » اذا جاز التعبير ·· وأعترف أنه قد استفاد كثيرا ·· ولكن بارادتى الحرة تماما ·· وباقتناعى التام ·· وبدون أى ثمن ··

وسنعود الى ذلك تفصيلا وفلسفته فى فصل آخر ··

الملاحظة الأخيرة ·· أن الذين يحملون على أنور السادات من الناصريين واليساريين وهم من مؤيدى جمال عبد الناصر ·· ألم يطرحوا على أنفسهم فى أمانة السؤال التالى : من الذى أتى بأنور السادات رئيسا للجمهورية ؟

أليس هو جمال عبد الناصر ؟ ··

اذا كان للسيد حسنين هيكل أن يتجاهل مسئوليته عن تأييد السادات فى حركة مايو ضد جماعة الناصريين ·· ويرفض نقد ذاته على هذه المشاركة الحميمة للسادات فقد يكون له العذر أنه لا يعرف السادات جيدا كما عرف جمال عبد الناصر ··

فكيف عين عبد الناصر السادات نائبا للرئيس ·· أى رئيس الجمهورية المقبل عندما استشعر خطر الموت اغتيالا أو بسبب المرض ؟! ··

ألم يكن يعرف باتجاهاته اليمينية أو الأمريكية ؟ ·· واذا لم يكن يعرف فتلك مصيبة أن عبد الناصر الذى تآخى مع السادات ربع قرن من

الزمان .. على الأقل لم يكن يفهمه .. ولا يعى باتجاهاته وهو الذى كان يفخر أنه يعرف همسات المفكرين على أرض مصر ! ..

وهو على أى حال المسئول الأول عن هذا الخطأ الفاحش الذى «اودى» بمصر فى مصيبة كما يزعم خصوم أنور السادات ..

لقد كان أمام جمال عبد الناصر عناصر واضحة فى اتجاهاتها اليسارية الناصرية .. مثل كمال رفعت وعلى صبرى ناهيك عن خالد محيى الدين اليسارى الأول .. لماذا لم يعين واحدا منهم نائبا له .. ولماذا اختار أنور السادات بالذات ؟ ..

الا يتوقف الناصريون لحظة أمام اختيارات جمال عبد الناصر لنوابه فى الأزمات والمواقف الخطيرة ..

عندما أراد التنحى عن الحكم بعد اعترافه بمسئوليته عن هزيمة ١٩٦٧ .. من الذى رشحه ليخلفه فى منصبه ؟ .. لقد رشح السيد زكريا محيى الدين اليمينى النزعة والذى قال عبد الناصر نفسه عنه أنه يراه الشخص الأمثل للتفاهم مع أمريكا ..

ولم يفكر فى ترشيح أى عنصر من مجموعته اليسارية على الأقل ليصمد ويستبسل فى القتال ضد العدو المحتل ..

وعندما استشعر الخطر على حياته فى عام ١٩٧٠ إختار أنور السادات ولم يختر أحدا غيره كما قلنا .. الذى ظهر فيما بعد أنه يتجه الى التفاهم مع أمريكا .. ويتوقف عن المسار الاشتراكى للثورة ..

لمـــــاذا ؟ ..

هل لأن عبد الناصر نفسه .. كان سيتجه نفس الاتجاه الذى كان مفروضا أن يتجه اليه زكريا محيى الدين لو خلفه فى منصبه .. أى التفاهم مع أمريكا .. وكان سيتجه نفس الاتجاه الذى اتجهه أنور السادات لو استمر حيا لم يمت فى سبتمبر ١٩٧٠ ؟!

نريد أن نقول للناصريين .. انه أولى بهم أن ينقدوا عبد الناصر ويحملوه مسئولية تولى أنور السادات الحكم (وهو أمر ما كان يحلم هو به شخصيا) .. قبل أن ينقدوا سياسة السادات .. ذاته ! ..

مكر الفلاح المصرى

فى الحرب والسلم ؟

هناك فقرة أو عبارة وردت فى كتابى عن حرب أكتوبر هى التى أثارت اعجاب السادات أكثر مما ورد فى الكتاب كله كما اكتشفت بعد ذلك فى حديث معه ..

لقد كتبت فى كتابى حرب الساعات الست ما يأتى :

« ولو أن الذين يجهدون انفسهم فى محاولة فهم أسلوب السادات فى القيادة عنوا بقراءة كتاب صغير ــ وليس مجلد ــ كتبه الرئيس بنفسه منذ أكثر من خمسة عشر عاما بعنوان « يا ولدى هذا عمك جمال » لتيسر عليهم فهم هذا الأسلوب .

فى هذا الكتاب عبارة قصيرة هى مفتاح المدرسة السياسية للقائد المصرى الذى ورث تركة مثقلة ــ من عهد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر واهمها وأكثرها ثقلا هى القضية الوطنية .

يقول أنور السادات فى كتابه ذاك أن قادة ثورة ٢٣ يوليو (وانور السادات منهم) بحثوا كيف يحلون مشكلة المشاكل حينذاك وهى مشكلة الاحتلال البريطانى لمصر .

كان أمامهم الأسلوب الفيتنامى .. حيث كان الفيتناميون يحاربون الفرنسيين حربا شعبية شاملة ..

ولكن قادة الثورة لم يشاءوا سلوك ذلك السبيل لأنه سيتسبب فى اراقة الكثير من الدماء علاوة على الدمار الشامل للمشتا ..

فاذا وجدت وسيلة أخرى تتفادى هذا كله فان ذلك يكون الفضل طبعـــا .

ويمضى أنور السادات فى كتابه يقول ان قادة الثورة اهتدوا الى وسيلة بسيطة جدا وربما كان هو الذى هداهم اليها !

اذ يقول فى عبارة مكثفة :« فعمدنا الى مكر الفلاح المصرى » وطبقت الثورة هذا الأسلوب وكانت النتيجة أنها حققت جلاء القوات البريطانية فعلا .. وحصلت مصر على استقلالها السياسى فالاقتصادى بل أصبحت قاعدة لحركة التحرير العربية كلها ..

ان « مكر الفلاح المصرى » يعنى الدهاء .. والذكاء الفطرى .. والصبر جنبا الى جنب البساطة والعراقة ..

ولقد عمد أنور السادات ببساطة الى مكر الفلاح المصرى فى مواجهة مشكلة الاحتلال الاسرائيلى .. من التمويه للاعداد لحرب أكتوبر .. حتى توصل الى اجلاء اسرائيل عن سيناء ..

وأعتقد أن أنور السادات دفع فى النهاية ثمنا فادحا لحكاية مكر الفلاح المصرى هذه .. اذ لا شك أن الويالات المتحدة كان لها ضلع أو ترحيب على الأقل بمصرعه فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ .. اذ كانت لا تطمئن الى ماذا سيحدث منه بعد انسحاب اسرائيل فى ابريل ١٩٨٢ من بقية أرض سيناء ..

ولقد كتبت كتب كثيرة عن حرب أكتوبر .. لكتاب مصريين .. وكتاب أجانب .. والكثيرون منهم ذوو قدرات عسكرية وسياسية فى التأليف والكتابة .. مثل المؤرخ المصرى د. عبد العظيم رمضان والمؤرخ العسكرى جمال حماد وغيرهم كثيرون .. هذا غير الكتب التى كتبها مراسلون عسكريون عاصروا تلك الحرب وكتبوا عنها وأنا واحد منهم ..

ولذلك فاننا لن نتعرض لتلك الحرب الا من ناحية بعض الملاحظات أيضا الجديرة بالتسجيل استكمالا للأمانة العلمية ونحن نتحدث عن أنور السادات ..

من المسئول عن حرب ١٩٧٣ :

من المناقشات والمجادلات السخيفة التى جرتنا اليها اللاموضوعية التى شابت كثيرا من تحليلات وتفسيرات عدد من خصوم أنور السادات .. هى تلك التى دارت حول من كان المسئول عن حرب ١٩٧٣ .. جمال عبد الناصر أم أنور السادات ..

وجمال عبد الناصر توفى فى سبتمبر ١٩٧٠ .. وحرب أكتوبر جرت فى عام ١٩٧٣ أى بعد وفاة جمال عبد الناصر بثلاث سنوات .. وكان

رئيس مصر في أكتوبر ١٩٧٣ هو رجل اسمه محمد أنور السادات ..
اذن لا شك أنه هو المسئول عن قيام تلك الحرب .. أى هو الذى أعد لها مراحلها الأساسية طوال السنوات الثلاث التى تولى فيها الحكم .. وأجرى البروفات الأخيرة لها على مجرى النيل عند القناطر والخطاطبة .. ثم هو الذى عين واختار القادة العسكريين .. ودبر الأسلحة .. وأعد الجو العربى. واستثمر المناخ الدولى .. ودرس الأوضاع في اسرائيل .. وحدد تفاصيل الخطة .. وميقات تنفيذها .. واصـــدر القرار للقادة العسكريين ببدء المعركة ..

واذا كان قد حدث أنه هزم شر هزيمة مثل ١٩٥٦ و١٩٦٧ لكان هو الذى تحمل المسئولية كاملة أمام شعبه والتاريخ .. ولربما فقد منصبه ان لم يكن عقله أو حتى حياته غيلة أو انتحارا أو محاكمة من المجهولين الذين قد يصلون الى الحكم بعد هذه الهزيمة .. ولن يمثل أمام مثل ذلك النوع من المحاكم سواء كان شعبيا أو اداريا أو تاريخيا جمال عبد الناصر .. فان جمال عبد الناصر قد مات وانتهى منذ ثلاث سنوات .. وانقضت الدعوى العمومية بالنسبة له بلغة القانون !

هذه بديهيات .. لا تحتاج الى مناقشة أو جدل ..

ولا يعنى تقرير واقع مسـئولية أنور السـادات عن اقدام مصر على محاربة اسرائيل في ٦ أكتوبر حربها لتحرير أرضها .. أن عبد الناصر لم يفعل شيئا لهذا التحرير .. بل الصحيح أن جمال عبد الناصر بدأ منذ اللحظة الأولى يسـتعد لتحرير الأرض المحتلة .. فهـو قد أطلق صيحته المشهورة : ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .. ثم أنه أشعل حـرب الاستنزاف ضد اسرائيل ليؤكد استمرار مقاومة الشعب للاحتلال الجديد .. بل هو رفض أن يسمى ما حدث في يونية ١٩٦٧ هزيمة بل نكسة حتى يؤكد أن ما حدث كان أمرا مؤقتا لابد أن يقضى عليه ويغير الواقع الى انتصار من جديد .. ثم ان جمال عبـد الناصر بدأ يعـد الجيش ويعيد تسليحه من جديد ..

ويأتى بالمدربين السوفيت .. وعندما عاثت طائرات اسرائيل فى السماء فسادا استعان بقوات دفاع جوى سوفيتية (١٧ ألف) حتى أمكنه تدريب أطقم دفاع مصرية ..

وفى نفس الوقت الذى كان جمال عبد الناصر يسعى الى حل سلمى ويقبل بالتفاوض غير المباشر مع اسرائيل عن طريق جونار يارنج .. ويقبل مبادرات روجرز .. فانه كان يستعد عسكريا ليوم اشعال حرب التحرير ضد المحتل الاسرائيلى ..

لا أحد ينكر هذا فهو واقع ·· ولكن عبد الناصر قد مات ·· وخلفه رئيس جمهورية جديد ·· وقد كان ممكنا إن يكون هذا الرئيس واحدا من اثنين : اما رئيس لا يستمر في الاستعداد للحرب ويستبعد احتمال نشوبها اطلاقا ويركز على فكرة المفاوضات فقط ·· وقد حدث هذا في تاريخ مصر عندما استنكر كل من حزبي الأحرار الدستوريين والسعديين عام ١٩٥١ موافقة وتشجيع حكومة الوفد الشعب على الكفاح المسلح بل وسماحها للجماهير بحمل السلاح علانية ·· ووصف محمود غالب باشا في مجلس الشيوخ هذا الكفاح المسلح بانه « عبث ولعب بالنار » ··

وكان ملك مصر فاروق لا يوافق على الكفاح المسلح ضد الانجليز واشترك في مؤامرة ضخمة لحرق القاهرة ليتخلص من الحكومة التي سمحت للشعب بالحرب ضد الانجليز عامي ٥١ و١٩٥٢ .

اذن ممكن ان يكون الرئيس الجديد من تلك النوعية ··

ثم هناك الاحتمال الآخر ان يكون الرئيس الجديد من أنصار استخدام القوة بجانب الدبلوماسية لتحرير الأرض ·· فيواصل الاستعداد للمعركة ضد العدو ·· ويستكمل ما لم يتح لسلفه ان يستكمله بسبب موته الفجائي ·· وفي هذه الحال يكون خليفة اليوم هو امتداد لخليفة الأمس ··

وهكذا كان أنور السادات ·· واصل الطريق الذي بدأه جمال عبد الناصر ·· وليس ذلك غريبا عليه فهو كان ثائرا ورفيق نضال لجمال عبد الناصر ·· والا لماذا عينه جمال عبد الناصر خلفا له ؟!

فما معنى هذه اللاموضوعية التي تصل الى حد انكار دور أنور السادات ؟ واسناد الفضل لجمال عبد الناصر بسبب السخط على سياسة السادات ؟ ··

انها كما ترى مناقشات وجدل مغرض يعكس عدم امانة ·· وتجرد عن أبسط تقاليد البحث والدرس والتحليل ··

ويبلغ الأمر مدى أبعد من هذا ·· فيشطب آخرون ــ على طريقة الفراعنة ــ اسم أنور السادات تماما عن حرب اكتوبر ·· فاذا ما تكلموا وهم مضطرون للكتابة عنها بحكم أنها المعركة المجيدة الوحيدة في تاريخ العرب في العصر الحديث ·· فاذا بهم يذكرونها وكأنها لا صاحب لها ولا صانع ··

ويقولون كلاما مضحكا ·· اذ يقولون حرب اكتوبر التي قادها الشعب المصري ·· أو قادها الجيش المصري ··

وكان تلك الحرب كانت بلا قائد أو مسئول .. وكان الشعب .. أو الجيش المصرى .. قام قومته على صوت نفير من المجهول .. ونظم الناس أنفسهم بأنفسهم وقسموا أنفسهم فرقا وكتائب .. ودخلوا الحرب «جهجهون» دون أى قيادة أو حساب .. كأنما مصر لم يكن لها رئيس .. ولا للجيش قائد أعلى !! ..

هذه طفولة .. ولكنها طفولة غير أمينة ..

والمفروض أنه فى جميع الأحوال يجب اسناد الفضل لذويه .. ولو ان الذين خاصموا السادات على أساس شريف ـ كانوا يعترفون بفضله أو دوره فى كذا وكذا مثل حرب أكتوبر ولكنهم ينتقدونه فى كذا وكذا .. لكانوا قد كسبوا احترام الآخرين وربما كسبوا معركة الجدال ..

هذه ملاحظة .. أما الملاحظة الأخرى .. فهى عن الثغرة التى حدثت خلال الحرب .. أى عندما استطاعت القوات الاسرائيلية عبور القناة .. والانتقال بقواتها الى الضفة الغربية للقناة ثم تقدمها حتى أصبحت على مداخل السويس ..

ان السادات قد كان غير أمين فى عرضه لموضوع الثغرة هذا .. فقد حرص على التهوين من شأنها .. ولا أدرى من أين وكيف جاءته فتوى الجنرال بوفر الذى وصفها بأنها « حركة تليفزيونية » .

فما كانت حركة تليفزيونية ولا هم يحزنون .. لقد كانت تحولا خطيرا فى ميزان الحرب ونجح أنور السادات وأجهزة الاعلام فى القاء ستار كثيف على حقيقتها .. حتى نحن المراسلون الحربيون لم نحط علما بالحقيقة الا بعد جهد شاق .. ونبه علينا الا نذكر تلك الحقيقة ..

لقد استطاعت اسرائيل أن تنقل آلاف الجنود إلى غرب القناة .. وأن تأسر خمسة آلاف جندى مصرى وهو ما لم يحدث طوال الحرب والجيش المصرى فى الشرق فلم يتجاوز عدد الأسرى منه بضع مئات .. وتدفقت الدبابات الاسرائيلية فى الغرب .. وضرب الطيران الاسرائيلى قواعد الصواريخ المصرية للدفاع الجوى .. وأصبحت سماء المعركة من الجانب المصرى مكشوفة تمرح فيها الطائرات الإسرائيلية الأمريكية الجديدة التى بدأت تتدفق على اسرائيل .

لقد قصد أنور السادات من حرب أكتوبر تحريك القضية .. ولذلك فهى حرب تحريك لا تحرير .. أو بالأحرى حرب تحرير عن طريق التحريك .. ذلك لأن أنور السادات كان يعرف أنه ليس بوسعه أن يلحق هزيمة

كاملة باسرائيــل بمعنى أن يطردها تمــاما من سيناء لأن سلاحها الجوى سيضرب جيشه ٠٠ والولايات المتحدة ستساعدها بعدد من الطائرات تتيح لها التفوق دائما ٠٠ بل يمكن أن تتحرك أمريكا فى تدخل سافر ضد مصر اذا ما توغلت القوات المصرية الى حدود اسرائيل اذا فرضنا أنه أمكن تغلبها على المقاومة الاسرائيلية والوصول الى تلك الحدود ٠٠ والاتحاد السوفيتى لن يجازف بالصدام مع أمريكا اذا ما شاركت فى القتال ٠٠ بل هو فقط يريد حربا محدودة من أجل التحريك ٠٠

٠٠ بل وربما تحرك أنصار اسرائيل الآخرون دوليا وهم يرون القوات المصرية تقترب من حــدود اسرائيــل وهى تصرخ وتستغيث من الغيــلان العــرب ٠٠

كان أنور السادات قد حسب حسبته جيدا ٠٠ فهو يدرك أن حربه ضد اسرائيل فى سيناء لا يمكن أن تكون حربا شعبية فأين الشعب فى تلك الصحراء ومن هنا جاءت فكرته بعد الحرب فى توطين مليون مصرى فيهــــا ٠٠

اما القوات السورية فما كان يمكنها أن تطبق على اسرائيل من الشمال فمستواها محدود كما انكشف الموقف بعد يومين فقط من أخذ الاسرائيليين على غرة فى هضبة الجولان ٠٠ اذ تحول الجيش الاسرائيلى الى الهجوم حتى تقهقر السوريون أمامه ووصلوا الى مشارف دمشق ولولا المعونة العراقية واللواء المغربى الباسل لأمكن للاسرائيليين دخول عاصمة الأمويين ٠٠ ولقد خسرت مصر أكثر من ٤٠٠ دبابة فى معركة الدبابات الشهيرة فى سيناء التى بادر اليها أنور السادات لتخفيف الضغط على السوريين من هجمة الجيش الاسرائيلى ٠٠

وبسبب الثغرة أصبحت اسرائيل فى موقع المحاصر للجيش المصرى الثالث ٠٠ وقد كانت أول رسالة بعث بها محمد حسنين هيكل لكيسنجر عندما جاء الى مصر تتكون من عبارة واحدة ٠٠ رفع الحصار عن الجيش الثالث ٠٠

والح هنرى كيسنجر على جولدا مائير أن ترفع الحصار ٠٠ وهددها بأنها ان لم تفعل فان السوفيت سيفعلون ذلك ٠٠ وكل هذا مكتوب ومسجل فى مذكرات كيسنجر وكل الكتب الأجنبية التى كتبت عن الحرب وكتابات الأستاذ هيكل ذاته ٠٠

وهذا الوضع الذى انشاته الثغرة ٠٠ أضعف من النتائج التى كان يتوخاها أنور السادات من حرب التحريك التى قام بها ٠٠

فهو كان يريد ضرب اسرائيل ضربة قوية ويعبر خط بارليف ٠٠ ويصبح بهذا العبور وتلك الضربة اليد العليا فى المفاوضات التى سيهرع الأمريكيون والسوفيت الى تنظيمها فورا بالاتفاق مع مجلس الأمن ٠٠ ويمكن حل القضية على أساس الجلاء الشامل عن الأرض المحتلة وايجاد حل للقضية الفلسطينية ٠

ما هو المقابل الذى كان يتصور أنور السادات أن اسرائيل تريده مقابل هذا الجلاء ٠٠

قال لى أنور السادات ذات مرة ٠٠ انه كان يتصور أنه السلام وعمل علاقات طبيعية مع العرب ٠٠

فلما قلت له أنى شاهدت وأنا فى زيارة لهولنده حديثا تليفزيونيا فى التليفزيون مع جولدا مائير ٠٠ وجه اليها المذيع السؤال التالى وكان ذلك عام ١٩٧٢ :

هل يمكن أن تنسحب اسرائيل من الأرض العربية المحتلة مقابل اعتراف العرب باسرائيل ؟

اجابت جولدا مائير :

مسألة الاعتراف بنا لم تعد تهمنا ٠٠ ألا ترى أن ألمانيا الديمقراطية لا يعترف بها الا عدد قليل من الدول ولكنها موجودة وقائمة ٠٠ مسألة الاعتراف بنا كانت مسألة مهمة أيام زمان ٠٠ ١٩٤٨ ٠٠ ١٩٥٦ ٠٠ حتى ١٩٦٧ ٠ كان ممكن نرد الأرض مقابل علاقات طبيعية ٠٠ أما الآن فالعرب يصرون على القضاء علينا ٠٠

ولما سألها المذيع :

ماذا تريدون اذن ؟ ٠٠

قالت : نحن لا نريد ٠٠ ان قرار مجلس الأمن قال الانسحاب من اراض ٠٠ وليس كل الأراضى ٠٠ نحن نريد أرضا لأمن اسرائيل فما عادت هناك ثقة بالعرب ٠٠

بعد أن فرغت من روايتى هذه قال السادات :

ـ علشان كده قمت بالحرب ٠٠ حتى أشعرهم بأن احتلال بوصة من الأرض لن يجلب لهم الأمن بل الحرب ٠٠ ويا سلام عليهم وهم يستلمون رفات جنودهم فى الحرب بيبقوا زعلانين ومتأثرين بشكل ماشفتوش أبدا رغم انى متعود أشوف اللطم والزهرة الزرقاء على وجوه النساء فى ميت

أبو الكوم والست بتصرخ يا سبعى فى ميت أبو الكوم ٠٠ بيكرهوا الموت قوى الاسرائيليون دول ٠٠ ويخافوا منه قوى !

من هنا فاننا نصف انتصارنا فى حرب أكتوبر بأنه انتصار نسبى ٠٠ انه انتصار لأنه أثبت أن الجيش المصرى ند للجيش الاسرائيلى يمكن أن يضربه ضربات موجعة مثل الجيش الألمانى ضد الجيش الانجليزى مثلا ٠٠ وليس جيشا مهزوما كما كان دائما ٠٠ وبالتالى فمن مصلحة اسرائيل أن تتقى خطر الاصطدام بهذا الجيش مرة أخرى فهو لم يعد كجيوش أعوام ١٩٤٨ أو ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ ٠٠

وهذا هو المعنى الحقيقى لقول السادات دائما ان حرب ١٩٧٣ هى آخر الحروب ٠٠ وكان يقصد ذلك بين اسرائيل ومصر ٠٠ وفيها نوع من التحذير لاسرائيل نفسها ٠٠ انها حرب لن تجديكم فتيلا ٠٠ كما لن تفيدنا بشىء ٠٠ كمثل من يقول حرب لا غالب فيها ولا مغلوب اذن الأفضل أن نبحث عن طريق آخر كالتفاوض لحل مشاكلنا ٠٠ مما يعنى تقديم تنازلات متبادلة ٠٠

ولما قلت مرة لأنور السادات تفسيرى لعبارته هذه « آخر الحروب » ضحك متهللا وقال : انا قلت من زمان من يوم ما قرأت قولك عنى « ولجا الى مكر الفلاح المصرى » انك فاهمنى كويس ! ٠٠

وكرر نفس القول عندما كان يسألنى مرة عن تفسير لماذا لا يحب الناس علاقته بالمهندس عثمان أحمد عثمان ويدور اللغط حولها كثيرا ٠٠

فقلت له ربما لأن المهندس عثمان رجل غنى جدا ويدلى بتصريحات فيها تهديد لأصحاب المساكن الفقراء (كان أيامها وزيرا للاسكان) ٠٠ والناس عادة تحب أن يميل حكامها الى الفقراء بدلا من مجالسة الأغنياء جدا ٠٠ وهم كل يوم يقرأون عن لقاءاتك به ٠٠ فالأغنياء فى نظرهم يحجبون عن الحاكم رؤية أحوال الرعية الغلابة ٠٠

فاجأنى أنور السادات بالسؤال :

— وما رأيك أنت فى هذه العلاقة ؟ ٠٠

قلت أنا افهمها من بعد أن اختلطت بالسلطة شوية وبدأت افهم أساليبها اقول لك بصراحة انك تستفيد من عثمان بانه يربط الطبقة حولك وحول النظام ! ٠٠

سألنى ٠٠ وهو يبتسم وقد بدا أنه ادرك ما اريد أن اقوله :

ـ ازاى يعنى ·· طبقة ايه ·· ونظام ايه ؟! ·· ده انت مسموم بالشيوعية بتاعتك دى ! ··

قلت :

ـ ان عثمان يأخذ مقاولات بمئات الملايين من الجنيهات ·· ويوزعها على المقاولين فى كل أنحـــاء الجمهورية ·· والمقاولون قطاع كبـير من الرأسمالية ·· فهو يربطهم ويربط مصالحهم بالنظام ! ·· ولذلك هو مفيد للسلطة ! ··

واذا كان الانتصار نسبيا ·· فانه ليس من المتوقع أن تكون نتائجه كما لو كانت انتصارا كاملا ·· وهذا ما غاب عن الكثيرين فهمه وادراكه ··

فأنت تسمع عادة من يقول ان أنور السادات قد بدد نصر أكتوبر ·· لكن الواقع أن أنور السادات حصل على ثمار أكتوبر ·· صحيح أنه لو كان قد اتبع سياسة تكتيكية سليمة فى بعض المواقف لكان قد حصـل على افضل ·· لكنه حصل فعلا على القدر الذى يناسب حجم ذلك الانتصار ··

ان حرب أكتوبر التهت باستغاثة من أنور السادات بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للتدخل بقواتهما المسلحة لوقف زحف اسرائيل فى غرب القناة انتهاكا منها لوقف اطلاق النار ··

وأجرى السوفيت مناورتهم الشهيرة بعملية الابرار الجوى لقواتهم من المجر عبر يوغوسـلافيا ورد الأمريكيون عليهم باعـلان حالة التأهب الذرى ·· فقال الروس ·· اذا ابعثوا لنا بكيسنجر ·· وتم الاتفاق على وقف جدى لاطلاق النار وصدور قرار ٣٣٨ الذى عقد على أثره مؤتمر جنيف··الذى لم يهتم المصريون فيه بدعوة السوفيت لحضوره لأن السادات كان قد بدأ يعتمد على أمريكا ويدفع لها الثمن مقدما فى شكل تصفية النفوذ السوفيتى من مصر كما بادر باعلان ذلك صراحة فى مواجهة كيسنجر فى أول مقابلة له بعد وقف القتال مما ادهش كيسنجر نفسه ··

كان السادات قد قرر أن يختط خطة اكتساب ثقة أمريكا ·· لأنه كما قال لى مرة « لم تعد بيننا وبين أمريكا ثقة بعد صراعها الشديد مع جمال عبد الناصر فى الخمسينات والستينات ·· وأصبحت تعتبر أن مصر دولة معادية لها فى المنطقة ··

وعدم الثقة هـذا ينسحب على أنا أيضـا باعتبار أنى خليفة جمـال عبد الناصر ·· مش أنا واحد من ثوار يوليو ؟ » ·

وبعد حرب ١٩٧٣ كان أنور السادات مقتنعا تماما بأن الاستمرار فى محاربة اسرائيل أمر لن يؤدى به الى تحقيق تحرير الأرض .. بعد تجربته مع الثغرة .. والكوبرى الذى أقامته أمريكا مع اسرائيل .. قال لى مرة يعرض موقفه وهو يجيب على سؤال طرحه بنفسه :

هل هناك جدوى من استمرار الحرب بيننا وبين اسرائيل لحل مشكلة الشرق الأوسط ؟ أنا باقول لك لأ .. لا حرب ١٩٥٦ ولا حرب ١٩٦٧ ولا حرب ١٩٧٣ اثبتت أن الحل ممكن لذلك النزاع الذى هو أعقد من ذنب الضب ..

● زى ايه ؟

قال :

ـ المسألة ان فيه دول كبرى داخله فى الموضوع .. والمصلحة الأمريكية الأساسية ان اسرائيل تظل فى المنطقة ليس ذلك فقط بل لا يسمح الأمريكيون لها بان تكون فى حالة ضعف .. لازم تكون اقوى من كل العرب .. ولا يسمح الأمريكيون أن يكون مركزها مهدد .. لأن تهديدها يعنى تهديد المركز الأمريكى نفسه .. والكلام ما زال لأنور السادات .. واسرائيل حليف قوى ومهم جدا للولايات المتحدة ولا أوافق على أنها الولاية الواحد والخمسين .. لأن لاسرائيل شخصية مستقلة ايضا يجعلها حليف ولبس جزء فقط .. هى بين كده وكده ! ..

المانيا وانجلترا حلفاء لأمريكا لكن الفرق بينهما وبين اسرائيل انه المانيا وانجلترا تقدر تعيش مستقلة عن أمريكا .. لكن اسرائيل لا يمكن فهى مصنوعة من أمريكا .. وتاكل وتتسلح من أمريكا .. زى دائما ما باقول فى خطبى والمرحوم عبد الناصر من قبل ..

وأمريكا تقدر تكسب حلفاء لها .. حتى الاتحاد السوفيتى يمكن أن تصالحه .. وتضحى باى حاجة .. الا اسرائيل .. البترول .. والمنطقة دى بتاعتنا اخطر منطقة .. ولو صالحوا السوفيت لازم يسيبوا لهم المنطقة دى .. علشان دى أمريكية خالص .. روح أمريكا هنا .. وانت رايت ماذا حدث فى ١٠٪ فقط من البترول العربى ..

(تأمل النظرة التنبؤية البعيدة المدى فى كلام أنور السادات وكان ذلك فى عام ١٩٧٥) ..

سياستنا لازم تقوم اذن على أن أمريكا لا يمكن أن تتخلى عن اسرائيل .. ولا تسمح للعرب أن يهددوها ويصبحوا فى مركز اقوى منها ! ..

وحيسكتوا عليها اذا ضربت أى بلد هنا والا هناك اذا ما رأت فيه خطر عليها ٠٠ يبقى ايه الحل ؟ ٠٠

قلت بشكل أوتوماتيكى :

ـ يبقى السلام نتقى به خطرها ونعيش معها بس بعـد ما تسيب الأرض ٠٠

قال :

ـ عارم عليك ٠٠ أهو ده اللى أنا بأعمله ٠٠ أنا طول عمرى وطنى وضد الاستعمار وأفهمه زيكم يعنى ايه امبريالية وصهيونية٠٠لكن السياسة مش « جهجهون » ٠٠

وكان السادات مغرما باستخدام « جهجهون » هذه فى كلامه ٠٠ وهى كلمة من صميم ريف المنوفية تقولها الفلاحة أمام الفرن ومعناها دون نظام أو ربط أو تخطيط ٠٠

وأنا دائما أستخدم فى كتاباتى عبارة معينة لوصف موقفى من اسرائيل ٠٠ فاقول اننى أنظر دائما اليها على أنها دولة معتدية مثلها مثل انجلترا ٠٠ علينا أن نطردها من أرضنا التى تحتلها ٠٠ ثم بعد ذلك نقيم سلاما معها ونندفع فى شارع أكسفورد ستريت نتسوق ملابسـنا من سان مايكل وسى آند ايه ومذركير ٠٠

الحقيقة أن هذا التعبير مصدره أنور السادات وهو يشخص لى نظرته الى اسرائيل فى ذلك الوقت المبكر عام ١٩٧٥ عندما كان أى زعيم عربى لا يجرؤ على القول بالاعتراف بالدولة العبرية ٠٠ ولكن هذا التعبير يعكس ما كان يطبخ فى فكر السادات بحيث أنه عندما جاء عام ١٩٧٧ لم يجد حرجا من أن يشد الرحال الى اسرائيل ويلقى خطابه الشهير فى الكنيست وفى القدس ٠٠ دون أى تحرج ٠٠

ماذا بعد حرب أكتوبر

يبدو واضحا أنه بعد حرب أكتوبر ٠٠ اختط أنور السادات خطة جديدة تماما لتحقيق الأمانى القومية العربية أو المصرية على الأقل ٠٠ هذه السياسة تقوم على أسس تالية :

● الاعتماد على الولايات المتحدة فى جنى ثمار حرب أكتوبر التى أدرك من خلال تطورها أن الحرب لن تحل مشكلة الشرق الأوسط لأن الكتلتين الكبيرتين متفقتان على عدم حدوثها واستخدام كل الوسائل للتأثير عليها أى على أمريكا لتساعده على تحقيق هدفه فى تحرير الأرض ٠

● التضحية بالصداقة السوفيتية اذا دعى الأمر كثمن للحصول على تأييد أمريكا لمطالبه من اسرائيل ٠

● الاعتراف نهائيا بوضوح بالحقيقة الواقعة وهى وجود اسرائيل كدولة فى منطقة الشرق الأوسط يجب تسوية الأمور معها سواء بطريق المفاوضات غير المباشرة أو المباشرة ٠

وكان يدرك أن جبلا من التناقض وعدم الثقة موجود بين أمريكا ومصر طوال عهد عهد عبد الناصر تقريبا ٠٠ وأن عليه ان يزيح هذا الجبل ٠٠ وكما قلت من قبل انه كان يقول دائما ان : أمريكا لا تثق بنا أبدا ٠٠ ولازم أكسب ثقتها ٠٠ ومرة سألته لماذا ؟

قال هى الطريقة الوحيدة التى تقف معنا ولو شويه ضد اسرائيل ٠٠ سألته :

● ولماذا لا تستخدم الصداقة السوفيتية المصرية للضغط على أمريكا للتوصل الى نفس النتيجة ؟ ٠

قال وهو يلوح بيده ..

بقى لنا عشرين سـنة نجرب الحـكاية دى ولم تات باى نتيجة .. أمريكا اقوى من روسيا .. وروسيا لا تستطيع أن تواصل معانا للنهاية ضد أمريكا .. حتى لو قلنا لها نحن معاك في حلف وارسو .. حيخافوا ويقولوا لأ .. لأ .. وعبد الناصر جرب مره كده .. قلت :

لكن ياريس .. الأمريكان استعمار خطير وذكى .. ولن يعطينا شيء وسيأخذ منا كل شيء ..

قال ..

أنا فاهم كل ده .. لكن لازم ألعب .. والا اسرائيل حتقعد خمسين سنة فى البلد دى .. وبينك وبينها رمال لا نهاية لها يعنى لا تقول لى حرب شعبية زى فيتنام .. زى ما سعد زغلول كان بيقول لنا فى بغداد .. (يشير الى زيارة له الى بغداد وكن هناك مؤتمر صحفى أثار فيه الأستاذ سعد زغلول فؤاد الذى كان يعمل فى صحيفة عراقية هناك موضوع حرب فيتنام ولماذا لا تسلك مصر نفس الطريق) ..

ومضى أنور السادات يقول ..

ما هو لو استمر الحال كما هو .. اسرائيـــل حتفضل قاعدة على قلبنا .. وعمرنا ما حنعرف نتحرك فى حاجـة ما دام فيه احتـلال .. وسنظل نصرخ وحنقول الشعارات بتاعتكم .. والاشتراكية والاستعمار وتضامن الشعوب والاتحاد السوفيتى بطل التحرير .. وحالنا واقف فى اليمن .. خـلاص جيشنا رجع دون النجاح اللى كنا عاوزينه .. يعنى السعودية رجعت لها السيطرة على المنطقة وابتعد التهديد المصرى لها فى نظرها .

وخلاص أنا سويت معها كل شيء وبقى لنا صداقات معها .. وعاونتنا فى الحرب وعفى الله عما سلف .. لا زعامة مصرية ولا زعيم ..

لازم أسلوب جديد .. فى مواجهة المصيبة التى نحن فيها دى !

هكذا كان السادات يفكر ..

ولذلك فانى لم أكن أدهش عندما كنت أقرأ تصريحات تبدو غريبة على سمع كل اليسار المصرى والعربى بل والعالمى حينذاك .. مثل ما قاله السادات مادحا فى كيسنجر وزير خارجية أمريكا .

« أريد أولا أن أقرر حقيقة وهى ان الدكتور كيسنجر يبذل اقصى ما يستطيع بصدق واخلاص ..

ولقد تعاملت منذ آن قامت ثورة ٢٣ يوليو وانا أحد المسئولين فيها منذ ٢٣ سنة مع وزراء خارجية أمريكا المختلفين ابتداء من دالاس وروجرز ، واستطيع أن أقــول أن دكتــور كيسنجر يمثــل تحولا أساسيا فى وجه أمريكا / وجه أمريكا كان قبيحا جدا ، ولكن دكتور كيسنجر بعمله الصادق أعاد الثقة لنا نحن الذين كنا نفتقدها فى أمريكا وهو رجل لم يخلف كلمته معى الى هذه اللحظة أى أنه رجل يثق فيه الانسان ٠٠ من أجل هذا أنا أثق فيه ٠ أما عن الراديكاليين فى العالم العربى فهذا أمر طبيعى جدا فى العائلة الواحدة لا يمكن أن يتفق الاخوة على شىء ولكن نحن نفكر الآن بعقولنا وليس بعواطفنا » ٠ واذا شئنا ترجمة هذا الكلام الى (لغة الاشتراكيين العلميين) اذا جاز استخدام هذا التعبير ٠٠ فلن نجد فرقا كبيرا بين تفسير أنور السادات لسياسة كيسنجر وتفسيراتهم العلمية ٠ انهم كانوا ايامها يقولون مثلا ان هناك جناحا من الامبرياليين الجدد على رأسهم كيسنجر ونيكسون ـ الرئيس الأسبق ـ ممن يرون الى حد كبير حقائق العصر الحالى ٠٠ من تقدم فى حركات التحرر الوطنى ونمو فى قوة الاشتراكية العلمية ايامها فيضطرون الى تغيير سياسة دالاس واضرابه من دعاة الحرب الباردة وحافة الهاوية ٠٠ الى سياسة جديدة اساسها (المفاوضة بدلا من الصدام المسلح) ٠

بل ان هذا الوعى الامبريالى الجديد بدأ منذ أيام جون كيندى عندما أصدر مجلس الشيوخ الأمريكى قانونا بمنع المعونة عن أية دولة تقوم أو تشرع فى القيام بعمل عسكرى ضــد أمريكا أو تشرع فى القيــام بعمل عسكرى ضد أمريكا أو أية دولة تتلقى مساعدات منها وكانت مصر هى المقصودة بهذا القانون وقد عارض كيندى هذا الموقف علنا فى مؤتمر صحفى فى نوفمبر ١٩٦٢ قال فيه بالحرف الواحد : « ان هذه الدول فقيرة ، وانى لا أتحدث الآن عن الجمهورية العربية المتحدة بل عن معظم هذه الدول ٠ ان هذه التهديدات بأن الولايات المتحدة تعتزم أن نقطع المعونة من شأنها أن تغرى الدول العربية على أن نقول : (اقطعوها) » ٠

واستطرد كيندى قائلا : « انها دول وطنية ومعتزة بنفسها كما أنها فى الغالب تقدمية ولا أعتقد أن التهديدات الصادرة من الكونجرس سوف تؤدى الى النتائج المرجوة فى أغلب الأحيان ٠ كما قد لا تؤدى اليها الكلمة الهــــادئة ٠

ولكن أعتقد أن ثمة دافع كبير على القول انه عندما قطعت معونة سد أسوان لم يؤد ذلك الى أن تسير الجمهورية العربية المتحدة معنا بل أدى الى عكس النتيجة ٠

« وقد واجهت سياسة أنور السادات معارضة قوية وتكونت جبهة

سميت بجبهة الرفض ٠٠ وتركز الخـلاف فى الحقيقة حـول قضية فلسطين ٠٠ والموقف من وجود الدولة الاسرائيلية ٠٠ فواقع الأمر أن الحركة الوطنية العربية فى الواقع منقسمة الى فريقين :

الفريق الأول :

ففريق منها يرى ترابطا بين الاغتصاب الصهيونى التاريخى لمساحات من فلسطين منذ وعد بلفور بل قبله مما أدى الى تشريد شعب فلسطين وبين الاحتلال الاسرائيلى لأراض عربية فى مصر وسوريا والأردن بعد عدوان ١٩٦٧ ٠ ويرى ذلك الفريق أن القضية قضية وطنية عربية واحدة ٠ أى احتلال صهيونى لأرض عربية تربطها وحدة جغرافية وسياسية ومصيرية ٠ ويترتب على هذا الرأى أنه يلزم عدم تجزئة النضال العربى لتحرير أرض دون أرض ، باشعال حرب شعبية طويلة ولو لعشرات السنين ضد الاحتلال الصهيونى ومن يساندونه حتى تنتهى تلك الحرب بالقضاء على مصدر ذلك الاحتلال (اسرائيل) ٠ ويضرب أنصار هذه الفكرة المثل بنضال الشعوب وخاصة فى فيتنام وكمبوديا والجزائر ٠ وهم يتحدثون دائما عن حتمية انتصار الشعوب وضرورة وجود القيادات الثورية لمثل تلك الحرب الشعبية الطويلة الأمد وعن عدم الاكتراث بالتضحيات مهما كانت جسيمة فالشعوب قادرة على اعادة بناء حياتها بعد الدمار الذى يلحق بها فى معارك التحرير ٠

وهم يشبهون الوضع فى فلسطين دائما بالوضع فى جنوب افريقيا وروديسيا وغيرها من نماذج الاستعمار الاستيطانى ٠

الفريق الثانى :

ولا خلاف بين هذا الفريق والفريق الأول فيما يتعلق بوحدة النضال والمصير العربى وتهديد الأطماع الصهيونية للعالم العربى كله ٠٠ ولكنه يرى أن الحل المطروح الآن أمام حركة التحرير العربية هو تحرير كل الأراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وعدم التعرض لوجـود اسرائيـل كدولة موجودة ومعترف بها عالميا ٠ ولقد ظل ذلك الفريق يستخدم عبارة غامضة هى (تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى) دون أن يوضح ماذا يعنى بتلك الحقوق المشروعة ، وذلك بهدف عدم (التورط) صراحة فى تقبل وجود اسرائيـل ومن أجل عدم التناقض علانيـة مع رأى الفريق الأول ٠ فصدور مثل تلك العبـارة المبهمة فى البيانات المشتركة يترك الباب مفتوحا لتفسير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى حسب وجهات النظر المختلفة ٠

على أنه بالتدريج بدأ ذلك الاتجاه يوضح ماذا يقصد بتلك العبارة وهو قصد لا يخرج عن اقامة دولة فلسطينية فيما تبقى من أرض فلسطين

(الضفة الغربية وغزة) وعودة من يشاء من اللاجئين الفلسطينيين الى مواطنهم الأصلية أو تعويضهم تعويضا عادلا حسب رغبتهم ٠

وهذا الفريق يرى أن الدولة الفلسطينية فى تلك الحدود هى (الممكن الوطنى) الوحيد اليوم ٠ وغدا فى المستقبل فى ظل ظروف كيفية أخرى يمكن تحقيق الحلم الاستراتيجى الثورى وهو الدولة الفلسطينية العلمانية الديمقراطية التى تضم المسلمين واليهود والمسيحيين وفقا للاختيار الحر لكل الأطراف أى لليهود والعرب معا بأسلوب ديمقراطى كامل ٠

حول هذين الرأيين تنقسم الحركة الوطنية العربية ٠ وللحقيقة والتاريخ فان معظم التناقضات بين صفوف القوى الوطنية العربية تنبع من هذا الخلاف ٠

بل ان أعتى القوى العربية رجعية كانت تتلفع بعباءة الرأى الأول فى حربها ضد جمال عبد الناصر وسياسته المعادية للاستعمار والتخلف فى المنطقة ٠ وتثير حربا شعواء ضد التسليم والخيانة والتفريط فى حقوق عرب فلسطين ٠٠ وفلسطين المغتصبة والشهيدة ٠٠ الخ ٠ وكان أكثر العرب تخلفا وحماقة يتشدق بعبارات طنانة مثل ٠٠ القضاء على اسرائيل والقائها فى البحر أو على الأقل القذف باليهود مرة أخرى الى ديارهم الأصلية من حيث أتوا ٠

أعنى أن ذلك الشعار الثوروى وليس الثورى المتعلق بقضية فلسطين كان قميص عثمان للهجوم على جمال عبد الناصر من جانب خصومه العرب فى تلك الأيام ٠

وكان قميص عثمان استخدمته جبهة الرفض ضد أنور السادات ٠ فمن لا يعمل ويناضل من أجل القضاء على الدولة الاسرائيلية بقضها وقضيضها فهو (تصفوى) (واستسلامى) (وخائن) أو على الأقل (يحرك ولا يحرر) ويتهاون مع الاستعمار الأمريكى و ٠٠٠ الخ ٠

أين موقع عبد الناصر ؟ :

ولما كان هناك فريق كبير من جبهة الرفض ممن كانوا يتلفعون بعباءة الناصرية فانه قد يكون من المناسب أن نطرح سؤالا : ماذا كان موقع جمال عبد الناصر من الفريقين اللذين عرضنا رأيهما فى قضية فلسطين ؟ حتى يفهم أبناء الجيل الحالى الذين لم يعاصروا الأحداث الحقيقية ٠

هل كان جمال عبد الناصر يدعو أو يعمل للقضاء على اسرائيل لتعود فلسطين كلها دولة عربية ؟

لنستقرىء التاريخ معا :

ان جمال عبد الناصر قد سمح بعد عدوان ١٩٥٦ للسفن الاسرائيلية أن تمر فى خليج العقبة ٠٠ ورغم عدوان اسرائيل الا انه كان يرد على دعاوى واستفزازات خصومه العرب بأن من يريد محاربة اسرائيل فلابد أن يعرف أنه يحارب الولايات المتحدة وأن ذلك لا يمكن تحقيقه الا اذا توحد العالم العربى وأصبح العرب قوة ٠

صحيح أن موقف عبد الناصر من وجود اسرائيل كدولة فى المنطقة ظل غامضا حتى حرب ١٩٦٧ ٠ بل انه فى مؤتمره الصحفى المشهور فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ الذى صحب المظاهرة العسكرية التى أراد أن (يهوش بها اسرائيل وأمريكا حتى لا تهاجم اسرائيل سوريا ، كان حريصا على أن يؤكد أنه ليست لدى مصر نية (العدوان) على اسرائيل انما كشفت للعالم أن اسرائيل هى التى تهدد وأن مصر (ستدافع) عن نفسها ضدها اذا حدث العدوان ٠

على أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبح موقف عبد الناصر واضحا من الوجود الاسرائيلى فى المنطقة ٠٠ اذ سلم به تماما وبصراحة ٠

وكانت أول خطوة ظاهرة على الطريق هى قبوله القرار ٢٤٢ الشهير الصادر من مجلس الأمن وهو قرار يؤكد وجود اسرائيل مثلها مثل أى دولة مستقلة أخرى فى المنطقة ٠٠ ويؤكد ضمان حدود آمنة أما موقفه من قضية اقامة دولة فلسطينية فلم يحدد القرار شيئا بشأنها وانما اعتبر قضية الشعب الفلسطينى مجرد قضية لاجئين ٠ وكان جمال عبد الناصر هو الذى قبل جولات يارنج بين القاهرة وتل أبيب للبحث عن وسيلة لتطبيق قرار مجلس الأمن ٠٠ ثم هو الذى قبل مبادرة روجرز التى بدت كمحاولة أمريكية لوضع القرار ٢٤٢ المذكور موضع التنفيذ ٠

وصرح جمال عبد الناصر عدة مرات لصحف أجنبية وخاصة اللوموند الفرنسية وللصحفى الفرنسى ايريك رولو بالذات أنه مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل اذا انسحبت من الأراضى العربية المحتلة كلها ٠

(وكان كل ما يحدث أحيانا هو حذف مثل هذه التصريحات من الترجمة العربية لما تنشره تلك الصحف الأجنبية !) ٠

واستمع زعماء المقاومة الفلسطينية وخاصة السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى رأى جمال عبد الناصر ونصيحته لهم بقبول فكرة اقامة دولة فلسطينية فيما تبقى من أرض فلسطين ٠

ونحن المصريين ونحن العرب لا نعيش فى المريخ وانما نعيش على كوكب الأرض ٠٠ ولذلك لم نر قط أى استعداد أو تنظيم من أى نوع

أعده الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لاثارة حرب شاملة مستمرة كالحرب الفيتنامية من أجل استرداد الأرض التى اغتصبتها الصهيونية من فلسطين ٠

بل انه قبل وقف القتال عام ١٩٦٧ ولم يحول الحرب الى حرب شعبية مثلا ! ٠٠

هذا هو موقف جمال عبد الناصر من مشكلة الوجود الاسرائيلى ٠ أى أن موقف رئيس الأمس هو موقف رئيس ما قبل الأمس ٠٠ بل نستطيع أن نقول ان السادات قد خطا بالقضية خطوة واسعة الى الأمام ٠٠

اذ انه لم يتمسك بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الشهير ، بل انه وضع القضية امام العالم كله على انها ايضا تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى شكل دولة ٠ وليست مشكلة لاجئين كما نص على ذلك القرار ٢٤٢ ٠ كما تمسك السادات بان يكون الفلسطينيون طرفا أصيلا فى حل المشكلة مثلهم كمثل أى دولة عربية من دول المواجهة فى أى مباحثات دولية للتوصل الى تسوية شاملة للمشكلة ٠ بل ان السادات استطاع أن ينتزع من النظام الأردنى الذى طرد وطارد المقاومة الفلسطينية الباسلة اعترافا بالتدريج جزئيا حقا فى البداية ولكن شاملا فى النهاية فى مؤتمر الرباط بأن منظمة التحرير هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ٠

واصبحت منظمة التحرير مراقبا فى هيئة الأمم ٠٠ وعضوا عاملا فى منظمة الدول غير المنحازة ٠٠ وأصبح الاعتراف بها عالميا بفضل مجهود السادات ٠

أى الفريقين أصح ؟

عندما نقول ان أصحاب الرأى الثانى ـ ومن بينهم جمال عبد الناصر ـ هم أصحاب الرأى السليم فنحن لا نجاوز الحقيقة ٠٠ ان سلامة أى خطة سياسة تقترن بالدرجة الأولى بملاءمتها للظروف الموضوعية والذاتية التى يمكن أن تكسب تلك الخطة السياسية (النظرية) قوة مادية على أرض الواقع ٠ ولا تتحدد سلامة أى خطة سياسية على الاطلاق بمدى ضخامة الشعارات التى تطرحها تلك الخطة ٠

وبالنسبة لقضية فلسطين ٠٠ لقد أثبتنا انه فى وقت من الأوقات (١٩٤٨) كان شعار التقسيم هو (أحسن الحلول السيئة) ٠٠ أو الحل الممكن الوحيد فى تلك الفترة ٠٠ ومن هنا فقد كان الحل السليم ٠٠ أى الحل الثورى ٠

بينما كان شعار الحرب ضد اسرائيـل الذى طرحته بعض القوى العربية وانحرفت وراءها قوى وطنية عربية أصيلة كان شعارا ديماجوجيا لم يؤد الا الى تنفيذ المؤامرة ضد الوجود الفلسطينى لا الوجود الاسرائيلى ٠٠ وضد تقدم حركة التحرر الوطنية العربية عموما ٠

فاذا ما تنـاولنا الموقف الآن فاننـا سنجد أنه منذ عدوان ١٩٦٧ (وقبله طبعا) طرحت المقاومة الفلسطينية شعار القضاء على اسرائيل ٠٠ وعندما لم يجد ذلك الشعار صدى فى الرأى العام العالمى بل سبب للقضية أضرارا محققة غيرت المقـاومة الشعار واستبدلته بشـعار آخر هو اقامة الدولة الفلسطينية العلمانية الديمقراطية ٠٠ ولكن هذا الشعار تحول فى الحقيقة الى شعار للقضاء على اسرائيل من جديد ٠٠ ولكن من النافذة ؟ اذ أبرز أصحابه أن وسيلتهم لتحقيقه هى استمرار الكفاح المسلح لاقتحام الكيان الصهيونى واجتثاث الصهيونية من جـذورها واقامة تلك الدولة الفلسطينية المنشودة ولكن اخيرا وافقت منظمة التحرير على اقامة دولة فلسطين واعترفت باسرائيل وسعت الى التفاوض معها ٠

ولابد من الاعتراف هنا أن المقـاومة الفلسطينية التى تمثل أعظم وأنبل ما اتجه الشعب الفلسطينى شأن أى مقاومة شعبية فى العالم ليست هى المسئولة وحدها عن طرح مثل ذلك الشعار غير الواقعى ٠

انما ساعدها على ذلك نفر ممن يمكن تسميتهم بالمنتفعين بالقضية الفلسطينية خصوصا بعض الكتاب والصحفيين الذين تصدوا فى مجالات الاعلام والدعاية باسم المقاومة أو لصـالحها ٠٠ ومجال الاعلام كما هو معروف هو أسهل المجالات (النضالية) فهو غالبا نوع من كفاح الفنادق ودردشات الكافيتريات والحفلات والسفريات التى لا تنتهى ٠٠

وهـذا النفر من الرجال مارسـوا المزايدة على الثورة الفلسطينية وزينوا لها شعارات لا تعدو أن تكون نوعا من الأوهام السياسية من أجل الانتفـاع والنصب والاحتيال وبعض هؤلاء يكاد يكون من مصلحتهم ألا تحل المشكلة الفلسطينية وأن يستقر الشعب الفلسطينى فى وطن لأن ذلك سيضع حدا للامتيازات والعمارات والمصروفات (النثرية) المختلفة أو بالقليل الاستمرار فى ارتداء ثياب الشهداء والمناضلين المزموقين ونحن نتكلم وعندنا تفاصيل ولكن ليس هذا وقت فتح ملف الثورة الفلسطينية ليكشف حقيقة أولئك المنتفعين من خارج تلك الثورة الذين انتفعوا بالمزايدة على نضـــال وتضحيات المناضلين الفلسطينين البواســل الذين يربطون الأحزمة الناسفة ليفجروا ممتلكات وتجمعات العدو ويستشهدون فى بطولة وتضحية فذتين ويندفعون الى الشوارع فى انتفاضة شعبية باسلة ٠٠ واستطاع السادات أن يحقق اتفاقية الفصل الأول بين القوات التى ردت

اسرائيل الى سيناء بعد ان كانت فى الضفة الغربية عند السويس .. ثم جاءت مفاوضات مع كيسنجر مارس ١٩٧٥ وفشلت لأن اسرائيل طالبت بانهاء حالة الحرب .. ثم وقعت اتفاقية الفصل الثـانية التى ردت اسرائيل الى ما وراء المضايق .. وأقيمت أجهزة الانذار المبكر .. ثم تجمد الموقف عنـد ذلك .. والسادات يواصل تحييد الولايات المتحدة فى صراعه مع اسرائيل لكن نتائج حرب أكتوبر ما كان يمكن أن تتعدى هذا اذ لم ننتصر انتصار كملا فى تلك الحرب كما ذكرنا من قبل .ولم يكن السادات هو الذى ابتكر محاولة تحييد أو استمالة أمريكا فقد سبقه جمال عبد الناصر الى ذلك . اننا عندما نستقرىء التاريخ نجد أن ثورة ٢٣ يوليو حاولت أكثر من مرة تقليل حدة عداء الولايات المتحدة لها .. بل واتبعت سياسة محاولة (تحييد) أمريكا فى الصراع العربى الاسرائيلى . والذى يرجع الى الرسائل المتبادلة بين الرئيسين عبد الناصر وجون كيندى يلمس ذلك بوضوح .

وقبل عدوان ١٩٦٧ فى مؤتمره الصحفى الشهير فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ حاول تحييد أمريكا باستماتة بل حاول استمالتها اذ قال امام كل صحفيى العالم : لا .. طبعا باين من الكلام ان العلاقات بيننا وبين أمريكا سيئة جدا مفيش اتصالات بيننا وبين الولايات المتحدة فى الوقت الحالى . احنا بنعتبر أمريكا متحيزة وواخدة جانب اسرائيل ١٠٠٪ .

طبعا هذا يؤثر على العلاقات بيننا وبين امريكا . مفيش مشكلة بيننا وبين أمريكا فى الأمر القائم . لكن المشكلة بيننا وبين اسرائيل ايه اللى دخل أمريكا فى الموضوع ؟

لأسباب طويلة نعرفهـا وللأصـوات اليهودية فى امريكا وللأسباب التاريخية المعروفة تحيزت أمريكا تحيزا كاملا لاسرائيل وتجاهلت تجاهلا كاملا حقوق العرب المشروعة » .

واستطرد جمال عبد الناصر قائلا فى تودد الى أمريكا : « امريكا كأكبر دولة .. كاقوى دولة .. كاغنى دولة يجب أن تكون عادلة فى معاملتها للعالم حتى ينظر اليها العالم بثقة واحترام » .

بل اننا نرى عبد الناصر يمضى فى الشوط الى نهايته فبرغم وضوح معاداة أمريكا للعرب واستعدائها لكل دول العالم الغربى ضدهم وحشدها على غرار حشد جمعية المنتفعين بقناة السويس عام ١٩٥٦ ، فانه ما كاد يتلقى رسالة من جونسون المنافق الأكبر يقول فيها « انه كان يفكر فى ارسال نائبه هيوبرت همفرى الى منطقة الازمة » ما كاد عبد الناصر يتلقى تلك الرسالة حتى بعث لجونسون فى اليوم التالى (٣ يونية ١٩٦٧)

برسالة يقول فيها انه قرر ايفاد نائبه زكريا محيى الدين الى واشنطن للاجتماع مع جنسون ليشرح له وجهة النظر العربية فى النزاع حينذاك ٠

واعلن عن موعد سفر زكريا محيى الدين فعلا يوم ٦ يونية لولا اندلاع الحرب فى ٥ يونية ٠

وقبل عبد الناصر القرار ٢٤٢ الذى اقترحه الغرب (بريطانيا) وأيدته أمريكا ٠

وفى مايو ١٩٧٠ وجه عبد الناصر رسالته المفتوحة الى نيكسون وقال فيها مستمرا فى اتباع خط تحييد أمريكا بالحرف الواحد : « أريد أن أقول اذا كانت الولايات المتحدة تريد سلاما فعليها أن تأمر اسرائيل بالانسحاب ٠ ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأتمر اسرائيل بأمرها ٠ هذا حل ٠

والحل الثانى : اذا لم يكن فى طاقة أمريكا أن تأمر اسرائيل ٠٠ فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت أراؤنا فيه ٠ ولكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا وهو بالتأكيد فى طاقة أمريكا ـ ذلك الطلب هو ان تكف عن أى دعم جديد لها ما دامت تحتل أراضينا » ٠

وقبل عبد الناصر بعد ذلك مبادرة روجزر ١٩٧٠ ٠٠ ورحب بوزير الخارجية الأمريكى وقبل وقف حرب الاستنزاف ٠ ومع ذلك رفض الأمريكيون وأصروا على رفض التعاون مع النظام المصرى ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ ببساطة لأنه كان نظاما وطنيا وعملوا دائما على تدبير المؤامرات لاسقاطه وقتل قائده كما كشفت التحقيقات فى مخازى وكالة المخابرات الأمريكية عن تدبير أربع محاولات لاغتيال جمال عبد الناصر ٠

وعندما خلف أنور السادات رفيق نضاله عبد الناصر فى الرئاسة استمر فى نفس السياسة ـ سياسة محاولة (تحييد) أمريكا ٠

فمد عدة مرات فترات وقف حرب الاستنزاف ٠٠ وأجرى الاتصالات الدولية العديدة ٠

وبعث بالرسل الى المسئولين الأمريكيين ٠٠ وآخرهم حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومى حينذاك فى ٢٣ فبراير ١٩٧٣ ليتباحث مع نيكسون رئيس الولايات المتحدة آيامها مطالبا اياه بتحمل مسئوليته لاجبار اسرائيل على تنفيذ القرار ٢٤٢ الشهير الذى شاركت أمريكا فى صنعه واقراره ٠

ولكن نيكسون هز رأسه قائلا انه يرى أن الطريق الأمثل لحل الأزمة هو اجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين المتنازعين العرب واسرائيل !

وتراجع روجرز وزير الخارجية وصاحب (مبادرة روجرز) عن تلك المبادرة ودعا العرب الى اجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل لتنظيم كيفية فتح قناة السويس واعادة الملاحة فيها على الفور !

وفى ٢٥ فبراير من العام نفسه صرح جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط وقتها أن أمريكا ليس فى نيتها استخدام أى ضغط على اسرائيل ٠

ولقيت خطب جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل حينذاك بشأن رغبتها فى لقاء مباشر مع الرئيس السادات للتفاوض معه فى أى مكان يشاء تأييدا ومباركة أمريكية ٠

وعندما لم تجد النصائح الامريكية آذانا صاغية لدى القيادة المصرية أعلنت الولايات المتحدة بعدها بأيام مد اسرائيل بثمان وأربعين طائرة فانتوم جديدة ! وأعلن نيكسون اقتراحه المعروف باعادة خريطة الشرق الأوسط ومعنى ذلك تعديل الحدود (وهذا مطلب اسرائيل لضم والحاق مزيد من الأرض العربية مما احتلته بعد عدوان ١٩٦٧) ٠ ولكن كان مصير المحاولات المصرية فى عهد عبد الناصر لتحييد الولايات المتحدة أو لاتخاذ سياسة أقل عدوانية الفشل ولكن المحاولة نجحت ولو جزئيا مع السادات ٠٠ مع دفع الثمن طبعا وهو اضعاف العلاقة بين مصر والسوفييت الذين كان السادات يؤمن بأنهم لن يفيدوه بشىء فى حل النزاع العربى الاسرائيلى وهو ما أثبتته الأيام بعد ذلك بل انهار وجودهم ونفوذهم عالميا تماما ٠ ولم تكن هناك محاولات مصرية فقط ٠٠ بل كانت هناك محاولات عربية وخصوصا من الأصدقاء التقليديين للولايات المتحدة ٠٠ كان النظام السعودى يطلب أمريكا باتباع سياسة أكثر تفهما بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى على الأقل حرصا على المصالح الأمريكية فى المنطقة اذا تفجر الموقف ٠

الأصدقاء والحرب ضد أمريكا

ولان الكثيرين لا يعرفون تفاصيل ما جرى أيام حرب أكتوبر خاصة من جيل الشباب ٠٠ فان المسلك الانتحارى الذى قام به صدام حسين رئيس العراق فى الزج ببلاده فى أتون الحرب يوم ١٦ يناير ١٩٩١ وهو يعلم علم اليقين أن امريكا قد حشدت ستمائة الف جندى وآلاف الطائرات والبوارج والصواريخ لضربه ضربة قاصمة ٠٠ قد ذكرنا نحن بموقف آخر لأنور السادات أنقذ القوات المسلحة المصرية من مؤامرة أمريكا عليها عندما بدأت تمد اسرائيل بالأسلحة ٠٠ فقد أعلن انور السادات فى وضوح فى رسالته للرئيس حافظ الأسد يوم ١٩ أكتوبر انه لا قبل له

بمحاربة الولايات المتحدة فقد أصبح واضحا أن المدد الأمريكي يتدفق على اسرائيل . بل ان (متطوعين) أمريكيين قد اشتركوا فعلا فى القتال ، سواء فى قيادة الطائرات الجديدة التى استعوضت بها اسرائيل خسائرها الفادحة ، فى الأيام الأولى للقتال وكذلك الدبابات الأمريكية التى كانت تنزل فى العريش بشحم المصانع .

ولم يعد هذا الاشتراك الأمريكى الفعلى فى حرب أكتوبر فى صف اسرائيل عندما أوشكت الهزيمة أن تلحق بها سرا . فقد نشرت عدة صحف أمريكية مثل (الجارديان والديلى وركر والميلتانت) معلومات تفصيلية عن هذا الاشتراك بأسماء الموانى والمطارات التى كان يتم فيها امداد اسرائيل بالسلاح ، علاوة على امدادات (المتطوعين) من العسكريين الأمريكيين وعددهم .

ولأهمية هذا الموقف فى تاريخ حرب أكتوبر نسجل هنا نص تلك الرسالة التى بعث بها السادات لحافظ الأسد فى ١٦ أكتوبر :

« لقد حاربنا اسرائيل الى اليوم الخامس عشر .. وفى الأيام الأربعة الأولى كانت اسرائيل وحدها فكشفنا موقفها فى الجبهتين المصرية والسورية وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين . وأكثر من مائتى طائرة . أما فى الأيام العشرة الأخيرة فاننى على الجبهة المصرية احارب أمريكا بأحدث ما لديها من أسلحة .

اننى ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا وأن أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى . لذلك فاننى قد أخطرت الاتحاد السوفييتى باننى أقبل وقف اطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

١ ـ ضمان الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة بانسحاب اسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتى .

٢ ـ بدء مؤتمر سلام فى الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفييتى .

ان قلبى يقطر دما وأنا أخطرك بهذا ولكنى أحس أن مسئوليتى تحتم على اتخاذ هذا القرار ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب » .

ومن المناسب أيضا أن نسترجع للقارىء بعض المعلومات عن مدى المساهمة الأمريكية فى حرب أكتوبر .

فى ١١ أكتوبر أعلن الرئيس الأمريكى نيكسون أن الولايات المتحدة تقوم فعلا بشحن الطائرات والصواريخ والقنابل من قاعدة بتسوانا الجوية فى فرجينيا٠وأن ثمانى عشرة طائرة فانتوم قد وصلت الى مطار اللد فعلا ٠

وفى يوم ١٣ أكتوبر أعلنت أمريكا انهـــا شحنت ذخائر لأنواع المدفعية المختلفة وصواريخ من أحدث طراز بل انه فى يوم ١٦ أكتوبر ــ بداية الثغرة ــ بعثت القيـــادة البحرية الأمريكية بحاملة الطائرات (ايوجيما) لتعزيز قوة الأسطول السادس فى البحر الأبيض ٠

ولم يخجل رئيس أركان سلاح الطيران الأمريكى من أن يعلن على الملا أن طيارين أمريكيين قد قادوا خمسا وثلاثين طـائرة فانتوم بدون توقف الى اسرائيل ٠ وأن الطائرات الاستراتيجية الأمريكية قد زودت تلك الطائرات بالوقود جوا وهى فى رحلة السبعة آلاف كيلو متر من أمريكا الى اسرائيل هذا غير عشرات الألوف من الأطنان من الصـــــواريخ والدبابات من طراز م ــ ٦٠ ٠ كل هذا لتعويض ما فقدته اسرائيـــل فى المعركة وتمكينا لها من مواصلة الحرب ٠

ولا ننسى أن طائرتين أمريكيتين هما اللتان قامتا بمهمة الاستطلاع فوق الأراضى المصرية والسورية لمدة ٣٥ دقيقة يوم ١٣ أكتوبر وأعطتا الاسرائيليين معلومات عن وجود ٤٠ كيلو مترا تمثل المفصل بين الجيش الثانى والثالث ٠٠ ومهد ذلك للثغرة ٠

ولقد اعترف المتحدث الرسمى بلسان وزارة الدفاع الأمريكية فى ١٩ أكتوبر بوجود عدد محدود من القوات الجوية الأمريكية العاملة فى اسرائيل وكذلك بوجود أطقم للخدمة الأرضية فى مطار تل أبيب ولتبرير هذا كله خرجت وسائل الاعلام الأمريكية تعزف معزوفة واحدة هى أن هناك خبراء وطيارين سوفيت وكوريين شماليين يساهمون فى المعارك الجوية ضد الطائرات الاسرائيلية ٠٠ وما زالت هناك أسرار كثيرة عن الدور الأمريكى فى حرب ١٩٧٣ لم تكشف بعد وساعد على طمسها التطورات فى العلاقات المصرية الأمريكية فيما بعد ٠

وظل أنصـــار جبهة الرفض يرددون أن اعلان رفض القتال ضـــد الولايات المتحدة هو نوع من التقاعس أو الانهزامية فى مواجهة العدو ٠

ولكن لمـاذا مواصلة القتـال ؟ ٠٠ لمـاذا لا تطرق القيـادة المصرية والسورية طريق الحل السلمى وتجربه ؟

أجاب عن ذلك أنور السادات فى حديثه معى المنشـــور فى مجـلة روز اليوسف فى أبريل ١٩٧٥ :

سؤال :

سيادة الرئيس .. ما تزال نظرتك الى دور الولايات المتحدة فى حاجة الى تفصيل أكبر .. لقد صرحت أكثر من مرة وكررت التصريح أثناء زيارة الرئيس نيكسون للقاهرة بأن الولايات المتحدة قد غيرت سياستها نحو مصر فما المعنى الذى قصدته بالدقة وما هى أبعاد هذا التغيير خاصة وأننا نرى الولايات المتحدة مستمرة فى تسليح اسرائيل وبنفس الحماس القديم ؟

أجاب الرئيس :

ـ ومن قال ان أمريكا لن تواصل تسليح اسرائيل ؟ لقد سلحتها قبل الحرب وأثنائها وبعدها ! ..

ان الدبابات التى أسرعت من العريش الى ميدان القتال رأسا كانت أمريكية وكل طائرة فانتوم أسقطناها أو أفلتت منا كانت أمريكية .

لقد أكدت أكثر من مرة أن التغيير فى السياسة الأمريكية ليس تحولا عن مساندة اسرائيل الى مساندة العرب ولست أظن أنه سيكون كذلك أبدا . على الأقل فى حياة جيلنا الحالى ؟!

ان التغيير فى السياسة الأمريكية هو باختصار : فعل جديد أمام حقيقة عربية جديدة .

نحن غيرنا الصورة فتغير رد الفعل . قبل أكتوبر لم تبال الولايات المتحدة حتى بالاستماع الينا ورفضت أن تحمل قضيتنا على محمل الجد أو حتى تدرجها فى جدول أعمال اهتماماتها فلما عبر الجندى المصرى القناة وحطم خط بارليف وحطم معه نظرية الأمن الاسرائيلى وفوجئت الولايات المتحدة بمصالحها البترولية عارية بلا حماية .. كان لابد أن تعيد النظر فى سياستها وأن تسرع الى تغييرها .. وهو تغيير مصدره نحن ويجب أن نستفيد منه ونطوره ؟ ..

وامتدادا لهذا الوعى بالتغيير الذى ألم بالسياسة الأمريكية ازاء التغيير الذى حدث فى الموقف العربى يمكن أن نفهم تفسير الرئيس لمعنى اعلانه لحافظ الأسد (وهو الاعلان الذى نشرنا نصه فى صفحات سابقة) انه غير مستعد لمحاربة أمريكا .

وقد فسر الرئيس ذلك فى حديثه معى أيضا .

كان سؤالى :

الى أى مدى تتوقع أن تطور الموقف الأمريكى يا سيادة الرئيس ؟ البعض يقولون أن مصر هى التى غيرت موقفها وليس الولايات المتحدة ..

وهم يستشهدون بحديث سابق لسيادتكم قلتم فيه أنكم كتبتم الى الرئيس حافظ الأسد تقولون أن امريكا دخلت بثقلها فى الحرب وأننا على غير استعداد لمحاربة أمريكا • وكانت اجابة الرئيس واضحة أيضا كعادته اذ قال :

– نعم قلت هذا ، وكانت أمريكا هى التى تحاربنا فعلا •• ولكن كيسنجر كان فى نفس الوقت يوقظ المستر هيث رئيس وزراء بريطانيا وقتها ليرجوه أن يتصل بنا لنقبل ايقاف القتال •

حدث هذا فى ١٣ أكتوبر فى عز انتصار قواتنا وانحدار القوات الاسرائيلية ، وفى الوقت الذى بدأت فيه أمريكا تدخل بكل ثقلها وبأسلحة جديدة تماما ميدان المعركة •

ماذا كنت تفعل وقتها ؟

أمريكا قررت أن تحاربك ، وفى نفس الوقت تلح على وقف القتال معنى هذا إنها بدأت تدرك ما لم تكن تدركه من قبل • وأنها مستعدة لفهم جديد ولتبنى سياسة جديدة •

هل كان على وقتها أن أستمر فى الحرب بما يتبعها من آثار ، أم أستفيد من التراجع الأمريكى ؟

اننى واثق من أن التاريخ سيحاسبنى لو واصلت القتال ضد أمريكا بدلا من أن أستفيد بتراجعها وأشجعه وأعمقه • وهذا ببساطة هو ما فعلته ، وأعتقد أننا حتى الآن كسبنا من هذه السياسة ولم نخسر شيئا •

حكاية ٩٠٪ من أوراق اللعبة ؟

كان الرئيس السادات كثيرا وهو يعبر عن سياسته يقول بأن ٩٠٪ أو ٩٩٪ من أوراق اللعبة (يقصد قضية العدوان الاسرائيلى) فى يد الولايات المتحدة •

وخصومه صوروا دائما أنها تعنى الاعتماد على الولايات المتحدة فقط فى ازالة آثار العدوان الاسرائيلى وعندما ناقش الأستاذ لطفى الخولى رئيس مجلة الطليعة تلك القضية مع الرئيس أنور السادات قال له « •• فأنا عندما أقول ذلك (٩٠٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا) انما أقصد أنه بسبب أن اسرائيل تعتمد فى حياتها اعتمادا كليا على أمريكا إبتداء من رغيف الخبز حتى الفانتوم فان ٩٩٪ من قوة الضغط على

اسرائيل ـ وهـذا ما أعنيه بأوراق اللعبة ـ هو فى أيدى الأمريكيين ٠ لا أكثر من ذلك ٠ وأعتقد أن السوفييت وهم بارعون فى الحسـابات السياسية يوافقوننى على ذلك ٠ ويبقى أساسيا بعد ذلك فى سبيل تحريك هذا الضغط الأمريكى استخدام قوانا الذاتية ـ مصريا وعربيا ـ وكل القوى الصديقة والرأى العام العالمى بما فى ذلك الرأى العـام الأمريكى ذاته » ٠

وقد قال السادات نفس هذا الكلام تقريبا فى الكويت فى مؤتمر صحفى يوم ٢٩ فبراير ١٩٧٦ اجابة على سؤال عن نفس الموضوع وأكد أنه كى نستطيع انتزاع هذه التسعين فى المائة من ورق اللعبة من الولايات المتحدة يجب أن نكون مستعدين وجاهزين وأقوياء والا فلن يسأل أحد عنـا قط ٠٠ وواقع الأمـر أن هـذه الموضـوعة السياسية التى طرحهـا السادات هى ادانة كاملة للولايات المتحدة وتوصيف لهـا بأنهـا العدو الأساسى والحقيقى الذى يعتدى على العرب والذى يجب على العرب أن يوجهوا أسلحة ضغطهم ضده سواء كانوا فى الحرب أو السلام ٠

ذلك لأنه اذا كانت الولايات المتحدة هى التى تملك اجبار اسرائيل على الانسحاب من الأرض المحتلة فانها هى العدو فعلا ٠

وهذه حقيقـة معروفة يؤمن بهـا خصوم الولايات المتحدة ، ففيم الخلاف بينهم وبين السادات اذن ؟

انهم يعتقدون أن اسرائيل أداة الولايات المتحدة وكلب حراستها فى المنطقة ٠ من اذن بيده مقود جذبه ومنعه من عقر المارة أو تسليطه عليهم ؟

وضد من كان طلب السادات استخدام سلاح البترول ؟ ٠ هل كان ضد اسرائيل أم ضد سادة اسرائيل وعلى رأسهم الولايات المتحدة ؟ وضد من سعى لاقامة التضـامن العربى ٠٠ وضـد من سعى لتقوية الأجنحة الامبريالية المستنيرة جزئيا فى الولايات المتحدة وهى التى ترى اقامة سياسة متوازنة بين العرب واسرائيل ؟

أليس ضد أكثر الأجنحة عدوانية وتخلفا ؟ ٠ ومن أجل ماذا كان السادات يتعامل فى اطار النضـال الدبلوماسى وتحريك القوى الدولية وعقد تحالفات مع قوى غربية حليفة تقليديا لأمريكا للاقرار بحقوق العرب والفلسطينيين ؟

أليس هذا موجها لحصار الولايات المتحدة والضغط عليها ؟ وفى نفس الوقت كان يتعامل مبـاشرة مع أمريكا ويتفـاوض معهـا ويحاول الحصول منها على أكبر قدر ممكن !

الفارق الوحيد بين تصور الرافضين لدور أمريكا وتصور السادات هو فى الألفاظ ٠٠ الرافضون وغيرهم كانوا يقولون الامبريالية ٠

والقيادة السياسية المصرية تقول معظم أوراق اللعبة فى يد أمريكا ٠ أى أنها العدو الذى يحرك الأداة ٠ ولكن بلغة رقيقة : والباب مفتوح فى النضال السياسى لأشكال وأساليب مختلفة مرة تكون خطوة بخطوة ٠٠

ومرة فى مؤتمر جنيف ٠٠ هكذا ٠٠ والمعيار دائما هو أمران :

الأول الا يحدث تنازل عن المطالب الوطنية فى المرحلة الراهنة ٠

الثانى ـ النتائج التى يحققها التكتيك المستخدم من حيث تقريبها للتوصل الى التحقيق الكامل للمطالب النهائية المحددة ٠

ومن الملائم هنا أن نقرأ تفسير أنور السادات لاتباعه سياسة الخطوة فى مناقشته مع الأستاذ لطفى الخولى التى أشرنا اليها من قبل والمنشورة فى جريدة الأهرام ١٩٧٦/٢/٤ :

قال لطفى الخولى ونذكر القارىء هنا بأنه جاءت فترة كان يلتقى فيها بالسادات كثيرا ٠

« وعلى حد تعبير الرئيس السادات فى حديث خاص أنه من خلال دراسته للتحرك السياسى الفيتنامى فان اصطلاح (الخطوة خطوة) اصطلاح فيتنامى فى الأصل وليس أمريكيا ٠ وهو بالتالى سياسة فيتنامية ثورية قصد بها كسب ما يمكن كسبه خلال المباحثات الثنائية بين « ليوديوك ثو » وبين الدكتور هنرى كيسنجر الذى كان قد تفهم عدم مصلحة أمريكا فى التورط فى الحرب الفيتنامية ٠ واستمر الفيتناميون فى اتباع سياسة الخطوة مع أمريكا رغم تعثر مؤتمر باريس ، بل وفشله أكثر من مرة بسبب ما عاناه من استقطاب حاد لأطرافه ، شل المباحثات شللا كاملا ٠ ومنع بسبب العلانية كل امكانية للمناورة من ناحية ٠

أو ممارسة للضغط الأمريكى العلنى على فيتنام الجنوبية من ناحية أخرى ٠ ولكن هذا كله أمكن التوصل اليه من خلال مباحثات الخطوة خطوة الأمريكية الفيتنامية ٠

وتساءل السادات فى حديثه الخاص معى : الم تقرأ كتاب لى ثوان الفيتنامى ؟ انه من حسن الحظ مترجم الى العربية فى بيروت ٠٠ لماذا اذا اتبع الفيتناميون سياسة الخطوة خطوة كانوا ثوريين واذا اتبعنا نحن نفس السياسة اتهمنا بعدم الثورية ؟

لقد حاولنا مرات ومرات أن نقنع اخواننا االسوريين والفلسطينيين بذلك ، وكذلك أصدقاؤنا السوفييت ولكن لم يفهمونا ..

عندما يتخلصون من شكوكهم التى زرعوها فى أنفسهم سيفهمون جيدا حركتنا . وارجو أن لا يتأخروا كثيرا ، فالوقت لدينا نحن العرب ليس من ذهب فحسب بل من دم أيضا .. !!

كامب ديفيد ١٩٧٨
وكامب مدريد ١٩٩١ ؟

كانت مفاجأة كلسع النار لمن استمعوا الى أنور السادات عندما فاجأ مستمعيه فى خطاب له فى نوفمبر ١٩٧٧ « انى مستعد أن أذهب الى أقصى مكان فى الأرض كى أطرح القضية ·· انى مستعد الى أن أذهب الى الكنيست ·· ؟!

ساءلت نفسى : هل سيفعلها السادات حقا ·· هل سيزور اسرائيل أم ماذا ؟ هل هى مجرد عبارات حماسية لتأكيد جدية مصر من أجل السلام مثلما يقول المرء لصديق له مستعد أروح وراك جهنم ؟!

وكلمت حامد محمود وكان وزيرا وأحد أمناء حزب مصر ·· وكانت تربطنى به علاقة طيبة وسألته عن الحقيقة ·· فقال انه فوجىء مثلى ·· ويعجب من تصورى أن من الممكن أن السادات يعنى جديا السفر الى اسرائيل ·

ولكنه أضاف قائلا لى ضاحكا :

ان اقتحام السيد الرئيس لستار الكراهية الحديدى مع اسرائيل ·· ما كان ممكنا أن يقوم به الا بفضل اقتحامه السابق لخط بارليف ··

وبالفعل ·· ما كان بوسع أنور السادات أن يزور اسرائيل ونحن مهزومون قبل أكتوبر ١٩٧٣ ·· فمثل تلك الزيارة يومها تكون نوعا من حج المهزوم الى بيت قاهره ·· لكن بعد الحرب يستطيع أن يزورها على قدمين ثابتتين كما قال هو غصن الزيتون فى نفس اليد التى حملت البندقية فى حرب أكتوبر ··

وكان أنور السادات قد كرر فى بعض خطبه عبارة توضح سياسته وهى « الذى لا يتحرك يتجمد ٠٠ والذى يتجمد ينعزل ٠٠ والذى ينعزل يختنق ويموت ! ٠ أنا لا تهمنى الاجراءات الى جنيف ٠٠ أنا لا يهمنى الا الموضوع ٠٠ والموضوع عندى هو دولة فلسطين وتحرير الأرض المحتلة » ٠

لقد تحققت بعض النتائج بعد الفصل الأول ٠٠ والفصل الثانى للقوات ٠٠ فقد استعادت مصر بعض آبار البترول التى كانت تحتلها اسرائيل وكسبت مصر من ذلك دخلا يقدر ببضع عشرات من الملايين ٠

● بالنسبة للقضية الفلسطينية صدرت عدة قرارات دولية تؤكد حق الشعب الفلسطينى فى اقامة وطن ودولة كما اعترف مسئولون أمريكيون بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى بعد هذا بدا أن القضية قد سقطت فى هوة التجمد ٠٠

كما جاء وقت انتعش فيه الأمل فى عقد مؤتمر جنيف خصوصا بعد أن صدر بيان أمريكى سوفييتى بذلك ولكن سرعان ما حدثت حملة ضغط اسرائيلية وصهيونية ضد هذا البيان وتساءلت وسائل الاعلام الأمريكية المحكومة بالصهيونية عن مبررات الرئيس جيمى كارتر فى اشراك الاتحاد السوفييتى فى حل قضية الشرق الأوسط ؟ ٠ كما نسفت وصدرت بعد ذلك ورقة عمل أمريكية ـ اسرائيلية فى الواقع البيان الأمريكى السوفييتى وبددت آمال انعقاد مؤتمر جنيف فى نفس الوقت بدأت اسرائيل نغمة جديدة عبر عنها رئيس الأركان الاسرائيلى جور بالتهديد بشن حرب وقائية ضد العرب « تخرج الجيش المصرى والسورى من حساب القوة العسكرية العربية لعشر سنوات على الاقل » علاوة على اذاعة تقارير صحفية تؤكد أن قوة اسرائيل أصبحت توازى ٢٦٠٪ من قوتها قبل حرب أكتوبر بفضل الدعم الأمريكى طبعا مع حيازتها للقنابل الذرية ٠

هذا كله فى وقت بدا فيه أن الولايات المتحدة عازفة تماما عن القيام بأى دور مما كانت تأمل فيه الادارة المصرية بعد أن كان الرئيس كارتر يتبرع بطمأنة أنور السادات أنه قادر على الضغط على اسرائيل ٠ بل يستنكر تصريحات رئيس الأركان بشن الحرب الوقائية المشار اليها ضد العرب ٠

ولخصت مجلة النيوزويك الموقف عندما قالت :

« كان واضحا أن السادات يرى أن الولايات المتحدة بطيئة فى دفع عملية السلام وكان كارتر يبدو ضعيفا ولم تكن هناك طريقة تمكنه من لوى ذراع اسرائيل ٠ وكاد العام ينصرم وينتهى وكل دفعة السلام التى بدأت منذ أول كيبور تكاد تتوقف » ٠٠ كما أن العجز السوفيتى قد بدا

واضحا عن عمل شيء ما في الوقت الذي تتدهور العلاقات بينه وبين مصر يوميا بالاضافة الى ازدياد الأزمة الاقتصادية في مصر مما أكد حاجتها الماسة للسلام وكان على أنور السادات أن يفعل شيئا لانهاء الركود واعادة بعث القضية قضية الشرق الأوسط مرة أخرى الى جدول اعمال الاهتمام العالمى .. فكما رأينا ان حرب أكتوبر لم تحسم النزاع العربى الاسرائيلى بعد التحول الخطير الذى حدث فى مسار الحرب بنجاح الاسرائيليين فى احداث « الثغرة » التى أوضحنا من قبل انها لم تكن لعبة تليفزيونية كما حاول الاعلام المصرى تصويرها بل انها كانت نقطة تحول خطيرة فى حرب أكتوبر أخلت بالتوازن الذى هدفت الى تحقيقه تلك الحرب .

واذا كانت حرب أكتوبر قد نجحت فى تحريك القضية عام ١٩٧٣ فهل كان بوسع أنور السادات أن يحركها مرة أخرى عن طريق الحرب ؟ ...

لقد استقر فى وجدانه أن الحرب لن تصلح لحل المشكلة بعد تجارب حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ .. وهذا التصور بالتأكيد تختلف معه تيارات وأحزاب وقوى سياسية أخرى .. ولكن تلك هى حدود الطاقة الثورية للقيادات العربية الحاكمة فى منطقة الشرق الأوسط اليمين منها واليسار ولاحظ أن ذلك كان فى عهد وجود المعسكر الاشتراكى الذى كان يشد أزرها ويشجعها الى حد ما .. ترى كيف سيكون الحال فى أيامنا ومستقبل أيامنا بعد اندثار ذلك المعسكر وانفراد الرئيس بوش برئاسة كوكب الأرض ؟ ..

والواقع أن أنور السادات كما شرحنا من قبل كان قد أدرك أنه لا يستطيع الاعتماد على الاتحاد السوفيتي فى انتزاع حقوقه من اسرائيل بالقوة بعد ما حدث فى حرب ١٩٧٣ .

وكان أمامه اما الحرب وهو عاجز عنها ولا شك بينما كانت اسرائيل تهدد بها واما البحث عن طريق آخر على طريقة الصدمة الكهربائية لبعث القضية من جديد ..

وكان أنور السادات قد لاحظ أنه جرب الاتصال غير المباشر مع اسرائيل من خلال زيارات كيسنجر المكوكية فلماذا لا يعمد الى الاتصال المباشر .. خصوصا ان مثل ذلك الاتصال المباشر سيؤدى الى الاتصال والتخاطب مباشرة مع الشعب الاسرائيلى نفسه .. والذى كان متجاهلا دائما خلال عمليات الحرب أو السلام .

وقرر أنور السادات أن يتوجه الى اسرائيل مباشرة مع أن المستر بيجن وكل قادة اسرائيل كانوا يتمنون مقابلة الرئيس المصرى

أو أي رئيس آخر فى أى مكان فى العالم لأنهـم لم يكونوا يحلمون بلقاء فى قلب اسرائيل نفسها لكن أنور السادات المولع باسـتخدام أسلوب الصدمات الكهربائية قرر أن يقوم بصدمة جديدة .. فكان قراره التاريخى بزيارة اسرائيل ومخاطبة الشعب الاسرائيلى من فوق منبر الكنيست ..

ولقد طرح البعض على أنور السادات أن ياتى بيجن الى مصر وكان بيجن مستعدا لذلك الا أن السادات رفض الفكرة لأنه رأى أنها ستقلل من قيمـة مبادرته وآثارها والمغزى الهـائل الذى قصـدم .. ان بيجن كان سيكسب تاييدا عالميا باعتباره مبادرا من أجل السلام وبزيارته للبلد الذى يعادى بلاده منذ ثلاثين عاما .

اى باختصار كان بيجن سيكسب ما هدف السادات الى كسبه ولم يكن أنور السادات يستشعر أنه سيقلل من قيمة مصر وكرامتها لقيامه بزيارة اسرائيل فقد كان يزورها من موقع الانتصار النسبى فى حرب أكتوبر وقد سبق فى الفصول السابقة أن أوضحنا أن ذلك الانتصـار النسبى يعنى أن الجيش المصرى قد أثبت أنه ند للجيش الاسرائيـلى ويسـتطيع أن يهزمه فى معارك ويسبب خسائر موجعة لاسرائيل بعد أن كانت هزيمة الجيش المصرى وأى جيش عربى (تقليدا عسكريا » فى كل حرب مع اسرائيل ، كما أن أنور السادات خطط للدفاع فى محادثاته مع القـادة الإسرائيليين للدفاع عن حقوق القومية العربية وعلى رأسها حقوق الشعب الفلسطينى . بل أخطر من هذا فان أنور السادات أجرى اتصالات سرية عن طريق تشاوشيسكو وغيره مع اسرائيل ليتأكد مقدما أنه سيكسب شيئا من رحلته فضمن أنه سيسترد سيناء على الأقل . ومن هنا يتضح أنه لم يكن يفرط فى حقوق البلاد أو يقدم شيئا دون ضـمان ثمن فى تلك الزيارة التاريخية ، لم يستطع اليسـار المصرى أن يستوعب هذه الحقائق جميعا وبادر باتخاذ موقف المعارض العنيف للمبادرة الى حد الصدام مع النظام بالوقوف علنا الى جانب هجوم العرب الذين تحولوا الى أعداء الداء للنظـام ..

هذا رغم أن اليسار المصرى بالذات كان مفروضـا أن يبتهج برد اعتبار أكبر زعيم عربى له .. إذ أن زيارة أنور السادات التاريخية للقدس التى كانت اعترافا بالدولة الاسرائيلية كانت تعنى أن موقف اليسار المصرى وخاصة الشيوعيين عندما أيدوا قرار التقسيم الذى صدر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان موقفا سليما ..

وقد كلف هذا الموقف اليسار خسائر فادحة فقد اعتقلهم النظام الملكى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ لهذا السبب فقط (تأييدهم لقـرار الأمم المتحـدة)

واتهمهم بأنهم صهاينة وعملاء دوليون لها ٠٠ فقد كانوا القوة السياسية الوحيدة فى العالم العربى مع رأسمالى كبير واحد شـــجاع هو المرحـــوم اسماعيل صدقى باشا الذين أدركوا الواقع السياسى عامى ٤٧ و ١٩٤٨ فوافقوا على تقسيم فلسطين الى دولتين : دولة عربية ودولة يهودية ٠٠ بل وبلغت بهم الشجاعة والجرأة أن عارضـــوا حرب ١٩٤٨ ذات الأهداف الوهمية التى شجع الاستعمار البريطانى الرجعيات العربية حينذاك على شنها فقد كان الانجليز يحتلون مصر والأردن والعـــراق ويريدون صرف الحركة الوطنية العربية عن هدفها الأول وهو طردهم أى الانجليز من تلك الأرض المحتلة ٠٠

ولا نريد أن نتوسع فى شرح ذلك الموضوع الآن فغنى عن البيان أن العرب مستحيل عليهم تحقيق قرار التقسيم اليوم ٠٠ كما أن الجميع أقصد جميع الدول والأحزاب والشعوب العربية تقريبا توافق اليوم على وجود اسرائيل كدولة ويسعون معها بشق الأنفس أن « تتكرم » بالموافقة على قبول دولة فلسطين بل تقبل التفاوض مع الممثلين الشرعيين للشعب الفلسطينى (منظمة التحرير) ٠٠ « ويسوقون » عليهـــا دول العالم من أمريكا لفرنسا لايطاليا لألمانيا وحتى نيام ان وجدت ! ٠٠

كان أنور السادات مبادرا خلاقا عندما ســـبق غيره وادرك حقائق العصر وكذب شعارات اسرائيل المزعومة ٠٠ وقرر التعامل مع الواقـــع واضعا نصب عينيه أن مرور الوقت لايفيد الا اسرائيل ٠٠ ويضيع الحق العربى شيئا فشيئا ٠٠

ولطالما صرخ بذلك ولكنه كان الصارخ فى البرية ٠٠ وجاء من بعده حسنى مبارك ليكرر نفس التحذير الوقت فى غير صالح الفلسطينيين ٠٠ فلم يستمع اليه أحد الا أخيرا ومتأخرا جدا بعد أن ابتلعت اسرائيل أكثر من ثلث الضفة الغربية مستعمرات !

وكانت زيارة أنور السادات لاسرائيل اسقاطا لاتهام القوى اليسارية فى مصر والعالم العربى بالصهيونية والعمالة لها ٠٠ والا اتهـــم النظام المصرى كله ، بالصهيونية والعمالة لها أيضا بعد أن تحمست كل المؤسسات الدستورية فى البلاد لهذه الزيارة ، بل ان الشعب المصرى نفســـه أيدها وفى حماسة شديدة ٠٠

بل ان المبادرة التى قام بها السادات فى رأينا قد أنقذت نظامه ٠٠ فقد كان الناس فى حالة من التذمر شديدة ٠٠ ولم تقنعهم دعاوى الحكومة والسادات بالذات عن اعتبار ١٨ و ١٩ يناير هبة حرامية ٠٠ وكانت هيبة النظام قد سقطت حيث كان حديث السادات عن تلك الهبة فيه لجاجة وتكرار

وغوغائية وجوفائية ان جاز التعبير وسخر التليفزيون ساعات مطولة ليكرر نفس الكلام فقد كانت ١٨ و ١٩ قد أحدثت فيه جرحا غائرا لم يستطع التحكم فيه بضبط النفس الى آخر يوم فى حياته والأسعار ترتفع وبدأت سوءات النظام الانفتاحى تظهر ورائحة الفساد تزكم الأنوف ..

بالاضافة الى ذلك في المشكلة الوطنية بدا أن حالة اللاحرب واللاسلم قد عادت من جديد .. وظهر استمرار احتلال جزء من أرض الوطن .. واستمرار وجود سرطان الاحتلال الاسرائيلى لأرض عربية أخرى .. وتبلورت القضية الفلسطينية أكثر .. ولم تفلح سياسة الانحياز للولايات المتحدة واساءتها بالاتحاد السوفييتى لا فى استكمال التحرير ولا حل المشاكل الاقتصادية .. فقد كان الظن بعد وساطة أمريكا وزيارة نيكسون أن الخير الأمريكى قادم ..

قال لى أنور السادات ذات مرة ونحن فى حديث بالاسكندرية .. ونحن نتحدث عن زيارة جنود وضباط البحرية الأمريكية الذين نزلوا من بوارج حربية أو حاملة طائرات لا أذكر .. أنه سمع كيف أن سائقى التاكسى كانوا يستقبلون هؤلاء الجنود بابتهاج شديد ويقولون لهم « انتم كنتم فين » ؟ .. لأنهم كانوا يدفعون لهم بقشيشا كثيرا .. وبالدولار أيضا !

وكان السادات يحكى لى هذا وهو مغتبط .. ولما قلت له ان ذلك دعاية مقصودة .. أو من الطبيعى ذلك لأن الأمريكيين أغنياء ..

قال لى ملوحا بيده ..

ـ مش أحسن من أصحابك الروس .. روح شوف فى الزمالك البياعين بيشتموا فيهم قد ايه علشان لا يتركون قرشا واحدا من الحساب .. وبيدفعوا بالمصرى ..

قلت ضاحكا ..

ما هو ده باتفاق بينكم وبين الروس .. لأن الخبير الروسى بياخد ٣٠٠ جنيه فقط والأمريكى خمسة آلاف دولار ! ..

قال ضاحكا وهو يقفل على الموضوع ..

ـ مافيش فايدة منك !

كان السادات قد اختار الجانب الذى ينحاز اليه فعلا .. وأعتقد بعجز السوفيت عن تقديم الجديد بينما عقد الآمال على عطاء متوقع من جانب الأمريكيين ! ..

ولكن هذا العطاء قد تأخر ٠٠ وبالتالى بدأ التذمر يظهر ٠٠

وكان لابد من عمل شيء ٠٠ تحرك ما في اتجاه القضية الوطنية أولا فقد كانت تلك القضية دائما فى مقدمة القضـــايا التى يهتم بها الشعب دائمـــا ٠٠

على أن الشعب اذا كان قد أيد المبادرة بزيـارة القدس ٠٠ والملايين التى استقبلت السادات أثناء عودته لم تكن محشودة بالقوة او بالتضليل ٠٠ انما كان ذلك تعبيرا عن آمالها فى السلام والاســـتقرار بالخلاص من الاحتـــلال ٠٠

فان هناك قوتين رئيسيتين قد عارضتا هذه المبادرة ٠٠

فحزب اليسار المصرى شن حملة اعتراض وهجـــوم قاسـية ضد مبادرة أنور السادات ٠

وللحقيقة لم يكن حزب اليسار وحده الذى عارض المبادرة بل أيضا جماعة الاخوان المسلمين التى كان لها ممثل واحد فى البرلمان هو الأستاذ كمال عيد الذى صوت ضدها جنبا الى جنب النواب اليساريين الثلاثة ٠

كما أن جريدة الدعوة فى عدد ديسمبر ١٩٧٧ عارضت المبادرة فى مقال للأستاذ عبد المنعم سليم جباره ٠ أما حزب التجمع فقد أصدر بيانين أعلن فيهما معارضته لها الأول فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٧ أى قبل سفر السادات للقدس بيومين والبيان التالى فى ٢٨ نوفمبر اذ لم يكن الحزب قد أصدر جريدة الأهالى بعد ٠

وقد صدر بيان ١٦ نوفمبر موقعا من مقرر اللجنة السياسية فى الحزب حينذاك الدكتور يحيى الجمل ومن مقرر عام الحزب السيد خالد محيى الدين وقد أكد البيان ما يأتى :

ان حزب التجمع ليس ضد الحل السلمى ـ من حيث المبدأ ولكنه يرى لمثل هذا الحل شروطا تتلخص فى استرداد الأراضى العربية المحتلة والحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفليسطينى ٠

ان الزيارة تضعف التضامن العربى الشرط الأســـاسى لتحقيق ارغام اسرائيل ٠

الزيارة اعتراف باسرائيل وبالقدس عاصمة لهـا ٠ ان الزيارة تتم فى وقت يزداد المتعصبون فى اسرائيـــل تعصبا وأن بيجين رفض أى تنـــازل ٠

ان الزيارة تشجع عددا من الدول على اعادة علاقتها مع اسرائيل .

وبعد أن عاد أنور السادات من زيارته للقدس طرح البيان الثانى الحزب تساؤلات ثلاث :

١ ـ ماذا حققت الزيارة والسياسة الجديدة من نتائج ؟

٢ ـ وهل يؤدى هذا النهج الجديد فى معالجة القضية الوطنية الى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ؟

٣ ـ وهل فات أوان التصحيح والبدء فى نقطة انطلاق سليم ؟

وخلص البيان الى أن الزيارة فشلت فى تليين موقف اسرائيل المتشدد وأن ما حدث هو دفع من جانب مصر دون مقابل من جانب اسرائيل وأن النتيجة العلمية لتلك الزيارة هى الغاء مؤتمر جنيف وأن معنى ذلك هو الاتجاه الى حل منفرد سواء شئنا أم لم نشأ .

وانعكست معارضة حزب التجمع للمبادرة على منظمة ديمقراطية غير حزبية هى المجلس المصرى للسلام الذى يرأسه فى مصر السيد خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع اذ أن أنور السادات كان يتوقع أن يصدر المجلس تأييدا لمبادرته باعتبارها جهدا من أجل تحقيق السلام فى المنطقة .

ولكن السيد خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع لم يدع المجلس للاجتماع رغم أن أحد أعضاء المجلس لفت الأنظار الى ضرورة انعقاده وقدم استقالته احتجاجا على عدم الانعقاد فأصدر أنور السادات قرارا بحل مجلس السلام وربما كان ذلك القرار أول قرار من قرارات أنور السادات العصبية ضد معارضيه فى جهوده من أجل السلام وهى القرارات الهوجاء التى تتالت بعد ذلك وأودت به الى السقوط فى مستنقع الديكتاتورية الرهيبة التى أغرقته فى النهاية !

وقد عارض كاتب هذه السطور قرار السادات بحل مجلس السلام رغم أنى كنت أول يسارى أعلن تأييده للمبادرة وما زلت أدافع عنها حتى الآن كما هو معروف .. كتبت أيامها لا نوافق على حل المجلس فان الغاءه يعنى قطعا لبعض شعرات معاوية القليلة الباقية بيننا وبين اليسار وقوى السلام العالمية ، التى تمثل أقوى جبهة وسند لنا فى معارك التحرير الماضية والحالية والمستقبلية أيضا ولم يعد يبقى فى الحقيقة غير شعرة واحدة هى منظمة التضامن الآسيوى الأفريقى التى كان يعمل يوسف السباعى سكرتيرا عاما لها وقتها .

ولم يكن السادات ولا أنصار المبادرة فى ذلك الحين متفائلون بأنها ستحقق المعجزات على الفور .

ولا نريد أن نستفيض فى ذكر ما حدث بعد المبادرة ..

ولكننا نذكر فقط أن المعارضين لها من العرب اتهموا صاحبها بالخيانة والعمالة .. رغم أن السادات قد طرح الحقوق العربيـــة بشـكل كامل وباسلوب راق أثار عطف واحترام الرأى العام العالمى كله وأثر فى الموقف فى اسرائيل تأثيرا ضخما ، حتى أن جريدة الجيروليزم بوست الاسرائيلية قالت وهى تعلق على زيارة مناحم بيجين بعد المبادرة لمصر فى الاسماعيلية . « ان نقطـة القوة فى موقف الرئيس الســادات هى والآثار التى تركتها زيارته للقدس » .

ونحن نذكر أيضا بالموقف العربى الذى تزعمته العراق ضد المبادرة .. فقد قررت الأغلبية ادانة السادات .. ولكنها طرحت طريق التفاوض أيضا مع اسرائيل لحل المشكلة فى شـكل دولى .. بينما كان المتوقع أن تطرح شعار الحرب مثلا ..

ومادام الناس قد وافقوا على مبدأ المفاوضـــة .. فليس جوهريا أن تتم المفاوضة فى بيتك أو فى بيت غيرك أو فى مقهى ..

وليس صحيحا أن السادات لم يستشر العرب .. بل انه استشار حافظ الأسد رئيس سوريا الذى رفض المبادرة فطلب منـــه السادات أن يعطيه هو وسائر العرب الفرصة ليجرب ولا يهاجمونه .

وان كان لهم حق المعارضة طبعا .

ولكنهم هاجموه ولعنوه .. ثم عادوا بعد ١٣ عاما الى نفس طريقه وعلى مستوى أقل وفى ظروف أسوأ ..

ونريد أن نوضح هنا فى الحقيقة أن الاتصال والتفاوض مع اسرائيل ليســا أمرا جديدا على ثورة يوليــو كلها .. فلم يكن أنور السادات وحده هو الذى « اتصل » مع اسرائيل بل فى الحقيقة أن جمال عبد الناصر نفسه قد حاول ذلك الاتصال .. بل انه اعترف بوجود اسرائيـــل فى مؤتمـــر باندونج الذى أقر بالموافقة على قرار الأمم المتحدة بتقســيم فلسطين الى دولتين وهذا موجود رسميا فى وثائق المؤتمر عام ١٩٥٥ .

بعض الناس الناصريين بالذات يتصورون أن الاعتراف بوجـــود اسرائيل نـــوع من رجس الشيطان وأن زعيمهم بل زعيم مصر كلهـــــا جمال عبد الناصر وقتها لم يعترف بذلك الوجود بل كان يبغى القضاء على اسرائيل .. وهو نفس ما تردده الصهيونية عن فكره .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. وقد سبق أن أشرنا الى ذلك فى صفحات سابقـة .. ولكننا نضيف بعض الحقائق ففى نفس العام الذى صدرت فيه قرارات باندونج

جرت اتصالات سرية بين مصر واسرائيل للاتفاق على السلام على أساس قرار التقسيم ولكن جولدا مائير تراجعت فى النهاية ... وهذه الاتصالات ذكرها السيد محمود رياض وزير الخارجية الأسبق فى مذكراته .

وكان للصحفى المرحوم الأستاذ ابراهيم عزت بروز اليوسف دور فى هذا الاتصال كما هو ثابت فى كتابه كنت فى اسرائيل .. الذى صدر عام ١٩٥٥ وفى كتاب للسيد محمد نجيب رئيس الجمهورية الأسبق الفه عام ١٩٥٤ ونشر بالأنجليزية عام ١٩٥٥ قال بوضوح أن الثورة كانت مستعدة للاتفاق مع اسرائيل لو أنها أصبحت دولة مسالمة واعترفت بحقوق الشعب الفلسطينى ونشرت مجلة الأهرام الاقتصادى ترجمة لهذا الكتاب على حلقات .

وعام ١٩٦٦ عندما كان بعض العرب كالأردن والسعودية يضغط على جمال عبد الناصر لاثارة حرب ضد اسرائيل كان يرفض ذلك ويقول أنه لايمكن اثارة مثل تلك الحرب الا بعد اتمام الوحدة العربية لأن من يحارب اسرائيل يحارب أمريكا ..

ولكن الأهم من ذلك أنه بعد هزيمة جمال عبد الناصر عام ١٩٦٧ بدأ يجرى اتصالات سرية باليسار الصهيونى من حزب المابام وجماعة ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى وبمجموعة مجلة « نيو آوت لوك » التى كان يرأسها سمحا فلابان .

وكان رسوله فى تلك الاتصالات السيد أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار ورئيس تحرير أول مجلة أصدرتها الثورة « التحرير »، وكان رئيس تحرير مجلة روز اليوسف الأسبق .. وكان الوسيط فى اتمام تلك الاتصالات هو وعدد من الشيوعيين المصريين اليهود اللذين طردهم الملك فاروق من مصر فى أعوام ٤٩ ـ ١٩٥٢ مثل المرحوم هنرى كورييل ويوسف حزان .. وكانت جريدة « ها آرتس » الاسرائيلية هى أول جريدة اسرائيلية تنشر حديثا مع كاتب مصرى بارز هو السيد أحمد حمروش فى ذلك الوقت المبكر من عام ١٩٦٨ .

وحكى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابه الكبير عن دور هؤلاء اليهود فى حرب ١٩٥٦ والاتصالات السرية التي كانت بين نظام مصر وبينهم فى صالح مصر ..

ولقد كتب الكثير جدا عن كامب ديفيد وتصالح السادات مع اسرائيل ..

ولذلك لانريد أن نخوض كثيرا فى الدفاع عن سياسة السادات فى هذا المجال .. لماذا ؟

لأنه فوق الدفاع المشار اليه فقد أثبتت الخبرة التاريخية أن سياسة السادات كانت سياسة صائبة عموما • والعالم العربى كله يتقدم حثيثا من أجل محاولة تحقيق ماحاول الوصول اليه فى أعوام ٧٧-٧٨-١٩٧٩ •

وقد ثبت فساد الزعم بأن كامب ديفيد قد جلبت الانقسام فى العالم العربى •• وغيرت مسار التاريخ فيه الى أسوأ ••

وهذه مزاعـــم تعنى أن الدول العربيـــة جميعا دول قاصرة •• اذا ما اتخذت مصر سبيلا آخر فى ســـياستها مخالفا لها وقعت فى هوة الفشل والتخبط ••

فقد اجتمعت كل تلك الدول بعـد مبادرة الســادات •• وأرغت وأزبدت •• فماذا فعلت ؟ •• لم تتقـــدم خطوة واحـدة على طريق حل القضية •• رغم أنه كان معها الاتحاد السوفيتى •• وكان معهـــا العراق الدولة العربية القوية •• بل التى ثبت بعد ذلك أنها أقوى من كل البلاد العربية أخيرا بكل هذا التسلح الخطير بما فيه التسلح الذرى أو الطريق الى حيازة الأسلحة الذرية •• وكانت هناك سوريا •• وهى دولة قوية ومسلحة من الاتحاد السوفيتى جيدا •• ثم الجزائر •• و •• و •• الخ •

وفى عام ١٩٧٩ بدلا من أن يستخدم هذا العالم العربى قوته التى بدت ظاهرة فى العراق فى الضغط على اسرائيل وأمريكا وليس الحرب •• فضل العراق أن يتجه الى محاربة ايران (٤٥ مليون واسرائيل ٣ مليون أيامها) •• ووقفت دول عربية بجانب ايران ••

وتركت قضية فلسطين عارية فى العراء ••

أين جدية أى قوة عربية (غير الشعب الفلسطينى) فى حل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى ؟ •

وعندما غزت اسرائيل لبنان ١٩٨٢ •• ماذا فعـل السوريون ؟ •• سمحوا للجيش الاسرائيلى بالمرور على بعد ١٠٠ متر من قواتهم •• وكان بوسعهم أن يجروا العالم العربى كله فى حرب ضـد اسرائيل باعتبارها دولة غازية لبلد عربى جديد •• ولكنهم لم يفعلوا وخشوا العواقب •• وكأنهم يعطون لأنفسهم الحق فى أن يخافوا من أى مغامرة •• بينما على غيرهم أن يغامروا ويخوضوا الحرب ••

ونحن نقول أيضا •• ماذا كان سيحدث لو أن العرب المدعوين جميعا حضروا اجتماع مينا هاوس أى المؤتمر الدولى لقضية النزاع العـــربى الاسرائيلى فى أوائل عام ١٩٧٨ •• لكنـــا قد كسبنا جميعا نحن العرب

سـويا ٠٠ أو خسرنا جميعا سـويا أيضا ٠٠ ولامكن البحث عن وسائل أخرى متضامنين ٠٠

والاجماع الذى رفض الفلسطينيون حضوره عام ١٩٧٨ حيث كانت منظمتهم ستكون على قدم المساواة مع غيرهم ٠٠ يسعون الى تحقيق أقل منه منذ عام ١٩٨٥ اذ أن العالم كله يسعى الى اقناع اسرائيل بأن تقبل بجلوس موظف من مصلحة الانتخابات عندها مع ممثل من المنظمة لمناقشة انتخابات محلية فى الضفة والقطاع ٠٠ وأصرت اسرائيل على الرفض ٠٠ بل انهـا ارغمت المجتمع الدولى كله على قبول منظمة التحرير شرطها بعدم اعلان وفدها فى مفاوضات السلام بمدريد أنه يمثل منظمة التحرير الفلسطينية ٠٠

ان مصر لها السيادة على سيناء ٠٠ وهى سيادة منقوصة حقـا ٠٠ اذ لا تستطيع ارسال جيوش كما تشاء لها ٠٠ ولكن من قال ان مصر تريد ارسـال جيـوش الى سيناء ٠٠ بل ان مصر لم ترد قط ارسـال جيـوش لسيناء الا فى حالة الحرب مع اسرائيل ٠٠ ونحن منذ ١١٠ عاما قد أنهينا حالة الحرب معها ٠٠ وكل المشاكل تحل بالمفاوضات ٠٠ وليس أدل على ذلك من تجربة طابا ٠٠ بل وعمليـات اغتيـال السياح الاسرائيليين على الحدود بواسطة جنود مصرية ٠٠ حلت بالتفاوض أيضا ٠٠

ولكن هـل هنـاك من يمنـع مامور مركز شرم الشـيخ مثـلا من أن يبنى مـدارس أو مصـانع أو مناجم أو مساكن على أى قطعة أرض فى مركزه ؟ ٠٠

ونود هنا ان نلفت الأنظار الى قضية هامة ربما لم يشر اليها أحـد بصراحة من قبل ٠٠ وهى أن الاتفاقات السياسية سواء معاهدات السلام أو اتفاقات الهدنة تعكس الواقع العسكرى وتوازن القوى ٠٠

لقد أوضحنا فى حديثنا عن حرب أكتوبر أننا لم ننتصر انتصارا كاملا بل انتصارا نسبيا ٠٠ والحرب تغير اتجاهها بعد الثغرة ٠٠ ولم يحـرر الجيش المصرى كل سيناء ٠٠

أى لم تكن مصر هى الطرف الأقوى بعد نهاية الحرب ٠٠ ان الطرف الأقوى كان أمريـكا واسرائيـل معـا ٠٠ ولكن كانت مصلحتهما عـدم استئناف الحرب من جديد ٠٠ فقد كان الأمريكيون يخشون عواقب ذلك الاستئناف ولا شك ٠٠

لذلك كان الحـل النهـائى للمشكلة يرغم مصـر على تقـديم بعض التنازلات ٠٠ مثل أى دولة فى مثل ظروفها مع عدو أقوى ٠٠ ولو أنه يريد التوصل لتسوية مع تقديم تنازلات ٠٠ وهكذا يجب النظر الى اتفاقيات

السادات مع اسرائيل ·· وقد أرغم عبد الناصر على تقديم تنازلات جدية لبريطـــانيا فى اتفاقية ١٩٥٤ للجلاء وكذلك قدم بن بللا للفرنسيين ··

لو فرضنا أنه أشعل الحرب في نوفمبر ١٩٧٧ بدلا من المبادرة ·· من من السادة الرافضين المتشنجين كان يمكن أن يضمن النتائج فى صالحنا ١٠٠٪ بحيث نرغم اسرائيل على الجلاء دون وجود قوات دولية ودون أن تشترط شيئا بالنسبة للجيوش المصرية ·· الخ ؟ ··

ونريدهم أن يسألوا أنفسهم ·· لقد تبين أن السيد صدام حسين رئيس العراق كان يملك أقوى قوة عسكرية فى المنطقة ولديه صواريخ وأسلحة بيولوجية وكيماوية ·· ويسعى فى حماس لصناعة أسلحة ذرية ·· لماذا لم يفكر يوما ما فى عرض استعداده مع أى دول عربية لاستخدام تلك القوة ضد اسرائيل ··

انه حتى لم يفكر قط أن يستخدمها للضغط عليها ·· مع أنه كان بامكانه أن يساوم أمريكا والعالم العربى على ضرورة اجبار اسرائيل للحضور الى مؤتمر دولى تقدم فيه تنازلات ··

لكن ماذا صنع النظام العراقى ؟ ·· انه وجه كل تلك القوة العسكرية الجبارة ضد بلد صغير جدا لايكاد يملك جيشا واحتله فى بضع ساعات ليستولى على بتروله وذهبه وســياراته وتحفه وحتى ثلاجــاته وأجهزة التليفزيون ؟ ··

لماذا لم يوجه سهامه تجاه اسرائيل ؟

اما لأنه لا يعاديها أصلا وليس لديه أى قسط من الوعى رغم كل منشورات حزب البعث الذى يتزعمه ·· واما أنه يخشى اسرائيل ونتيجة مغامرة الحرب ضدها ·· لأنه كان يعرف أيضا أن أمريكا ستؤازرها وتقف ضده ·· بينما الكويت لقمة سهلة ·· وكان يتصور لحماقته الشديدة وجهله السياسى الفادح ان أمريكا لن تحاربه من أجل الكويت ·· وكانت النتيجة أنها لم تحاربه وحدها بل حشــدت العالم كله لمحاربته بما فيها القوى العسكرية الأساسية فى العالم العربى ·· وكان المتحدث العسكرى لقوات التحالف سعوديا اسمه ابن قحطان اضــحك العالم العربى كثيرا كما كان القائد الرسمى أميرا سعوديا !!

الى هذا الحد من النتائج الرهيبة والتناقضة واللا معقولة أدى خوف النظام العراقى من اسرائيل ·· فلماذا يريد البعض انفراد مصر بالحرب مع اسرائيل ·· الهم حقا يريدون محاربتها بآخر جندى مصرى ؟

لكن هل كانت سياسة انور السادات ازاء حل النزاع العربى الاسرائيلى سليمة مائة فى المائة ؟ ..

بالتأكيد لا .. وقد كان ممكنا لو تلافى السادات بعض الأخطاء أن يحصل على نتائج أفضل .. اننا نعلم طبعا أن انفضاض العرب عن مشاركته فى التفاوض مع اسرائيل وأمريكا قد أضعف جانبه كثيرا .. اذ أصبحت مصر وحدها هى التى تواجههما .. وهى أول مواجهة بعد طول عداء مع اسرائيل .. ومع أمريكا ذاتها خلال سياسة جمال عبد الناصر المعادية لها ..

على أن ذلك الانفضاض العربى لم يقتصر تأثيره على اضعاف جانب المفاوض المصرى .. بل أدى السباب العربى والهجوم غير الموضوعى من جانب خصوم السادات من العرب والفلسطينيين الى التأثير فى موقف ذلك المفاوض بالنسبة لسائر قضايا العرب مع الجانب الاسرائيلى والأمريكى .. وماذا يمكن أن يفعل السادات عندما يرد عليه مناحم بيجين وهو يفاوض دفاعا عن الحق الفلسطينى قائلا : ياسيادة الرئيس عن أى فلسطينيين تتحدث وهم يتهمونك بالخيانة لهم خارج هذه القاعة ؟! ..

لقد خلق الهجوم العربي الاستفزازي مناخا فى مصر يدعو الى المصرية .. والبعد عن العرب ولعل الناس مازالوا يذكرون كيف سارت مظاهرات فى القاهرة بعد اغتيال المرحوم يوسف السباعى تهتف لا فلسطين بعد اليوم وهى لم تكن مظاهرات مصنوعة بل هى تعبير عن انطباعات وآراء بعض الناس محدودى الوعى الذين استفزهم السلوك الفلسطينى الذى وصل الى ذروته باغتيال السكرتير العام لمنظمة التضامن الآسيوى الافريقي .

أضف الى ذلك أنه بعد حرب أكتوبر ماذا فعل العرب لمصر .. لقد كانت البلاد خرابا يبابا كما يقولون .. بينما زاد سعر البترول عشرة اضعاف .. وكانت البلاد فى حاجة الى التعمير والتطوير .. ولكن التعاون العربى كان محدودا جدا .. ورفضت أى محاولة لعمل خطة عربية مشتركة تصنع من العرب كتلة اقتصادية سادسة كما كان يدعو السادات ..

فى نفس الوقت لم يتدفق الخير الأمريكى بعد وقف القتال .. وهذا طبعا أثر فى موقف السادات بزيادة الاتجاه نحو المصرية والاتجاه الى حل المشكلة المصرية أساسا ..

ولقد أخطأ السادات عندما استجاب للاستفزازات العربية .. وهبط بذلك بمنزلة مصر الى مستوى الصغار .. ولقد جاء وقت كان شغل

السادات الشاغل هو الرد بعنف على حكام العرب المعارضين لسياسته ..
واستخدم أساليب لاتستخدمها الا الصحف المهاترة .. وهذا بالعكس
أتى بنتائج عكسية اذ شجع حملات جمعيات المنتفعين من رفض سياسته
وما كان أكثرهم .. وجعل لهم سعرا .. واستطاعوا استمالة جماهير
كثيرة .. فقد كان السادات يعالج الأمور مع أبغض دولتين لدى قلوب
العرب جميعا .. اسرائيل الصهيونية فى المقدمة .. ثم الولايات المتحدة
ذات الشهرة العالمية فى الاستعمار والامبريالية ..

وأخطأ السادات عندما لم يستطع أن يلعب بالورقة الروسية ..
لقد بادر بتقديم عملية اقصاء السوفيت دون أن يساوم عليها من البداية
.. وبدا ذلك واضحا من عملية طرد الخبراء السوفيت من مصر ..
اذ لم يحاول محاولة جدية مساومة أمريكا عليها واقتضاء الثمن .. وهذا
بالضبط ما اعترض عليه د. عزيز صدقى والأستاذ محمد حسنين هيكل ..

انه تباحث مع الأمير سلطان حقا .. لكن بعد أن كان قد اتخذ
القرار ..

وأخطأ السادات عندما جلس الى كيسنجر لأول مرة .. وبادره
بالقول أنه متفق مع الأمريكيين فى ضرورة استبعاد الوجود السوفيتى من
المنطقة .. مما أثار دهشة كيسنجر ..

ولقد أخطأ السوفيت حقا مع أنور السادات كما سنرى فيما بعد ..
فى حلقات قادمة .. ولكن أنور السادات كان مفروضا أن يساوم بهذه
الورقة ويستفيد بأى جهد سوفيتى محتمل ..

ولكنه تخلص منهم رويدا رويدا .. واستفزهم استفزازا شديدا حتى
وصل به الأمر الى الهجوم على نظامهم الاجتماعى ومقارنته بالنظام
الرأسمالى الغربى ..

وهذا الأسلوب ساهم فى دفع السوفيت الى المقامره على جواد خاسر
وهو جبهة الرفض العربية عندما دعا السادات لعقد مؤتمر مينا هاوس ..
وندموا على ذلك الموقف فيما بعد ندما شديدا ..

لقد كان المسيطر على عقلية السادات أنه يجب أن يسعى لكسب ثقة
أمريكا وأن الثمن لكسب تلك الثقة كان من الطبيعى أن يكون فادحا ..
بل انه فى آخر لحظة وهو يتهيأ للسفر الى الولايات المتحدة لبدء مباحثات
كامب ديفيد كان يتشكك فى أنه سيحصل على ما يريده منها .. وتحضرنى
فى ذلك حكاية سأحكيها بعد أن أنتهى من تسجيل خطأ آخر للسادات ..

ان السادات عندما قرر موعد حرب أكتوبر عمل على الفور على رأب صدع الجبهة الوطنية فقرر اعادة الصحفيين (واغلبهم يساريين) الذين كان قد استحدث مناورة لاقصائهم عن الصحف استخدم فيها أحد رجاله اليمينيين المتخلفين جدا ·· نقول أعادهم الى صحفهم ـ مسترضيا المثقفين ·· ووقف الجميع صفا واحدا لمواجهة العدو ··

لكن أنور السادات لم يفعل ذلك عندما بدأ يدخل فى التفاوض مع اسرائيل فى الولايات المتحدة ··

لقد أفسد علاقته بل قضى عليها عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ مع اليسار المصرى وكل القوى الديمقراطية ·· وشن حملة عليهم جميعا ·· وتوعدهم وبدأ حملة للتنكيل بهم وسنعرض لهذا عند حديثنا عن السادات واليسار ··

لم يحاول السادات أن يصلح ما فسد ·· بينه وبين تلك القوة ذات التأثير العالمى ·· ناهيك عن التأثير الداخلى ·· وبذلك حشدت قوى اليسار العالمى كلها بفرقه المختلفة ضد مفاوضات كامب ديفيد ··

ويبدو أن هذه المسألة كانت تقلق أو تشغل بال السادات ·· كما تدل على ذلك الحكاية التالية التى أشرنا اليها من قبل ··

كان السادات قد أخرجنى من تمثيل روز اليوسف فى رئاسة الجمهورية بسحب كارنيه تصريح الدخول ·· ولم يعد يقابلنى ورفض طلبا منى بمقابلته عقب هذا السحب ··

ولكن لما طلبت مقابلة السيدة جيهان السادات استقبلتنى على الفور ·· وظلت تستجيب فى الحقيقة لكل طلب من جانبى لمقابلتها ·· وفى مرة قبل سفر الرئيس الى كامب ديفيد طلبت منها أن تستحث الرئيس على أن يقابلنى لأتحدث معه فى الموقف السياسى حينذاك ·

وسافرت الى الاسكندرية وأنا موقن مقدما أن طلبى سيرفض كما سبق أن رفضه بعد سحب الكارنيه ··

وبعد يومين من وجودى فى الاسكندرية فوجئت برئيس تليفونات الاسكندرية يتصل بى فى المنزل ويقول لى ان رئاسة الجمهورية قلبت الدنيا رأسا على عقب للبحث عنك وهم لايعرفون رقم تليفونك هنا ·· فاتصلوا بنا ·· وكان صعبا أن نعثر عليك لأن الرقم القديم قد تغير ··

ولما سألته عن من الذى يسأل عنى فى رئاسة الجمهورية قال لى أنها السيدة حرم الرئيس ··

بعد نصف ساعة اتصل بى الأستاذ أحمد فوزى سكرتير السيدة جيهان وهو شاب مهذب جدا وواسع الاطلاع .. وقال لى أن السيدة جيهان تريدنى لأمر عاجل .. ولكن ما دمت فى الاسكندرية فهو سيجعلها تكلمنى فى التليفون صباحا بدلا من عودتى ليلا الى القاهرة ..

فى الثامنة بالضبط طلبتنى .. وقالت لى ان الرئيس يسلم عليك .. ويقول لك أنه سيقابلك بعد عودته من أمريكا .. ولن يقابلك وحدك بل سيقابل رئيس اليسار كله الأستاذ خالد محيى الدين .. ويتكلم معكم فى كل شىء .. بس ادعوا له أن يوفق فى مهمته ..

وهو يؤكد لك أنه خلاص مش زعلان منكم ولا حاجة .. واللى فات مات بس سيراكم بعد عودته ..

وتمنيت لها وللرئيس التوفيق وشكرتها فقالت .. شكرا على ايه انتم ناس وطنيين .. وماتزعلوش من الريس .. انتم مش عارفين أعباءه ومتاعبه قد ايه ! ..

بعد الحديث أخذت افكر فى مغزى هذه الرسالة والاهتمام الذى أبدته السيدة جيهان بالاتصال بى لتوصيل الرسالة ..

ولم يكن صعبا على أن أستنتج أن السادات يحتفظ بخط الرجعة .. فاذا فشل فى أمريكا .. فانه سيعود ويتبع سياسة جديدة .. ويصفى مشاكله مع اليسار وغيره ..

واذا نجح .. فاغلب الظن أنه لن يفعل شيئا من هذا ..

وبالفعل عندما عاد السادات من رحلته بعد أن وقع اتفاقية كامب ديفيد لم يلتق بأحد من اليسار .. لا الأستاذ خالد محيى الدين .. ولا أنا ولا غيرنا .. مع أننى كنت قد أبلغت الرسالة الى الأستاذ خالد .. والحقيقة أنه أبدى تشككا فى جدية السادات فى حديثه الطيب ونواياه بالنسبة لليسار !

هذه هى أخطاء السادات الأساسية وهو يبذل جهوده لحل المشكلة الوطنية المصرية والعربية .. ولكن على أى حال ان ذلك لا ينتقص فى النهاية من أنه قد حرر سيناء .. ووضع أسسا لحل المشكلة الفلسطينية .. يعود العالم اليها وعلى رأسهم الفلسطينيين بل أقل منها بعد ١٣ عاما ..

ان النواقص الموجودة فى السيادة المصرية على سيناء ٠٠ ستزول وتذبل وتختفى عندما نتوصل الى تسوية شاملة عادلة للنزاع فى الشرق الأوسط ٠٠ فتهدأ النفوس ويعم الاستقرار وتنتهى عداوات الماضى ٠٠ وتحل الثقة والتعاون محلها ٠٠

وهذا يعتمد ليس فقط على التخطيط والسلوك العربى فقط ٠٠ بل أيضا على السياسة الاسرائيلية ومدى نجاح النضال العربى فى تشجيع قوى السلام العادل فى اسرائيل على التحرك والحاق الهزيمة بالقيادات التوسعية العنصرية التى تسيطر على اسرائيل منذ قيامها ٠٠ وتواصل التعنت والتشدد ٠٠

ويومها ستختفى أى نواقص فى السيادة ٠٠ والعرب والفلسطينيون يدخلون مفاوضات مدريد وهم يعلمون أنهم سيقدمون تنازلات ٠٠ وأول تنازل قدمه الفلسطينيون هو الرضى بالحكم الذاتى عدة سنوات قبل بحث الموضوع برمته من جديد !! ٠٠

خلاصة القول ٠٠ ان جمال عبد الناصر ٠٠ تسلم مصر وهى محتلة بالانجليز ٠٠ وجاهد حتى حصل على جلائهم منها ٠٠ بعد تقديم تنازلات فى معاهدة ١٩٥٤ ٠٠ ثم لما جاءت الفرصة استرد كل تلك التنازلات واستكمل السيادة المصرية كلها ٠٠

ثم عاد الاحتلال الأجنبى أرض مصر فى حرب ١٩٦٧ فى عهد جمال عبد الناصر ٠٠ وتسلم السادات مصر وجزء من أرضها محتل ٠٠ فاستطاع أن يستردها متحررة من كل محتل اسرائيلى ٠ وهذا فى حد ذاته يجعل السادات يحتل مكانة بطل من أبطال تحرير مصر على طول تاريخها فى مواجهة الغزاة الأجانب ٠٠ والذين يحملون على السادات أو لا يدركون قيمة النصر الذى حققه عليهم أن يطرحوا على أنفسهم السؤال التالى :

هل كان ممكنا أن تتجه مصر الى مناقشة مشاكلها الداخلية وحل تناقضاتها لو كان العدو المحتل مازال جاثما على صدرها ؟ ٠٠ ان اتفاقية السلام مع اسرائيل قد فتحت الباب على مصراعيه كى تهتم مصر بشئونها الداخلية بتركيز أساسى ؟ ٠٠

وسؤال ثان ٠٠

اننا لم نشهد حملة على جمال عبد الناصر الذى تسبب بأخطائه السياسية الفادحة فى السقوط فى فخ الهجمة الاسرائيلية الامبريالية على مصر ٠٠ وأيضا فى هزيمته الفادحة الفاضحة التى جعلت مصر لا تستطيع المقاومة للغزو الاسرائيلى ولو لبضعة أيام ٠٠ على الأقل لتهزم مصر هزيمة

مشرفة ٠٠ ولولا المساندة السوفيتية ٠٠ وتضامن اليسار العالمى مع مصر لظهرت الهزيمة بشكلها الفاضح الحقيقى اذ أثارت الضجة والدعاية اللتين قاما بها تغطية هائلة عن مسئولية نظام عبد الناصر وفساده الذى جعله يهزم هذه الهزيمة المنكره ٠ فى ساعات وليس فى أيام ٠ ويبدو عجزه واضحا وكذلك فساد النظام من الداخل ٠٠ الى الحد الذى لم يستطع أن يحرك أى مقاومة شعبية ضد الغزو كما يحلو لدعاة الشعبية على غرار حرب فيتنام أن يقولوا أيام السادات ٠

نقول اننا اغتفرنا هذا « التطنيش » المعتمد لأننا كنا نركز على الصهيونية والامبريالية المعتديان الاثيمان ٠٠

ولكن بعض الموضوعية تقتضى تقدير الرجل الذى حارب العدو وانتصر عليه نسبيا ٠٠ وحرر الأرض ٠٠ واستردها ٠٠ حتى لو كانت هناك نواقص ٠٠ فتلك مهمة من بعده ٠٠ ومن يدرى لو لم يكن قد مات لربما استأنف فى الوقت المناسب تحركه للتخلص من تلك التنازلات !

على أنه من المناسب أن نختتم هذا الحديث بشهادة من شخصية بارزة فى أقوى قوة سياسية كانت تناهض سياسة السادات بالنسبة لحل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى وهى اليسار المصرى والعربى عموما ٠٠

والأستاذ لطفى الخولى شخصية بارزة من شخصيات اليسار ٠٠ وعلى علاقة وثيقة بمنظمة التحرير الفلسطينية حتى أنه قيل ان أبا عمار طلب من الرئيس حسنى مبارك الموافقة على ضم لطفى الخولى للوفد الفلسطينى للتفاوض مع اسرائيل فى مدريد !

لكن على أى حال ان لطفى الخولى قد عين فى الوفد المصرى الذى يرأسه وزير الخارجية المصرى الممتاز عمرو موسى ٠٠ بل ان عددا آخر من ذوى الميول اليسارية قد عينوا فى ذلك الوفد مثل الدكتور قدرى حفنى عميد كلية الطفولة ٠٠ وهو فوق أنه عالم بارز الا أنه قضى فى الاعتقال أيام جمال عبد الناصر خمس سنوات من عمره ٠٠ وهناك الدكتور على الدين هلال الذى يوصف بأنه خليفة الكاتب اليسارى الكبير أحمد بهاء الدين أستاذ جيل من الكتاب المستنيرين ٠٠ ثم هناك الدكتور المؤرخ الموضوعى العلمى المنهج د ٠ لبيب يونان ٠٠

ولذلك صح القول من كان يصدق أن لطفى الخولى يفاوض أسحق شامير ؟! وقد حدث اللقاء والتفاوض والحوار فعلا بينهما ٠٠ وبين الوفدين المصرى والإسرائيلى ! ٠٠

يقول الأستاذ لطفى الخولى فى حديث صحفى هام نشر بمجلة آخر ساعة فى يوم الأربعاء ٢٠ نوفمبر ١٩٩١ عن تقييمه للسياسة الأمريكية فى الوقت الحالى :

« ان أمريكا تنفرد لأول مرة بسلطة القرار العالمى ومن ثم أصبح لأمريكا مصالح بصياغات جديدة ... **وتحولت من الوجه القبيح والاعتماد** على اسرائيل فى التصدى لأى نظم راديكالية الى محاولة تحسين صورتها وتجميل شكلها بمحاولة الدفاع عن **حقوق الانسان والشرعية وحل مشاكلها فى المنطقة نفسها ..**

ويستطرد الأستاذ لطفى فيقول :

وبالتالى أصبح هناك ما يسمى بالتحالف العربى الأمريكى الذى لم يكن قائما من قبل بجانب التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الأمريكى القائم ... ولأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى توجد مصلحة أمريكية تتعارض مع المصلحة الاسرائيلية فى التوسع !!

وهذا كلام لايحتاج الى تعليق وبصرف النظر عن رأينا فيه .. الا أنه يعنى شيئا واحدا أن أنور السادات لم يكن واهما أو عميلا أمريكيا عندما تصور أنه يمكن تحييد أمريكا ولم يكن مخطئا عندما حاول ذلك باستماتة .. فقد ثبت كما يقول الأستاذ لطفى الخولى أحد قادة اليسار أن ذلك قد حدث أو بدأ يحدث على الأقل !

ارجعوا اذن الى الصفحات التى سودتها أقلام أغلب اليسار المصرى والعربى ضد هذا الاتجاه من جانب أنور السادات ..

ويقول الأستاذ لطفى الخولى أيضا فى حديثه المذكور عن رأيه فى اتفاقية كامب ديفيد التى وصفها بأنها لها سلبياتها ولها ايجابياتها .. **ولكنه تحدث عن اصرار السادات على حل مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى بطريق سلمى .. بطريق التفاوض فقط لاغير بقوله بالحرف الواحد ان الفكرة التى انطلق منها السادات والتى تقول أن الحسم العسكرى سواء من الجانب الاسرائيلى أو العربى غير ممكن ولا مجد .. ومن هنا بدأت تتبلور فكرة الهجوم السلامى على اسرائيل وليس العسكرى هذه الفكرة ثبت صحتها وهذا يسجل للأمانة التاريخية !! ..**

اذن أخطأ اليسار .. وأصاب السادات ! ..

ماذا كان يمكن أن يكون عليه الموقف لو اتخذ اليسار بالأمس موقف لطفى الخولى اليوم من سياسة أنور السادات لحل الصراع العربى الاسرائيلى ..

وكذلك سائر القوى الوطنية العربية ·· حزب البعث السورى ·· والعراقى ومنظمة التحرير من المؤكد أن الحصيلة كانت ستكون أكثر بكثير ·· ولتفادينا سنوات من الترقب والجهد والقلق ·· ولتفادى الشعب الفلسطينى سقوط مئات وآلاف الضحايا علاوة على عذاب الاحتلال نفسه ··

ومسلك السادات ازاء مفاوضاته مع اسرائيل ·· قد جعل بعض المراقبين السياسيين الغربيين والاسرائيليين يقولون عنه أنه قد خدع اسرائيل ·· بل صدر كتاب فى كندا بهذا المعنى ··

لكن دائما هناك حجة يتعلل بها الذين يرون نفسه يقتفون أثر السادات فى سياسته لحل المشكلة مع اسرائيل ·· فالفلسطينيون اليوم يوافقون على الحكم الذاتى ·· والسوريون يتفاوضون ويتمنون أن توافق اسرائيل على ترتيبات فى الجولان قريبة من الترتيبات فى سيناء ·

والحجة تقول ·· وقد سمعتها من بعض أعضاء الوفد الفلسطينى بالذات فى لقاءاتنا فى مدريد بمؤتمر السلام ·· ان لكل تصرف ظروفه التاريخية ·· ويعنون بهذا أن معارضة سياسة السادات ١٩٧٧ كانت سليمة وصح ١٠٠٪ ·· وسياستهم هم اليوم (التى هى فى جوهرها سياسة السادات سليمة وصح ١٠٠٪ أيضا) ···

والحقيقة ان معيار صحة أى سياسة تجاه أى مشكلة هو مدى تحقيقها للنتائج التى أدت اليها ·· مالم يتدخل عامل غير متوقع كوقوع كارثة طبيعية مثلا ·· ونقول طبيعية لأنه لو حدث تدخل بشرى أى من دولة ما مثلا ·· لايعطى عذرا لأن السياسى الماهر يجب أن يتوقع كل الاحتمالات ·· ولذلك ضحك الناس وسخروا ·

عندما قيل تبريرا لهزيمة عام ١٩٦٧ ان الطائرات التى كان متوقعا أن تأتى من الشرق جاءت من الغرب ··

كما سخر الناس من تبرير السادات لعدم تنفيذ ما وعد به فى عام الحسم بالضباب لأن أى راصد جوى يعرف احتمالات الضباب ويضعها فى حسابه ولم يكن مفاجأة أو كارثة طبيعية ··

مثلا لو أن الصين سمعت كلام الاتجاهات التى دعت أيام الثورة عام ١٩٤٦ الى غزو فورموزا وتحريرها ·· لكان تنفيذ ذلك يعنى اصطداما بالأسطول السابع الأمريكى ودخول الثوار فى حرب جديدة طويلة مع الأمريكيين ·· فأجلوا التحرير ·· فكانت النتيجة أن الصين أصبحت دولة عظمى ··

وبالمثـــل لو رفضت جبهة التحرير فى فيتنام العرض الفرنسى باقامة دولة مستقلة فى نصف فيتنام فى مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ ٠٠ لما أمكن وجود قاعدة ساعدت الثوار فى فيتنام الجنوبية ٠٠ مما أدى الى توحيـد الشطرين فى دولة واحدة ٠٠

ان السياسة التى اتبعها أنور الســادات ١٩٧٧ أدت فى الحصيلة النهـــائية رغم أى نواقص الى استرداد مصر لأرضها ٠٠ والسـياسة التى اتبعها سائر العرب أدت الى بقاء الأرض محتلة حتى يومنا هذا ٠٠ وانقسام منظمة التحرير ٠٠ وغزو لبنان ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ الخ ٠٠

لو كان الجميع تضـــامنوا ٠٠ وتفاوضـــوا معا ٠٠ لكانت الصـــورة مختلفة ٠٠ وبالمثل لو كان العرب قد قبلوا قرار التقسيم عام ١٩٤٧ لكانت الصورة قد اختلفت ٠٠ وأهداف ومستويات النضال العربى كانت ستكون أشياء أخرى ٠

لابد من الاعتراف بالخطأ للأمانة التاريخية على الأقل ٠٠

السوفيت جابوا لنا الصينية

هكذا كان أنور السادات يقدم الاتحاد السوفيتى الى الشعب المصرى بعد توليه السلطة .. وهو يشير بذلك الى العادة فى الريف المصرى عندما تتبارى أسر الفلاحين فى تقديم صينيات الطعام لاطعام القادمين لتقديم العزاء فى حالة وفاة أحد أبناء القرية .. وهى كما ترى صورة نبيلة من صور التضامن فى الريف .. يضفيها السادات على الاتحاد السوفيتى باعتباره يقف موقف التضامن والمساندة لمصر فى قضاياها المختلفة ..

وأذكر مرة أن السادات فى أول اجتماع له بالاعلاميين فى قصر عابدين وكان حاضرا الاجتماع على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف .. أن أشاد السادات بموقف الاتحاد السوفيتى من مصر ومن العرب عموما .. ثم قال بلهجة حاسمة : من يريد منكم مهاجمة الاتحاد السوفيتى فليقصف قلمه ! ..

وكان موقف السادات هذا فى بداية حكمه .. استمرارا لخط عبد الناصر وتقديره للدور السوفيتى .. هذا التقدير الذى جعله يهرع الى موسكو عندما زادت غارات العمق الاسرائيلى على مصر ليطلب من السوفيت أن يزودوه لا بالصواريخ المضادة للطائرات فقط بل بالرجال الذين يوجهونها .. وكان معنى ذلك انتقال أكثر من خمسة عشر الف عسكرى سوفيتى الى مصر .. يديرون تلك الصواريخ فى كل مكان فى مصر .. حتى يتم تدريب مثلهم من المصريين .. وذلك لحماية سماء مصر وأرضها ..

وقد تردد السوفيت فى الاستجابة للطلب بل ورفضوه أمام جمال عبد الناصر بحجة أنه من سياستهم عدم ارسال قوات سوفيتية

خارج دول حلف وارسو .. فنهض جمال عبد الناصر فى منظر تاريخى مشهود وهو يزرر جاكتته وتدمع عيناه قائلا : حسنا أنا سأعود الى مصر .. لأترك مكانى لرئيس آخر يستطيع أن يتفاهم مع الأمريكيين ! .. فجذبه بريجنييف من طرف جاكتته قائلا فى لهجة تضامن ودية :

ـ اجلس أيها الرفيق جمال عبد الناصر واعطنا فرصا لاعادة بحث الموضوع مرة أخرى ! ..

واستأذنه فى اجتماع قصير للمكتب السياسى .. وبعد فترة جاءوه متهللين قائلين نحن نوافق على طلبك ..

وفى اليوم التالى كانت الكتائب السوفيتية تتدفق على مصر جوا وبحرا ..

لكن الحال تبدل .. فلم يكد يمضى عامان على السادات فى السلطة حتى كان طرد الخبراء السوفيت من مصر .. وتأزم العلاقات .. ثم حرب ١٩٧٣ التى تحسنت العلاقات فيها .. ثم عادت فساءت منذ تملصت مصر من حضور الاتحاد السوفيتى مؤتمر جنيف الذى نص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨..وظلت العلاقات تزداد تدهورا..وان كان يبرق من حين لآخر أمل فى تحسنها من جديد .. حتى ألغى السادات معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتى ..

وانتهى الأمر باشتعال حريق التناقض بين البلدين حتى قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين من جانب أنور السادات .

ولقد كان السادات دائم الشكوى من طريقة تعامل السوفيت معه ..

كان يشكو مثلا من أنه كلما أرسل رسالة الى القيادة السوفيتية .. فانه لايتلقى فى بعض الأحيان ردا فى الوقت المناسب كما يحدث مع رؤساء الدول عادة .. فاذا ما استعجل الرد قال له السفير السوفيتى .. ان القيادة السوفيتية فى القرم .. أى فى اجازه .. « يعنى الدنيا واقفة مع مصر بس .. معايا أنا يعنى وماشية مع أمريكا وفرنسا ..و..و.. » هكذا قال لى السادات مرة أخرى ..

وكان يشكو فى خطبه دائما من أن السوفيت « شكاكين بشكل » .. كل شىء يأخذوه ويفحصوا فيه أيام « مش يوم والا تنين » ويقلبوه ذات اليمين والشمال .. « ويقولوا عن طريق المترجم بتاعهم لازم نشوف جذور الأشياء !! والكلام بتاعكم ده الى لا بيودى ولا يجيب .. والحقيقة أن السوفيت كانوا يشكون فى أنور السادات شكا عظيما لأسباب سنشرحها فيما بعد ..

على أن السادات كان يشكو أيضا من الاسلوب البيروقراطى للسوفيت فى الوقت الذى بهره فيه سرعة وبساطة التعامل الأمريكى عندما بدأ فى اتصاله بهم بواسطة كيسنجر ·

روى لى السادات القصة التالية :

وهى تدل على البيروقراطية السوفيتية واسلوب التعامل الأمريكى ·

قال : انت عارف ياعبد الستار ازاى الأمريكان اتفقوا معايا على أنهم يطهروا قناة السويس من آثار حرب ١٩٧٣ وتفتكر السوفيت عملوا ايه ؟

ـ كيسينجر وهو معى قلت له والله ياهنرى احنا عاوزين أمريكا تطهرلنا القناة علشان نفتحها بقى ·

ـ فقال كيسنجر وهو يختار كلماته فى حرج شديد : والله ياسيدى الرئيس ده بس حيقتضى ان الأسطول الأمريكى بعض سفنه حتيجى القناة لأنه مفيش طريقة لحمل المخلفات الموجـودة فى البحـر الا بواسطة قطع حربية ·· فهل تسمح بهذا ؟

ـ فقلت له : نعم مفيش مانع ! وظهرت الدهشة والفرح على وجـه كيسنجر فقال حاضر سنرى · (ويستكمل السادات حديثه) فاتضح أن الطائرة التى يركبها فيها جهـــاز لاسلكى يحدث البيت الأبيض للرئيس الأمريكى مباشرة ·· فتحدث وعاد لى فى المســـاء وقال : الرئيس فى الولايات المتحدة الأمريكية وافق ··

ـ وعلى طول وبسرعة وقال لى : انه بعد يوم كذا سوف تحضر أول سفينة أمريكية لتبدأ العمل ·· هكذا بمنتهى السرعة ··

أما بالنسبة للاخوان السوفيت وكانوا قد أخذوا القطاع الجنوبى من القناة ليقوموا بتطهيره فماذا فعلوا ؟ ·

يقول السادات : أحضرت السفير السوفييتى وأعلمته بأن أمريـكا وأوروبا سوف تساهم معنا فى تطهير القناة وانه يجب عليكم المشاركة فى ذلك (أنا قلت أجيب الروس علشان مايقولوش الأمريكان دخلوا بس) ·

ـ فقال السفير السوفيتى : حاضر ســوف أبلغ الحكومة وتركنى وخــرج ·

فعاد لى بعد ثلاثة أيــام قائلا : من فضلك اكتب لنـــا جواب موجه للحكومة السوفيتية مفاده أنكم تريدون منا المساهمة فى تطهير القناة · ثم تتعهدون لنا بدفع التكاليف ! ·

فرد السادات : أنا لا أنا كاتب جواب ولا دافع فلوس : أنا عندى فلوس أدفع لكم ؟ ·· مش عايز ·· الله الغنى !

فخرج السفير وغاب وبعد كذا يوم عاد لى وقال لى : ياسيادة الريس القيادة السوفيتية فى الكريملين وافقت على أن تأتى تطهر ومجانا ولكن اكتب لنا جواب ٠٠ فرفضت ٠٠ ولكنهم وافقوا فى الآخر !

وقال السادات : أنا أعطيتهم جنوب قناة السويس على أساس ان دائرات ميج لهم وقعت فيها ففضلت اعطائهم هذا الجانب حتى ان أخرجوهم يأخذوهم حتى لا ياخذهم الأمريكان اذا حصلوا عليهم من التطهير ! ٠

لكن هل جاء الانهيار أو الذبول في العلاقات المصرية السوفيتية رغما عن انف السادات أم هو نتيجه مخطط ٠٠ نفذه هو بذكاء وبتؤده ٠٠ وهل كانت هناك عوامل ولو من جانب السوفييت ساعدت على تحقيقه لهذا المخطط ٠٠

من احاديث كثيرة ٠٠ وقد كان موضوع العلاقات المصرية السوفيتية مثار حديث عدة مرات بينه وبينى ٠٠ يتضح لى ٠٠ ان هناك عاملين رئيسيين قد سببا التصدع فى العلاقات المصرية السوفيتية ٠٠ فى البداية تشكلوا قيادة جماعية حتى تملئوا الفراغ الذى تركه جمال عبد الناصر !٠٠

أؤكد أن السادات قال لى مرة ٠٠ انه غضب غضبا شديدا عندما قال كوسيجين له وابقية رجال عبد الناصر عندما جاء يقدم العزاء فيه : لابد أن تشكلوا قيادة جماعية حتى تملئوا الفراغ الذى تركه جمال عبد الناصر ! ٠٠

يقول السادات فى بساطة شديدة : رغم أنى حقيقى كنت مصدوم خالص في وفاة المرحوم ٠٠ وكلنا كنا حزانى ٠٠ واقول لك ايه ٠٠ كنا تايهين مش عارفين حنعمل ايه بعد عبد الناصر ٠٠

قلت له ٠٠

ـ زى الشعب كان شاعر باليتم ! ٠٠

قال ٠٠

ـ تمام ٠٠ لكن يا اخى الكلمة بتاعت كوسيجين دى كانت كالخبطة فوق دماغى ٠٠ يعنى أنا مش مالى عينهم والا ايه ٠٠ ما أنا الرئيس مؤقت والا مش مؤقت ٠٠ والا كان معنى الكلام ده أنهم يثقون بناس معينة من بتوع عبد الناصر وكأنى أنا خارج الدايرة وعايزهم يشاركوا علشان ينفذوا اللى هم عاوزينه ٠٠

وقد علمتنى كلمات السادات هذه أنه فى وسط خضم الأحزان والصدمات عند النكبات الخاصة بوفاة حاكم ما ٠٠ فان رجاله مهما تعلقوا به ٠٠ فان التفكير فى السلطة والحرص على استمرارها يحتل مكانه اللائق فى أذهانهم حتى لا يفلت الزمام ٠٠ فعند وفاة عبد الناصر مثلا

قرروا اخفاء خبر الوفاة فترة من الزمان حتى يمكن اعداد الجيش جيدا مخافة حدوث هزات ٠٠ وكذلك الأمن الداخلى ٠٠

وعندما اغتيل أنور السادات جلس حسنى مبارك أمام التليفون فى المستشفى يعطى التعليمات حتى يضمن عدم حدوث تطورات انقلابية أو فوضية أو ضد الأمن ٠٠ وقالت جيهان السادات بعدها أنها قالت له وهى فى الغرفة التى رقد زوجها فيها مضرجا بدمائه : سيادة الريس البلد عاوزاك الآن ٠٠ وانا حا أخد بالى من كل حاجة (تقصد النقل للمشرحة و ٠٠ الخ) ٠

ورغم أن السوفيت لم يكن لديهم أى شىء فى تاريخ أنور السادات أثناء حكم جمال عبد الناصر يوحى بأنه سيتخذ مواقف ضدهم أو ضد سياسة سلفه اذ لم يكن لهم احتكاك سابق به ٠٠ اللهم الا عندما زار السادات على رأس وفد برلمانى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦١ وانتقد خروشوف سياسة مصر المعادية للشيوعية مع أنها تعلن أنها تاخذ بالاشتراكية سبيلا لبناء اقتصادها ٠٠ ولكن حتى فى هذه الزيارة لم يتصرف السادات تصرفا « يعكر » صفو السوفيت اذ أنه لم يرد على كلام خروشوف ٠٠ وعاد الى مصر حيث رد عليه عبد الناصر فى رسالة نشرتها جريدة الأهرام ٠ الا أن الذى أثار شكوك السوفيت ضد السادات بعد ذلك هم رجال عبد الناصر الذين جاءوا به فى البداية متصورين أنه سيكون منفذا لأغلب اتجاهاتهم هم ٠٠ عندما رأوه يدلى بتصريحات ضد الحراسة وعن الشرعية الدستورية وسيادة القانون ٠٠ ويفتح الباب لنشاط الجماعات الاسلامية ٠٠ ثم يمد فترة وقف حرب الاستنزاف ٠٠

على الفور بدءوا يهاجمونه لدى السوفيت ويحذرون منه ٠٠ ويصورون الأمر وكأنه يمثل هجمة اليمين على ثورية نظام عبد الناصر اليسارى والأهم الصديق للاتحاد السوفيتى ٠٠

والمرء يدهش حقا ٠٠ عندما يرى بعض رجال عبد الناصر هؤلاء يعتمدون اعتمادا كاملا على السوفيت ويستعدونهم على رئيس جمهورية مصر ٠٠ كما ظهر فى الأحاديث والحوارات التى نشرتها جريدة الأهرام فى عهد رئاسة الأستاذ حسنين هيكل وما سجل فى المحكمة التى حاكمتهم والكتب التى صدرت ٠٠ ويتساءل كيف أن هؤلاء الرجال كانوا ضد الشيوعيين ولم يعذب وينكل بالشيوعيين فى عهد كما نكل بهم فى عهدهم ٠٠ ما سر توثق علاقتهم واعتمادهم هذا على السوفيت ؟ ٠٠ الاجابة كى يبقوا فى الحكم فقط فيما يبدو ٠٠ بل ان المرء يشك كثيرا الآن أن عداءهم للرأسمالية والنمو الرأسمالى الكبير ٠٠ كان فقط لأن ذلك يهدد سيطرتهم

هم على الحكم ٠٠ اذ هم كانوا يعيشون فى مستوى الأباطرة ٠٠ وان كانوا لم يسرقوا ولم ينهبوا فى الحقيقة ٠٠ وبمجرد ترك الواحد منهم الحكم كان يتعيش على معاشه ٠٠ أو ما سبق أن امتلكه أو على أى اعانات خارجية ومنها اعانات من كرم حاتمى لبعض المسئولين فى بعض دول الخليج ٠

ولم يتفهم السوفييت اطلاقا أيامها دعوى السادات للديمقراطية ففاقد الشىء لا يعطيه اذ السوفييت أنفسهم ليست لديهم ديمقراطية ٠٠ بل كانوا يعتبرون الديمقراطية رجس من عمل الشيطان ٠٠ لا لشىء الا لتمكين الرأسمالية من رقاب عباد الله ٠٠ لذلك كانوا يرون أن دعوة السادات للديمقراطية هى طريقه الى اعادة مصر الى الطريق الرأسمالى ٠٠ وكانوا يرون أن مثل تلك العودة ستؤدى بالضرورة الى عودة العلاقات الطيبة مع أمريكا ثم النفوذ الأمريكى ٠٠ لذلك بدءوا يتوجسون ريبة ٠٠ ويعلنون تخوفهم ٠٠

انقلاب السودان

ولكن السبب الثانى فى تصدع العلاقات بل هو السبب الرئيسى فى تصدعها فى رأينا ٠٠ هو موقف السادات من انقلاب السودان !

فى سنة ١٩٧١ فى يوليو كنت فى برلين الشرقية وجاءنى زميلى الأستاذ بهيج نصار الذى كان يعمل فى مجلس السلام العالمى بفنلندا وقال لى : حصل انقلاب يسارى فى السودان واستولوا على الحكم فى خمس دقائق ومستقرين فقلت له : قالوا ايه فى بيانهم الأول عن مصر ؟

قال : لم يقولوا شيئا سوى أن مصر شقيقة وعلاقتنا بها جيدة فقط فلطمت على وجهى وقلت له : يبقى الانقلاب ده حيقع ٠٠

قال : لماذا ؟؟

قلت له : حد يعمل انقلاب فى السودان ولا يشيد بمصر ويؤكد حرصه على العلاقات مع مصر وعلى التعاون والاتحاد والتنسيق معها ؟؟ ٠

وبدا لى الأمر أن أصحاب الانقلاب جماعة شيوعيون يبدو أنهم سيتخذون موقفا سياسيا متطرفا من أنور السادات وضد نظام مصر الحالى ٠

ـ ولم تمر ثلاثة أو أربعة أيام الا وعلمت باسقاط النظام فى السودان وكان وجودى فى أوروبا يتيح لى فرصة أكبر لمعرفة كيف تمت عملية تحطيم الانقلاب ٠

ـ ومن الأشياء التى أوردتها الجرائد فى الخارج أن النميرى عندما استحدث طريقته فى اعدام قادة الانقلاب جمع هؤلاء القادة وظل يتشفى

فيهم ويقول لهم (أنا مش أرسلتك للعلاج ؟ ألم أخدمك فى ذلك ؟؟ ٠٠ ٠٠٠ الخ ٠

وكان هناك قرار من المحكمة باعدام الشفيع رئيس اتحاد العمال فروت الصحف الأجنبية أن السفير السوفييتى اراد مقابلة الرئيس السادات ففهم السادات الهدف من الزيارة فكلم النميرى بسرعة تليفونيا يقول له خلص أمورك مع الشفيع قبل أن يحدثنى بأمره السفير السوفييتى) وبالفعل حدث ذلك اذ أعدم النميرى تلك الشخصية الدولية على الفور ٠

ففهم الاتحاد السوفييتى أنه خدع بسياسة أنور السادات وأنه لم يصدقه القول ٠

ولنرجع الى أحداث الانقلاب لنرى دور مصر فيه ٠٠ فنحن نعرف أن النميرى استولى على الحكم فى السودان فى مايو سنة ١٩٦٩ بمساعدة مجموعة من الضباط تضم الاتجاهات الوطنية المختلفة ومنها الضباط الشيوعيون ٠

لكن جعفر النميرى انفرد بالسلطان وتخلص من كل الضباط سواء شيوعيين أو غير شيوعيين وأقام ديكتاتورية عسكرية متخلفة داخل السودان وفى شهر يوليو سنة ١٩٧١ قامت مجموعة ضباط من الذين طردهم بانقلاب واستولوا على الحكم بسرعة مذهلة فى أحد أيام رمضان وتم القبض على النميرى ووضعوه فى السجن ٠٠ ولكنهم كانوا سذجا ومعتنقين كلاما نظريا وأعلنوا فى خطابهم عن هويتهم ولم يقوموا بمناورة للتعمية عن تلك الهوية ولم يعلنوا الأحكام العرفية اعتمادا على الجماهير وعلى المظاهرات التى شارك فيها طبعا أنصار المهدى والاخوان المسلمين أى خصوم اليسار ٠ وقرروا ألا يعدموا أحدا ولم يقبضوا على كل أعوان النميرى وأعلنوا قراراتهم فى بيان عادى ولم يتجهوا الى مصر وقالوا اننا نحافظ على العلاقات مع الشقيقة مصر فقط) وتجاهلوا مواثيق الاتحاد بين مصر والسودان وليبيا ٠٠

ووضعوا برنامجا معلنا لهم يساريا يثير استفزاز ومخاوف البرجوازية العربية كلها وليس السودانية فقط ! فى الوقت الذى كانت هناك علاقات وثيقة بين نظام النميرى ومصر ٠

علاوة على أن النظام الجديد لم يشعر بقوة الجيران ومدى امكانياتهم فى ضرب الانقلاب وبأن لهم أعوانا داخل السودان ولم يدركوا أن النظامين المجاورين لنظام النميرى نظامان معاديان تماما لليسار وهما نظام أنور السادات ونظام القذافى بالذات ٠

فالقذافى أيامها كان متخلفا ورجعيا جدا وكانت كل مهمته توجيه الشتائم للاتحاد السوفييتى والشيوعية ٠

— ماذا كان دور مصر وليبيا فى هذا الانقلاب ؟؟؟ .

كان زعيم الانقلاب المرحوم بابكر النور وكان ضابط جيش يسارى وكان يعالج فى لندن وكان معه زميــل وطنى يدعى فاروق حمد الله ٠٠ أما من قام بالانقلاب فهو ضابط شجاع اسمه (هاشم العطا) وأعلن أن (زعيم الانقلاب فى لندن) ٠٠ وهذا كان خطأ منه وقال أن الزعيم سيأتى الى الخرطوم مساء يوم الجمعة المقبل ٠٠ بعد ثلاثة أيام مستقلا طائرة كذا الساعة كذا على الخطوط الجوية البريطانية التى ستقلع من لندن وطبعا هذا أسلوب ساذج وكأنما لا يوجد متآمرون فى العالم !

وكان هدف القذافى والسادات احباط هذا الانقلاب الشيوعى ٠٠ فقام السادات والقذافى بالاتفاق مع وزير سودانى بيوغوسلافيــا يدعى (منصور خالد) ونظموا مؤامرة ضخمة جدا وشــاركت فيها المخابرات البريطانية وتيتو وجزيرة مالطة أنجحتها سذاجة الزعماء السودانيين القادمين من لندن الذين ذهبوا الى مطار هثرو ليركبوا طائرة ركاب بريطانية عادية والحــكومة الانجليزية فتحت لهم باب كبار الزوار والف صــحفى أحاط بهم ٠٠ وركبوا الطائرة وعند مرورها بليبيا هبطت الطائرة فى ليبيا وقال الطيار القائد للطائرة أن هناك طائرات تهدده بالنزول فى ليبيا وهبط فى المطار والقذافى بكل بســـاطة تسلم بابكر النور وفاروق حمد الله وسلمهم فى رعونة وغدر للسودان ليذبحهم النميرى ٠ أما أنور السادات بدوره فقد أرسل للسودان ابر دبابات وطلبة الحربية المصرية الذين كانوا معسكرين فى السودان ٠

وفى نفس الوقت كى يخدع السادات الانقلابيين بعث اليهم باثنين من العناصر اليسارية المعروفين لقادة الحزب الشيوعى الســودانى وهما الأستاذان أحمــد فؤاد رئيس بنــك مصر حينــذاك وأحمــد حمروش رئيس تحرير روز اليوسف وقتها ٠٠ وذلك كى يطلبوا من رجال الانقلاب عدم اعدام جعفر نميرى ٠٠ وأكد لهم هاشم العطا أنهم لم يفكروا فى اعدامه ٠٠ وأن غاية ما سيحدث هو أنه سيقدم للمحاكمة باعتباره ديكتاتورا ٠٠

والطريف أن زوجة جعفر نميرى كانت هناك فى لقــاء مع هاشم العطا ٠٠ لتطمئن على زوجهــا ٠٠ ورئيس الانقـــلاب يطمئنهــا ويطيب خاطرها ٠٠ بينما سفك زوجها فيما بعد دم العطا وكل زملائه فى تلذذ وحشى ! ودفع النميرى الثمن فادحا بعد ذلك اذ من يومها تصدعت مكانته فى العالم العربى ، بل فى العالم كله كما عود الشعب السودانى على عمليات التصفية البدنية للخصوم السياسيين وتعذيبهم كما هو حاصل اليوم فى عهد ما يسمى بالجبهة الاسلامية بقيادة انقلاب البشير ٠

طبعا ٠٠ وتجولوا فى الشوارع مع عدد من الضباط والجنود من أنصار نميرى ٠٠

وتحطمت معنوية الانقلابيين وأنصـــارهم عندما قبض القذافى على زعمائهم باجبار الطائرة على الهبوط ٠٠ وفشل الانقلاب وعاد نميرى الى السلطة ٠٠

وأجرى مجزرته الشهيرة لقادة الانقلاب بعد محاكمة سرية ٠٠ رغم أنه بدأها علنية ٠٠ ومن بين الذين أعدمهم رئيس اتحاد عمال السودان الشفيع ونائب رئيس اتحاد العمال العالمى كما ذكرنا من قبل ٠٠ الذى طالما أيد الشعوب العربية ونضالها ومن بينها السودان ٠

ولسخرية القدر اتضح أن الشفيع كان يعارض فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى تأييد الانقلاب العسكرى ٠

وقد خدع السادات السوفييت عندما قام انقلاب السودان ٠٠ اذ اقترحوا عليه أن يعترف به فور قيامه فرد قائلا أنه لا يستطيع أن يعترف به ٠٠ نحن ننتظر ونرى ٠٠ فطلبوا منه عدم التدخل فوعدهم بذلك ٠٠ ولكنه فى الحقيقة كما رأينا تدخل ٠٠

ورغم أن دور السادات لم يكن ظاهرا فى حينها ٠٠ الا أنه كشفه بعد أيام عندما قال فى احدى خطبه : وأثبتنا أن لنا فى السودان أنيابا حادة ! » ٠٠

وكان واضحا أنها رسالة موجهة منه للسوفيت ٠٠ حتى لا يفكروا مرة أخرى فى اقامة نظام موال لهم على حدود مصر ٠٠

وعندما جاء القادة السوفييت الكبـــار الى مصر ومنهم بونا ماريف المرشح لعضوية المكتب السوفييتى ٠٠ أبدوا غضبهم (فى شكل دبلوماسى مهذب) للسادات على تدخله فى السودان ٠٠

وقال لى السادات مرة أنه قال لبونا ماريف بمجرد أن جلس اليه ٠٠ أنا رجل صريح ٠٠ وأريد أن أقول لكم اذا كنتم تتصورون أنه ممكن أن يقوم نظام شيوعى فى بلد عربى فهذا وهم ٠٠ هذه المنطقة فيها الدين الاسلامى ويتعارض مع الشيوعية ٠٠ ومن الأفضل أن تقيموا سياستكم على هذا الأساس ٠٠

وكرر : لا أحد سيسمح باقامة نظام شيوعى فى بلد عربى أبدا ٠٠

وقال لى السادات ضاحكا ٠٠ انه واضح أن بونا ماريف (اتاخد) من الكلام ده ٠٠ هو جاى يتكلم فى الموضوع علشان يقول يصح ومايصحش ٠٠ لاقانى قابلته على طول بالمفيد والمختصر معا ! ٠٠

ركب طلبة الكلية الحربية المصرية الدبابات بعد أن زودوها بالابر التى أرسلت لهم على نفس الطائرة التي أقلت مبعوثي أنور السادات خلسة

انهارت الثقة تماما فى أنور السادات من جانب السوفييت ٠٠ وأيقنوا تماما بحكم ادراكهم أن الغرب قد شارك فى اسقاط الانقلاب اليسارى ٠٠ وأنه صاحب المصلحة الأولى فى ذلك الاسقاط ٠٠ فان السادات كان حليف الغرب فى العملية كلها ٠٠ أى تربطه مصالح به ٠٠ وان أدى هذا الحلف الى افقاد السوفييت موقعا لهم فيه نفوذ ومكانة ٠٠ فمما لا شك فيه أن السودان لو كان قد قيض للانقلاب أن ينجح كان سيكون منطقة « نفوذ » سوفيتية لا فى أفريقيا فقط بل فى العالم العربى كله ٠٠ وسيتأثر الوضع فى ليبيا ٠٠ وفى مصر ٠٠

والواقع أنه لو كان عبد الناصر نفسه فى الحكم لسلك سلوكا ربما بطريقة مخالفة لافشال تحول السودان الى الشيوعية أيضا ٠٠ ونحن نذكر جيدا موقف عبد الناصر ضد التطورات اليسارية فى العراق بعد أن قامت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ هناك ٠٠ وتدعم مركز الحزب الشيوعى العراقى ٠٠ وقامر السوفييت على تأييد ثورة العراق وتصوروا أنها ستكون الركيزة الثورية لنشر الشيوعية فى العالم العربى ومرتكزا « للنفوذ » السوفييتى فى مواجهة الاستعمار الأمريكى فى المنطقة ٠٠

فقد شجع عبد الناصر البعثيين ليقضوا على الشيوعيين وعبد الكريم قاسم وحملت الطائرات المصرية مدافع بور سعيد الرشاشة لتحصد أرواح الخصوم فى شوارع بغداد ٠٠

السياسة اذن قديمة ٠٠ عبد الناصر ٠٠ فالسادات ٠٠ فما يحكم سير الأمور هو المصلحة ٠٠ ولقد أثر انقلاب السودان وموقف مصر منه فى الفكر الشيوعى العالمى نفسه تجاه البلاد المستقلة ٠٠ لا مجال هنا لذكره لكن من يومها تعامل السوفييت بحرص وبغير سخاء معها ٠٠

انعكس عدم الثقة السوفيتى هذا فى أمرين :

أولا : اصرار السوفيت على عقد معاهدة بينهم وبين مصر ٠٠

وثانيا : فى عمليات توريد الأسلحة لمصر ٠٠ وان كان هناك عامل آخر ساعد فى تلكؤ السوفييت أحيانا فى توريد الأسلحة فقد سيطرت عليهم فكرة أن اعطاء مصر أسلحة تساعدهم على الهجوم سوف يسمح بقيام حرب عالمية ثالثة محتملة وهم سيتورطون فى ذلك لأنهم لم تكن لديهم أية ثقة فى الجيش المصرى أنه من الممكن أن ينتصر فى حرب بعد تجربة سنة ١٩٥٦ وبعد تجربة سنة ١٩٦٧ ٠٠ والهزيمة فيها حيث كتبت أيامها صحيفة البرافدا السوفيتية ان الهزيمة حدثت لسيطرة البرجوازية العسكرية المصرية على الجيش المصرى) ٠

وكانوا يرون أن الوضع ظل على ما هو عليه ولم يحدث أى تغيير لا فى الجيش المصرى ولا فى المجتمع ثم جاءت أخبار التناقض بين الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر وما ورد من فضائح عن الحرب كشفت عنها حرب سنة ١٩٦٧ وعدم قيام كبار الضباط بمسئوليتهم تجاه تلك الحرب ومحاكمة المشير والانتحار وغيرها من الفضائح فى هذه الفترة ٠

ومن هنا كانوا يخشون حدوث حرب عالمية ثالثة لتوقعهم أن أى حرب سوف تدخلها مصر فسوف تهزم فيها وهذه نقطة حرجة قد تضطرهم الى الاشتباك فى صدام أو مناورات مع الولايات المتحدة وهذا بالفعل ما كاد يحدث فى سنة ١٩٥٦ عند الانذار البريطانى وأيضا فى سنة ١٩٦٧ عندما قالوا للأمريكان (أوقفوهم والا أوقفناهم نحن عند الشاطىء الشرقى لقناة السويس » ويقصدون بذلك اسرائيل ٠٠

لذلك كانوا يرفضون اعطاء الأسلحة لنا أو هذه كانت وجهة نظرهم ٠٠ وطبعا أثبتت الأيام أن وجهة النظر هذه خاطئة لأن الجيش المصرى استطاع أن يضرب اسرائيل فى المعركة ٠٠ لكن حدث ما تخوفه الروس وهو أننا بعد الثغرة حدثت لدينا فوضى فى الجيش المصرى ولاحت بوادر غير مطمئنة واستغاث السادات بكل من أمريكا والاتجاه السوفيتى ٠

ويجب ونحن نناقش موقف الاتحاد السوفيتى من قضايا مصر ومن قضايا التحرر عموما أن ندرك أن الخطر الأهم والرئيسى الذى ينظر اليه الاتحاد السوفيتى هو الصدام بينه وبين الولايات المتحدة ٠٠ هذه كانت هى القضية الرئيسية ومحور السياسة السوفيتية منذ الحرب العالمية الثالثة ٠ التركيز على ألا يحدث صدام مسلح بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ حتى تلاشى كل شىء حاليا ولم تعد هناك مساعدات لأى حركة تحرر ٠٠ ولا خوف من حرب مع الولايات المتحدة بل تبعية اختيارية لها !

ولقد شرحنا من قبل نظرية أنور السادات فى كيفية التوصل الى تحرير البلاد بعد حرب أكتوبر من خلال كسب الولايات المتحدة الى نوع من الحياد بين العرب واسرائيل ٠٠ فذلك « التحييد » فى حد ذاته يؤدى الى مساعدتها للعرب ٠

وأدرك أن واحدة من الوسائل التى عليه استخدامها للتوصل الى هذا الهدف ٠٠ هو تقليص علاقته مع الاتحاد السوفيتى ٠٠ ليس هذا فحسب بل تقليصها مع العالم العربى كله ٠٠ ولذا بدا بعد نهاية حرب أكتوبر أن الاتحاد السوفيتى كما لو كان قد جوزى بجزاء سنمار حسب المثل العربى الشهير ٠٠ اذ بدأت حملة اعلامية ترحب بالولايات المتحدة

التى ساندت اسرائيل وكانت السبب فى حدوث الثغرة ٠٠ بينما الاتحاد السوفيتى الذى وقف الى جانبنا ٠٠ بدأت حملة منظمة من الهجوم عليه والتشكيك فى جدوى مساعدته لنا ! وهذا طبعا كان له مردود سوفيتى عنيف ذكرهم بالاهانة التى وجهها أنور السادات للعسكرية السوفيتية عندما أمر بالاستغناء عن الخبراء السوفيت بذلك الشكل المفاجىء والمهين كما قال بحق زميلنا الأستاذ عبد الملك خليل مراسل الأهرام فى موسكو والخبير المصرى البارز فى الشئون السوفيتية ٠

ورغم أنه بعد عام واحد من طرد الخبراء طلب السادات مساعدات من موسكو ٠٠ ودخل الحرب وقال قولته الشهيرة للسفير السوفييتى : لقد انتصرنا بسلاح سوفيتى ٠٠ وهكذا يجب أن يكون التعاون بيننا) ٠ وتصور البعض أن شهر العسل سيعود من جديد بين مصر والسوفييت ٠٠ ولكن ذلك كان مجرد أضغاث أحلام ٠٠

اذ ساءت الأمور وتدهورت ٠٠ حتى عندما حدثت المبادرة أخطأ السوفيت خطأ فادحا جديدا عندما رفضوا أن يلحقوا بالمؤتمر الدولى فى مينا هاوس فى أوائل عام ١٩٧٨ الذى دعا اليه السادات ٠٠ اذ قامروا على جواد خاسر هو جبهة الرفض التى كان يتزعمها العراق وسوريا حينذاك ٠٠

كان السوفييت يعيشون على أمل أو وهم صوره لهم هؤلاء الرافضون أن هناك قوى شعبية عامة تتربص بأنور السادات وستخلعه وهذه القوى هى قوى الشعب التى يقودها الناصريون ٠

وزعموا لهم أن مقتل نظام السادات هو عمل علاقة مع اسرائيل ٠٠ اذ الجماهير المصرية والعربية معبأة ضد مجرد الاعتراف بها ٠٠ اذن لابد ان نظامه هالك وساقط ساقط بعد زيارته للقدس ٠٠ واجرائه المفاوضات ٠

وكان ذلك قصورا فى الفهم السياسى لدى السوفييت ٠٠ وقد أكد لى هيرمان أيلتس السفير الأسبق للولايات المتحدة فى مصر وقد قابلته فى نيويورك عام ١٩٨٠ أن السفير السوفييتى فى القاهرة قال له أيام مؤتمر مينا هاوس أنه أشار على حكومته أن تنضم اليه ولكنهم قالوا له من موسكو أننا متضامنون مع سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ٠٠

وكان السوفييت يعتبرون أن مؤتمر ميناهاوس للتفاوض مع اسرائيل نقطة فى صالح غريمتهم الولايات المتحدة ٠٠ واذا نجحت أمريكا فى عقد صلح بين العرب واسرائيل أصبحت المنطقة كلها تحت النفوذ أو صديقة للولايات المتحدة على الأقل ٠٠ فبضيع النفوذ السوفيتى تماما ٠٠ لذلك كانوا يأملون أن المقاومة العربية الممثلة فى الدول المعارضة ٠٠ بالاضافة

الى الشعور الشعبى العام سيطيح بكل هذه المحاولات ٠٠ والمدخل لذلك الاطاحة بنظام السادات ٠٠

وناوش السادات كثيرا الاتحاد السوفييتى بعد ذلك وتحرش به ٠٠ وعمد الى الأساليب القديمة بالاتهام بالتجسس لعدد من السوفييت الذين ما كانوا الا صحفيين يقومون بما يقوم به أى صحفى من جمع التحقيقات والأخبار عما يجرى ٠٠

وتعود السادات أن يشتم الاتحاد السوفييتى صباح مساء فى خطبه ويهاجم نظامه الداخلى ٠٠ ويربط بينه وبين اليسار فى مصر ٠٠

وكما خسر الاتحاد السوفييتى من جراء تخليه عن أنور السادات تماما وفقا لتصوراته وتوهماته ٠٠ كذلك خسر أنور السادات اذ لم يستطع أن يجد نصيرا دوليا كبيرا يساعده فى استخلاص حقوق أكثر فى مفاوضاته مع الاسرائيليين ٠٠أى أنه فقد الورقة الروسية تماما ٠٠

وانعكس ذلك على الوضع الاقتصادى اذ تلكأ السوفييت فى تزويد مصر بقطع الغيار للمصانع السوفيتية ٠٠ وبدءوا يطالبون بديونهم ٠٠ فقال السادات فى نوبة حماس طائش : لن نسدد الديون ٠٠

على أنه من المتناقضات أن السادات خدم السوفييت خدمة جليلة دون قصد طبعا عندما أعلن فجأة قبل مصرعه بفترة قصيرة ٠٠ أن أمريكا تورد السلاح للمجاهدين الأفغان عن طريق مصر ٠٠ وكانت أمريكا تخفى ذلك عن العالم ٠٠ ووضعها فى حرج مع السوفييت ٠٠ وقيل أيامها بعد اذاعة السادات هذا الأمر قررت أن الولايات المتحدة قررت من لحظتها التخلى عنه ٠٠ وتركته يموت !! ٠٠

السادات والقذافى وجها لوجه ؟!

من علامات الطريق فى علاقة أنور السادات بالبلاد العربية اخترنا علاقته بليبيــا فقد كانت فصــولها أكثر ضجيجا وإثارة ..

وكنت قريبا جدا منها .. لفترة من الزمان ..

السادات وليبيا

« كان النبـــأ مثـيرا كالقنبلة ٠٠

ولم يكن سهلا أن يصدق قراء « روز اليوسف » مع أنه مكتوب بخط عريض بارز على غلافها : القذافى يتحدث الى روز اليوسف !

وليس هناك بالطبع ما يثير فى أن يتحدث رئيس أية دولة الى أية صحيفة ٠ ولكن الظروف التى ظهر فيها الحديث هى التى جعلته قنبلة ؟!

كانت العلاقات بين مصر وليبيا فى قمة التوتر ٠ والسباب المتبادل هو المادة الوحيدة التى تنشرها صحافة كل من البلدين أو تذيعها اذاعته ٠ وتفاقم التوتر الى أن كلا من الصحافتين أصبح همهما « اهانة » رئيس البلد الآخر شخصيا بالاسم ٠٠ واضطر المشرفون على عقد مؤتمر عدم الانحياز فى كولومبو فى (أغسطس ١٩٧٦) أن يضعوا خطة محكمة لضمان ألا يلتقى الرئيسان بالصدفة فى أى مكان طوال أيام المؤتمر ٠٠

وزاد الطين بلة أنه فى تلك الأيام غمرت وجه مصر موجة من القنابل ـ الحقيقيـة لا الصحفية ـ فى أماكن التجمعـات العامة بمحطات السكك الحديدية ومكاتب الحكومة ٠٠ الخ ٠

فى ظل هذه الظروف كلها ٠٠ لم يكن شيئا طبيعيا أن تصدر أى صحيفة مصرية وعلى غلافها حديث للرئيس الليبى معمر القذافى !

ثم ان مادة الحديث كانت على تناقض تام مع الجو السائد ٠٠ فالقذافى كان فى حديثه يتبرأ من مسئولية موجة القنابل ويتهم بها جهات مصرية ٠٠ وكان يلقى مسئولية النزاع على عاتق مصر ويتهمها بالتحضير للعدوان على ليبيا ٠٠ وكان ينفى أى هجوم من جانبه على شخص الرئيس السادات

ويطالبه بالحاح بالموافقة على عقد لقاء بينهما ويعلن مقدما أنه سيرضى حكمه كوالد له ٠

ولا شك أن نشر شىء كهذا فى الظروف التى سبق شرحها « كان نوعا من السباحة ضد التيار » وكان ينطوى على شىء من التحدى والمغامرة فضلا عما يمكن أن يثير من استفزاز وما يمكن أن يجلب من صراع ٠٠

ولكن الذى حدث أن عدد روز اليوسف نفد من السوق بعد ساعة من صدوره ٠٠ واضطر المسئولون عن التوزيع الى دفع مبالغ كبيرة لاسترداد عدة نسخ من السوق لأرشيف المجلة !

وأحدث نشر الحديث ضجة فى العالم العربى أيضا ٠٠ وأحدث الضجة الأكبر فى ليبيا نفسها ٠٠ واشترى مكتب العلاقات الليبى فى القاهرة عدة آلاف من النسخ وأرسلها الى ليبيا ٠٠ حيث تبخرت فى دقائق ٠٠ فقد كانت أول مرة يرى القارىء الليبى فيها صحيفة مصرية لا تشتم رئيسه وانما تنشر حديثا معه ٠

كان مجرد النشر هو المفاجأة سواء للقارىء المصرى أو للقارىء الليبى ولكن الحديث كان ينطوى على ما هو أهم ٠

كان جزء كبير من حديث الرئيس الليبى أشبه برسالة موجهة الى الرئيس المصرى ، وكان معظم ما يقوله يبدأ بتعبيرات مثل :

قل للرئيس السادات كذا ــ أطلب من الرئيس السادات كيت ٠٠

وفى بعض الفقرات كان واضحا أن الرئيس الليبى يطلب من محدثه ــ عبد الستار الطويلة ــ أن يقابل الرئيس السادات وينقل اليه الكلام حرفيا ويناقشه فيه ٠٠ وبالذات فى اقتراح عقد لقاء خاص بينهما ٠

ولم تستطع « روز اليوسف » أن تقاوم الاحساس بأن الرئيس الليبى يطلب منها القيام بنوع من الوساطة بينه وبين الرئيس السادات لكنها تجنبت أية اشارة الى احساسها هذا عندما نشرت الحديث ٠٠ واكتفت بأن تكلف عبد الستار الطويلة بطلب مقابلة الرئيس المصرى ٠٠ وتقديم تقرير كامل عن حواره مع القذافى ابراء لذمتها السياسية ٠٠ وتمت هذه المقابلة فعلا ٠٠

سافر عبد الستار الطويلة الى أوربا فى رحلة لم يكن فى برنامجها على الاطلاق زيارة ليبيا ٠٠ ولكن السفير الليبى فى بون قلب البرنامج رأسا على عقب وفاجأه ببرقيات من العاصمة الليبية تطلب سفره فورا الى ليبيا لمقابلة الرئيس القذافى ٠٠

وهنــاك فى ليبيــا كان الرئيس هو الذى يسأل والطويلة هو الذى يجيب ٠

وكانت أسئلة الرئيس الليبى تنصب على مسألة واحدة ، ماذا كان رد فعل السادات لحديثه ؟ وماذا كان جوابه على اقتراح اللقاء بينهما ٠٠ وهــل تستطيع روز اليوسف أن تواصــل دورها الوطنى هــذا ٠٠ أم لا تستطيع ؟

واستمر الحوار على امتداد يومين ٠٠

« وخلال هذين اليومين تطور الحديث الى تكليف صريح بالوساطة وطلب الرئيس الليبى أن يعود اليه عبد الستار الطويلة برد واضح ٠٠ ونمنى له النجاح فى مهمته ٠٠

ولم تتردد روز اليوسف هذه المرة فى تكليف الطويلة بطلب مقابلة الرئيس السادات ونقل الرسالة اليه قبل أن تنشر حرفا منها ٠ فالرئيس الليبى لم يقابله هذه المرة ككاتب صحفى وانما كرسول سياسى يجب أن يؤدى الرسالة أولا وبعدها يمكن اعتبارها مادة صحفية صالحة للنشر » ٠

السطور السابقة كتبهــا الكاتب الكبير صــلاح حافظ رئيس تحرير روز اليوسف الأسبق وكبير المحررين بجريدة العالم اليوم اليوميــة ٠٠ رأينا أن نستهل بها الحديث عن المسألة الليبية !

البـداية

كان بينى وبين العقيد القذافى رصيد ..

وربما كان ذلك قد شكل دافعا خفيا وراء حرصى على السعى الى مقابلته فى كولومبو فى أغسطس عام ١٩٧٦ أثناء عقد مؤتمر عدم الانحياز هناك .. حيث دار بيننا ذلك الحوار الذى تفجر فى العالم العربى بل العالم كله كالقنبلة ..

فالواقع أنه لم يكن ذلك أول حوار دار بين العقيد وبينى .. فقد سبق ذلك حوار جرى صيف عام ١٩٧٣ فى شهر يوليو بالذات .. ولهذا الحوار قصة ..

دق جرس التليفون بعـد ظهر يـوم من أيام ذلك الشهر فى مكتب عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف وقال قائل من قصر القبة أن العقيد القذافى يود الحضور الى مؤسسة روز اليوسف لاجراء حوار مع محرريها .. فى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم .. ووافق الشرقاوى على الفور !!

ماذا كانت الصورة فى ذهنى عن العقيد القذافى قبل ذلك اللقاء ؟

انه شاب متحمس .. يبدو عصبيا متطرفا محدود الخبرة (وفجاً) فى بعض أحكامه وأفكاره .. ومعاد فى تعصب متخلف للماركسية وللاتحاد السوفيتى .. وهو ديكتاتور يزج بمعارضيه فى السجون والمعتقلات ولا بأس من تعذيبهم عذابا أليما !؟

وهو متحمس للوحدة العربية بشكل (دروشة) ويرفع لواء اقامة دولة الاسلام بينما يعذب الاخوان المسلمين الأصحاب الأصليين لهذا الشعار

وهو صاحب ومدبر أكبر عملية اختطاف دولية جوية لقادة وطنيين من أبطال الشعب السودانى فاروق حمد الله وأبا بكر النور ؟؟

وكان يلفت نظرى فيه أيضا أنه ٠٠ أى العقيد القذافى ٠٠ الذى من حقه أن يختلف وينقد سياسة مصر يعالج الأمر فى عصبية واندفاع شديدين تجعل نقده يضيع فى زحام من الألفاظ الضخمة ٠٠

ويبدو أن حرب أكتوبر قد زادته توترا وعصبية واستمعت أيامها الى تحليل جدير بالتأمل عن هذا التوتر :

يقول التحليل أن أنصار القذافى فى مصر والعالم العربى قد زينوا له أن يكون خليفة لعبد الناصر فى المنطقة ٠٠ ولقد كان القذافى يقتات لهذه الخلافة من عجز النظام المصرى عن محاربة العدو الاسرائيلى ٠

وكلنا يذكر تلك الأيام السوداء البائسة قبل ٦ أكتوبر ٠٠ ولكن ما أن عبر السادات قناة السويس ٠٠ حتى بدا للعالم قائدا شامخا عملاقا ٠٠ ولم يعد هناك عجز يمكن أن يكون وقودا لزعامة أخرى تعد وتهىء للعالم العربى ! ٠٠

ومن هنا جاءت عصبية القذافى التى تمثلت فى هجماته العنيفة على سياسة مصر وعلى مسار حرب أكتوبر ٠ كما يقول أصحاب ذلك التحليل ٠

ومثل ذلك « التحليل » قد انتشر فى أرجاء كثيرة فى العالم العربى ولا شك أنه لعب دورا سيئا فى توسيع هوة الخلاف بين مصر وليبيا ٠

وفيما بعد قال لى القذافى عن هذا التحليل كما سيرى القارىء فى الصفحات القادمة أنه « تحليل أمريكى » ٠٠ يهدف الى الايقاع بينه وبين السادات ٠٠

ولم تكن حكاية « النظرية الثالثة » تثير دهشتى فمن حقائق السياسة فى عصرنا الحالى أن الدولة المستقلة حديثا تبحث لها عن طريق مستقل للتطور السياسى والاجتماعى ٠٠ ولم يأت اسم العالم الثالث عبثا ٠٠

ومن هنا ظهرت مواثيق وطنية متعددة تحمل اسم نكروما ونيريرى وجمال عبد الناصر ومن قبلهم فى شكل بدائى سوكارنو ٠٠

ولكن العقيد القذافى اشتهر عنه أيضا فى ذلك الوقت أنه يمارس حكما ديكتاتوريا لا علاقة له بالديموقراطية ٠٠

ولا شك أن العقيد القذافى قد تصرف منذ ثورة الفاتح من سبتمبر تصرفات معادية لقوى وطنية عربية مثل الشيوعيين والبعثيين وغيرهم فى السنوات الأولى من حكمه ٠٠ مما زاد فى كم وكيف القوى الساعية لتقسيم

الوحـدة الوطنية العربية في وقت كان عبد الناصر قد عمل فى سنواته الأخيرة على تدعيم هذه الوحدة ٠٠ كما أن حزب البعث العراقى كان قد بدأ بعد ثورة ١٩٦٨ خطوته الأولى على طريق رأب الصدع الوطنى فى العراق والاتجاه نحو تحقيق الجبهة الوطنية التقدمية هناك ٠

وقد أثارت سياسة القذافى الشكوك أيامها فى نفوس الكثيرين٠٠ومن هنا استسهل البعض التفسيرات المبسطة كالعادة واتهموه فى وطنيته ٠٠

ان الحوار مع القذافى قد كشف لى تماما عن سذاجة تلك التفسيرات السطحية وترسخ فى أعماقى اليقين بوطنيته مع وعى وتكشف واسع لأفكاره ومنهجه وتناقضاته الفكرية والسياسية مع التيار الذى انتمى اليه ٠٠

ولم أدهش أبدا بعد ذلك من قراءة أية أخبار عن تصرفات أو تصريحات تبدو غريبة للعقيد وان كنت لم أكف عن انتقاد بعضها ٠٠

بل حتى « المسيرة الوحدوية » التى أثارت ضجة كبيرة أيامها لم تثر دهشتى ٠٠ وان كنت قد أيقنت من خطرها الداهم كأسلوب اجبارى لفرض وحدة اندماجية لا تريدها الجماهير المصرية الآن ــ وكفرصة لعناصر اليمين والتخريب الخفية لاثارة تخريب وحريق فى القاهرة أخطر وأوسع مدى من حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢ المشهور تحت شعار تحطيم أوكار الرذيلة فى شارع الهرم ٠ ٠

والواقع اننى أيامهـا كنت أترقب فى قلق وجـزع موقف القيـادة السياسية المصرية ازاء تلك المحاولة الفجة والارهابية لفرض الوحدة ٠٠ وكنت أخشى أن ترهب القيادة من حكاية الوحدة فتفتح الباب للمســيرة فتحدث كارثة تخريبية فى البلاد تطيح بالنظام كله ٠٠

وتنفست الصعداء كما تنفس الكثيرون عندما وقفت القيادة المصرية وقفة قوية صلبة وذكية ازاء تلك المحاولة الهوجائية ٠

وأحسست ان تلك المسيرة وما صاحبها من تنصل للعقيد من المسئولية عن حدوثها كانت بداية حفر أخدود عميق لا بين القيادتين السياسيتين فى مصر وليبيا فحسب بل بداية تشكك قوى سياسية واجتماعية أخرى كانت ترحب بالوحدة بين البلدين ٠٠

ان سياسة أنور السادات كانت تتميز بأنها تعتمد على الوضوح تماما والوضوح لا يتناقض مع العبقرية والبراعة والمناورة والمكر السياسى ٠٠

ولقد حدد السادات منذ البداية موقفه من الوحدة مع ليبيا ٠٠ انه والحق عليهـا ٠٠ على أن تنفـذ على خطوات ٠٠ وهو نفس موقف جمال عبد الناصر ٠

والسادات قد اصطدم بما سمى بمراكز القوى أيامها عندما اعترض السيد على صبرى وزملاؤه فى اللجنة التنفيذية العليا على مثل ذلك الاتجاه للوحدة مع ليبيا ..

وقد كان ذلك مثيرا للدهشة .. لكن الحقيقة أن السادات كان يريد تقوية مركزه بدعاو كهذه عن الوحدة ..

ولقد تعاون السادات تماما مع العقيد القذافى .. وفتح له باب مصر على مصراعيه .. بل وباب بيته .. وتجاهل كل ما كان يدعو اليه بعض الناصريين علنا من خلافة موروثة للقـذافى لمكان عبـد الناصر الذى خلا بوفاته .. وهى دعوة لم نسمع يوما من الأيام نقدا لها من العقيد ان لم يكن استنكارا لها لأنها تشق الصف الوطنى العربى وتمثل كمينا أو فخا للعلاقات المصرية الليبية .

وتجاهل السادات أيضا تحرك بعض القوى التى نسبت نفسها للقذافى ان حقـا أو كذبا وحاولت تكتيل نفسها وغيرها من حـوله داعية له فى الجامعات وأوساط المثقفين .. بل وفى الريف فقد كان البعض يسميه ـ أى القذافى ـ بعمر بن الخطاب ! ..

لا شك أن الكثيرين من خصوم الوحدة أو التقارب بين البلدين قد استخدموا هذا كله للوقيعة بين الاثنين : السادات والقذافى ..

ولكن السادات لم يبال بهذا كله ولم يلتفت اليه . ولكن أسلوب المسيرة وأسلوب العقيد فى مواجهتها قد خلق شرخا فى جدار العلاقة ـ لأنه لا شك قد بدا للسادات أنه لا يستطيع التعامل بسهولة مع القـائد الشاب لليبيا .. فما دام الاعتراف بالمسئولية قد افتقد السبيل الى تحديده .. فكيف يمكن التعامل على مدى استراتيجى عميق مثل مدى الوحـدة بين البلدين ؟

ومع ذلك أوكل أمر انجاز الخطوات نحو الوحدة الى اللجان المحددة .. ولكن هذه اللجان لم تنجز شيئا ـ لأن حماس العقيد للوحدة قد فتر بعد اذ لم تعد وحدة اندماجية مباشرة ـ وبعد أن فشلت المسيرة فى تحقيق هذا الهدف ..

ولم يعد عند مصر بعد ذلك مبرر للتعجل بتلك الوحدة .. ومما لا شك فيه أن القناعة قد توافرت للرئيس السادات بأن هذه وحدة مشروطة ولها ثمن ـ بل ان أية خطوة على طريق معاونة مصر فى نضالها من أجل التحرر خطوة مشروطة أيضا .. بل ولها ثمن ..

وهنا لابد من أن أروى ما حدثتنى به شخصية سياسية لعبت دورا هاما بين القيادة السياسية المصرية والعالم العربى ..

عن خبرتها فى التعامل مع القيادات العربية المختلفة ..

قال : كلما ذهبت الى مسئول عربى ممن ينتمون الى ما يسمى بالرجعية العربية وطلبت شيئا من أجل المعركة رحب على الفور وهش وجهه وبش .. وقدم ما يستطيع فورا .. بينما كلما ذهبت الى مسئول ممن ينتمون الى ما يسمى بالتقدمية .. «وجع دماغى» بالحديث عن المعركة وشروط المعونة وتلكأ فى تقديمها .. وقدمها من بين أسنانه !!

وأضافت تلك الشخصية السياسية قائلة بالحرف الواحد :

ـ الواحد اتلخبط كشاب .. مين التقدمى ومين الرجعى ؟! وهذه قصة لا تحتاج الى تعليق ..

ويسأل أى مصرى نفسه كم قدمت ليبيا والعراق والجزائر وهى دول بترولية من معونات لمصر وكم قدمت السعودية والكويت والامارات وقطر وعمـــان .. ؟!

انها قدمت حقا بعض الأشياء .. ولكن أقل مما يلزمه واجب واحساس التقدميين تجاه معارك ضد الامبريالية !

هكذا كان مسار العلاقة بين الثورة الليبية وبين مصر كما رأيته ..

على أن هناك ثلاث مسائل أخرى لها ارتباط بذلك المسار والمتابعة .

المسألة الأولى : أنه أتيح لى من خلال زيارات عديدة للبنان حيث كنت انشر بعض كتبى هناك .. أن اتابع قراءة ما تنشره الصحف الموالية للعقيد القذافى كما تواضع « الشارع السياسى » على تسميتها .

وكانت لى أحاديث مطولة مع صديقى ورفيق النضال المرحوم الشهيد ابراهيم عامر أحد كبار الصحفيين المصريين والعرب والذى كان يعمل مديرا لتحرير مجلة « بيروت المساء » ثم جريدة السفير فيما بعد وتوفى شهيدا لصراعات الرافضين الدموية .. لقد بدا واضحا لى أن العقيد القذافى يفضل بعض الأقلام اليسارية الناصرية أو المتعاطفة مع الماركسية لتجرير تلك الصحف والدفاع عن سياسته لأنها أقدر على الدفاع عنه وتقديمه للرأى العام بصورة ثورية ..

وربما كان ما قاله الرائد عبد السلام جلود ذات مرة فى ندوة اتحاد الطلبة الليبى فى الاسكندرية عام ١٩٧٧ وكنت حاضرا فيها ـ ما يفسر

مسلك العقيد القذافى تجاه الكتاب اليساريين عموما ٠٠ وقد تعلم من عبد الناصر فعلا !! ٠٠

قال الرائد جلود فى تلك الندوة علنا وهو يهاجم الشيوعية والشيوعيين كالعادة أيامها :

« ان جمال عبدالناصر سأل نفسه : أيهما أفضل هل يحبس الشيوعيين فى السجن أم يحبسهم فى « الطليعة » حيث يؤذنون فى مالطة ؟ ٠٠

والطليعة مجلة ماركسية شهرية كانت تصدر عن دار الأهرام فى موازاة الأهرام الاقتصادى اليمينى النزعة حينذاك ٠٠

وكنت قد سمعت فى بيروت قصة من مصدر سياسى أثق به : ان بعض الناصريين فى مصر قالوا للعقيد القذافى : لماذا تحارب الشيوعيين وتحمل عليهم ؟ انه من الممكن استخدامهم من أجل تحقيق أهدافك القومية والوحدوية ٠٠ اذ لا خطر من الشيوعيين فى أى مكان فى العالم العربى لسنوات مقبلة طويلة على الأقل فهم لن يصلوا الى السلطة ـ اذن ماذا يريد الشيوعيون ؟ ـ انهم مجموعة من المثقفين ذوى الصوت العالى ٠٠ أقصى أمنية للواحد منهم أن ينشر كتابا أو يحرر مجلة أو يصدر مجموعة قصص ـ أو « يهاتى » فى ندوة ومؤتمر ٠٠ الخ ؟!!

لماذا لا تعطيهم هذه الفرصة فتستوعبهم وتستفيد بأفكارهم وطاقتهم ونشاطهم وهم قنوعون جدا ومخلصون جدا فيما يقتنعون بتنفيذه ! واذا خالفوك فسيعلنوا ذلك الخلاف !

وفيما يبدو أن العقيد القذافى قد أخذ بهذه النصيحة ولكن خارج بلاده. اذ لم يسمع قط وما زال لأى آراء معارضة تنشر على الاطلاق لا يمين ولا يسار !!

المسألة الثانية : هى قصة عن زميلى الأستاذ محمود السعدنى أحد رؤساء تحرير مجلة صباح الخير السابقين والذى حكم عليه بالسجن فى قضية مراكز القوى عام ١٩٧١ لعلاقته الوثيقة ببعض أقطابها ٠٠

فجأة بدأت اذاعة ليبيا (التى سمتها بعض الصحف باذاعة منتصف الليل) تهاجم سياسة مصر وقادتها والرئيس السادات شخصيا ٠٠ وانحدرت فى أسلوب الهجوم حتى وصفت الرئيس (بخديوى مصر) واستخدمت عبارات لاذعة وساخرة جعلت الكثيرين يتصورون أن الأستاذ محمود السعدنى هو الذى يقف وراء تلك الحملة ويعد موادها ٠٠ بل وأكدت أجهزة عديدة ذلك التصور ٠٠

وكانت السلطات المصرية قد سمحت لمحمود بمغادرة مصر بعد أن أفرج عنه .. بل كان السادات كريما الى حد كبير .. اذ وافق عثمان أحمد عثمان على الحاقه بعمل بأجر كبير فى شركته .. بل ان السادات قد وافق على موقف عثمان الشهم بصرف اعانة كبيرة لأسرة محمود وهو فى السجن .. ولكن محمود كان يريد العودة للصحافة ..

وكان مثيرا للدهشة طبعا أن يعمد محمود الى هذا السلوك الى أن حدث وأنا فى لندن عام ١٩٧٥ أن جاءنى محمود فى الفندق الذى كنت أقيم فيه .. وسألنى عما يشاع عنه وذكرت له حكاية اتهامه بأنه وراء حملة « خديوى مصر » ..

فأبدى دهشته وقال بلهجته الساخرة : اذن ليس لديكم حكومة فى مصر ما دمتم لم تتوصلوا الى الفاعل الحقيقى فى تلك الاذاعات ؟!

ونفى السعدنى مسئوليته عنها تماما ـ ولكنه حكى لى قصة لقائه مرتين بالعقيد القذافى فى ليبيا وانطباعاته عن الرجل وهذا ساعدنى فى رسم صورة أوضح عندى عن الثورة الليبية والتيارات الداخلية فيها ومن يحاولون استغلال تلك الثورة واثارة الوقيعة بينها وبين مصر وتعميق تلك الوقيعــــة .

المسألة الثالثة : هى حضور الرائد عمر المحيشى أحد صانعى ثورة الفاتح من سبتمبر فى ليبيا وأحد قادتها لفترة طويلة من الزمان حين تناقض مع قائدها القذافى مما اضطره للهرب الى تونس ثم الى مصر ..

وكنت أتابع ما يكتبه المحيشى فى الصحف المصرية ضد القذافى وأهز كتفى فى أسى .. اذ يستطيع بعض هؤلاء الشبان الوطنيين المتحمسين فى العالم الثالث أن يقوموا بثورات تدك عروشا وتطرد استعمارا عاتيا ثم فى النهاية تعاركون مع بعضهم البعض ولا يستطيعون حتى اختيار أسـلوب حضارى للعراك فيهاجم بعضهم بعضا بأشد مما يهاجمون عدوهم وربما عمدوا الى التصفية الجسدية .. أو يستسلمون لأفكار متخلفة عن طرق التقدم والتطور لبلادهم فتكون النتيجة أنهم استبدلوا استغلالا استعماريا باستغلال وطنى ... الخ .

لقد لفت نظرى وصف المحيشى للقذافى بأنه خائن .. ثم تماديه فى رواية حكاية سينمائية عن أن القذافى لقيط لأم أو خال يهودى فى اسرائيل لا أذكر جيدا ..

مسألة ابعد أن تكون مسئولية العقيد القذافى لو صحت .. ولا تشينه قط .. « فويلى برانت » أعظـم مستشار فى تاريخ ألمانيا الغربية كان لقيطا وأعلن هو ذلك عدة مرات !!

وبالمناسبة لم تمض سنوات حتى أبرم القـذافى وحـدة مع المغرب خصيصا كى يصل الى تصفية عمر المحيشي بدنيا ·· وهذا هو العالم الثالث البدوى والقبلى !

علقت صحف العـالم بعد نشر الحديث مع القـذافى مثل الصحيفة النمساوية التى تساءلت هل يعنى نشر ذلك الحديث وجود وساطة بين مصر وليبيـا ؟

لقـد نشر ملخص الحـديث فى النيويورك تايمز والديلى تلغراف والجارديان والموند وفرانس سوار والفيجارو والهيرالدتريبيون·· ودى فليت ·· وغـيرهما ··

وأذاعت مقتطفات منه كل اذاعات العالم ··

لمـاذا هـذا الاهتمـام ؟

ان مصر قلب للعالم العربى ·· وليبيا واحدة من دول البترول فى المنطقة العربية ·· وقد أنهكت الحروب مصر وفقا للمخطط الاستعمارى الصهيونى ··

استطاع ذلك المخطط أن يجعل مصر والعالم العربى من عام ١٩٦٧ فى حالة دفاع عن النفس ·· وليس فى حالة هجوم على المصالح الاستعمارية فى المنطقة لاستئصال شأفتها واستكمال تحرير المنطقة ··

ان الوحدة بين مصر وليبيا ·· تعنى خطرا على ذلك المخطط وضربة قوية له ·· لمـاذا ؟

لأن أموال ليبيا بالاضافة الى أموال مصر وقدراتها البشرية قادرة على تطوير تلك الدولة الجديدة اقتصـاديا واجتماعيا وعسكريا بحيث تكون المسيطر الأول على « بحيرة » البحر الأبيض المتوسط ··

والعمق الاستراتيجى فى ليبيا يعطى مصر فرصة عظمى فى نضالها العسكرى ـ ان احتاج الأمر ـ ضد اسرائيل لاستكمال انتزاع الأرض المحتلة أو لو قامت بعدوان ضد مصر ··

وسيكون الأمر كارثة أفدح على المخطط الاستعمارى لو أن تلك الوحدة أو التضامن الوثيق شمل السودان أيضا ··

والناظر الى خريطة تجمع بين مصر وليبيا والسودان سيجد البلدان الثلاثة تشكل افريقيـا صغرى ·· ماذا اذا ما تجمعت موارد السودان الطبيعية ومزارعه الشاسعة وميـاهه الغزيرة مع امكانيـات ليبيـا ومصر

لأصبحت الدولة الجديدة أو الاتحاد الجديد ـ سمه كما تشاء ـ قوة عظمى في القارة الافريقية وفى العالم الثالث بل فى العالم كله ؟ ..

ومن هنا فان هناك اهتماما كبيرا جدا من الغرب بتطورات العلاقة بين مصر وليبيا ..

وليس بخاف أن الغرب يهمه ألا يحدث تقارب بين البلدين اطلاقا .. وهذه هى الأسباب الجوهرية وما عداها أسباب فرعية ..

ان المخططين والمنظرين والمفكرين و (مجموعات العمل) في الدول الكبرى تنظر الى عشرات السنين القادمة وتحاول استكشاف خريطة العالم مقدما .. بل وتحديد شكل تلك الخريطة بالتدخل المباشر وغير المباشر ..

اللقـــاء الثـــانى مع القـــذافى :

سافرت الى بون وهناك كان من الطبيعى أن يدور الحديث بين حمدى عزام المستشار الصحفى أيامها هناك وبينى حول حديث القذافى .. ودار نفس الحوار مع السفير المصرى محمد ابراهيم كامل وقتذاك ..

ولفت نظرى أن الاثنين غارقان فى هموم المشاكل العربية وخاصة الصراع المصرى الليبى بطريقة أثارت دهشتي ..

ولما سألتهما عن تفسير لهذا (المد العربى) فى سفارتنا فى بون ذكرا أن ذلك مد يشمل كل السفراء العرب هنا .. خصوصا أن السفير الليبى متحمس جـدا لقضية التقـارب المصرى الليبى وقد تحمس جـدا لحديث روز اليوسف ..

وسألت : من السفير الليبى فى بون ؟

قال : حمـــدى عـــزام ..

مفتـــاح الشريف ..

وقفزت من مقعدى صائحا .. مفتـــاح ؟ ..

كنت أعرفه معرفة وثيقة وترك فى نفسى أثرا عميقا .. ترجمته هذه الصيحة المتلهفة ..

لقد التقيت مع مفتاح الشريف مساء ذات يوم فى قاعة بلدية بولونيا حيث كانوا يعدون لعقد مؤتمر السلام والعدل فى الشرق الأوسط صيف عام ١٩٧٢ ..

أول مؤتمر دولى التقى فيه عـرب واسرائيليون لأول مرة لكن على

مستوى شعبى وكان هناك وفد من الاتحاد الاشتراكى ووفد يسارى بزعامة خالد محيى الدين ··

وتعرفت به لأول مرة ·· وشاءت ظروف المؤتمر أن نقيم معا فى غرفة واحدة فى فندق واحد لمدة أسبوع ··

وكان مفتاح شريف يعمل حينذاك مديرا لمكتب الجامعة العربية فى روما ··

وأدهشني أن توجد شخصية شابة ليبية على مثل هذا القدر من الوعى والثقافة والنظرة العالمية ··

وربما كان ذلك أول احتكاك لى بالاخوة الليبيين ·· وتوثقت علاقتنا بسرعة عجيبة وربما مما ساعد على ذلك التوثق أننى سقطت مريضـا فجأة فى الفندق فاكتشفت جانبا انسانيا عميقا فى هذا الشاب الذى كان يعمل بالسياسة العربية من الصباح الباكر لما بعد منتصف الليل فى ذلك المؤتمر الذى ضم عشرات الوفود من بينها وفد اسرائيلى لأول مرة تحضره وفود عربيــة ·

وقال لى مفتاح أيامها بتواضع شديد أن هناك الكثيرين من شباب ليبيا الواعى المتفتح أكثر منه فتساءلت أيامها :

لمـاذا لا يحتل مثل هؤلاء الشباب الواعى مواقع القيادة والوزارة فى ليبيــا ؟!

المهم ·· كانت مفاجأة لى أن مفتاح الشريف سفير لليبيا فى بون ·· اتصلت به تليفونيا واتفقنا على موعد فى اليوم التالى :

وعندما التقينا أشاد مفتاح بمبادرة روز اليوسف والدور الذى قامت به وتحدثنا طبعا عن تفاصيل المقابلة ورد الفعل عند المسئولين فى مصر ·

ثم قال مفتاح فجأة ·· أسمع ان العقيد كما نشرت فى روز اليوسف دعاك لزيارة ليبيا وأنت قلت لى التفاصيل الآن فلماذا لا تلبى دعوته وتطير الى ليبيا لمواصلة الحوار مع العقيد ؟

قلت له :

ـ وما المناسبة ؟ ·· لقد فتحنا الباب وعلى المسئولين فى البلدين أن يقرروا الاستمرار من عدمه ··

قال مفتاح :

ـ واضح ان الموقف متجمد ولم يتحسن بل ما زالت الحملة الاعلامية

المتبادلة على أشدها ·· وأنا أرى الآن أن الموقف ملائم جدا لمواصلة الحوار واقناع الطرفين بالالتقاء لأن هناك أرضية مشتركة تجمعهما ·

ـ ما هى هذه الأرضية ·

قال سفير ليبيا فى بون :

ـ الفلسطينيين يا صديقى ·· ان السوريين يبيدون الفلسطينيين كل يـوم ·· والمقاومة الفلسطينية فى خطر أى أن قضية ازالة العدوان كلها فى خطر وواضح أن مصر ضد هذه الابادة ـ وكذلك ليبيا ـ اذن هناك موقف مشترك بين البلدين ·· لماذا لا يشكل نقطة التقاء بينهما ؟ فتذهب للقاء العقيد وتتحدث معه عن هذا ؟ ··

ورغم وجاهة منطق صديقى السفير ·· الا أنى كنت مرتبطا ببرنامج فى فرنسا وايطاليا فاعتذرت ·· فقال لى واضعا اياى أمام الأمر الواقع :

ـ اسمع ·· أنا عندما علمت أنك هنا أمس من محادثتك التليفونية أبرقت الى طرابلس فى الحال أقترح عليهم أن يدعوك الى هناك بناء على دعوة العقيد السابقة فارسلوا برقية مساء نفس اليوم يطلبون فيها أن أبلغك برجاء الطيران فورا لمقابلة العقيد ··

ومع ذلك فانى لم أعط السفير ردا أكيدا اذ كنت مترددا ··

وقلت له انى سأسافر غدا فى الصباح الباكر الى ميونخ وسأنزل فى فندق أوروبا الذى يملكه محمد الفقى وهو مصرى ، وأعطيت مفتاح رقم تليفون صديق مصرى اسمه الأستاذ/ مجدى الجوهرى أحد الوجوه المصرية الوطنية المضيئة فى الخارج فقال لى مفتاح أنه يعرفه جيدا ·

فى اليوم التالى بعد وصولنا الفندق فى ميونخ ·· اذ بصديقى مجدى الجوهرى يأتينى مهرولا ويقول أنه تلقى مكالمة تليفونية من سفير ليبيا فى بون يقول فيها أنه تلقى برقية ثانية بضرورة أن أطير الى طرابلس لمقابلة العقيـــد ··

وقال مجدى ان تذاكر الطائرة لى ولزوجتى ستأتينا حالا هنا على فندق أوروبا ··

وبعد قليل جاء رسول خاص يحمل التذاكر بحضور محمد الفقى ومجدى الجوهرى ومصريين آخرين : المهندس ابراهيم محمود ورجل الأعمال محمود الجندى فى ميونخ وأسقط فى يدى وقررت السفر ··

وأنا أحكى هذه التفاصيل لأن لها أهمية فيما بعد ·

ثم دق جرس التليفون واذا بالمتكلم مفتاح الشريف الذى أبلغته أنى موافق على السفر ولكنى سأعيد التذاكر الخاصة بزوجتى لأنها لن تسافر ٠

وواقع الأمر أننى كنت قد قررت ألا تسافر زوجتى معى لأنه لا عمل لها فى مثل تلك المهمة ٠٠ ومن ناحية أخرى اننى حسبت احتمالات المستقبل فقد يأتى مسئول غير السادات لا تعجبه محاولة التقارب مع ليبيا فيزج بى فى السجن مثلا فلا داعى لأن يزج بزوجتى أيضا وهى لا ناقة لها ولا جمل فى السياسة ! ٠٠

وعندما وصلت الى ليبيا اتصلت بى سكرتارية العقيد بمجلس قيادة الثورة وأبلغنى المتحدث أنهم كانوا فى انتظارى وان العقيد يرحب بى ويريد أن أقضى معه يومين فى أجدابيا ابتداء من ٧ أكتوبر حيث ستقام الاحتفالات بالذكرى السادسة للقضاء على الفاشيست ٠٠ كما انه يريد منى أن أحضر معه لقاء فى جامعة (تاريونس) فى بنغازى يوم ٨ أكتوبر ٠٠

وتذكرت ما كان العقيد قد ذكره لى فى كولومبو انه يريدنى أن آتى الى ليبيا لألف معه أسبوعا فى ربوعهــا لأرى بنفسى الواقع هناك سواء تجربة الديموقراطية أو مكانته هو وسط الشعب الليبى ٠٠

وقلت للمتحدث أننى مستعد للسهر ليل نهار كيفما يريد سيادة العقيد ولكن لابد من أن يتم ذلك فى حدود ثلاثة أيام لانى مضطر للطيران الى أوربا صباح السبت فى التاسعة ٠٠ (كان الحديث يوم الأربعاء) ٠٠

وقال المتحدث ٠٠ اننا على أى حال سننقلك الى أجدابيا ومعك مرافق من ادارة الاعلام بوزارة الخارجية وسيارة خاصة ٠٠

بعد ظهر نفس اليوم التقيت بوكيل وزارة الخارجية الأستاذ أبو زيد دورده الذى رحب بى وأبلغنى أنى سألتقى بالعقيــد فى أجــدابيا وانى سأسافر غدا فى الطائرة التى ستقل الوزراء والدبلوماسيين الى أجدابيا ٠٠ (يلاحظ أن أجدابيا هذه تبعد عن طرابلس بأكثر من ١٠٠٠ كيلومتر) ٠

أثناء الاحتفال أبلغنى الأستاذ طه وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ان العقيد يريد أن أبقى الليلة هنا فى أجدابيا ولا أعود للنوم فى بنغازى مع الدبلوماسيين لأكون معه وأرى بنفسى ٠٠

ومن حين لآخر كنت أفاجأ بشخصية ليبية ، رئيس قبيلة ٠٠ مثقف ٠٠ وزير ٠٠ ضابط ٠٠ طالب ٠٠ تأتى ويسلم على بحرارة ويشيد باتجاهات التقارب بين مصر وليبيا ٠٠ والكتاب الشرفاء ٠٠ الخ ٠٠

وكلهم تمنوا أن ينصلح الحال بين البلدين ٠٠ والشعور العام الذى

يغمرهم هو الاحساس بالأسف والمرارة لما يتصوورونه هجوما من مصر عليهم سواء اعلاميا أو بحكاية حشد الجيوش المصرية على الحدود ..

بعد الاحتفال انتقلنا الى الخيام .. كانت هناك ثلاث خيمات كبيرة .. جلس القذافى وبقية أعضاء مجلس الثورة والوزراء فى شكل تجمعات هنا هنا وهناك ودعانى الأستاذ طه الى الجلوس معه ومع مجموعة أخرى .

ثم جاءونا برمان دون أطباق .. ووزعوا على كل مجموعة ثلاث أو أربع رمانات أخذت كل مجموعة تدقها على أرض الخيمة يوزعونها على بعضهم البعض ويأكلونه ويلقون بالقشر فى جرائد يومية قديمة ..

ومن بين المجموعات مجموعة العقيد القريبة منى .. وذهبت اليه فبادرنى بالتحية وقال ضاحكا فى صوت عال : يا رب الشيوعى الحكومى ينفع دبلوماسى كويس ! ..

قلت وهو يجذبنى من بنطلونى للجلوس .. والله الحكاية مش عايزة دبلوماسى ولا حاجة هى عايزة مبادرات من سيادتك غير الخطبة التى قلتها من ساعة ..

قال :

ــ أنا عارف ان الخطبة مزعلاك لكن أعمل ايه .. ماشفتش خطبة الرئيس السادات فى ذكرى عبد الناصر .. بيخطلى فى مزنق أمام الشعب الليبى يا أخ عبد الستار .. ثم رئيس الأركان الجمصى يقول ان الجيش المصرى على الحدود لمهمة استراتيجية .. ايش يعنى مهمة استراتيجية ؟ يغزونا يعنى ؟ اتفضلوا اغزونا بقى ؟! ودوسوا على الشعب اللى انت شايفه ده بالدبابات !! ..

قال وهو يدفع لى بنصف رمانة ضاحكا :

ــ خذ كل رمانة وماتكشرش كده .. أنا جيبتك من أوروبا لانى عارف إنك عربى مخلص .. لكن الزعل لن يحل مشكلة .. بالعقل كده .. أقف أقول للشعب الليبى أيه فى مناسبة زى دى هزم فيها الايطاليين والرئيس السادات يكرر النى لن أفلت من بين يديه ؟! وده حتى مش مهم الهجوم على بانى مجنـون ولا مجـرم .. لكن بالنسـبة للشعب الليبى أنتم تهددون أمنه واستقلاله بحشد الجيوش وتصريحات الجمصى .. لابد اذن أن أطمئن الشعب وأعطيه الثقة فى نفسه وأنه قادر على رد أى عدوان ..

وسكت لحظة والتفت الى مصطفى الخروبى وقال :

ـ قل له ازاى احنا أصدرنا آمرا لقاعدة جمال عبد الناصر أن تمد الجيش المصرى المحتشد على الحدود لضربنا بالتموين الأكل والشرب والجبن والشـــاى ..

قلت :

ـ هذا كله لا يهم .. المهم هو هذا الأسلوب الاستفزازى الذى تمارسه ضد مصر كما بدا لى اليوم فى ذلك الاحتفال ..

ثم توقفت لحظة وقلت : هل يمكن أن نبدأ حوارنا ؟ ..

فقال : شوية .. حتى يحين موعد لقائى مع الدبلوماسيين لتحيتهم .. او بكره الصبح .. وأحسن تخرج تمشى بين الخيام وتتفرج وتتكلم مع الشعب الليبى وشوف بنفسك ..

ثم قال القذافى لى : لماذا لم تنشر ان النميرى عميـل المخـابرات الأمريكية .. أنا مش قلت لك ده ؟!

قلت : سيادة العقيد .. نحن نحاول أن نصلح حتى ، بينك وبين النميرى فكيف ننشر ذلك الهجوم ؟

فضحك وقال : أما نشوف الدبلوماسى الشيوعى حينفع ولا لأ ؟ ..

استأنفنا الحوار فى اليوم التالى ٨ أكتوبر فى الخيمة وحدنا تماما واستمر الحوار ثلاث ساعات جاءه خلالها الأستاذ طه ثلاث مرات يلفت نظره لمواعيد أخرى .. فيؤجلها .. حاولت القيام مرتين لعدم احراجه بالنسبة لمواعيده وكان يتشبث بى ..

اقتحم جلستنا فى الخيمة شيخ قبيلة مهيب تبين لى أنه والد عضو مجلس قيادة الثورة الراحل محمد المقريف وقال للعقيد :

ـ انت المصرى ده واخذك منا !

قال العقيد :

ـ لا ده أخ مصرى كويس .. ضد الأمريكان ومع الاشتراكية وبدوى مثلنا .. وعنده انضباط وطنى !!

وتمتمت ببضعة عبارات شـــكر ..

قلت له ضاحكا :

ـ اذا كنت تعتبر نفسك متطرفا فى الوطنية وبديلا عن عبد الناصر حقا..وتتصور أن السادات واقع تحت تأثير عناصر من اليمين فلماذا لاتكوه

واسع الأفق وتحاول التعاون معه في أي نقطة اتفاق ٠٠ وتكون صبورا في التعامل فتفوت الفرصة على من يريدون هدم التضامن العربي وافساد العلاقة بين مصر وليبيا ــ لابد أن يكون تفكيرك جبهويا ــ لأنك لم تحاول أن تجد نقطة اتفاق واحدة بينك وبين من يختلف معك ٠٠ ونحن اليسار قد مارسنا التعامل مع القادة الوطنيين من أمثالك وأمثال السادات ونفذنا دورنا في أي تحالف مع احتفاظنا بحق واحد هو حق الاعتراض والنقد ونحن صرحاء وأمناء في النقد ٠٠ فاذا اقتنعنا بعدم جدوى الانضباط الوطني كما تسميه أنت أعلنا ذلك بصراحة وسببناه ٠٠ ومع ذلك فان معظمكم لا يريد هذا النمط من النـاس ٠٠ تريدون من يقول نعـم ولا يقول لا ٠٠ ولا تقبلون الخلاف والمواجهة الصريحة ! ٠٠

ولقد كان المرحوم جمال عبد الناصر رغم مبادئه الوطنية العظيمة من ذلك النوع من القادة ٠٠

قال لي : كيـف ؟

قلت :

ــ ان عبد الناصر لم يكن يؤمن بالجماهير اطلاقا ٠٠ ولم يترك حزبا أو تنظيما يدافع عن منجزاته ولو أن السادات عقب توليه السلطة بحث عن ذلك الحزب لما وجده ٠٠ بل وجد حلقة غير جماهيرية تتآمر عليه ٠٠ وان عبد الناصر كان قد فرض ما كان يفخر به حسنين هيكل وهو تأميم الصراع الطبقي في مصر !

وهـذا تجاهل لحركة التطور الاجتمـاعي وصراع الطبقات وأشـبه بمحاولة اخماد لهيب الشمس !

وتحدثنا في هذه القضية طويلا ٠٠

ثم قال لي العقيد :

ــ نحن يا أخي متفقان في هذا التحليل عن عبد الناصر تماما ٠٠ فعلا عبد الناصر لم يكن يثق في الجماهير وأنا أحاول هنا تفادي ذلك الخطأ بالمؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية ٠٠

وبعد أن انتهيت من لقائي بالقذافي في أجدابيا الليبية ٠٠ طرت صباح السبت عائدا من طرابلس الى بون ٠٠ بعد أن ودعني مندوب وزارة الخارجية في قاعة كبار الزوار ٠٠

واستقبلني في مطـار كولونيا بألمانيا الغربية مفتـاح شريف سفير ليبيا ٠٠

وتوجه بالسيارة الى النادي الأمريكى الدبلوماسى فى بون حيث تناولنا طعام العشاء ·· دار بيننا حديث طويل عما جرى فى طرابلس ونحن نتناول العشاء ·· وفى الواحدة صباحا كنت آوى الى فراشى ·· حتى الصباح عندما جاءنى السفير الليبى وأوصلنى بسيارته الى المطار لأعود الى القاهرة ·

طلبت عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس الادارة فى التليفون بمجرد وصولى ·· وكما حدث فى المرة الأولى ·· كانت توجيهاته فى المرة الثانية · سجلت كل شىء فى مذكرة طويلة ·· ضربت على الآلة الكاتبة وسجلت منها نسختين لرئيس الجمهورية ووزير الخارجية أما الثالثة فقد دفع بها الشرقاوى لصلاح حافظ رئيس التحرير ··

على أن لمسة واحدة جديدة أضافها الشرقاوى هذه المرة ·· عندما قال لى انه تلقى برقية من مطار روما بعزمى على السفر الى ليبيا ·· وأنه تكتم على الخبر عن الجميع ·· وطلب منى أنه اذا سألنى أحد أن أقول اننى سافرت بتكليف منه (أى من الشرقاوى) وأضاف قائلا : أنا مسئول مسئولية كاملة عن سفرك وما دار بينك وبين القذافى ·· فقد يغضب البعض ويثيرون حملة ضدك أنك تتصرف وحدك فى أمور سياسية عليا كهذه ··

ولقد عنيت بذكر هذه اللمسة ·· لأبين المناخ الصحى الذى كنا نعيش فيه فى مؤسسة صحفية يرأسها عملاق مثل المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى ·· فذلك موقف نادر لا يتخذه رئيس مؤسسة بسهولة ·· فقد يغضب كبار المسئولين فلماذا يحمل نفسه المسئولية ؟

ومن ناحيــة أخرى ان مثل هــذه المساندة ·· تشجع الصحفى على اقتحام الصعاب والخوض فى ميادين شائكة ولا شك ··

وفرغنا صلاح حافظ وأنا من اعداد حديث القذافى ثم ·· استدعيت لمقابلة الرئيس السادات ··

وكان صلاح حافظ قد سافر مع الرئيس الى الرياض ·· وعاد من هناك وحدثنى عن أن الرئيس قد أبلغه هناك أنه قد أعجبه حديثى الأخير مع القذافى الذى أرسله له رئيس مجلس الادارة ··

وطبعا أسعدنى هذا الاعجاب كثيرا ·· لأن معنى ذلك أن القــاهرة مستمرة فى موقفها من الاستعداد للتوصل الى تسوية مع ليبيا ··

ولقد تأكدت من هذه الحقيقة عنــدما جلست الى الرئيس السادات أستمع الى تقديره للموقف وأوجزه فى النقاط التالية :

ان مصر لا ترفض اللقاء مع ليبيــا وتصفية الأمور المعلقة ·· لكن المشكلة الأساسية هى الضمانات ·· الضمانات لأن تصبح مبادرة العقيد

القذافى جدية ·· فقد دلت التجارب العديدة من قبل على أنه كلما حدث تقدم خطوة الى الأمام فى مجال التقارب بين البلدين حدثت خطوتان بعد ذلك الى الوراء من جانب العقيد ··

واذا كان العقيد يؤكد قوميته واهتمامه بقضية فلسطين وبالمعركة من أجل التحرير ·· فان ذلك لابد أن ينعكس فى شكل مادى عملى ··

ان المساهمة فى المعركة لا تكون بالكلام والتصريحات وعقد المؤتمرات العربية والدولية فقط وانما تكون بالمساهمة العملية فيما يقوى الموقف العربى ويدعمه ·· ومصر لا تريد أموالا من العقيد لا فى شكل معونة أو قروض ·· انما تريد من ليبيا أن تساهم فى المعركة عمليا ··

وتتوقف جدية الرغبة الليبية لتصفية الموقف على هذا الدليل العملى · فهو فوق أنه أفضل الضمانات ـ فهو يقرب بين الأشقاء الواقفين فى صف واحد ضد العدو فليس أفضل من النضال المشترك تدعيما للتقارب بل الروابط الاخوة ··

فى تلك الفترة كان السيد بشير الرابطى رئيس مجلس الأمة الاتحادى قد بدأ يقوم بدور فى حل المشاكل بين البلدين ·· وأعلن انه التقى بالرئيس السادات بعد لقائه مع نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك ··

ونشرت روز اليوسف الحديث الجديد مع العقيد القذافى واخترنا له عنوانا «القذافى يوسط روز اليوسف» ·· وسيقرأه القارىء وكذلك الحديث الأول للعقيد فى ملاحق هذا الكتاب ··

وأحدث نشر هذا الحديث ضجة جديدة فى العالم العربى ·· تردد صداه فى العالم كله أيضا ·· وازداد تفاؤل الشعوب العربية بقرب رأب ذلك الصدع للعلاقات العربية ·· ولكن القوى المضادة للتقارب العربى كانت أقوى ··

ففشل كل شىء وتكسرت جهود الوسطاء !

لكن لماذا فشلت محاولات الوساطة · بل تحطمت العلاقة بين مصر وليبيا فى عهد السادات تماما حتى وصلت الى توجيه السادات ضربة مسلحة فى ليبيا مما أدى الى تدخل المرحوم هوارى بومدين رئيس الجزائر ووساطته فى وقف القتال ··

ليس الأمر بقاصر على اختلاف السياستين بين البلدين ·· فذلك أمر موجود بين دول كثيرة ·· ومع ذلك لا يصبح الخلاف حادا بهذه الدرجة ·· الواقع فى رأيى أن هناك سببين أساسيين لهذا :

أولهما : أن السادات لم يخطط جيدا لعملية التضامن بل الوحدة مع

ليبيا .. انه عرض مثلا على القذافي أن يكون أمينا للاتحاد الاشتراكي العربى لا أكثر ولا أقل فى دولة الوحدة .. بينما عرض القذافى أن يكتفى بمنصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية والليبية . فرفض السادات ولكن السادات رفض هذا باصرار غريب وفى تخوف شديد كما بدا لى من مناقشة جرت معه .. اذ قال لى ده رجل مجنون يقلب لى الجيش الى لجان شعبية ويصطدم لى بأمريكا وحتى مالطة ! . فقلت له هل يمكن أن تكون هناك خشية من قيادته للانقلاب ؟ . فلوح السادات بيده وسكت .. والحقيقة أن بعض رجال الرئيس أثاروا هذه المسألة معه وأقنعوه أن قيادة القذافى للقوات المسلحة تمكن من تدبير انقلاب .

وطبعا هذه الفكرة سخيفة جدا لأنه لا توجد فرقة من الجيش المصرى يمكن حثها على التحرك لقلب نظام الحكم المصرى بواسطة أوامر من قائد غريب عن مصر ..

واذا ما تحركت فرقة ليبية فسيوجد ضباط مصريون يحركون فرقا مصرية .. وهكذا ..

ولقد كان بوسع السادات بعد شهور من اتمام الوحدة مع ليبيا أن يستبعد القذافى من قيادة الجيش أو يحيطه برئاسة مصرية فى الأركان. وهكذا اذا ما ظهرت قرائن على أن القذافى يحاول تدبير أعمال مناوئة انقلابية .. ولكن الموضوع كان أقوى من هذه الحلول البسيطة ..

مثلا كان يقال للسادات أن القذافى يخطط لأن يكون جمال عبد الناصر مصر وأنه يطالب بالوحدة لكى يحكم مصر ويطردك من السلطة .

وكان يقال للقذافى . لا تعمل وحدة مع مصر لأن السادات كل تخطيطه أنه يعمل منك مصدرا لتمويل النقود لمصر وفى أى لحظة يطردك فتعود الى بلدك فى خيمة فى الصحراء من جديد ! ووقع فى روع البرجوازية الليبية فعلا أن مصر ستنهب مال ليبيا وأدركت من متابعتى أن هناك أناسا غير القطاعات التجارية التى تخشى من السيطرة المصرية على ليبيا .

كان هناك مجموعة المنتفعين من الخلاف المصرى الليبى وهم مجموعة من المصريين المقيمين فى ليبيا من مدة ولم يكن من مصلحتهم حدوث تفاهم بين مصر وليبيا لأنهم لن يجدوا رزقهم من ذلك خاصة وأنهم كانوا يعيشون على حكاية أنه لا يوجد ثوريون فى المنطقة سوى القذافى وعبد الناصر اما السادات فهو خائن ومرتد وأن الشعب المصرى مع القذافى وفى انتظار أن يمسك السلطة ويحكم مصر وأن يقضى هؤلاء المرتدين عن السلطة كما

لو كانوا يقدمونه على أنه محرر مصر من التذبذب أو التردد أو الخيـانة الساداتية لمصر ! ٠

وهنا فى مصر كان يوجد ساداتيون لم يحتاجوا للوحدة بين مصر وليبيا لخشيتهم من أن يأتى القذافى فيضيف قوة جديدة الى قوة الناصريين فى مصر وخاصـة أن القذافى قد عدل عن كثير من الأفكار التى كانت تخيف قوى اليسار فى مصر وأصبح يتحدث صراحة على أنه ليس لديه تناقضات لا مع الاشتراكية ولا مع الاتحاد السوفييتى ٠٠ وقد حدثت أمامى حكاية تكشف عن الاتجاه الحقيقى لدوائر فى الحكم تجاه القذافى ٠

عندما انتهى اجتماع أسرة روزاليوسف به صيف عام ١٩٧٣ والذى انتقدته أنا فيه نقدا شديدا وكانت أول مرة التقى به فيها ،

فقد اتصل فى بيتى مساء وزير الداخلية قائلا :

ــ ايه الروائع الى انت قلتها دى النهاردة مع القذافى ؟

ــ فقلت له هو الكلام وصلكم حالا ؟

ــ قال نعم ٠

استغربت أنا أن الحكومة المصرية مسرورة من أن واحدا « بهدل » القذافى ورفض الوحدة معه وأنا الذى كنت أتصور عندما وجهت له سهام النقد أنى أخالف سياسة النظام ولن يسر بذلك طبعا ٠

وفهمت الموقف الحقيقى للحكومة من الوحدة وهو أن ما يقال هو غير الحقيقة وأن احضار القذافى بمصر الهدف الحقيقى منه هو احراجه والكشف عن جهله أمام القوى السياسية فى مصر ٠ وهذا ما حدث بالفعل فى لقائه فى أخبار اليوم فى حواره مع النساء فقد قال كلاما غريبا مثل أن المرأة أقل من الرجل لأنها تحيض وثارت عليه بعض النساء مثل أمينة السعيد ! ٠

وكانت هذه الجولة فاشلة بالنسبة للقذافى أفقدته التأثير الذى كان محاطا به وتبين أنه ضعيف سياسيا ويقول كلاما ساذجا وغريبا عن المجتمع المصرى المتحضر المتماسك غير القبلى ٠

السبب الثانى : أن النظام الليبى ظل يتبع أصول البداوة فى منهجه السياسى ٠٠ فيعمد الى المنهج الثأرى مثلا فى عمليات التصفية الجسدية لخصومة السياسيين دون أن يعبأ باثارة فضيحة عالية ضده ٠٠ ومبادىء الشهامة القبلية ذاتها التى تحرم اغتيال الخصوم غدرا ومن الخلف ٠٠ لكن للسياسة أحكام !

ويعمد الى المواقف الانفعالية ويتجاهل أصول فن الجبهة ·· فيعادي الناس جميعا في وقت واحد ·· وقد تحدثت مع العقيد القذافي في هذا الأمر في كل مرة التقيت فيها به ·· ووجهت له الخطاب على صفحات روزاليوسف أدعوه الى محاولة اللقاء مع من يجب أن يلتقى بهم ولو في نقطة واحدة وحثثته على التعاون مع مصر ·· وتملكت العقيد وما زال فكرة الوحدة العربية وهى فكرة نبيلة وسليمة سياسيا ولكن تطبيقها يحتاج الى سياسات طويلة الأمد صبورة متمهلة ·

ومن أجل تحقيق هذه الوحدة كان مستعدا لأن يضرب أى أحد ·· ويتعاون مع أى أحد ··

ثم ان مواقفه المعادية للامبريالية شوهتها كثيرا تدخلاته المستمرة في شئون جيرانه ·· وأعماله التصفوية لخصومه ·· وديكتاتورية النظام ·· وتخبطه السياسي في ذلك الاتجاه أو ذاك ·

كما ملكت عليه فكرة النظرية الثالثة بطريقة فيها تعصب قبلي غير مدرك لعقلية العصر وسيطرة ثقافات معينة عليه ·· وسقوط كل النظريات الشمولية أخيرا ·

مثلا الناس في العالم كله ليست مقتنعة على الاطلاق بأن نظامه نظام ديمقراطي ·· وهو يتصور أنه قمة الديمقراطية ·· لذلك تعامل القذافي مع السادات بطريقة انفعالية متخبطة وتشنجية ·· وكأنه مبعوث العناية الالهية لهداية العرب أجمعين وزين له من استأجرهم من شذاذ الآفاق الأجانب عبقريته والهاماته من الصحراء ··· الخ الترهات التى لعبت برأس نكروما وسوكارنو من قبل !!

فرد السادات التحية بأحسن منها بل هو أى القذافي تعامل في بداية عصر حسني مبارك بنفس الطريقة ولكن مبارك كان أذكى من السادات اذ لم يستجب لأى استفزاز اعلامى ··

وأخيرا اهتدى العقيد القذافي للخط السليم الذى دعوناه ودعاه غيرنا الى اتباعه مع مصر ··

انه بعد ضرب الأمريكيين له أدرك خطورة الاستعمار العملية وأن أمريكا ليست نمرا من ورق كما توهم ماوتسى تونج من قبله ! ·· وتصرف تصرف سليما ·· فاوقف حملته ضد مصر ·· وأصلح ما فسد من علاقات له بها ·· دون أن يتنازل عن أى مبادىء لديه ·· وما كانت مصر تريده أن يتنازل عن شىء منها فهى لا تريد التدخل أو الحجر السياسى على سياسة أى بلد ·· فلما أوقف حملاته العنيفة ··· وفتح الحدود ·· حيث راجت موال التجار هنا وهناك ··

لم تعد هناك مشاكل مع مصر ٠٠ بل أصبحت مصر تشكل قوة سياسية عربية ودولية تدافع عنه فى وجه محاولات الاعتداء الأمريكى التى تتربص به ٠٠ وتنتهز أى فرصة أو عذر لتنفيذ ذلك العدوان فى ظل نظام القطب الواحد حيث تسيطر الولايات المتحدة على مجريات الأمور فى العالم كما يدل على ذلك الاتهام الموجه لليبيا بنسف طائرة البان أميركان منذ ثلاث سنوات !

وهكذا تؤتى سياسة التعقل ٠٠ والجبهة ثمارها مع احترام حق كل السان فى الخلاف ٠ وطبعا يسمح العميد لأقطاب السلطة الآخرين فى بلدة مثل الرائد عبد السلام جلود ٠٠ والجماهير التى رباها على العداء ضد الامبريالية أن تلقى أقوالا وخطبا حماسية وربما تهجمات على السياسة المصرية والأمريكية أحيانا ٠٠ كنوع من الاستهلاك المحلى لتدعيم مركزه الداخلى واحتفاظا لنفسه بخط الرجعة اذا ما تحول من جديد كعادته لسنوات طويلة ! والسياسة المصرية العاقلة والمحنكة تفهم كل هذا ٠٠ وتكتفى بما يكتبه بعض الكتاب ردا على ذلك ٠٠ اذا ما خرج بعض صحبه عن الحدود ولو كان نائبه عبد السلام جلود ٠٠ وهو فى نفس الوقت أى القذافى يتحرك كما يشاء فى تشاد ٠٠ وفى السودان ٠٠ دون معارضة أو حملة من مصر ضده كما كان يحدث من قبل ٠٠

ان العقيد القذافى قد أمن شر الأمريكيين الى حد ما ٠٠ لأن مصر ستقول كما يقول المثل البلدى لمن يريد الاعتداء عليه من الأمريكيين أو الانجليز أو الفرنسيين : « سيبه ده معايا !! » ٠٠ وهذا يفسر الجهد الهائل الذى يبذله حسنى مبارك لاقناع ديناصورات العالم وعلى راسها أمريكا أن العقيد قد كف عن تاييد الارهاب واتخذ مواقف لا بأس بها فى أزمة الخليج ٠٠ والأزمات الراهنة ٠٠ وفيما عدا هذا فهو كلام ٠٠ من الضرورى أن يقال ! ولكن هل يمكن أن تكبح مثل تلك التوضيحات والجهود جماح الوحش الأمريكى الذى يبدو أنه بعد انفراده بالعالم لا يستطيع الصبر على أى خروج محدود عن الخط ٠٠ اننا نكتب هذه السطور والتهديدات الأمريكية تتساقط بغزارة ضد ليبيا بعد أن أخرجت لها من ملفات المخابرات المركزية قضية نسف الطائرة الأمريكية فوق أراضى اسكتلنده ٠٠ ومصر تحذر أمريكا من ارتكاب تلك الحماقة ٠٠ ولا أحد يدرى الى أى حد ستتوقف هذه المؤامرة الاستفزازية الأمريكية ؟!

استراحة

بعد هذا اللهاث السياسى وراء الســادات فى أيامه ..
استريح بك فى بعض حكاياته وحكايات مع السلطة ..
فى التعامل مع الصحفيين بالذات .. ونعود نســتانف
اللهاث !!

حكايات معه ومع السلطة ؟

طبعا انور السادات هو رئيس الجمهورية ورأس السلطة • وقد شرحت من قبل كيف حددت علاقتي بالسلطة •• وهدفي من تلك العلاقة وتسويت كل التناقضات داخلي • ولم يكن لدى أى تردد فى اختيار المنهج الموضوعى وكان ذلك اختيارا لنفسى أمام نفسى اذ لم يتطرق الى ذهنى قط أن أتبع المنهج الذاتى على الاطلاق بمعنى أننى لم أضع المنهجين أمامى موضع اختيار ولكننى فضلت سلوك هذا المنهج تلقائيا متجردا من أى نزعة ذاتية • والحقيقة أن علاقتي بالسادات لم تكن هي أول علاقة لى بالسلطة • فقديما كانت لى علاقة بالسلطة وعلاقة مريرة أيضا بمعنى أنى لم أعرف من السلطة شيئا سوى أنى عضو فى تنظيم سرى يتناقض معها وهى تطاردنى وتحنق على وتضعنى فى المعتقلات والسجون وتعذبنا • وتفصلنا عن أسرنا • وكان لدى نفور شديد من الاقتراب من السلطة بأى حال من الأحوال حتى أن زميلى مفيد فوزى كان دائما ما يقول لى (أنت تعيش بنفسية المطارد) والى حد ما كان هذا صحيحا - حتى بالنسبة لى كصحفى وبحكم وظيفتى عندما كنت ألتقى بشخص مهم ولنتحدث فى موضوع أو أعمل معه تحقيقا فبعد هذا الموضوع كانت الصلة بهذه الشخصية تتوقف بعد ذلك الا اذا تكرر اللقاء بهدف عمل آخر أو لقاء فى حفل أو ما شابه ذلك حتى بعد زواجى ١٩٥٨ وكانت زوجتى قريبة لبعض المسئولين الكبار لم أحاول بأى حال من الأحوال اقامة علاقة معهم وزوجتى أيضا لم يكن لديها أى رغبة فى توطيد العلاقة مع هؤلاء الأقارب •

وزارة عزيز صدقي :

ولكن حدثت نقطة تحول في علاقتي بالسلطة فتحولت من شخصية المطارد الى حالة جديدة يمكن تسميتها (نفسية الند) أو (نفسية المساوى) اذا جاز لنا التعبير ..

فعندما تسلم عزيز صدقي الحكومة بعد استيلاء أنور السادات على السلطة بعد وفاة عبد الناصر ١٩٧١ أذكر أنني قابلت دكتور فؤاد مرسي صدفة وكان من المعروف أنه زعيم الحزب الشيوعي المصري قبل حله وعينه الرئيس أنور السادات بعد تسلمه الحكم في اللجنة الثلاثية التي أعادت بعث الاتحاد الاشتراكي وتنظيمه وعندما قابلته سألته قائلا :

ـ يا دكتور ايه حكاية أن عزيز صدقي يبقى رئيس وزارة ؟

(وكانت فكرتي عن عزيز صدقي لا تخرج عن كونه يقدم أرقاما مبالغة في عملية النمو الصناعي في مصر .

حتى أنهم في بعض الأوقات كانوا يلقبونه (أبو لمعة) كما كنت أعلم أنه تعلم في أمريكا وليس لديه اتجاه ناحية الديمقراطية وأنه لا يتعامل الا مع جمال عبد الناصر فقط) .

هذه هي كل معلوماتي عنه آنذاك وكانت ضئيلة . لذلك سألت دكتور فؤاد مرسي هذا السؤال ..

فاذا به يرد قائلا :

ـ لأده بالعكس عزيز صدقي رجل تنمية اقتصادية كويس وهو الذي سيحافظ على تراث جمال عبد الناصر من حيث الشركات المؤممة والقطاع العام الذي يحلم بالغائه التجار الذين علقوا اللافتات في الشوارع مرحبين بتخلص أنور السادات من أعوان جمال عبد الناصر وأن عزيز صدقي لديه اتجاهات اقتصادية مع الشعب وغير متعال وأنه من الممكن أن يلعب دورا جيدا في المرحلة الحالية على الأقل بالنسبة لانجازات جمال عبد الناصر والوقوف كصادات رياح في وجه العناصر اليمينية داخل النظام وخارجه التي تحاول تصفية الثورة .

وأردف قائلا انتم لازم في روز اليوسف أن تؤيدوا حكومة الدكتور عزيز صدقي ولا تقفوا متفرجين .

عندما عدت الى روزاليوسف قابلت المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي رئيس روزاليوسف حينذاك وحكيت له عما حدث أثناء المقابلة واقتراح الدكتور فؤاد مرسي .

فقال عبد الرحمن الشرقاوى : ان كلام فؤاد مرسى هو الحقيقة وأنا شخصيا أعرف ان فيه ناس من رفاق أنور السادات عارضوا أن يكون عزيز صدقى رئيسا للوزارة ومن هؤلاء سيد مرعى • والناس الذين ضد التأميم والقطاع العام والتى تأمل خيرا فى أنور السادات بمعنى تنمية القطاع الخاص على حساب القطاع العام والانتكاس بثورة ٢٣ يوليو غير مرحبين بوزارة عزيز صدقى •• وفكرة روزاليوسف يجب ألا تقف متفرجة (التى طرحها فؤاد مرسى) فكرة جيدة وهذا دورنا وأنا أتيت على رأس هذه المؤسسة حتى لا أقف متفرجا سلبيا تجاه أى ظاهرة فى البلاد فأنور السادات يدرك أن روزاليوسف مجلة اليسار الوطنى • يكتب فيها الكتاب اليساريون الوطنيون •• وهذا فعلا حقيقة ولابد أن نؤكد ذلك دائما بمتابعتنا لكل ما يجرى فى البلاد •

فرددت على عبد الرحمن الشرقاوى ضاحكا : يا ريس مفيش حاجة اسمها يسار وطنى وغير وطنى •• كل اليسار وطنى ولكن تختلف الاتجاهات فيوجد منهم المتطرفون ومنهم من يتخذ موقفا معتدلا وسليما وأنا أفضل استخدام تعبير مغاير وهو (اليسار الجبهوى) أى اليسار الذى يرى عمل جبهة واسعة مع أكبر قوى ممكنة من أجل الصالح العام للوطن دون الاكتراث بأن هذا الحليف فى الحكم أو غيره •

ـ فضحك عبد الرحمن الشرقاوى وأصر على قوله بأن هناك يسار وطنى ويسار غير وطنى وأتى فى ذلك الوقت صلاح حافظ وفتحى غانم واستكملنا الحديث معا ثم قال عبد الرحمن الشرقاوى :

ـ يا سيدى طالما سوف نأخذ موقفا ايجابيا من وزارة صدقى ونحاول أن نؤثر فى الأحداث فانه من الضرورى وجود من يمثلنا فى رئاسة الوزارة ! ••

اذ العادة أن لكل جريدة مندوب فى مجلس الوزراء ينقل لها الأخبار لتنشر فى الجرائد • فقلت له • من الممكن أن يقوم أى مندوب بهذه المهمة •

فقال لا نحن نريد كادر سياسى لأن الذى سيذهب لن ينقل لنا الأخبار فليست هذه مهمة لأنها تنشر فى الجرائد اليومية انما ما يهمنا هو معرفة الاتجاهات الموجودة وما هو وراء الكواليس ومحاولة التأثير أيضا فى الأحداث من خلال ما نكتبه بعد أن نكون قد عرفنا أكبر قدر ممكن عن التيارات والأراء المختلفة داخل المجلس •• وأردف قائلا : وعلشان كده أنا أرى انك اللى تروح تمثل روزاليوسف فى مجلس الوزراء •

فقلت له : مفيش مانع ••

ـ ذهبت الى مجلس الـــوزارة وطلبت منهـــم أن أكون منــــدوبا لروزاليوسف فقالوا لى : تفضل هذه خمس استمارات واحضر لنا خمس صور وتملأ الاستمارات .

وفوجئت بأن هذه الاستمارات تحتوى (اسم الأب واسم الأم واسم العائلة والأخوال والأعمام .. ومن الأسئلة المدونة فيها هل أنت عضو أو كنت عضوا فى الحزب الشيوعى ؟ هل كان لأحد من أقاربك علاقة بالحزب الشيوعى أو المنظمات المؤيدة له أو المرتبطة به مثل حركة السلام أو ما شابه ذلك من منظمات تماما مثل بيانات الفيزا الأمريكية .

فاجبت على كل هذه الأسئلة .. وهناك كانت أسئلة أخرى مثل (هل سـبق لك أن دخلت السـجن أو المعتقل بسبب أى انتمـاءات سياسية ؟!

ولم تكن لى فى ذلك الوقت أى ارتباطات أو صلة بأى تنظيم شيوعى أو غير شيوعى سرى أو غير سرى .. كنت وقتهـا مستقلا عن الأحزاب وكنت اقول عن نفسى أننى مجرد رجل مثقف ماركسى ولا أكثر من ذلك ..

ـ كان فى مجلس الوزراء آنذاك عبد المنعم عمـارة وكان زميلى فى المدرسة السعيدية أنا وأحمد شوقى الخطيب المحامى المعروف ثم أصبح هو مدير مكتب عزيز صدقى مع آخر هو الأستاذ محمود حسين أحد قادة الشباب الوفدى قبل الثورة .. فكنت أقابله من حين لآخر وعندما أصبح عزيز صدقى رئيسا للوزارة عينه وزير دولة لشئون مجلس الوزارة .

وتوجهت الى مكتب عبد المنعم عمارة وهنأته على المنصب واستقبلنى استقبالا حارا وحكيت له عن سبب حضورى الى هذا المكان وما تم تقديمه من طلبات والهدف منهـا قال : هل نسيت زمالة زمان ؟ وأنت تحضر المجلس فى أى وقت وتحضر مكتبى فى أى وقت . وفعلا عندما حضرت المجلس رحبوا بى وأدخلونى دون السؤال عن كارنيه ولم أكن حصلت عليه الى ذلك الوقت لأن اجراءاته تستغرق ١٥ يوما على الأقل .

واصبح معتادا حضورى المجلس وعرفت وعرفنى عزيز صدقى الذى كان يجوب الأقاليم فكنت أصاحبه فى هذه الرحلات وأتحدث معه ومع الوزراء . واكتشفت أن عزيز صدقى رجل ممتاز واصبحت أتحدث معه فى السياسة كرجل سياسة وليس كمحرر مندوب صحفى أحصل على خبر . ونشأت علاقة جيدة بينى وبين ممدوح سالم وزير الداخلية وبدأت أفهم كيف يفكر الحاكمون وأذكر مرة أننى كنت أتحدث مع أنور السـادات عن رأيى فى الوزراء ومستواهم فقلت له ياريس. احنا كان معانا فى المعتقل واحد اسمه (على زهران) وهو عامل نسيج بسيط ويعتبر من

أكثر العمال الشيوعيين فى المعتقل انخفاضا فى مستوى الوعى ولقد توفى بالسرطان فى المثانة . أنا باقول لسيادتك ان مستواه الفكرى والسياسى بعد اختلاطى بوزرائكم أحسن وأكفأ من الكثيرين منهم !!

وقهقه أنور السادات ضاحكا دون أن يضايقه هذا القول وقال لى : أصل انت بتقول الكلام ده بناء على أسباب عقائدية والقرد فى عين أمه غزال . انت بتقول كده عن على زهران لأنه شيوعى !

فقلت لا أنا لا أقول هذا الكلام أملا فى تعيين على زهران وزيرا لأنه ليس هناك وجه للمقارنة وهذا الرجل مات ولكننى أقول لك ما وجدته من خلال احتكاكى بالوزراء .

من خلال ارتباطى بجهاز الحكم استطعت معرفة ما كنا نقرأ ونسمع عنه ما معنى الوزراء التكنوقراط والبيروقراطيين ..

بمعنى ما الفرق بين الوزير السياسى العضو فى حزب سياسى وله احتكاك بالجماهير ويعى مشاكل الجماهير ويعمل من أجلها أو ضدها بحكم مصالحه الطبقية ولديه درجة من الوعى أو الخبرة السياسية فى معاملة الناس وبين الوزير الذى عينوه كأستاذ فى الجامعة لا يعرف شيئا عن أصول الحكم يعنى مثلا يأتوا بوزير مواصلات كان يقوم بتدريس قيادة قطارات مثلا . وليس له ادراك بمعالجة شئون الأمة بأسرها فى جميع المجالات وربما كان لا يعرف شيئا عن منظمة دول أمريكا اللاتينية وفهمنا ما معنى الوزير التكنـوقراطى والـوزير البيروقـراطى بمعنى (الجاهل سياسيا) فلا تاريخ سياسى له ولا ماضى وكيف يمكن لهؤلاء الوزراء أن يجلسوا أمام أى فرد لديه درجة من الوعى السياسى كالتلاميذ يستمعون وينصتون فى افتتان وانبهار اذا كان لهم أصلا أى اهتمام بالمعرفة . فى الحقيقة كثيرون منهم لديهم قدر كبير من التواضع ولا يدعى الواحد منهم معرفة ما لا يعرف ! .

وفهمت أيضا كيف أنه اذا كان الوزير ان لم يكن له ماض أو ثقل سياسى فانه معزول يمكن الاطاحة به من قمة النظام دون أن يشعر ولن تشعر الجماهير أنها فقدت شيئا ذا قيمة . وهـذا ينعكس على الوزراء ويجعلهم يحاولون المحافظة على مناصبهم بأى طريقة لأنه لا سند لهم على الاطلاق من جماهير أو غيره وانما سندهم الوحيد هو ارضاء السلطة العليا .

هذا ما أدركته من خلال تعاملى مع الوزراء ثم أدركت أيضا ان العلاقة بين النواب فى مجلس الشعب والوزارة ليست علاقة رقابة شعبية بقدر ما هى علاقة قضاء مصالح شعبية ! .. بمعنى أن سطوة عضو مجلس الشعب على الوزير ليست بأنه يراقبـه فى تصرفاته ويحاسبه انما علاقة

حل المشاكل لأهل الدائرة .. فبقدر ما يقوم الوزير بحل هذه المشاكل بقدر ما يكف النائب عن أذى أو مراقبة الوزير .

وهذا هو السبب فى أن الأغلبية الساحقة من أعضاء مجلس الشعب أو الأمة لا تسمع لهم صوتا فى المجلس . فانه لا يوجد حقيقة رقابة شعبية عن طريق البرلمان لسير العمل فى الحكم الا فى حدود قليلة .. بعضها قد يكون بايعاز من السلطة ذاتها !! ويمكن المماطلة والتلاعب مع محاولة المعارضة اجراء رقابة حقيقية على الحكومة .

ـ ثم لاحظت أيضا الصراعات داخل المجلس من أجل الترقى الى مراكز أعلى فالوزير يريد أن يكون نائب رئيس وزراء . ونائب رئيس الوزراء قد يسعى ويتآمر ضد رئيس الوزراء ليحتل منصبه لأنه ما دام أن المسألة لا تتخذ شكل أحزاب سياسية أو أن هناك حزب سياسى واحد فانه لم يكن عن بديل سوف التقرب من الحاكم والتملق والتزلف والدخول فى مكائد متبادلة والتزلف والتملق لا يكون طبعا الا لرأس النظام .. وزوجته أيضا .. فقد كان الوزراء يسرعون الى حضور أى اجتماع تحضره السيدة جيهان السادات وكنت أشعر كما لو كانوا يحضرون طابور التمام .. وكان يقال لى أحيانا من بعض رجال الحاشية والصحفيين العارفين ببواطن الأمور أن هذا الوزير أو ذاك قد عين بفضلها أى بفضل السيدة جيهان .

تمزيق الرؤساء والدس :

وتمضى أول تجربة لى فى علاقتى بالسلطة ... كان دخولى مجلس الوزراء أيام عزيز صدقى فى عام ١٩٧١ ولكننى فوجئت بعد أن غادر عزيز صدقى الحكم ١٩٧٣ تقريبا وعند دخولى مجلس الوزراء بأن الحرس يسألوننى ما اسمك ؟ وهم يعرفوننى جيدا .. فذكرت اسمى فأخرج كشفا وفحصه ثم قال لى اسم سيادتك مش موجود .. فقلت له : أنا ممثل روزاليوسف هنا .

فقال لى : لا اسمك مش موجود ! .

فقلت له : طيب أدخلنى لمدير الأمن .. وحدث ذلك .

وعندما دخلت لمدير الأمن دار هذا الحوار .

قلت له السلام عليكم .

قال عليكم السلام .

قلت له : أيه الحكاية ؟

فقال : ليست لدينا موافقة رسمية على وجودك هنا .

فقلت له : ازاى وأنا بقالى سنتين وأنا باحضر هنا وباسافر مع رئيس الوزارة فى كل رحلة ولما سافر الى موسكو كنت مرافقا له مرتين .

فنادي لأحد زملائي وهو الأستاذ عدلي جلال وكنا نسميه (عميد مراسلي مجلس الوزراء) وهو ممثل للأهرام ..

وقال له : يا أستاذ عدلي قول له أيه الحكاية فاذا بعدلي جلال يقول لي : لما انت حررت الاستعمارات وراحت الى ادارة الأمن فادارة الأمن برئاسة الجمهورية اعترضت على أن تكون أنت ممثل لجورنا لك في مجلس الوزراء (وكان هذا قبل معرفتي بأنور السادات) .. فقلت له . وما علاقتنا بأمن رئاسة الجمهورية ؟

قال : ان أمن رئاسة الوزارة مرتبط بأمن رئاسة الجمهورية لأنه منذ عهد جمال عبد الناصر كان كثيرا ما يكون رئيس الجمهورية هو رئيس الوزراء وبالتالي فان مجلس الوزراء ومن يدخله فهو معرض كثيرا لأن يرى رئيس الجمهورية ولذا فالأمن معترض عليك .. ونحن أرسلنا الخمس ورقات التي كتبتها الى المباحث العامة والى المخابرات العامة وخلافه . فلم يعترض عليك الا أمن رئاسة الجمهورية لأنك رجل شيوعي قلت : الله أمال أنا كنت باجي كل يوم ازاي ؟! .

قال : أصل عبد المنعم عمارة وهو وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء قال من الأول انك تيجي فلما جاءك الورق برفض مندوبيتك دخل به مدير الأمن لمجلس الوزراء الى عبد المنعم وقال له هذا الكلام وهو لأنه صديقك فلم يرد احراجك كالمعتاد . فقال لهم : يا جماعة مش عاوز حد يقول له الحكاية دي ودعوه يدخل المجلس كالمعتاد كأنه حاضر ليشرب عندي فنجال القهوة !.. والحقيقة أن هذا موقف شجاع من عبد المنعم عمارة لا أنساه له (وبالمناسبة هو ليس عبد المنعم عمارة المشهور محافظا للاسماعيلية ورئيسا للرياضة) .

وظل عبد المنعم عمارة حاجبا عني هذا السر الى أن عزلت وزارة عزيز صدقي كلها ومن ضمنها عبد المنعم عمارة . وبظهور الوزارة الجديدة ظهرت الحقيقة على طبيعتها ولذا منع دخولي مجلس الوزراء فذهبت الى عبد الرحمن الشرقاوي ورويت القصة وكان عبد الرحمن الشرقاوي رئيس مجلس ادارة روزاليوسف ومعروف أنه كان يتسم بالشجاعة والشهامة فإتصل في الحال بالوزير عبد الفتاح عبد الله تليفونيا (رحمه الله) وكان هو وزير شئون مجلس الوزراء وكان ضابطا في الجيش وقال له : بلغني أن عبد الستار الطويلة منع من أن يكون ممثلا في مجلس الوزراء فارجو تفسيرا مكتوبا على ورق .

.. لماذا رفض مجلس الوزراء أن يكون هو ممثلا للجريدة وأنا أعتبره ممثلا لي أنا عبد الرحمن الشرقاوي ونائبا عني عندكم ؟

فقالَ له ليس من الضرورى أن يكون التفسير مكتوبا .

فقال له عبد الرحمن : لا .. أريده كتابيا لأننا انتهينا من عهد الكلام الشعرى لأن أنور السادات نادى بالديمقراطية والحرية وأحرق الشرائط والتقارير السرية فأنا أريد أن أعرف .. فقد أرسلت هذا الرجل ليمثلنا ..فجائز أنا مخدوع فيه .. من الجائز أن يكون جاسوسا جايز عميل لأحد .. أريد أن أعرف فان كان جاسوس أو عميل لأحد فأنا الذى سوف أعاقبه وأقدمه بنفسى للنيابة .. وان لم يوجد أى اتهام .. فانه يجب أن يستمر وأن لم يحدث ذلك فأنا مستقيل وسأترك هذا الكرسى الذى أجلس عليه ان لم يوجد لديكم تفسير منطقى لذلك ! وبالطبع لا يوجد رؤساء مثل المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى فأغلبهم يرجف من مجرد تقرير مباحث ولا يتحدى سلطات الأمن هكذا ويهدد بالاستقالة كما فعل الشرقاوى « رجل والرجال قليل حقا » !

وفى الساعة الخامسة نفس اليوم دق جرس التليفون فى بيتى من مدير الأمن فى مجلس الوزراء وقال لى : « تسمح تحضر لنا لتأخذ كارنيهك فى مجلس الوزراء » . وذهبت ومن وقتها أصبحت مندوبا لروز اليوسف فى مجلس الوزراء . هذه القصة تدل على التناقضات داخل أجهزة الأمن والسلطة فى داخل البلد يعنى مواطن أعطوه حق أن يمثل الرأى العام ويعمل بالصحافة ويكتب فى كل يوم فى الجرائد معبرا عن الناس ..

وكذلك أنا واحد من الناس المدافعين عن النظام ولست معاديا له وأجهزة الأمن كالمباحث العامة والمخابرات ترى أننى لا أعمل ما هو معاد للبلد أو النظام ولا تعترض على ذلك تظهر جهة تتجاهل كل هذا وتتجاهل أن النظام يتعامل مع اليساريين ويتعاون معهم طالما ليسوا ضده ويظهر جهاز معين يرفض التعامل مع هذا الفرد اذن الأجهزة فى واد والسياسة العامة فى واد .

حدث بعد ذلك عندما عرفت أنور السادات وبدأت تظهر بينى وبينه علاقة قال عبد الرحمن الشرقاوى . نريد أن نجعلك مندوب روزاليوسف فى رئاسة الجمهورية لتتمكن من لقاء الرئيس فى أى وقت .. بحيث لا تخضع المسألة لأن يطلبك : أو تطلب أنت مقابلته .. فهذا الوضع سيعطيك الصلاحية فى دخول رئاسة الجمهورية فى أى وقت طالما معك الكارنيه .. مندوب رئاسة الجمهورية يمكنه التواجد حيث يتواجد رئيس الجمهورية .

وبالفعل قدمنا طلبا بذلك واذا برئاسة الجمهورية ترفض اعتبارى مندوبا لروزاليوسف فى رئاسة الجمهورية ؟ ادارة الأمن برئاسة الجمهورية.

هى التى رفضت رغم أنها ترانى أقابله وأجلس وأتحدث وآكل وأشرب معه وأسافر معه فى الاسماعيلية والقناطر وغيرها ·· فكيف ليس من حقى أن آكون مندوبا ؟! ·

– وقيل لى بعد ذلك أن السبب فى رفضك هو أشرف مروان الذى عين من قبل الرئيس ضـــابطا للاتصـــالات وسكرتيرا لشئون المعلومات وأعطيت مسئولية أمن رئاسة الجمهورية له ·· فلما قدموا له الورق اعترض عليه ·

وفى مقابلة مع رئيس الجمهورية فى القناطر قلت له ياريس هل معقول أن سيادتك وانا باجى لك وباقعد نتكلم مع بعض ساعتين فى الجنينه أن أقدم طلبا لكى آكون مندوب روزاليوسف فى رئاسة الجمهورية فيرفض طلبى ويقال لى أصل أشرف مروان رافض لأنه ضد الشيوعيين فضحك أنور السادات وقال لى : أصل انت قصدت البيوت من غير أبوابها !

قلت له ازاى يعنى ؟

قال : تلاقيك قدمت زى أى واحد ما بيقدم انت كنت كلمتنى أو كلمت فوزى عبد الحافظ سكرتيرى كان اتعمل لك الكارنيه وانت واقف ·

وفى العصر دق تليفون منزلى وأشرف مروان على الخط ولم يكن لى سابق معرفة به ·

وقال لى : ازيك · أنا الريس كلمنى وقال لى انك زعلان منى وبتقول له انى رفضت انك تكون فى الرئاسة لأنى ضد الشيوعيين وأنا أريد أن أراك واعتبر هذه المسألة محلولة مفيش مشكلة وأنا لست ضد الشيوعيين ولا حاجة ! لكن عاوز أشوفك علشان ندردش شويه ·

فقلت له : تحت أمرك ·

قال أنا سأذهب الى مجلس الوزراء الساعة السابعة أشوف العيال دول بيعملوا ايه (ويعنى الوزراء) وسأنتهى منهم بعد نصف ساعة كفاية عليهم نصف ساعة وعلى ذلك أقابلك السابعة والنصف أو الثامنة فين ؟

قلت له بسيطة · أقابلك فى مجلس الوزراء وبعد أن تنتهى من مهمتك نخرج لنجلس فى المكان الذى تحدده ·

– وقابلته فى المجلس فى الصالة وصافحته لأول مرة واستقلينا العربة وذهبنا الى كازينو النهر على النيل · وظل يحدثنى ويشكو بأنه مظلوم وأنهم يتهمونه بأنه فتى مدلل وأنه بياخد سمسرة فى صفقـات السلاح التى يشتريها لمصر · وآكد بأنه لم ياخذ سمسرة من مصر على

السلاح وانما يأخذ على الأسلحة التى يشتريها للعرب • وقال أنه ليس ضد الشيوعيين ولكنه ابن مصر كلها يمين ويسار وأنه لا يعرف هذه التقسيمات وقال انه يقرأ لى وكلام من هذا القبيل • ولكنه لم يحدثنى عن موضوع التصريح اطلاقا • وكلما تطرق الحديث عن السياسة كان واضحا لى أن نصيبه من الوعى السياسى متواضع وان كان قد بدا أنه يريد أن يعرف أكثر ويتعلم أكثر مع ذكاء وقاد والتقاط للأفكار كأنه قارىء لها ! من ناحية أن شخصيته مريحة ويجتذبك برقته وأدبه •• مع احساس بالطموح الى غير ما حد •

وجلست وناقشته أنا فى مسائل سياسية قرابة ساعتين وقال لى :

لابد أن تحضر لى فى الهيئة العربية للتصنيع فى أى يوم لترى عملى هناك •

ــ وانتهيت من اللقاء وانصرفت وفى اليوم التالى حدثونى فى التليفون بأن أحضر لاستلام الكارنيه وبدأت بعد ذلك أذهب الى المجلس بموجبه •• وكنت التقى بأنور السادات الذى كان له طريقة عظيمة فى التعامل مع الصحفيين •

حكى لى بعض زملائى أنه •• فى عهد جمال عبد الناصر عندما كان رئيس مجلس وزراء وعضو مجلس قيادة الثورة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٥ • كان ينزل من على سلم رئاسة الوزارة ويجد مندوبى الصحف فكان يضحك ويتبسط معهم ويتحدث ويحكى لهم الأخبار ويسأل عن الغائب منهم لو لاحظ ذلك •• ولكن بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ١٩٥٦ بدأت علاقته بالصحفيين برئاسة الوزراء تنقطع ويتاله ولا يجلس ولا يتحدث معهم وركز اهتمامه على أن يكون له صحفى واحد هو الأستاذ حسنين هيكل •

ولكن عندما أتى أنور السادات الى الحكم استحدث شيئا جديدا وهو أنه كان يتحدث مع مندوبى الصحف الموجودين فى رئاسة الجمهورية ويناقشهم ••

كان الحرس يحاولون ابعادنا عن رئيس الجمهورية ولاحظ السادات مرة ذلك فقال :

يا جماعة ماتبعدوش الصحفيين عنى • ماتنسوش أنا كنت صحفى !•

الصحفيين دول حبايبنا •• (وكان هذا يضايقهم) •

وعندما كان السادات وهو مدعو على الغذاء فى مكان كالجبهة مثلا •• ما يكاد يجلس على مائدته حتى كان يهب واقفا ويقول فين الصحفيين ؟ وينادينا لنجلس معه على مائدته مع الوزراء والحكام •

ـ يرى البعض أن هـذا تمثيـــل بهـدف عمل الدعاية لنفســـه ٠ وليكن ٠ فأنا كصحفى يهمنى السلوك ولا يهمنى نواياه طالما سيعمل دعاية لنفسه يخدم من خلالها الشعب وأنا كرجل اعلام يهمنى أن أكون قريبا منه ليسهل ذلك عملى وأرى ما يفعله عن قرب ! ٠

فى احدى المرات كانت هناك مأدبة فى العيد الكبير فى الجيش وبها لحم وفت ٠٠ وقبل دخولنا المطعم ٠ قال لأحد مرافقيه من الضباط : اوع يكون الفتة واللحمة باردة لحسن الجماعة الصحفيين يفضحونا دول معانا من الساعة خمسة الصبح فيجب أن توكلوهم كويس ! ٠

ـ ودائما فى رحلاته فى الخارج كان يستدعى مندوبى الصحف الى جانب رؤساء تحرير الصحف بينما جمال عبد الناصر عندما كان يسافر الى بلد كان يأخذ معه واحد فقط هو حسنين هيكل ولكن الجرائد تغطى الزيارة بارسال مندوبيها ٠٠ قبل الرحلة بيومين أو ثلاثة ولكن السادات استحدث شيئا جديدا عندما طلب أن يسافر معه فى نفس الطائرة رؤساء تحرير الصحف جميعا ٠٠ وعلى الجرائد ارســـال مندوبين آخرين فى طائرة أخرى وكان فى البلد الذى نسافره لا يدعو رؤساء الصحف لمجالسته فقط بل المندوبين أيضا والكل أمامه على قدم المساواة ٠ ومن حق الكل مناقشة رئيس الجمهورية ٠ ولاحظت أن هذا كان يضايق معظم رؤساء التحرير ٠
ـ وقديما كان رؤساء تحرير الصحف فقط يقيمون فى اللوكاندات التى ينزل فيها رئيس الجمهورية٠٠ولكن بعد ذلك قرر أنور السادات أن يقيم مندوبو الصحف أيضا فى نفس اللوكاندة التى ينزل فيها أو أقرب واحدة اليها ليكونوا قريبين منه ٠

ولنستكمل الصورة نحكى بعض حكايات عن كيفية تعامل السادات مع الصحفيين وسلوك السلطة عموما ٠٠

وفى عام ١٩٧٤ كنـــا نزور معه منطقة القنـــال ٠٠ وكان هناك عـدد من الصحفيين يحاولون الاقتراب ما أمكنهم من الرئيس ليســمعوا ما يقوله ٠٠ فكان الحرس الجمهـــورى والبوليس يبعدهم عن محاورته وحدثت مشاحنات ٠ ولاحظ أنور السادات مرة هذا الابعاد من جانب الحرس للصحفيين فوقف والتفت اليهم وقال :

ماحدش يقرب من الصحفيين ٠٠ خليهم يبقوا جانبى ٠٠ يا ابنى بتبعدهم ليه دى شغلتهم يعدوا أنفاسى مش يسمعوا كلامى بس !!

وضحك الناس جميعا ٠٠ وأصبحنا نقترب من الرئيس ٠٠

وعند خط بارليف فى تبة مرتفعة تلفت الســادات حوله فلم يجد

الصحفيين .. فصاح فى غضب .. فين الصحفيين يا ابنى انت وهوه .. خللى بالكم منهم يكونوا قبلى كمان :

وعندما كنا ندخل ولائم عملها لنا الجيش كان السادات يتلفت حوله فاذا وجدنا بعيدين عنه أشار بيده الينا لنتقدم ..

وكنت ألاحظ أن الحراسة الخاصة ليست مستريحة لهذا الأسلوب .. لقد كانت هذه بداية اختلاط الصحفيين برئيس الدولة بعد فترة شبه مقاطعة أيام جمال عبد الناصر عندما كان كل شىء مبرمجا وخاضعا لبروتوكول دقيق نظرا للهيبة الرهيبة التى كانت تحيط بجمال عبد الناصر .. لكن أنور السادات كان شيئا آخر مع الصحفيين .. لقد كان صحفيا فى وقت من الأوقات وهذا ساعده على أن يتخذ مواقف زمالية بالنسبة لهم .. وأكثر ادراكا لظروفهم واحتياجاتهم وبالتالى يتعامل معهم بطريقة أفضل .

وكان السادات يصر فى الحفلات التى يقيمها رؤساء الدول له ان يكون الصحفيون مدعوين فيها باعتبارهم وفدا اعلاميا رسميا .. وبالتالى كانت الموائد التى يوزعون عليها تضم كبار القوم فى تلك البلاد .

وأذكر بهذه المناسبة أن المرحوم محمود ذهنى المحرر الدبلوماسى فى روزاليوسف استطاع أن يظفر باعجاب لوردة المجليزية (زوجة لورد معروف) كانت الى جواره فى مائدة العشاء أمامى وكانت سيدة جميلة .. وفوجئنا بها فى الفندق مع محمود وتبدو والهة بلا تكلفة معه وبدون أى شعور بالخجل .

وكانت حكاية تندرنا بها .. طوال أيام الرحلة وكل واحد يود لو كان مكان محمود ذهنى رحمة الله عليه !

ولذلك حضر الصحفيون المصريون كل حفلات الملوك والبيت الأبيض ورؤساء الجمهوريات المختلفين التى أقاموها لأنور السادات وجالسوا كل كبار الحاضرين واستطاعت صحفية مصرية مثلا هى نوريس عبده أن تراقص الرئيس الأمريكى فورد بعد أن طلبت منه هى ذلك ووقفنا حولها نضحك ونتضاحك .

مثل آخر نحكيه عن أسلوب أنور السادات فى التعامل مع الصحفيين .. كانت العادة أن كل صحيفة تعطى مندوبها فى رحلات الرئيس بدل سفر .. وكان بعض الصحفيين لا يكفيهم بدل السفر هذا للنزول فى فندق مناسب أى قريب من القصر أو الفندق الذى يقيم فيه الرئيس وإنما فى فندق فقير نجمتان او ثلاث ..

وعندما كنا فى النمسا عام ١٩٧٥ ·· وضعونا فى فندق كونتننتال قريبا من فندق امبريال الذى كان يقيم فيـه الرئيس ·· ولما حسبنا بدل السفر وجدنا أنه لا يكفى لسداد أجر الفندق ··

وكان من بين مرافقى الرئيس فى رحلته الدكتور أســامة الباز الذى كان يعمل مديرا لمكتب السيد اسماعيل فهمى وزير الخارجية حينذاك ·· وكان يبدو أن أسامة لطيف ورقيق مع الصحفيين ·· ويتعامل بأسلوب فيه ود وصداقة ولم يكن فى ذلك الحين شخصية بارزة كما هو الآن ·· أذكر أنى ذهبت وزميلى الأستاذ عبد الرحمن سليمان المحرر بمجلة الاذاعة يومهـا ·· الى الدكتور أسـامة فى غرفته بالفندق ·· فوجدناه غارقا فى أكداس من الورق ·· على المكتب والأرض والمقاعد مع فناجين قهوة كثيرة ·· فوضى فى كل مكان ·· ولكنه منكب على الورق يكتب واحدة وراء الأخرى فى سرعة عجيبة ·· قال له عبد الرحمن ·· يادكتـور خدوا بدل السفر بتاعنا وقعدونا فى المكان المناسب ·· قال بود شديد ايه الحكاية ··

حكينا له الحكاية ·· خرج وعاد بعد دقائق قليلة وقال ·· الريس أمر اللوكاندة على حساب الرئاسة ·· خلاص استريحوا وانقلوا عفشكم معانا هنـــا ·

لم يكتف أنور السادات بهذا بل فى احدى الرحـــلات سمع اثنين مصورين يتحدثان مع بعضهما عن ضآلة ما بقى معهما من بدل السفر بحيث لن يستطيعا شراء أشياء لأولادهما ·· رغم أنه أصبح تقليدا أننا اذا نزلنا بلدا أقمنا فى فنادق على حساب مصلحة الاستعلامات ·

فما كان من أنور السادات الا أن استدعى مدير مصلحة الاستعلامات حينذاك مرسى سعد الدين وقال له الصحفيون قاعدون على حسابكم فى اللوكاندة ·· اعط كل واحد منهم ثمن أكله طول اليوم وقهوته كمان ·· أنا مش عاوز يصرفوا حاجة من بدل السفر على الرحلة ·· خلى بدل السفر يشتروا به حاجات لأولادهم ··

قال لى مرسى سعد الدين ان السادات سكت لحظة وقال له ··

ـ الصحفيون دول أغلب من الغلب ··

ولما قابلت السادات بعدها وشكرته على تصرفه باسم كل الصحفيين ·· قال لى ·· ما أنا متـكم وعارف ايه اللى يريحـكم والبلد بتصرف كثير وقليـل ·· وانتم بتشتغلوا كثيرا وما فيـه حاجة وأنا عـارف ان رئيس التحرير جايب معاه بدل سفر قد كده ! ··

كان أنور السادات لماحا .. ويعرف كيف يتعامل مع الناس الذين يهمه أمرهم ويعرف أنه يمكنهم أن يفيدوه ..

كما كانت له لفتات انسانية . وكان اذا أعجبه صحفى عمل الكثير من أجل اكرامه واشعاره بهذا التقدير . ولم يفرق بين أحد كبير وصغير .. بل انه قرب صحفيين ليسوا مشهورين اليه .. أو مخالفين لفكره ولعلنا نذكر كيف قرب اليه عبد الرحمن الأبنودى وهو يعرف أنه يسارى .. لسماعه أغنية جيدة له .. وهو أى السادات كان فى عنفوان هجومه على اليسار .. وكيف التقى بكثيرين طلبوا لقاءه اما لعمل رسالة أو دراسة عنه .

ولم يكن يمنع ذلك من وجود صحفيين مقربين جدا اليه .. ولم أكن أنا واحدا منهم .. يخصهم بالاتصال بهم دائما برقم تليفونه معهم يطلبونه فى أى وقت كما كان يتحدث معهم عن المواد التى ينشرونها .. فهو الذى طلب من احسان عبد القدوس أن ينشر عنده حديثى معه عن جبهة الرفض بعد فشل محادثات كيسنجر فى أسوان فى صيف ١٩٧٥ .

ونشر احسان الحديث فعلا فى الأهرام وكان احسان أستاذى وهو الذى أعطانى فرصة العمل بالصحافة لأول مرة فى روز اليوسف .

وتحكى لك كيف أن النظام يستفيد من اليساريين مع ترك الحرية لهم للدفاع عن اليسار فقد وضح لى ذلك فى حادثة بسيطة كان بطلها الدكتور جمال العطيفى وزير الاعلام . ففى ١٩٧٦ كتبت كتاب « رفض الرفض » دفاعا عن سياسة السادات فى وجه الرافضين الذين بدأوا يمثلون قوة معارضة لسياسة السادات لحل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى من بعد فض الاشتباك فى اتفاقية الكيلو ١٠١ ـ وكنت قد سجلت فى هذا الكتاب انتقادات لشاه ايران ومدح للاتحاد السوفيتى . فامتنع الرقيب عن الموافقة على بعض الصفحات . فقلت له تعال نحتكم للوزير . وذهبنا اليه وعرضنا عليه الصفحات المرفوضة من الرقيب فنظر الوزير الى الرقيب وقال له احنا نعرف ان عبد الستار الطويلة ده كاتب وطنى ويدافع عن نظام أنور السادات ولكن عبد الستار الطويلة ليس موسى صبرى وانما هو كاتب ماركسى ولذلك يجب أن ندعه يمارس حقه فى الكتابة عن الماركسية لكى يستمر معنا ولأن من مصلحتنا ان صفته ككاتب ماركسى تستمر لكى يصدقه الناس ! ..

ـ قال ذلك صراحة وكانت هذه هى الصيغة النظرية التى كنت أبحث عنها لتحديد العلاقة بينى وبين النظام وأنا أدركتها وحاولت أن أستفيد من

هذه المعادلة الصعبة وانني أقول أنه طوال وقت وجودي ودفاعي عن سياسة السادات كان يسمح لى أن أكتب بحرية منتقدا سياسته فى أشياء كثيرة جدا خاصة في مجالى الانفتاح والديمقراطية وعارضته بوضوح فى مسألة الصحفيين الذين كان يود فصلهم من نقابة الصحفين وعارضت سياسة الانفتاح بوضوح وعارضت محاولات طرد الصحفيين الذين فى الخارج من صحفهم وكتبت كل ذلك ٠٠ وعارضت ازدياد النفوذ الأمريكى فى مصر ٠ وكنت أكتب كل ذلك فى روز اليوسف وصباح الخير والسياسى ٠ نخلص من ذلك بالنسبة للتعامل مع السلطة الى أنه يجب على الانسان أن يكون صريحا وواضحا مع النظام ومحددا لأن التعامل السياسى يجب أن يكون فيه حد أدنى من الثقة ٠ ولذلك كنت أقول لأى مسئول أننى حليف للنظام ولست تابعا له ولا أستطيع أن أخفى أفكارى وحدث نفس الشيء مع الرئيس حسنى مبارك اذ حدث أمام صلاح حافظ وكنا فى واشنطن فى ديسمبر ١٩٨٠ فى فندق ماديسون ٠٠ وسألنى حسنى مبارك وكان نائبا للرئيس أيامها كيف أنك واحد شيوعى وعندك مرسيدس ٠

فعاتبته على هذا الكلام فقال لى يا أخى أنا باضحك وباهزر ٠٠

ثم سألنى ٠ هل أنت شيوعى ؟

فقلت أنا مثقف ماركسى ٠ والشيوعى عضو فى الحزب ولكننى لست عضوا فى الحزب ٠٠

فقال نحن ليس لنا شأن فى ذلك ولكل واحد حرية التفكير كما يريد وأنت رجل وطنى وكاتب ممتاز ٠ وعندما خرجنا قال لى صلاح حافظ كيف يا أخى تقول أنك انت مثقف ماركسى لنائب رئيس الجمهورية !

فقلت له : يا صلاح حسنى مبارك ده نائب رئيس جمهورية وليس وكيل نيابة حتى أتلاعب معه ٠٠ ده حاكم وهو الرجل الثانى فى الدولة وبالتالى يجب أن يعرف الحقيقة ويعرف مع من يتحدث ويناقش فمن حقه أن يعرف ٠٠ حتى اذا قبل هذا الوضع تعامل معى على أساسه ٠

فرد صلاح : معك حق

ـ وفى مرة مع العقيد القذافى سألنى فى أول لقاء بسيربلانكا ٠

قال لى : أنت بتصوم ؟

قلت له : لا

قال لى : وليه ؟

قلت له : لأسباب عقائدية !

وعندما كتبت الحديث وقدمته لأنور السادات ليقرأه قبل النشر فعندما وصل الى هذا الحوار خبط كفا على كف وقال لى : ازاى تقول للقذافى كلام زى ده ٠ انت بتثبت على نفسك ان؟انت فيه أسباب عقائدية تجعلك ماتصومش ؟ ٠٠

وضحكت قائلا : برضـه ياريس ما أقدرش أكذب على مسئول كبير زى القذافى ٠٠ أضحك عليه وأنا أتكلم معه فى مسائل كبيرة قوى ؟ ٠٠ لازم أقول له الحقيقة وأكون صريح وواضح معاه وأنا لا أخاف ٠ فهو سيبدأ يتعامل معى على هذا الأساس ! ٠٠

ـ الغريب أن أنور السادات كان دائما ما يذكرنى بهذه الحكاية ويذكرها أمامى وأمام الآخرين للتدليل على غفلتى لأننى كنت أقول هذا الكلام أمام القذافى بصراحة !!

واحكى لك قصـة اخرى تكشف عن الجـو فى الصـحافة المصرية وكيف يتعامل الصحفيون مـع بعضهم البعض ٠٠ واحيانا بطريقة سيئة ليس لها من مردود سوى الاسـاءة لموقعهم ومكانتهم جميعـا لدى الحاكم ٠٠

فعندما كنت فى أمريكا عام ١٩٧٧ ٠٠ كنت أتصل من حين لآخر بروز اليوسف ٠٠ وأملى عليهم رسـائل صحفية ٠٠ وفى مرة من المرات قال لى صلاح حافظ ٠٠ « ان الريس خلاص شال عبد الرحمن الشرقاوى من روز اليوسف وشالنى أنا من رئاسـة التحرير » ٠٠ فطلبت تحويلى للسويتش ٠٠ وطلبت مرسى الشافعى رئيس مجلس الادارة ٠٠ وكنت أعرفه معرفة سطحية من قبل ٠٠ وقلت له مبروك يا أسـتاذ مرسى انك شرفتنا ٠٠ وأضفت بسلامة نية وبسـاطة ! ٠ أنا أرجوك يا مرسى انك تجمعنا كلنا مع بعض ٠٠ وماتكونش جاى تمسك كرباج أو ضغط على اليسار فى الجرنال ٠٠ ويعنى نتعاون كلنا ٠٠ وانت راجل كنت فى الوفد قبل كده ٠٠٠ ديمقراطية وليبرالية يعنى ! ٠ فرد على قائلا يجب أن تعود الى مصر ٠٠ قلت انشـاء الله ٠ وكلمت عبد العزيز خميس أيضـا وباركت له ٠٠ وقلت له كلاما مشابها ٠٠ وعبـد العزيز كنت لا أعـرفه شخصيا قبل ذلك كنت أسمع فقط عن أيام قضيته مع أنور السـادات وعندما عدت قابلت مرسى الشافعى فى مكتبـه ٠٠ فاستقبلنى بحـرارة وسلمنا على بعض ٠٠ وجلسنا معا ٠٠ وبعد ذلك قال لى ! ٠ يا أخى ده

أنا كنت فاهم عنك حاجات سيئة جدا ٠٠ فقلت ازاى ؟ ٠٠ قال لى ٠٠
أنا لما جيت هنا كذا واحد جاء وقال لى انك كنت بتستغل علاقتك
بأنور السادات وعامل عملية تهديد هنا فى الجرنال ٠٠ وبتكلم على انك
ستصبح رئيس مجلس الادارة بحكم الصلة التى بينك وبين أنور السادات
٠٠ وناس جاءت تقول لى ٠٠ لابد من ايقافك عند حدك ٠٠ وانك كنت
تزعم للناس أنك تقضى حاجتهم عند رئيس الجمهورية ٠٠ وتقول لهم
يالله اللى عايز أعمل له أى حاجة أعملها له ! ٠٠ وبتكلم كده بزهو وتعالى
« وقنزحة » على الناس ! ٠٠ وضحكت طبعا ٠٠ ولكن مرسى الشافعى مضى
يقول لى ٠ واحد صديقى ٠٠ وباثق به جدا ده الوحيد الذى شهد لك
شهادة كويسة ٠٠ اذ نفى هذا الكلام تماما ٠٠ سالته من ؟ ٠ قال فوميل
لبيب (الصحفى الكبير فى المصور يرحمه الله) وكنت قد وثقت علاقتى به
من خلال أنه كان ممثل المصور فى رئاسة الجمهورية أيضا ٠٠ وكنا نسافر
رحلات الريس مع بعض ٠٠ وربطت بينى وبينه ونوريس أحمد التى كانت
ممثلة جريدة السياسى علاقة وثيقة جدا ٠٠ قال لى مرسى الشافعى أن
٠٠ فوميل عندما جاء الى المكتب يهنئه ٠٠ قال له أوصيك برجل كويس
أوى تتعاون معاه كويس جدا وهو عبد الستار ٠٠ ساله مرسى فى دهشة
فلان الفلانى ؟ ٠٠ دول بيقولوا لى عليه كذا وكذا ؟ ٠٠ قال نوميل لأ لأ ٠٠
ده عبد الستار عمره ما استغل علاقته بأنور السادات ٠٠ بالعكس كان
بسيط ومتواضع ولا يهتم بالحكاية دى ٠٠ ولا بتظهر عليه ٠٠ ولا عمره
اتصرف على انه له علاقة بالسلطة أو رئيس الجمهورية ٠٠ بل بالعكس
٠٠ ولا عمره كان يضع فى راسه انه يبقى رئيس مجلس ادارة ٠٠
ولم يسع للحكاية دى أبدا ٠٠ هو كان مبسوط بس انه يقعد ينشر ويكتب
اللى عايزه ٠٠ وكان دائما فى لقاءاته مع الريس ٠٠ يكلمه بصراحة ٠٠
والحقيقة أن فوميل لبيب ونحن فى ايطاليا فى رحلة مع الرئيس حدثت
تعديلات وتعيينات فى المناصب الصحفية ـ ففوجىء فوميل لبيب أنه
عين مدير تحرير وهو كان يأمل أن يصبح رئيس تحرير ٠٠ فتأزم جدا
واعتكف فى حجرته ٠٠ فانا لما ذهبت اليه فى غرفته قلت : له اسمع
يا فوميل ٠٠ انت عايز تموت نفسك ولا ايه ؟ ٠٠ أنا أسالك سؤال ٠٠
انت علاقتك بالسلطة ومع أنور السادات أكثر منى ؟ ٠٠ قال لا ٠٠ قلت
له وأنا باقول لك ان السلطة ليس لها أمان ٠٠ وانك ممكن أوى تكون
صديق قوى لرئيس الجمهورية والسلطة جدا جدا ويغدروا بك تانى يوم
٠٠ لا تثق فى أى حد فى علاقتك بالسلطة ولا تنتظر منها شىء ٠٠ لانك
ستذل نفسك هى لها اعتبارات فى التعيينات وفى المراكز وانت ماتعرفهاش
٠٠ وموش لازم تتوقع لو أديت للسلطة خدمات فانها لازم تكافئك على كده

٠٠ المكافآت والحاجات دى لها اعتبارات أخرى أيضا عندهم ٠٠ قد لا تكون لها علاقة بالوفاء ٠٠ فوميل لبيب قال لمرسى الشافعى الحكاية دى فمرسى قال بعد أن رواها ان « كلامك مضبوط » ٠٠ ولذلك فانا منذ اليوم الذى عينت فيه فى المركز ده ٠٠ وأنا « بدأت العد التنازلى لغيابى عن الكرسى » ٠٠ وهذه كانت أحكم عبارة قالها لى مرسى الشافعى ٠٠ وعبارة صريحة رغم أننا لم نكن أصدقاء ؟ ٠ ورغم أن مرسى الشافعى تقول على كثيرا بعد ذلك ٠٠ لكن الانسان مجموعة من تصرفات تبـدو متناقضة ٠٠ يعنى مثـلا مرسى الشافعى فى مره من المرات بعـد فترة ٠٠ وجـدته يقول لى ٠٠ يا أخويا التفاح اللى أنت عمال تستورده من الخارج ده ٠ وتكسـب منه مكاسـب هائلة ٠٠ قلت له ٠٠ تفـاح ايه ٠٠ قال لى ٠٠ موش انت وبسيونى جمعة مستوردين التفـاح اللى يتباع فى البلد دى كله ؟! ٠٠ فأبديت دهشتى الشديدة وقلت له يامرسى ـ أنا لا أتاجر وليست لى علاقة بالتجارة ٠٠ وبسيونى جمعة صديقى ٠٠ عمرى ما وجدته يستورد تفاح ٠٠ وأنا عايز أقول لك ٠٠ ان العلاقة الوحيدة ذات الطابع الاقتصـادى أو التجارى بينى وبين بسيونى حقيقة هى علاقة اننى اتيت به ليقوم بحملة اعلانية لروز اليوسف فقط ٠٠ انما اذا كان بيتاجر فى أى حاجة ٠٠ فلا علاقة لى بذلك ٠

ومع ذلك فان مرسى الشافعى كرر نفس أكذوبة التفاح أمام أنور السادات وعدد من رؤساء التحرير فى جلسة معهم بالقناطر ليشوه سمعتى يرحمه الله ! وتصدى له الأستاذ ممدوح رضـا رئيس دار التعاون حينذاك ٠

ورغم هذا فانى أسجل لمرسى الشافعى أنه كان صريحا معى وقال لى الحقيقة فى حواره مع أنور السادات عندما ذهب يقابله بعدما السادات أمر بسحب كارنيه الرياسة منى ٠٠ وسـأله ٠٠ ما اذا كانت هنـاك تعليمات بشأنى أم لا ٠٠ وجاء وحكى ما حدث ولم يقل لى مثلا أنه دافع عنى أمام السادات انما سؤال ورد عليه فقط ٠٠ رغم اننى كنت قد اتفقت معه أن يثير الموضوع من أساسه ولكنه اهتم فقط أن يعرف ما اذا كان مسموحا لى بالكتابة أم لا ٠٠ فلما عرف الاجابة سكت ولم يهتم بتحقيق رغبتى لأنه لم تكن له مصلحة فى أن تنصلح الأمور بينى وبين السادات والا أصبحت مركز قوة فى المؤسسة كمـا كان يتصـور ويتوهم ٠ فهو نفسه الذى قام بتصرف غريب جدا بعد ما أنا كلمتـه من أمريكا فى التليفون ٠٠ تصرف بعكس أيضا الجو التآمرى فى الصحافة المصرية وقد قص على هذه القصة زميلى وأستاذى الأسـتاذ لويس جرجس الذى كان عضوا منتدبا بالمؤسسة ثم رواها لى ممدوح سالم أيضا بعد ذلك اذ عندما ما قلت لمرسى ٠٠ أرجوا انك انت ماتكونش جايب كرياح ضد اليسار ـ وتتعاون معانا وما « تعملش مشاكل وحاجات زى دي » غضب من الكلام

بشدة ٠٠ واستدعى لويس جرجس ٠٠ وقال له وهو ثائر جدا ـ شفت عبد الستار الطويلة يعطينى تعليمات من أمريكا ؟ قال له ـ تعليمات ايه ؟ـ قال بيقولى لا تعامل اليسارين وحش وتعاون معاهم ٠٠ هو فاكر نفسه ايه بيدينى تعليمات ٠٠ وايه الكلام الفاضى ده ؟ ٠٠ لازم أضع حد للموضوع ده ! ٠٠ وطبعا هذا الموضوع عززته الوشايات التى كانت تصله ٠٠ بأننى استغل أن لى علاقة برئيس الجمهورية وطلب مرسى الشافعى من لويس جرجس الدوسيه الخاص بى وفحصه كى يرى ما اذا كنت قد حصلت بسبب علاقتى بأنور السادات على مزايا أو « كوسة » فلم يجد والحمد لله ٠

المهم ذهب لمقابلة ممدوح سالم ٠٠ وعاد ليقول للويس جرجس أنا كلمت ممدوح سالم فى الموضوع ٠٠ وقال لى ٠٠ أنت حر التصرف ٠٠

بعد ذلك قابلت أنا ممدوح سالم ٠٠ بعد حضورى من أمريكا وجلست معه ٠٠ فقال لى يا أخى انت عملت مشكلة مع مرسى الشافعى فى روزاليوسف لماذا ٠٠ كيف تكلمه بلهجة آمرة ؟ قلت له ٠٠ لا لهجة آمرة ولا حاجة ٠٠ ده أنا بكلمه من العشم علشان الجو يبقى هادى فى روزاليوسف ٠٠ طبعا أنتم أرسلتوه ليصفى اليسار ٠٠ ضحك ممدوح سالم وهو الذى لعب دورا فى تعيين مرسى الشافعى فى روزاليوسف وقال لى ان مرسى الشافعى سأله هل هناك وضع خاص بالنسبة لعبد الستار الطويلة ؟ ٠ سأله ممدوح سالم ازاى ليه ؟ قال ٠٠ ده بيدينى تعليمات من أمريكا ٠٠ والناس كلها بتقولى ده صديق أنور السادات ٠٠ وبيستغل علاقته بأنور السادات ويصدر تعليمات وبيهدد انه يبقى رئيس مجلس ادارة ! ٠ قال لى ممدوح سالم ٠٠ أنا استغربت من الكلام ده ٠٠ أنا ماسمعتش أبدا انك تعمل حاجات زى دى ٠٠ ولكن على أى حال لما سألنى مرسى عن الحل ٠٠ قلت له ٠٠ مفيش رئيس مجلس ادارة فى المؤسسة دى غيرك انت ٠٠ واذا كان عبد الستار الطويلة بيعاكسك أو بيعمل حاجات من اللى انت بتقول عليها دى ٠٠ انت حر افصله فورا !

وشكرته وأنا أضحك من حسم ممدوح سالم فقد كان صديقا لى ٠٠ وخفيف الدم ٠٠ وصريحا فى ذكاء شديد !

ولقد علمتنى الخبرة التاريخية اذا جاز التعبير أن الصحفيين يجب أن « يتعاركوا فى غرفة مغلقة » ٠٠ بمعنى أنه لا يجب أن يهاجم الواحد منهم الآخر أمام السلطة فالسلطة لها منطق مختلف تماما عما نتصوره فى نظرتها للصحفيين ٠٠ ولا أدرى اذا كانت هذه النظرة بدأت ببدء النظام الشمولى فى مصر بعد ثورة يوليو ٠٠ أم أنها موجودة قبل الثورة عندما كانت الصحافة قطاع خاص ٠٠ فما كنت صحفيا أيامها ٠٠ ولم يحدث أنى دخلت فى قلب سلطة عمدة قرية حتى أستطيع أن أفهم ٠٠

لكنى من خلال علاقتى بأنور السادات لاحظت أشياء عديدة .. كلها تدور وتلف حول محور واحد .. هو أن أغلب الصحفيين يجدى معهم استخدام سيف المعز وذهبه .. وأنهم مكروهون بشكل عام لدى الحكام .. ولكنهم ضرورة من ضرورات العصر .. اما لاستخدامهم فى الطبل والزمر .. واما لأنهم جزء من تكنولوجيا الزمان وديكور الديمقراطية ..

ومثل هذه النظرة هى لازمة لكل النظم الشمولية فى العالم .. لأنه فى ظلها يتعطل الابداع لافتقاد الديمقراطية ويصبح أغلب الصحفيين جزءا ملحقا بالنظام مثلهم مثل التشريفاتية أو الشماشرجية أو على الأكثر كبار الموظفين ..

لقد كنت وأنا أتحدث مع رئيس جمهورية الذى يجالس رؤساء تحرير الصحف ورؤساء مجالس اداراتها ويعطيهم تليفونه الخاص .. ويعينهم ويتمسك بوجودهم .. اذا ما تحدثنا فى مناسبة عن فلان منهم عند اى رئيس الجمهورية يقول فلان ده حمار .. فلان ده أرزقى .. فلان ده سيبك منه .. فلان ده نفعه زى ضرره ..

اذكر مرة أنه حدثت معركة بين صحفيين اثنين احدهما كان نصيرا للسادات جدا .. ولم يقف السادات الى جانبه فلما سألته قال لى أصل مافدناش بحاجة ! ..

ولاحظت أيضا أن السلطة تعرف عن رئيس مجلس الادارة هذا أو ذاك أنه غير أمين .. ويتلاعب ويأخذ عمولات فى الورق والأحبار .. بل ويتناول المخدرات ويفعل كذا وكذا .. وتقدم فيه مئات الشكاوى من كل العاملين فى المؤسسة ..

ومع ذلك نتركه فى منصبه ولا نتخذ ضده أى اجراءات .

فقط نتخذ الاجراء ان هو خالف السياسة .. وأحيانا اذا ما زل لسانه بعبارات نابية أو ناقده بقسوة ضد النظام فى جلسة كان حظه سيئا اذ كان فيها أحد كبار الكتاب (أى المرشدين كما نسميهم سخرية فى الوسط الصحفى) ! ..

كما لاحظت ان بعض الأسماء الكبيرة .. تراها ضئيلة جدا .. اذ تلعب دور الوشاية والنميمة .. أمام رئيس الجمهورية ..

طالما سمعت أغلب الكتاب الكبار يهاجمون حسنين هيكل أمام السادات ويحثونه فى حماس شديد على محاكمته ويتهمونه بالخيانة لمجرد أنه يعارض سياسته .. ويا ويل حسنين هيكل لو كان السادات استمع

الى هجومهم عليه عندما سبق السادات الى الولايات المتحدة وألقى محاضرات فى شيكاغو على ما أذكر ..

والسادات يستمع .. ولا شك أنه فى أعماق نفسه كنت أتصور أنه يحتقر من يقول هذا الكلام بل يحتقرنا نحن الصحفيين أجمعين .. اذ « نأكل » بعضنا بعضا بهذه الطريقة .. فما كان الأستاذ هيكل خائنا .. ولا حتى مخطئا .. انه ببساطة كان يعبر عن رأيه ازاء سياسة رئيس الجمهورية وهذا حق لسيد برعى الفلاح البسيط فى أى قرية مصرية .. انما هى الغيرة والحقد .. والنفاق .

ولدى رؤساء الصحف حساسية شديدة .. من توثق علاقة أحد منهم بالرئيس أكثر ..

كما يتوقعون شرا من مثل تلك العلاقة ..

وقد مررت أنا بتجربة فى روز اليوسف عندما جاء السادات بالمرحوم الأستاذ مرسى الشافعى والأستاذ عبد العزيز خميس ليصفياها كمنبر يسارى بعد أن تخلص من عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وأنا ..

فعندما قاطعنى السادات .. لم يحاول أحد من كبار الصحفيين أن يحاول حتى استقصاء الأمر .. رغم أن علاقتى بهم كانت جيدة طالما كنت على علاقة بالسادات .

وأذكر هنا أن الأستاذ ممدوح رضا رئيس مجلس ادارة دار التعاون ورئيس تحرير جريدة السياسى أيامها .. هو الوحيد من بينهم الذى حاول شيئا فى هذا المجال فتحدث فى الأمر مع حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية حينذاك .. وتصدى للمرحوم مرسى الشافعى فى اجتماع القناطر الذى أشرنا اليه عندما زعم أنى أتاجر فى التفاح المنتشر بطول البلاد وعرضها !

وأيامها قال لى صديقى محسن محمد رئيس تحرير الجمهورية أنه لا يستطيع مخاطبة السادات فى الأمر .. وحمدت له صراحته ..

وقال لى زميلى الكاتب المعروف الأستاذ نبيل زكى الصحفى بجريدة الأخبار أن الأستاذ موسى صبرى حمل على بعد موقف روز اليوسف من أحداث ١٨ و ١٩ وأبدى له تشككه فى علاقاتى بالسيد بسيونى جمعه كما أبدى عدم ارتياحه من علاقتى الطيبة برئيس الجمهورية .. وطبعا هذا ذكر أمام السادات من باب أولى ..

طبعا ان المرحوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى وقف الى جانبى تماما .. وتحدث مع السادات فى الأمر .. ودافع عنى ..

وأذكر أيضا أنى عندما طلبت من أنيس منصور الكاتب اللامع وهو ليس صديقا لى ٠٠ ونختلف فى أمور كثيرة أساسية ٠٠ عندما طلبت منه التحدث مع الرئيس فى الأمر تحدث معـــه فعـــلا ٠٠ واتصل بى وحكى رد الرئيس ٠

وأنا مضطر لرواية بعض أشياء تتعلق بى لأنها الأشياء الوحيدة التى أنا متأكد منها ٠٠ فهناك أشياء كثيرة من المقالب والوشايات والجو الذى يحدث فيه التلاعب بمصير الكتاب والصحفيين وأوضاعهم ٠٠ واستغلال تناقضاتهم ومحاولة التسلق على أكتـــاف بعضهم البعض ٠٠ وتسـخير أجنحة من السلطة ، لهذا أو ذاك ٠٠ وضرب لفلان بفلان ٠٠ وصراعات داخل بعض المؤسسات الصحفية ٠٠ وتقريب لهذا أو ذاك ٠ وهذه ٠ وتلك ٠٠ واختراقات خليجية متنوعة وأمريكية أيضـــا وتغاضى السلطة عنها ٠٠ وعمارات وأموال طائلة ٠٠ وحرمان من النشر ٠٠ جنبا الى جنب طوفان من الأكاذيب والافتراءات ٠٠ مما يخدع رجال السلطة أحيانا ٠٠

ولا أستطيع سرد هذا هنا ٠٠ لأنى لا أملك تحمل مسئولية تأكيدها٠٠

لكن الشيء المؤكد أن سبب نمو هذا كله هو الشمولية التى جعلت معظم الصحف ملكا للدولة تحت اســم القومية وافتقــاد الديمقراطية فى الصحافة المصرية ولربما يثير دهشة القارىء أن يعرف أن رئيس الجمهورية طالما ينتقد فى جلساته الخاصة ما يكتبه بعض رؤساء تحرير الصحف التى تدافع عنــه ٠٠ وربما وصف ما يكتبه بأنه كلام تافه ٠٠ أو مجرد شتائم وردح !

لكن الحقيقة أن السلطان يستفيد بالكاتب الجاد والكاتب « الهايف » ٠٠ ويستفيد بالكاتب عف اللســـان وبالكاتب الشتام ٠٠ هذا مطلوب وذاك مطلوب أيضا ٠٠

فعندما يريد الحاكم أن يثأر من كاتب ينقده بشدة ٠٠ أو يسخر من قراراته ٠٠ فان مما « يروى ظمأه » أن يطلق أحد كتابه المتخصصين فى الهجو واللغو ٠٠ ليرد التحية بأحسن منها ٠٠ « فتبرد نار » الحاكم ٠٠ والحاكم فى النهاية بشر ٠٠ يحس ٠٠ ويشعر ٠٠ ويتشفى ويتلذذ بالنكته والسخرية ٠٠ وقد كان السادات رجلا خفيف الدم حلو المعشر ٠٠ ويحب النكتة والفكاهة ٠٠ ويتقن الاستمتاع « بالكلمــة » ويجيــد آدابها ! ٠

ولا أظن أن مصر استثناء من هذا ٠٠ فهذا موجود فى كل أنحاء العالم وان كان الحاكم مستعدا فى الوقت المناسب للتخلى عن كاتبه اذا زاد العيار عنده فى السفاهة والشتم ٠٠ كما حدث عندما تخلى جمال عبد الناصر فى قسوة عن الكاتب الذى اتهم عبد الكريم قاسم رئيس العراق بأنه يعانى الشذوذ الجنسى ؟؟

كانت مبالغة فى الهجو واللغو ·· تخلص عبد الناصر منها بمحو وجود قلم الكاتب يومها ·· وما زال حتى يومنا هذا نلاحقه لعنة ذلك المقال رغم أنه صحفى لا بأس به ··

تعلمت من علاقتى بالسادات الا أدهش من احتضان الحاكم لكاتب سفيه أو بذىء اللسان أو تافه الحجة ·· فلكل مقام مقال ··

كما تعلمت أن كتاب النظام ليسوا جميعا تابعين لشخص واحد ·· بل ان هناك استقطابات من أفراد مختلفين فى السلطة لكتاب معينين كما لو كان لكل واحد كاتب عمومى !! وربما دار الصراع بين أجنحة السلطة بواسطة كتاب السلطة ذاتها ··

كما تعلمت أن الجبن مسألة ذاتيـــة أيضا بجانب أنهـــا مسألة موضوعية ·· فالنفاق للحاكم قد يدفع الكاتب أن يكون ملكيا أكثر من الملك ·· فيخاف من حرية الكلمة ·· ويقيد قلمه وقلم من يرأسهم بنفسه ·· بينما الحاكم لايعارض حرية الرأى ولو فى حــدود ·· وربمـــا كان يستفيد بهذه الحرية فى احدى قضاياه ··

وكان السادات يقول لى ·· انه يستريح جدا عنـــدما يرى كاتبـــا يتحدث معه بصراحة ويكاشفه بكل شىء ·· حتى لو لم يعمل بكلامه ·· فكنت أرد عليه : طبعا سيادتك تبرم بالمديح والنفاق طول الليل والنهار عاوز شوية فاكهة من الصراحة ! · فيضحك كثيرا من قلبه ·· ويقول ·· منوفى صحيح ! ··

معركة النقابة :

عندما اشتدت معارضة الصحفيين لسياسة السادات بدأ يتخذ موقفا ضد نقابتهم نفسها ووصل الأمر الى الرغبة فى الغائها فاستحدث النظرية القائلة أنه يريد تحويل نقابة الصحفيين هذه الى مجرد نادى ومعنى هذا أنه يجرد الصحفيين من الجهاز أو التنظيم الذى يدافع عنهم وعن حقوقهم أمام رؤســـاء مجالس الادارات للمؤسسات الصحفية ولكن هذا لم يكن هدف السادات أساسا · فهو كان رافضا وجود التنظيم النقابى للصحفيين الذى يمكنهم من اتخاذ مواقف مختلفة مع النظام وأبسط موضـــوع كان يثيره جدا هو أن النقابة لاتريد أخذ موقف من قضية فصل الصحفيين من عضوية النقابة ســواء الذين يسميهم بالصحفيين الشيوعيين أو بالذات الصحفيين الذين يعملون فى الخارج بعد ان اســتطاع التأثير على بعض رؤساء مجالس الادارة لبعض الصحف وجعلهم يفصلون أولئك الصحفيين العاملين فى الخارج بطريقة أنهم يبعثون لصحفى مثل محمود السعدنى يعمل فى لندن أو واحد مثل المرحوم الأستاذ فتحى خليل الصحفى المعروف

الذى كان يعمل فى العراق ويقولون له أنت لابد ان تعود فى خلال ١٥ يوم حسب قانون العمل وعندما لا يأتى يصدرون قرارا بفصله ٠٠ ولكن نقابة الصحفيين يشهد ويحمد لها ٠٠ أنه خلال فترة حملة السادات على الصحفيين لم تاخذ أى موقف يتفق مع طلباته هذه على الاطلاق ٠٠ ومن هنا جاءت فكرته فى تحويل نقابة الصحفيين الى نادى يعنى مكان للصحفيين يجلسون فيه ويشربون فيه الشاى ويتناولون الطعام وتفقد قيمتها كتنظيم نقابى نهائيا وهذا كان نفس الموقف الذى اتخذه السادات من نقابة المحامين لأن نقابة المحامين فى ذلك الوقت كانت احدى القلاع القليلة جدا فى البلد التى تتصدى لسياسة السادات المعادية للديمقراطية والتى تدافع عن حقوق الشعب فى وقت كانت فيه التنظيمات السياسية (الأحزاب المعارضة) للنظام مثل حزب التجمع تضرب يوميا فالسادات أيضا حاول أن يحل نقابة المحامين وفعلا حقق أهدافه ونجح فى عزل مجلس ادارة النقابة واستطاع السيطرة عليها بواسطة بعض أنصاره ٠٠ وعلى رأسهم عبد الله حسن من الاسكندرية فقد كان السادات لا يطيق على الاطلاق وجود اى تنظيم من التنظيمات سواء نقابى أو سياسى يعارض سياسته فى ذلك الوقت وهذا التعنت من جانبه كان كلما ازداد كلما اصبح للكلمة قيمة أكثر وتصبح أى معارضة أو أى حركة معارضة في أى مكان محدود ممكن أن تسبب رد فعل وتأثير كبير جدا فى الشعب ٠ كان السادات مؤرقا تماما من نشاط نقابة المحامين اذ كانت تدعوا الى الديمقراطية والحرية السياسية وطبعا معروف أن النظم الشمولية كلما (دققت) على الكلمة كلما اكتسبت الكلمة قيمة أكبر وواضح جدا الآن هنا فى مصر أن الكلمة مطلقة السراح فى الصحف والعلامات والاشارات واللافتات منتشرة بكثرة داخل النقابات وغيرها ولا يحدث شيء يضر الأمن العام ونظام حسنى مبارك مستقر والحمد لله ٠ انما الضغوط التى كان يقوم بها السادات فى ابسط واتفه الأمور كانت تجعل من الصخب ضده عملية متزايدة يومية رغم أنه فى الحقيقة بالنسبة لأسلوبه فى حل المشكلة الوطنية مع اسرائيل ٠٠ كان مؤيدا من الشعب ٠٠

ولم تكن هناك معارضة جدية من الجماهير ٠٠ بل بالعكس كان هناك تأييد لاتجاهه للسلام مع اسرائيل ٠ وهنا يلزم لاستكمال الصورة أن نتحدث عن موقف جيهان السادات بالنسبة الى تلك المشكلة ٠ فى خلال هذه الفترة لم يكن لى علاقة بالسادات بعدما طلب سحب الكرنيه منى وأصبح يرفض مقابلتى ٠ مع ذلك استمررت فى مقابلاتى مع السيدة جيهان السادات التى كانت تطلبنى أو اطلبها فى اى وقت وكانت فى الحال تلبى طلبى وكنا نتكلم طبعا عن علاقتى برئيس الجمهورية ورايى فى سياسته

وكان باستمرار هذا هو الحديث ولم يكن عن أمور أو مطالب شخصية • وهى كانت تقول لى بوضوح أنها معارضة لسيادة الرئيس فى كثير من الامور وكانت تقول عندما أحدثها عن أن هذه السياسة ضد الديمقراطية بالذات خطيرة وتؤدى الى افتقاده تأييد أهم فرقتين مهمتين فى مصر وهما المحامين والصحفيين فكانت تؤيدنى فى هذا الكلام وتقول أنا أعارضه وأناقشه فى ذلك باستمرار ولكنه متعصب وعصبى ومتشدد •

وأنا أذكر أنه فى احدى المرات الأستاذ كامل زهيرى الكاتب المعروف كان مرشحا لرئاسة النقابة فاتصل بى وكلمنى عن ضرورة أن أقابل السيدة جيهان السادات وأرجوها ان تلعب دورا أكبر فى محاولة اقناع للرئيس بالتوقف عن هدم نقابة الصحفيين • وكان الأستاذ كامل زهيرى يتكلم عن السيدة جيهان السادات بمعرفة عن اتجاهاتها الأفضل وكان لديه أمل كبير فى أنها تلعب دورا فى حل مشكلة النقابة التى كانت تؤرق الجميع وقد بدا السادات طاغية لايقف أحد ضد جموحه • ومن حسن حظ المثقفين أنه كانت هناك مفارقة غريبة اذ كان وزير الاعلام فى تلك الفترة سياسيا ليبراليا هو السيد منصور حسن الذى استطاع تجميع كل الاتجاهات حوله •• وكان يمثل فى الحقيقة حينذاك النقطة المضيئة الوحيدة فقد كان قديرا على التعامل مع كل الصحفيين بدون حساسية بصرف النظر عن اتجاهاتهم السياسية وهذه كانت مسألة شاذة فى المناخ المتوتر الذى خلقه أنور السادات بحملته على اليساريين سواء كانوا شيوعيين أو ناصريين أو غيره • واختلاقه لأول مرة لحكاية من سماهم بالملحدين ووضع قرارا وقوانين واستفتاءات تمنعهم من تولى المسئوليات الاعلامية أو غيرها فى البلد بحيث أصبحت لهجة كثير من الصحف كأنها تضم وتخاطب شعبا من المجاذيب فى هذا المناخ كان غريبا جدا أن يأتى وزير الاعلام وتكون له علاقات جيدة مع الصحفيين وغيرهم بصرف النظر عن اتجاهاتهم للسياسية • ونجح منصور حسن فى كسب ثقة الجميع وكان فى كل مكان يشيد بصحفى مثل محمود المراغى الصحفى الناصرى المعروف وهو كان أيضا الذى أبرز الأستاذ مكرم محمد أحمد الذى أصبح نقيبا للصحفيين عن جدارة بعد ذلك • المهم منصور حسن كان يطبق السياسة المتناقضة تماما مع النظام أو ما يبدو من أحاديث أنور السادات وتصريحاته الجنونية بتقسيم المجتمع الى فئات ملحدة وفئات مؤمنة ويسار وطنى ويسار عميل الخ لغو الكلام الذى كان « بيدشه » كل يوم •

أذكر مرة أنى كنت أناقش منصور حسن وعرف لأول مرة ما حدث بينى وبين أنور السادات فاستغرب جدا وقال لى : ازاى وانت ابن النظام ؟ • قلت له أنا لست ابن النظام ولا حاجة •• أنا حليف النظام وليس ابنه قال لى

لماذا لاتقول انك ابن النظام ؟ قلت له لأن لى أفكار مختلفة عن النظام جذريا فى حاجات كثيرة وبالتالى لا أستطيع الزعم أننى ابنـه ٠ أنـا حليفه فى حاجات معينة وأتعاون معاه على هذا الأساس ٠ قال لا النظام ماعندوش التفرقة بين الحليف أو مع ابن النظام هو يتعامل مع أى شـخص عنـده كفاءة ٠ قلت له ليس هذا صـحيحا ٠ قال الدليل هو أنى أنا اهه ما هو أتوا بى وزيرا للاعلام ؟ قلت له لا انت ابن الطبقة الحاكمة أنت لست ابن النظام فقط ده أنت ابن الطبقة التى تحكم وتصنع النظام نفسه !! ٠ يعنى أنت الحاكم الحقيقى باعتبـار وضعك الطبقى ! ٠ ضـحك كثيرا وانبسط جدا فى دهشة من هذا التفسير (الحنجورى) هذا وبعدها نظر الى فقال أنتم ناس خطرين جدا ! ٠ قلت له علشان كده أنت منعتنا من الظهور فى الاذاعة والتليفزيون ؟ قال لى ٠ لا احنا لم نمنعكم لأننا نريد منع نشر آراءكم ٠ لا نحن نمنعكم علشان احنا ماعندناش كوادر مثلكم فأى ظهور لكم على التليفزيون وأى كلام يعد معركة غير متكافئـة لأن أى واحد منكم سيكتسح على شاشة الاذاعة والتليفزيون أى كلام لأى واحد ثانى ٠ عندما نربى كوادر مثلكم كده يبقى نقـدر نفتح باب لحـرية الرأى فى الاذاعة والتليفزيون ٠ قلت له والله أنت بتأخذ نفس الموقف المعادى لاظهار حرية الرأى والتعبير عن الأفكار (ولكن أنت تقوله بصيغة لطيفة معينـة وعايز تبسطنى على اننا ناس أفذاذ وعبـاقرة بينما الناس التابعين لكم غلابة ولا يستطيعون الكلام ! هى النتيجة واحدة وهى قهر حرية الرأى والتعبير !؟ (ضحك مرة أخرى وقال ألم أقل لك أنتم ناس خطرين) ؟ ٠

نعود مرة أخرى الى موضـوع نقابة المحامين والصحفيين اذ كانت السيدة جيهان دائما تقول أنهـا لما كانت بتفتح مع السـادات الموضوع كان يصبح عصبيا جدا ويرفض تماما الاستجابة لكلامها ٠ ولكن المعروف أنه فى النهاية أنور السادات أسقط حكاية نقابة الصحفيين وتحويلها الى ناد وأهمل الموضوع بعدما واجه المعارضة الشديدة جدا حتى من داخل النظام وأنه رأى كيف أن الصحافيين لم يخافوا وبذلك رفضوا تنفيـذ ما يريد ٠٠

والحقيقة أن الصحفيين الذين يعملون فى الخارج لعبوا دورا كبيرا جدا فى كشف خطة ونوايا السادات حتى ماتت تلك الفكرة ودفنت حتى يومنا هذا ولكنها تسببت فى ضياع ناد نهرى للصحفيين على نهر النيل لأن النقابة كانت قد استطاعت أن تحجز من وزارة الأشـغال قطعة من الأرض على النيل مباشرة تقيم عليها ناديا ناحية امبابة ثم تفجـرت بعد ٢٣ عاما فى نقابة الصحفيين معركة اسمها النادى النهرى مستمرة حتى كتابة هذه السطور ! ٠٠

ونحكى هنا كيف أخرجنى السادات من رئاسة الجمهورية .. تطبيقا للسياسة العنكبوتية للسلطة .. التى تناولناها من قبل بالشرح وان كان حظى كان أفضل من غيرى ! ..

فى اليـوم التـالى بعـــد اجتماع المعمورة وبينما كنت فى منزلى واذا بعبد العزيز خميس مدير التحرير بمؤسسة روز اليوسف وقتهـــا يحدثنى تليفونيا قائلا .

ـــ يا عبد الستار فيه خبر وحش ؟

ـ قلت له خير ؟ ..

قال ـ جـاءت تعليمـات من الســـيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى انهم عاوزين منك كارنيه رياسة الجمهورية .

فقلت له ـ يا شيخ ما أنا ياما شفت من رجال الأمن يمكن ده تصرف مترتب على مهاجمـــة الريس للشيوعيين أمس .. فى الاجتمـــاع .. وده تصرف منهم انتهزوها فرصة لسحب الكارنيه منى كى لا أذهب هناك .. ده شغل معروف وعلى كل حال الحمد لله انهم لم يعتقلونا .. فكل شىء بعد ذلك يهون ! وضحكت ساخرا .

ـ وخرجت من البيت متوجها الى وزارة الاعلام وقررت الذهاب الى الوزير عبد المنعم الصاوى وكانت لى صلة جيدة به منذ كان صـــحفيا فى أخبـــار اليـــوم لأعرف منه الحكاية وأستعين به على أجهزة الرئاســـة كما تصورت الأمر ! . لفت نظرى أننى دخلت بدون انتظار على غير العادة خصوصا أنى قادم بدون موعد سابق وقام الصاوى من مكتبه وقابلنى فى منتصف الحجرة مرحبا . فقلت له .

ـ ياعبد المنعم ايه الحكاية ؟ شفت بتـــوع الأمن عملو فيه ايه ؟؟

سحبوا منى الكارنيه .. وأنت وزير الاعلام بتاعى دافع بقى على ؟!.

فقال لى فى جزع ودهشة : بتوع أمن ايه اقعد اقعد انت مش عارف حاجـــة !

واضاف ده مش بتوع الأمن ده الرئيس السادات شخصيا ؟!

قلت له : ليه ؟ فحكى لى الحكاية التى رويناها فى بداية هذا الحديث فتوجهت الى مكتب التلغراف فورا وكتبت برقية لرئيس الجمهورية قائلا

فيها ما معناه ـ اننـــا تعودنا على هذا الاسلوب من جانب الرأسـمالية الوطنية التى تفض الأحلاف مع حلفائها الحقيقيين واننا تعودنا على جزاء سنمار وأن ما فعله معى لن يغير الموقف ٠

وذهبت فى اليوم الثانى الى الجريدة وأعطيت الكارنيه لعبد العزيز خميس وأرسلناه الى رئاســـة الجمهورية مع مذكرة بنفس الكلام تقريبا وأعطيته صـورة منها فقرأها واستغرب من حكاية جزاء سـنمار هذه وقال لى ان حسن كامل تكلم مرة أخرى متسائلا فى تعجل عن الكارنيه وألمح الى أنهم قد يستخدمون القوة معى ؟!

وبعد عدة أيام كان مرسى الشامى ذاهبا للقاء الريس فقلت له يا مرسى لما تقابل الريس ابقى اسأله هو عمل معى كدا ليه ؟ فقد كنت فى حيرة حقـــا ٠٠ فهو قد عزل عبد الرحمن الشرقاوى من رئاســـة روز اليوسف لكن أبقى على علاقته بل صداقته به ٠٠

قال مرسى شـوف جدول الأعمال والنقاط التى أريد مناقشة الريس فيها ترى حكايتك على رأس الجدول على طول ٠٠ بعـدها قال لى مرسى الشافعى أن السادات قال له اننى بعثت بتلغراف بيقول لى فيه كلام غريب قوى ٠ بيقول لى (جزاء سنمار) يعنى خيره على يعنى ؟! ٠٠ لكن مفيش حاجة وقال لى مرسى ٠٠ لم يضف الريس شيئا على ذلك ولم يقل كلمة واحدة ضدك ٠

وسحب الكارنيه أيام جمال عبد الناصر كان معناه انك تعتقل أو تمنع من دخول الجريدة على الأقل أما شابه ذلك ! على أن الشىء الغريب رغم هذا الطرد من رئاسة الجمهورية ورفض مقابلة الرئيس لى أنه استمرت علاقتى قائمة بجيهان السادات اذ قابلتنى عندما طلبت مقابلتها بعد قطع الرئيس علاقته بى وظلت تتحدث معى لمدة ثلاث ساعات وكعادتها وليس هناك أى تغير ٠٠ وعنـدما تحدثنـــا فى موقف الريس منى قالت لى : هو الريس ساعات بيبقى يزعل فلا تضايق نفسك بهذه الأمور ولا يصح اليساريين يزعلوا فهذه أزمة مؤقتة وحكت لى فى احدى المرات عن أشـياء ضايقت الريس منى بعد عودته من أمريكا ١٩٧٧ ٠

ـ فى سنة ١٩٧٧ كان السـادات يشن حملة شـديدة جدا على الاتحاد السوفيتى ويشيد بأمريكا ويدعوها الى أن تتنبه للخطر السوفيتى وتقاوم النفوذ السوفيتى فى داخل القارة الافريقية ٠٠ وكان يحذر مما حدث من ثورة على نظام حكم موبوتو من بعض القبائل على الحدود التى اخترقت زائير ٠ ومعروف من زمان أن الاسـتعمار سـواء الأوربى أو الامبريالية الأمريكية مهتمـة جـدا بزائير التى كانت قديما تدعى الكونغو من أيام لومومبا لوجود مناجم فى مقاطعة كاتنجا وكلنا نعرف مؤامرتهم ضـــد

لومومبا واغتياله والجنرال الذى حكم زائير بعد ذلك يدعى (موبوتو) وهو من أحقر الجنرالات الذين يحكمون بلدنا فى افريقيـــا حيث أنه عميل استعمارى حقـير وجاهل ولص ومكروه من شعبه ودكتاتور أثيم ٠

وكان السادات من بين الذين دعوا الغرب لمساعدته وحذر من الخطر الروسى أثناء وجوده فى باريس وخاطب الولايات المتحـدة قائلا ــ أنكم صامتون عن الخطر الروسى وهذا يتسبب فى خطورة كبيرة ٠

طبعا كان هذا تحولا غريبـا فى السـياسة المصرية حيث أن مصر أصبحت تحرض الامبريالية على ثورات الشعوب المطالبـة بحرياتهـا فى افريقيـا وكذلك الاتحاد السوفيتى فكان تطورا سيئا ٠ ولقد عارضت ذلك الموقف على الفور بصرف النظر عن علاقتى الشخصية وصداقتى له ٠

ومن الغريب أن الجرائد الأمريكية كانت تكتب مقالات شارحة بها الفساد الموجود فى زائير بشكل بشع جدا رغم أن حكومتها تتفق مع أوربا الغربية فى ضرب الحركة الشعبية ومساندة حكومة موبوتو ــ ونزعت مقالا من جريدة لوس أنجلس بوست من تلك المقـالات التى تكشف موبوتو وأرسلتها الى صلاح حافظ رئيس تحرير روز اليوسف وقتهـا مع ورقة مكتوبة عليها « أهذا هو البلد الذى تدعو مصر الى مساعدته رغم ما تقوله عنه الامبريالية ذاتها أرسلها لك لنشرها !) ٠

وأرسلت الخطاب بالبريد الجوى ٠٠ وهذا الخطاب أخذ فى مراقبة البريد وأرسل الى المخابرات والمخابرات بدورها أرسلته الى أنور السادات فبدا كما لو كنت أهاجم سياسة أنور السادات وأرسل خطابا لرئيس التحرير أحرضه على ذلك ٠

ــ وهناك حادثة أخرى ومما لاشك أننى أخطأت فيها تماما وأعذر أنور السادات فى غضبه منى بسببها :

ذلك أنه فى ابريل ١٩٧٧ عندما قرر أنـور السـادات عقد اجتماع للعاملين والدارسين المصريين فى أمريكا بواشنطن ٠٠ ظل فى الاجتماع يهاجم الشيوعيين وحسنين هيكل ٠٠ ولفت نظرى أنه فى الاجتماع كان يوجد مبعوث مصرى وقف يهاجم حسنين هيكل لأن هيكل كان قد ذهب الى أمريكا وظل يقيم ندوات ومؤتمرات بحـكم أنه شخصية هامة اعلاميـــا وسياسيا ومن منطلق صـــلته بعبد الناصر فلذا له مكانة فى أى بلد ينزل فيه ٠٠ ووجدت أن السادات كان متحاملا جدا ضد هيكل واستمع الى هذا المبعوث باهتمام شديد وبعد نهاية الاجتماع جاء فوزى عبد الحافظ ونادى هذا المبعوث وقال له ــ تعالى الريس عايزك ! ٠

فهمت أنه ناداه ليعلم منه تفاصيل ما قاله هيكل وبعد هذا التصرف بدأت أشعر أن السادات بدأ يفقد فعلا أعصابه وتوازنه إذ يجب الا يقوم بمثله رئيس جمهورية ؟ فى العصر كان سفير مصر فى واشنطن قد أقام حفلة شاى لجيهان السادات ودعا فيها رجال السلك الدبلوماسى المصرى وزوجاتهم وشخصيات مرموقة فى الجامعة المصرية • وذهبنا واكتشفت أنى الصحفى الوحيد • وكان كل الحاضرين نساء ماعدا السفير •

فلما دخلت أشارت لى جيهان السادات فتوجهت اليها وسلمت عليها وقلت لها • لو سمحتى ممكن أتكلم معاكى ؟ فوافقت وقالت أنا التى كنت أريد أن أتكلم معك وأستاذنت من السيدة التى كانت معها •• وحدثتها قائلا •

ــ عاجبك الكلام اللى الريس قاله النهارده وعمال يهاجم الشيوعيين ؟ ويحملهم حاجة ليس لهم دور فيها •

ــ فقالت لى : لا لم يعجبنى هذا الكلام وأنا غير موافقة عليه • ده لو كنتم انتم اللى عملتم الحكاية دى كان لازم الريس يعرف انكم تقدروا تستولوا على الحكم وكان لازم يستدعى خالد محيى الدين يشكل الوزارة مادام لكم قدرة تحريك ٢٤ محافظة فى وقت واحد كده ! •• انت كان لازم تقوم تقف وترد على الريس وهو بيتكلم وتقول له ان الكلام ده مش مضبوط ! فقلت لها ــ هل معقول أراجعه أمام الناس ؟ مش معقول •• أنا ممكن أناقشه بينى وبينه لكن أمام الناس فيكون بصفتى ايه ؟ هو أنا البرلمان ؟ ولا الجمعية الوطنية للثورة الفرنسية ؟!

فقالت أن الذى عمل هذه المصيبة هى الحكومة • وهو ممدوح سالم وهى ولا انتفاضة حرامية ولا حاجة •• الناس متضايقة وبالتالى انه لما الريس سحب القرارات انتهى كل شىء ! •

وظللنا نتحدث فى هذا الأمر لمدة ساعة تقريبا وظللت أشرح لها موقفنا فى روز اليوسف ولماذا لم تؤيد كلام الحكومة واتهامات الريس لليسار وكيف أننا شرحنا موقفنا باستمرار من الريس ومن سياسته •

قالت : أنا كنت قرأت مرة عنوان فى روز اليوسف يقول (الشيوعيون وأنور السادات) فى مقالة انت كاتبها وعاوزه أقرأها وأنا أكلم الريس تانى • قلت لها ــ طيب أنا سأقول لهم فى روز اليوسف يبعثوها لسيادتك عند عودتك لمصر • وانتهى الحديث بينى وبينها • فى اليوم التالى بل ربما فى مساء نفس اليوم طلبت تليفونيا عبد الرحمن الشرقاوى وحكيت له كل مادار بيننا بل طلبت منه أن ينادى صلاح حافظ

ليسمع ما دار على السماعة الثانية طبعا المكالمات الخارجيـة كلها تسجل وأنا طبعا عارف كده لكن لم أتنبه أن المخابرات الامريكية أيضا تسجل ٠٠ والحديث مهم وخطير لأنه حديث دار مع حرم رئيس الجمهورية وحول قضية هامة مثل قضية حركة ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ وسـياسة الرئيس نفسه ٠ أى خلاف داخل بيته !!

والذى حدث أن المخابرات المصرية أرسلت صورة من تسجيل الحديث الى أنور السادات ونسخة منه الى عبد الرحمن الشرقاوى أيضا ٠٠ فزعل السادات جدا وكان مصدر زعل الرئيس هو معرفة الأمريكان بهذا الكلام أيضا طبعا ٠٠ وهذا كان فى اطار حملته ضـد اليسار ٠٠ وربما كان هذان السببان مسئولان عن قطعه علاقته معى ولو جزئيا وربما لولا ذلك لكان قد استبقى علاقته منى حتى ولو كانت فاترة ٠٠ ولكنى قابلته فى أمريكا بعد ذلك وتحدثنا عن ١٨ ، ١٩ يناير ٠٠ ولكن بعدها قطع علاقته بى تماما من يونيه ١٩٧٧ حتى توفاه الله ولم أقابله بعدها نهائيا الا فى السودان فى برلمان وادى النيل أيام جعفر نميرى ووقتها تبادلنا حديثا قصيرا والحقيقة حدثنى بود وحرارة وكأن شيئا لم يكن ولكن لم يعطنى الفرصة لكى أجلس وأتحدث معه كسابق العهد والزمان ! ٠٠

وربما يثير دهشـة القـارىء أن الأستاذ أنيس منصور والمرحـوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى أبلغانى فى أغسطس ١٩٨١ أنهما تحدثا مع الرئيس السادات عن علاقته بى ، ففوجئـا بأنه سألهما فى دهشة : من الذى قال أننى زعلان منه ؟ ٠ هذا كاتب وطنى وأنا أحترمه وأقرأ له دائما ٠٠ فلما سألاه لماذا لا يقابلنى اذن كما كان الأمر زمان ٠٠ قال لهما فى تأكيد سأقابله قطعا ٠٠ عادا وسـألاه هل نبلغه بهذا ؟ قال أيـوه بلغوه ! ٠٠ ولم يحدث هذا اللقاء قط ٠

مدخل ديمقراطى للديكتاتورية

ذات مرة دعانى أنور السادات للعشاء وكان معه ممدوح سالم رئيس الوزراء حينذاك .. وأثناء العشاء فتح الرئيس الحديث عن موضوع المنابر .. وكانت هذه أول خطوة على طريق الأحزاب وتشكيلها .. حيث كان هناك تنظيم سياسى واحد فى البلاد هو الذى كان موجودا أيام جمال عبد الناصر وهو الاتحاد الاشتراكى العربى .

وكان هناك داخل النظام معارضة قوية لانشاء منابر داخل الاتحاد الاشتراكى وعلى رأس تلك المعارضة كان المرحوم د . فؤاد محيى الدين ويا للغرابة .. فقد كان فؤاد محيى الدين هو السياسى الوحيد الذى استمر مع الثورة منذ قيامها وكان من أبرز العناصر الطلابية فى النضال الديمقراطى فقد عاش فترة من حياته السياسية تحت علم اليسار الماركسى .. وكان سكرتيرا عاما للجنة الوطنية للطلبة والعمال ..

واتخذ موقفا معاديا تماما لأى منح للحرية للتيارات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى .. واختط المرحوم خطة ثابتة ضد حرية التعددية الحزبية طوال حياته منذ تلك الفترة بل انه كان معاديا تماما للحوار السياسى .. أو لأى اتجاه للجبهة بين الأحزاب بعد السماح باقامتها .. هذا كلام أقوله من خلال علاقتى الوثيقة به .. التى استأنفتها معه بعد انقطاع بسبب السجون والمعتقلات منذ عين محافظا لمحافظة الشرقية .. حتى أصبح رئيسا للوزراء وتوفاه الله .. وكانت المناقشات بينه وبينى تصل الى مستويات حادة أحيانا .. لكن الود بيننا لم يفسد قط .. خصوصا أنه لم تكن لى حاجة عنده قط . ورغم أنه كان مستبسلا فى عدائه لليسار ..

وأذكر مرة أن قريبا لى هو الأستاذ محسن رفاعى الذى كان نائبا لرئيس مجلس ادارة شركة ايديال وهو رجل فاضل ومعاد لليسار تماما ..

جاءنى وقال انه قرر أن يبتعد عن الاتحاد الاشتراكى .. فلما سألته لماذا ؟ قال : لما سمعته أمس من فؤاد محيى الدين .. قلت ماذا قال : قال : تصور أنه شتم ابن عمه خالد محيى الدين ووصفه بأنه خائن .. كيف يقول كلاما كهذا عن رجل شارك فى صنع الثورة التى هى السبب فى أن فؤاد محيى الدين نفسه أصبح شيئا مذكورا الآن ؟ ... وأنا نفسى لا أتفق مع خالد محيى الدين فى آرائه لكن لا أشك فى وطنيته ـ والا لما قام بالثورة وتعرض للخطر ..

وقال الرجل كلاما كثيرا عن اهتزاز القيم واختلاط المقاييس فى البلاد .. وأقسم يمينا أن يبتعد عن السياسة ويكتفى بالاستمرار فى حياته كتكنوقراط بارز !

نعود لأنور السادات .. ونقول أنه فى تلك الليلة التى كنت فيها معه هو وممدوح سالم كان جذلا طروبا .. فقد كان قد أعلن عن انشاء المنابر ..

قال لى وهو يضحك من أعماقه .. أظن أنا عملت بلبلة فى صفوفكم أنتم بالذات .. عاملين أنفسكم أبو العريف .. ولكن بلبلت أفكاركم .

كان السادات يشير الى رفض كثير من الشيوعيين حينذاك لقيام أحزاب باعتبار أنها ستكون أحزابا برجوازية ستضيع مكاسب الثورة وتصفيها .. وبالتالى لم يكن هؤلاء سعداء باتجاه السادات لاقامة المنابر .. وكان يشاركهم الناصريون طبعا المعادون لأى اتجاه ديمقراطى باعتباره الطريق لاضاعة الثورة ..

فى تلك الفترة كان التفكير الشمولى المستمد من النظم الاشتراكية فى العالم والذى يدعو الى معارضة اقامة أحزاب غير الحزب الثورى الحاكم .. هو المسيطر على عقول معظم اليساريين فى العالم .. وكان من يؤمن بغير ذلك انما هو برجوازى وغد زنيم .

قلت للرئيس السادات .. والله يا ريس هناك الكثيرون منا قد غيروا أفكارهم وزالت الغشاوة عن عيونهم .. وأصبحوا يؤيدون اقامة حتى أحزاب وليس منابر .. ويرفضون الأفكار القديمة المرتبطه بحكم الحزب الواحد طويلا وحكاية تحالف قوى الشعب العاملة .. الخ ..

كان السادات يلح فى حكاية انه أحدث بلبلة وقلقا فى تفكير القوى السياسية وخاصة اليسار ..

وتذكرت أنه قال لى مرة .. ان عبد الناصر كان كلما فكر فى اتخاذ

قرار ما وضع الشيوعيين أمامه على الترابيزة وتساءل ماذا سيكون موقفهم ازاء المشكلة التى تواجههم ·· لقد كان يضخم فى قوتهم ويحاول تلافى رد فعلهم ازاء القـرارات التى لاتعجبهم ! ·· كان يضرب قوة خصـــومه يرحمه الله فى عشره !

ها أنا ارى السادات نفسه يحاول أن يعرف ويستجلى ماذا سيكون موقف اليسار بالنسبة لطرح فكرة التعددية الحزبية فى مصر ··

وهنا وجدت السادات يدخل بالحديث فى ناحية أخرى سبق له أن طرحها معى ·· لكن كما سيرى القارىء فى هذه المرة كان الموقف أصرح وأوضـــح ··

قال لى فجأة ·· يعنى انت عمال تتكلم عن اليســار والشيوعيين والماركسية ·· هو احنـــا ماقدرناش نحركك شـــويه عن أفكارك ·· ماتسيبك من اللى فى دماغك ده ! ··

وجدت كل خلايا عقلى تتنبه ·· وتتحفز ·· وشـعرت كما لو كنت داخلا على كمين جديد ··

فقلت : يعنى أترك الماركسية ياريس ··

قال ·· ما أقصدش ·· لكن خلاص بقى والا ايه ··

ورغم أنى كنت أميل أيامها بحـكم زياراتى الكثيرة لأوربا ومتابعتى لتطور الفكر الاشتراكى الى ما كان يسمى بالشيوعية الأوربية التى أحد مبادئهـــا رفض ديكتاتورية البروليتاريا ·· الا أننى وجدت نفسى أقول بسرعة وفى حسم ··

ــ والله ياريس أنا ما أقدرش أخدعك ·· فأنا ماركسى وكلاسيكى كمان يعنى تؤرقنى أحلام ديكتاتورية البروليتاريا !

قال ·· يعنى كده ·· قلت نعم ·· وأنا ابتسم ··

ثم دخـل فى حديث عن الأســتاذ لطفى الخولى ·· قائلا أن أصله انتهازى وعاوز يبقى وزير وداوش نفسه بالحكاية دى ! ·

واستنفرنى هذا الكلام ·· فقلت له ياســيادة الريس ان لطفى الخولى وجه مشرق من وجوه الدفاع عن مصر وله علاقة طيبة جدا بالقوى الوطنية العربية ومنظمة التحرير واليسار العربى ·· وأنا لم أسمع منه الا كل دفاع عن نظامك ·· فلوح بيـده وقال ·· لا ·· لا ·· ده عاوز يبقى وزير ·· وهو لايصلح كى يكون وزيرا ·· وجدت نفسى أقول وقد

لفت نظرى الحاحه على حكاية الوزير هذه ٠٠ فأصبحت أمامى رمزا لما قد يتخيله السادات من مطامع للذين يعرفونه ويلتقون معه ٠٠

ياريس أنا لا عاوز أبقى وزير ولا غفير ولا أى حاجة ٠٠ أنا مبسوط قوى بأننى كاتب فدعونى أكتب واتحرك بحريتى ٠٠ أنا مش عاوز منكم حاجة خالص خالص ٠٠ فالحمد لله ان البرجوازية الوطنية كما قلت لسيادتك من قبل قد تكفلت بمطالبى ! ٠٠

ويبدو أنه كان قد نسى حكاية صفقة اعلانات روز اليوسف التى عقدها رجل الأعمال صديقى بسيونى جمعة معها بواسطتى وحصلت على مكافأة كبيرة بسببها ٠ فسالنى فذكرته بها فضحك وقال من جديد ٠٠

لكن هو الكاتب لايبقى وزيرا ٠٠

قلت له ٠٠ يبقى ٠٠ وفيه كتاب وزراء ٠٠

قال ٠٠ أمال لماذا تقول أنك لا تريد أن تكون وزيرا ٠٠

شعرت مرة أخرى بالكمين ٠٠ وقلت لنفسى انك يا ابنى على وشك ان تدخل فى صفقة تباع فيها للبرجوازية ! ٠٠ فقلت وأنا أريد أن اضحك ٠٠

ــ أمثالنا ياريس لايقبلون منصب الوزارة الا اذا أقام النظام جبهه وطنية مع اليسار ٠٠ وفى هذه الحال ان اليسار هو الذى يقرر من يختار ليكون فى حكومة الجبهة هذه ٠٠ وانا اقول لك صادقا ٠٠ دون تزييف أن فى اليسار عشرات من الناس أحسن منى وأكفأ ٠٠ أما اذا دخل الواحد منا الوزارة دون جبهة فسيخدم من ؟ ٠٠ وسيعمل لحساب من وأفكاره تختلف عن النظام فى مسائل جوهرية أخرى غير المسائل التى هو متفق فيها معه ٠٠ وهى جوهرية أيضا ٠٠ بصراحة سأشعر أنى مخادع ٠٠ وبائع لنفسى ٠٠ وسأفقد السكينة النفسية تماما وهم اهم شىء عندى ياريس ٠٠

شعرت أنى أفلت من مأزق واستراحت نفسى بعد هذه الخطبة المنبرية ٠٠ التى كان رد السادات عليها بعد أن صمت لبضع ثوان ٠٠ وأنا أذكر هذا الحوار كأنه حدث منذ ساعة وبكل تفاصيله وأذكر معالم وجه السادات ٠٠

قال فى صوت فيه احترام ولكنه يحاول أن يجعله ساخرا ٠٠

ياخى ٠٠ هو انت مؤسسة واللا حزب !؟ ٠٠

وعندما التقيت بزوجتى المرحومه ·· حكيت لها الحوار بالتفصيل ·· فقالت :

.. والله سيأتى اليوم الذى يطردك فيه أنور السادات من بيته لأنك تتصرف معه كمنا لو كان رأسه براسك ! ·· واليساريين بيشتموا فيك ولا حينفعوك !

ولقد حكيت للأستاذ لطفى الخولى فيما بعد ما قاله السادات عنه ·· حتى يتنبه ما اذا كان هناك بعض الناس يقومون بالوشاية ضده ·· فقد كنت أريد أن تظل علاقته مستمرة بالسادات لما أدركه من فائدة وجود عناصر يسارية تتحدث مع رئيس الجمهورية جنبا الى جنب هذا اليمين المسيطر على السلطة والقصر الجمهورى ·· وكذلك البيت الجمهورى تماما ! ··

فقال لى لطفى الخولى ·· ان السادات مولع باطلاق بالونات الاختبار وانه طرح عليه مرة أن يصبح وزيرا للاعلام بعد اذ شكا له من عجز وزير معين كان موجودا وقتها عن القيام بمهمته ·· ولكن لطفى الخولى لم يرحب بالفكرة واعتذر عن قبولها ··

واعتقد أن حكاية طرح بالونات الاختبار التى يتحدث عنها لطفى هى الأقرب للحقيقة ·· فيبدو أن السادات كان يريد وزن الرجل الذى يعرفه ·· ويسبر غوره ·· ويدرك مدى أطماعه ·· وربما سعره وامكانية استيعابه ·· على أى حال أحمد الله على أننا نجحنا فى الاختبار ولم أحصل ولم أطلب قط من السادات أى خدمة خاصة بى ·· أو أى ميزة ·· وكان اذا ما طرح سؤالا عن شىء من هذا القبيل ·· أقول له دائما ·· ياريس أنا مطالبى نقابية فقط فيسأل كيف ؟ فاقول يعنى أطالب بعلاوة ·· باجازة ·· بحق العلاج بمكافأة ·· وكل ذلك من مؤسستى ·· وبمطالبة المسئولين فيها ·· « والكفاح » من أجلها اذا استدعى الأمر ! ·· فكان يسكت ويهز رأسه ·· بل حتى سفرياتى لخدمات سياسية له ·· كانت دائما على حسابى أو حساب المؤسسة التى أعمل فيها ·· ولا بدل سفر ولا مليم واحد من أى جهة حكومية ·· ولا حتى الانتقال فى سيارة من سيارات الرئاسة من القاهرة للاسكندرية أو للاسماعيلية ··

ان الفضل المادى الوحيد الذى حصلت عليه من أنور السادات هو اعجابه بكتابى عن حرب ١٩٧٣ وتقريظه له الى الحد الذى قدم لى كل مساعدة لاعادة كتابته من جديد ·· فصدر مرة أخرى على صورة أوفى وافضل ·· وبالنسبة لى كان ذلك « كتاب المجد » كما سماه المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى ··

وحتى هذا الكتاب وغيره من الكتب كما سبق أن ذكرت لم يشتر السادات أو أجهزته كتابا واحدا من الناشر ·· وانما قدمته له هدية بيدى أنا ··

أى أن عملى هو الذى عرف السادات بى وجعله يستدعينى ·· وسأظل شاكرا ومقدرا طوال حياتى موقفه البناء من كتاب ألفته ·· وأشعر دائما أنى مدين له بهذا ···

ولكن ذلك لم يمنعنى قط من أن أكون موضوعيا فى مواجهة ما رأيته خطأ فى سياسته سواء فى حياته أو بعد مماته ··

فمن الصعب على أى مراقب سياسى منصف ان يدافع عن سياسة الرئيس الراحل أنور السادات فى مجالين !

● الديمقراطية ·

● والانفتاح الاقتصادى ·

تماما مثل الصعوبة التى يجدها نفس المراقب المنصف فى الدفاع عن سياسة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى مجال الديمقراطية ؟!

ومجال الديمقراطية بالنسبة لأنور السادات ينقسم فى الحقيقة الى مرحلتين ·

المرحلة الأولى من عام ١٩٧٠ الى ١٩٧٧ قبل أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ·

والمرحلة الثانية فى ١٩٧٧ الى يوم مصرعه ·

المرحلة الأولى أطلق فيها أنور السادات الحرية السياسية الى حد كبير بالمقارنة لما كان الأمر عليه قبل عام ١٩٧٠ معترفا بالطبقات فى مصر وتناقض مصالحها حتى وصل به الأمر الى السماح بتشكيل الأحزاب ولو فى حدود ثلاثة فى البداية يسار ووسط ويمين كما قسم هو المجتمع المصرى · وأقام شبه جبهة وطنية مع القوى السياسية التى أيدته وفى مقدمتها اليسار المصرى العلنى · واستفاد من تلك الحرية كل خصوم الناصرية أيضا وهم الأقوى لأن فى أيدى معظمهم قدرات اقتصادية فى المجتمع ولم يسجنوا ويعذبوا ويشردوا كما حدث لليساريين وللأخوان المسلمين الذين كانت لهم ميزة عن اليسار أن دعوتهم فى وسط شعب متدين تجد صدى وهوى بينما اليسار يتهم بالمروق والالحاد !!

لقد كانت فترة حكم ديمقراطى ليبرالى بطريقة نسبية وان كان السادات لم يخف مرة واحدة عداءه للماركسية ·

ولو أن تلك الفترة الليبرالية استمرت لنمت التيارات السياسية فى مصر نموا طبيعيا وتحددت معالمها وقوتهـا الحقيقية طبقيا واجتماعيـا وسياسيا ٠٠ ولاتجه المجتمع المصرى اتجـاه النمو الرأســمالى الطبيعى بعد حين من الزمن ٠

وقد سبق أن أوضحنا كيف أن تلك الفترة الليبرالية حظت باحترام وتقدير حزب اليسار نفسه حتى أن السيد لطفى الخولى أحد زعمائه كتب عنها سلسلة مقالات مشهورة فى الأهرام تحت عنوان « المدرسة الساداتية » ٠٠ وقال انها تجربة فريدة تقدمها مصر لدول العالم الثالث !! وهو مالم أوافق عليه أيامها رغم علاقتى الوثيقة بأنور السادات ودفاعى عن سياسته!!

المرحلة الثانية :

المرحلة الثانية هى منذ ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ بعد هبـة الجماهير التلقائية ضد رفع الأسعار مما شكل ذعرا لدى السادات لنفسه من الممارسة الديمقراطية ٠٠ وذعرا للطبقة الجديدة التى خلقها بسياسته الخاصــة بالانفتاح لقد خشى الطرفان وثوب قوى جديدة على السلطة فى ظل حركات جماهيرية واسعة كهذه نشأت نتيجة الحرية السياسية التى حصلت عليها الجماهير بعد عام ١٩٧٠ ٠

لقد حدثت نكسة هائلة فى فكر أنور السادات وأسلوب حكمه ٠٠ وشجعته كل المؤسسات التى خلقها على الانتكاس والاصرار عليه بعد أن أصبحت تلك المؤسسات من برلمان ووزارة واعلام تعكس تـوازن القوى الاجتماعية فى مصر بعد اذ بدأت الطبقة الطفيلية الجديدة تسود المجتمع المصرى بما فيه البرجوازية الوطنية ذاتها ٠٠ وكانت تلك الطبقة تســمى حينذاك بالقطط السمان ! ٠٠ التى استطاعت اســتبعاد الأمين العـام للاتحاد الاشتراكى حينذاك المرحوم د ٠ رفعت المحجوب ٠

لقد بدأ السادات يلغى كل مكاســب الجماهير الديمقراطيــة التى حققتها خلال حكمه وكسب بها معركته ضد من سماهم بمراكز القوى ٠٠ ولم يكتف بالالغاء بل أنه بدأ يضع قيودا جديدة وغريبة على تاريخ مصر السياسى فى مجال الحرية السياسية حتى أصبح لدينا ترسانة هائلة من قوانين معادية للحرية ٠

ولكن بداية العداء للديمقراطيــة فى الحقيقة بدأت منذ المعـركة الانتخابية الأولى التى أدارها ممدوح سالم ٠٠ وكان العداء ممثلا فى اتخاذ خطوة لتحطيم الجبهة التى أقامها السادات يوم تولى السلطة ٠٠

دخلت المنابر أيامها المعركة الانتخابية ! منبر الوسط ومنبرا اليمين واليسار ٠٠ وكان المتصـور أن الوســط الذى هو التيــار المناصر

لأنور السادات (وكان منبره أيامها برئاسة السيد ممدوح سالم) سيتحالف مع منبر اليسار كترجمة للواقع السياسى الذى كان موجودا ضد منبر اليمين .. هذا كان المنطقى والمتوقع ...

ولكن المفاجأة كانت عندما فتح منبر الوسط برئاسة ممدوح سالم النار ضد منبر اليسار ...

ولأول مرة خطب السيد ممدوح سالم فى البحيرة وهاجم اليسار صراحة وقال اننا جربنا حكم الشيوعيين من قبل فلم تأتنا سوى الكوارث والخراب على البلاد !؟ قاصدا عهد عبد الناصر .. وكان مثارا للدهشة أن يتهم رئيس الوزراء نظام ثورة يوليو عهد عبد الناصر بأنه عهد شيوعى ... وجلب الخراب والكوارث على مصر وكانت خطبة ممدوح سالم بمثابة النور الأخضر لكل خصوم اليسار فى مصر ... فاذا بالصحف والكتاب يتبارون فى الهجوم على منبر اليسار بينما ظل السادات صامتا بعيدا عن القوى المشاركة فى ذلك الهجوم .. بل انه كان يدلى بتصريحات صحفية يصف نفسه فيها بأنه (يسارى لأنه جاء من القاعدة الشعبية الفقيرة) واحتدمت المعركة الإنتخابية لا بين منبر الحكومة وبقايا الاقطاع والمضارين من اجراءات الثورة مثلا ... بل بين منبر الحكومة ومنبر اليسار الذى يتزعمه عضو مجلس قيادة الثورة خالد محيى الدين زميل أنور السادات .

وهاجمت صحف الحكومة مثلا المرحوم كمال الدين رفعت أحد رفاق جمال عبد الناصر لأنه نزل مرشحا باسم منبر اليسار وتجرأ عليه البعض مثل الأستاذ موسى صبرى وطعنوه فى ثوريتــه لأنه يمتلك بسيارة مرسيدس مثلا اشتراها وهو سفير لمصر فى لندن !

وهكذا استخدمت كل وسيلة مبدئية وغير مبدئية فى تلك الانتخابات وضد المنبر اليسارى وانتهت الانتخابات بفوز أربعة نواب من منبر اليسار واحد فى الفيوم وواحد فى الاسكندرية وواحد فى القاهرة وخالد محيى الدين فى كفر شكر .. رغم أن اليسار حصل على ٩ر٥٪ من أصوات الناخبين ولو طبق نظام القائمة النسبية لحصل على ٢٧ مقعدا .

ونتيجة للحملة الصحفية والاعلامية التى تشجعها بل توجهها الحكومة دون تدخل ظاهر من أنور السادات استقال نائب المنبر فى الفيوم من المنبر كما امتلأت الصحف كل يوم بصفحات كاملة بأسماء الأعضاء المستقيلين .. حتى توقفت تلك الصحف عن النشر بعد اذ تساءل الناس عن مدى قوة هذا الحزب الذى يستقيل منه يوميا الآلاف !!

ورغم هذه الحرب التى بدأها النظام ضد اليسار فانه حدث أمران !

● قرر أنور السادات السماح بتكوين الأحزاب فى مصر .. ومن بينها حزب اليسار برئاسة خالد محيى الدين ... ولأول مرة يسمح حاكم مصرى لليسار بتشكيل حزب علنى وهو يعلن انه يضم فصائل ماركسية داخله ... ولابد من أن نسجل هنا أن أنور السادات بذل جهدا كبيرا داخل حزب مصر لارغام أغلبية ذلك الحزب على قبول حزب اليسار ... فقد كان المسيطر على عقلية أعضاء ذلك الحزب أنه حزب شيوعى .. بعد تلك الحملات الاعلامية الضخمة ضده خلال الانتخابات وبعدها ..

● الأمر الثانى أن حزب اليسار الجديد أعلن تأييده وتمسكه بنظام أنور السادات رغم هذه الحرب التى أعلنت ضده من قبل الحكومة .. وهناك أحاديث منشورة للسيد خالد محيى الدين رئيس ذلك الحزب أنه يعتبر نفسه والحزب جزءا من النظام .

ولكن يجب أن نسجل هنا حتى يستطيع القارىء متابعة تطور موقف حزب التجمع بعد ذلك أن ذلك الحزب لم يستطع تجميع كل اليساريين فى مصر .. سواء الناصريين أو الماركسيين ...

وبدت خلال مرحلة تأسيسية فى الاجتماعات والاتصالات التى حدثت حينذاك ان هناك اتجاهات خفية مناوئة لأنور السادات تتشكل ضد سياسته واتجاهاته الحقيقية ... ولذلك عارضت تلك الاتجاهات باصرار اشتراك أغلب العناصر اليسارية التى كانت تؤيد أنور السادات بحجة أنهم (ساداتيون أكثر من السادات) ... ولعل هذا هو ما يفسر ظهور التناقض لأول مرة بين مجموعة روز اليوسف اليسارية وحزب التجمع اليسارى ..

ولابد من التوقف قليلا عند اليساريين الذين كانوا يؤيدون نظام أنور السادات ولنوعيتهم وهم لم يكونوا يشكلون تنظيما او وحدة متجانسة ... انما مجرد تيار من عناصر فى كل مكان .. وأغلبهم من العناصر الماركسية أو المتعاطفة معها .. وتتلخص وجهة نظرهم فى النقاط التالية :

● أن المشكلة الرئيسية فى مصر هى المشكلة الوطنية المتمثلة فى احتلال قوات اسرائيلية لبعض الأرض ..

● أن نظام أنور السادات نظام وطنى أى من مصلحته تحرير الأرض المحتلة .

● وان ذلك النظام امتداد لثورة ٢٣ يوليو وقد استطاع المحافظة على انجازات تلك الثورة فى المجال الاقتصادى والاجتماعى .

- وأن ذلك النظام قد أشاع ديمقراطية نسبية فى البلاد اعترافا منه بالتغييرات والصراعات الاجتماعية فى داخل البلاد وأبرز انجاز فى الديمقراطية هو تشكيل الأحزاب ٠
- ان النظام وهو يحاول حل المشكلة الوطنيـة شـأنه شأن النظم البرجوازية يمكن أن يقاتل ويفاوض ويساوم فى نفس الوقت ٠
- ان الاتجاهات التى ظهرت فى عهد السادات لحل القطاع العـام أو تقلصه انما هى نتيجة طبيعية للممارسة الديمقراطية النسبية ومن الطبيعى أن تعبر طبقات وفئـات متخلفة عن رأيها ضد انجازات ثورة يوليو ٠ ولكن النظام نفسه لن يصفى هذه الإنجازات ولن يحل القطاع العام فهو ركيزته فى الحكم على الأقل ٠ كما أن هذا اليسار كان يدرك أنه حدث فى عهد عبد الناصر تطرف فى بعض الأحيان فى تطبيق سياسة التأميم على مؤسسات رأسمالية وطنية من الخطأ تاميمها ٠
- ان سلبيات النظام وأخطاءه فى الممارسـة السياسية لابد أن تنقد ولكن تنقد فى اطار الوحدة والجبهة معه أى أنه من واجب كل القوى الوطنية المحافظة على النظام والحيلولة دون سقوطه لأن البديل له لن يكون نظاما أكثر تقدما عنه ٠

وتركزت انتقادات ذلك التيار في الانحرافات عن التطبيق الديمقراطى٠ وفى النمو المتصاعد للطبقة الطفيلية وضغطها فى اتجاه تسويد سياسة الانفتاح الاستهلاكى ٠

وقد عبر ذلك التيار عن نفسه فى مؤسسة روزاليوسف الصحفية ومجالات أخرى وبدأ التناقض يظهر بينه وبين اتجاهات فى حزب التجمع ليس هذا فحسب ٠٠٠ بل أيضا بينه وبين اتجاه الرفض فى سائر أنحاء العالم العربى وهو الاتجاه الذى كان يجمع بين الأحزاب الشيوعية واليسارية الأخرى بالاضافة الى أغلب قطاعات المقاومة الفلسطينية ٠

وكتب زعماء تلك التنظيمات المقيمون بالخارج فى صحف بـيروت والعراق وسوريا ٠٠٠ مقالات نارية ضد اليساريين الذين يؤيدون سياسة أنور السادات ٠٠٠ واصفين اياهم بأنه قد أصبحت لديهم مصالح طبقية مع النظام الجديد ولذلك يدافعون عنه !!

ولكن حتى ذلك الوقت لم يتفجر أى تناقض بين السـادات وبين اليسـار العلنى بداخل مصر ٠٠٠ أولئك الذين شكلوا منبر التجمع ثم حزب التجمع ٠٠٠ واليسار الجبهوى فى روز اليوسف وغيرها وهو اليسار الذى درج العقيد معمر القذافى على وصفه باليسار الحكومى أو الشيوعية

الحكومية ولم يكن يريد أنور السادات الدخول فى معركة سافرة وحاسمة ضد أنظمة الرفض العربية وهو ما زال يصارع من أجل تحرير الأرض المحتلة فكان يكتفى ببعض مقالات هجومية تنشر فى الصحف المصرية ردا على الهجوم الاعلامى من جانب سوريا وليبيا والعراق ... ولكن ظلت العلاقات بين مصر والعالم العربى مستمرة وان كانت متوترة مع ليبيا .

ولقد بدأنا حديثنا عن أنور السادات والديمقراطية .. بالحديث عن موقفه وعلاقته باليسار لثلاثة أسباب :

أولا : أنه كان وما زال المقياس الرئيسى لديمقراطية أى نظام هى موقفه من عملية منح اليسار حرية العمل السياسى .. فالفكر اليسارى تعبير عن فكر لقطاع فى المجتمع .. وطالما لم يستخدم القوة بل مارس نشاطه عن طريق القنوات الشرعية العادية .. فلا يوجد أى مبرر لمنعه من حرية النشاط السياسى ..

ثانيا : ان السادات تسلم الحكم بعد وفاة زعيم لفصيلة من فصائل اليسار وهو جمال عبد الناصر وأنصاره من الناصريين .. فالناصرية تعنى منهجا لصالح الطبقات الشعبية الكادحة .. واتخذت اجراءات ضد الرأسمالية الأجنبية والمحلية .. وان كانت تختلف عن الماركسية بل وشنت حربا عليها وعلى أنصارها .

لذلك كانت الأنظار متجهة الى معرفة نوايا واتجاهات الحاكم الجديد تجاه اليسار .. من منطلق الحرص على ثورة ٢٣ يوليو منجزاتها ..

وكان الشيوعيون وهم فصيلة من فصائل اليسار يؤيدون زملاءهم الناصريين فى الحكم ويؤيدون جمال عبد الناصر رغم فترات التناقض التى حدثت بينه وبينهم .

فكان موقف السادات مرصودا بالنسبة لهم .. لأنه انعكاس لموقفه من عبد الناصر ومنجزاته من ناحية أخرى ..

ثالثا : ان السادات تسلم السلطة ومصر على علاقه صداقة حميمة بالاتحاد السوفييتى وبين البلدين روابط اقتصادية وثقافية وسياسية كبيرة .. بل كانت توجد فى مصر قوات سوفيتية جاءت للمساهمة فى الدفاع عن مصر بناء على طلب جمال عبد الناصر .

وكان اليساريون على اختلاف فصائلهم يؤيدون هذه الصداقة المصرية السوفيتية ويتشبثون بها باصرار .

ولكن ماذا كان موقف أنور السادات من القوى السياسية الأخرى ؟ .

فى عهده ترعرعت قوى التيار الدينى ٠٠ ولا نريد أن نخوض كثيرا فى هذا الموضوع فمعروف أنه هو الذى بعث بذلك التيار احياء للنشاط السياسى من جديد ٠٠ وتكررت نفس القصة التقليدية للتيار الدينى فى مصر ٠٠ اد دائما كانت السلطة تستخدمه ضد خصومهـــا السياسيين ويقبل هو هذا الدور حتى يكبر ويتضخم فيبدأ يعمل لحسابه ٠٠ فيقع فى تناقض مع السلطة التى استخدمتهـــا وتريد دائمـــا أن يكون تحت ابهامها ٠٠

هكـــذا حدث أيام الملك فاروق ٠٠ ثم أيام عبد الناصر ٠٠ وأيام الســـادات ٠٠ الحاكم المصرى الوحيد الذى لم يحاول نفس التجربة هو حسنى مبارك ولكن ليس هذا مجالنا اليوم ٠٠

الموقف من الوفد :

لكن فى عهد السادات ظهرت قوة سياسية جديدة هى حزب الوفد الجديد ٠٠ وقد كان السادات موافقا على ظهوره فى البداية ٠٠ ثم عاد فانتكس عليه ٠٠ وانقلب على شخصيات بارزة فيه مثل المرحوم عبد الفتاح حسن باشا ٠٠

ولن ندخـــل فى تفصيلات كثيرة عن تلك الفترة واختلاف المواقف لكنى سأتحدث هنا عن حوار دار بينى وبين السادات حول هذا الموضوع ٠٠ وأعتقد أنه يلقى الضوء على مغزى تصرفات السادات ٠٠

عندما تأسس حزب الوفد الجديد ابتهج الناس ٠٠ لعودته كعلامة من علامات الديمقراطية فى البلاد ٠٠

وعارض عودته ثلاثة فرق من المواطنين ٠٠

الفريق الأول : هم الطفيليون الذين انزعجـــوا من احتمـــال سيطرة هذا الحزب ذو التراث التاريخى وسط الشعب المصرى ٠٠ وتوليه الحكم والاتجاه الى تشجيع الرأســـمالية الوطنية المنتجة فعـــلا وحصر نشـــــاط الطفيلية المخرب للاقتصاد الوطنى ٠٠ وهذه الطبقة معادية للديمقراطيـــة خوفا على مصالحها بينما الوفد حزب الديمقراطية التقليدى ٠٠

الفريق الثانى : هم الناصريون الذين يعتقدون أن بينهم وبين الوفد « تاربايت » وأنه اذا ما عاد للحياة السياسية فالحكم فسيصفى الثـــورة ويطمس تاريخ زعيمهم ٠

الفريق الثالث : هم كثيرون من الشيوعيين والماركسيين الذين كانوا مازالوا يتشبثون بفكرة النظام الشمولى ٠٠ ويعتقدون أن حزب الوفد حزب يمينى معاد للاصلاح الزراعى وللتأميم ولذلك سيصفى الثورة أيضا ٠

ولو أن الأمور سارت سيرها الطبيعى فى مجال الديمقراطية لكانت الخريطة السياسية لمصر قد تغيرت كثيرا ٠

فمن الأرجح أن أكبر حزبين سياسيين كانا سيكونان حزب الحكومة وحزب الوفد يليهما حزب يمثل التيار الدينى الذى كان يتقوى ٠٠ ثم حزب اليسار الذى كان قد حصل فى أول انتخابات حرة نسبيا فى عهد السادات على ٥ر٩٪ من مجموع الأصوات ٠

وبدأت تتردد فى الأوساط السياسية تصورات للموقف والمستقبل السياسى ٠٠ ووضعت معادلة على الوجه التالى :

الأمريكيون يريدون القضاء على ثورة ٢٣ يوليو نهائيا ٠

الوفد عدو ثورة ٢٣ يوليو ويريد تصفيتها ٠

اذن الأمريكيون يمكن أن يناصروا الوفد كبديل لنظام أنور السادات لتصفية الثورة ٠٠

واضاف البعض الى ذلك والسعودية أيضـا ٠٠ فهى العدو العربى لجمال عبد الناصر وواضح أن أنور السادات لا ينوى تصفية الثورة ولا هم يحزنون بل ينـادى فى كل مكان أنه يتحمل مسئولية أخطـاء جمـال عبد الناصر ٠٠

وكل المحـاولات التى بذلت لتصفية القطـاع العـام لم تنجح فى انتزاع موافقته ٠٠ أثرت مرة هذا التصور أمام أنور السادات ٠٠ وكان يسألنى أسئلة عديدة عن تفاصيله كما لو كنت قد قرأت عنه فى كتاب ٠٠

ثم سألنى ٠٠ ما رأيك أنت ٠٠

قلت ٠٠ ياريس ٠٠ أنا الذى أريد أن أنتفع بحكمتك ٠٠ ورؤيتك كرئيس الجمهورية والأمين على ثورة يوليو ٠٠

ولكنه طلب أن يسمع رأيى أولا ٠٠

قلت ٠٠ حكاية الربط بين أمريكا وحزب او فرد ما ٠٠ يجب أن نأخذها بحذر ٠٠ هناك مصالح ٠٠ وهناك تقابل فى المصالح ٠٠ مثلا الوفد مصلحته فى نشر الديمقراطية ٠٠ وأنا مصلحتى فى الديمقراطية اذن أؤيد الوفد فى مطلبه رغم أنى لست وفديا ٠٠

أنا رأيى أن الأمريكان لا يريدون تصـفية ثورة ٢٣ يوليو بمعنى القضاء على نظامك في الوقت الحالي ٠٠ هم يخشون من حاجة واحدة ٠٠

ان يعود اما الناصريون ومعهم باقى اليسار الى الحكم أو يسيطر التيار الدينى على السلطة ..

وهم طبعا لابد أن يطرحوا على أنفسهم من يحل محل نظام سيادتك اذا جرى له أى شيء لا قدر الله ..

ويسألون بالتالى أنفسهم من هو البديل .. الذى يحول دون أخذ الناصريين أو الاخوان المسلمين الحكم ..

ضحك السادات وهو يستمع باهتمـام .. فقد كان رحمـه الله مستمعا جيدا حقا ..

ـ أه حكاية البديل دى باسمعها من كل واحد فيكم .. يا أخويا انتم بتجيبوا الكلام ده منين ؟!

فاذا ما نظر الأمريكيون للخريطة السياسـية فى مصر .. وجدوا حزب الوفد أيضا .. لابد يسألوا نفسهم يا ترى هل هذا يمكن يقود السفينة .. ويحمى البلد من دول ودول ؟ ..

سيقول لهم واحد عندهم .. ماتنسـوش الوفد ده بتـاع الحركة الوطنيـة .. واللى حارب الانجليز .. ورفض طلب أمريكـا بالحلف العسكرى .. وحصل تغير دلوقت .. يعنى الموضوع يبحث وأنا أسمع ان عندهم أعظم معاهد للدراسة والبحث وقرأت فى لعبة الأمم الذى لابد سيادتك قرأته أنهم يعملون مجموعات عمل للتصور والحوار .

هز السادات رأسه قائلا لى ..

كويس انك بتفكر بطريقة استراتيجية ..

ضحكت وقلت له ..

ـ ماتنسـاش ياريس ان احنا قعدنا نكافح واعداد نفسنا ثلاثين سنة للحكم ! ..

قال ..

ـ ماتنفعوش .. تفكيرك غلط ..

سألته باهتمام ..

ـ ازاى ..

قال ..

ـ الأمريكان عايزين حاجات أبعد مما تظن .. بديل ايه بتاعكم ده .. أنا اللى عارف أمريكا عاوزه ايه ..

وهم يريدون اذا كبر الوفد يساعدوه كي يرجع حكم زمان من غير ملك ·· ثم يتخلصوا من الوفد بعده كده ·· لأن لهم أهدافا كبيرة قوى ·· مافيش حد في مصر يقدر عليها علشان الوطنية المصرية في قلب كل مصرى ··

لم أفهم جيدا ماذا كان يعنى السادات بالضبط لأننى لما سألته الاستيضاح ·· سكت ولم يجب ··

ولكنى فهمت شيئا واحدا أن السادات كان يدرك أنه اذا ترك حزب الوفد ينشط ·· فان الحزب سيقوى ·· ويمكن أن يأخذ السلطة منه هو شخصيا ·· ويمكن أن يساعده الأمريكيون فى هذه الحالة كمرحلة مؤقته ·· ينقضون عليه بعدها ·· لماذا ·· ومن أجل ماذا لم أفهم ··

ولكنى عندما أتأمل ما يحدث اليوم على المسرح العربى بل والعالمى أدرك الآن ماذا كان يقصد السادات ·· لا شك أنه كان يقصد سيطرة أمريكا الكاملة على المنطقة ·· وقد كان ·· وهو أمر تعارضه كل القوى الوطنية المصرية ومن بينها الوفد ·· ولم تعد المسألة مسألة تصفية ثورة ٢٣ يوليو ·· فالذى يصفى انجازات هامة منها هو رد فعل الانهيار العالمى للاشتراكية بالاضافة الى الهمة والنشاط اللذين تمارس بهما قطاعات هامة من الحزب الوطنى الديمقراطى نفسه تصفية تلك المنجزات دون أى علاقة بالوفد أو غيره بها ! ·

أما باقي قطاعات الشعب ·· فانه لا يجب أن ينسى أولئك الذين يهاجمون السادات بالحق وبالباطل الا ينسوا أن العشر سنوات التى قضاها فى الحكم خلت من المعتقلات تماما ·· بل كان أنور السادات يحذر الشعب من عودة المعتقلات ·· ولم يحدث أن قضت مصر عشر سنوات متتالية دون اعتقال ومعتقلات منذ اعلان الحرب العالمية الثانية ! ··

وخلال عصر السادات لم يكن هناك تعذيب يذكر للمتهمين فى قضايا سياسية بل يحسب للسادات أنه هو الذى نص فى دستور ١٩٧١ على محاكمة المتهمين بقضايا التعذيب ولا يسقط الاتهام بالتقادم ·

ان الاعتقالات الوحيدة التى جرت فى عهد أنور السادات هى تلك التى حدثت عام ١٩٨١ فى سبتمبر ·· ولذلك كان مؤلف ليالى الحلمية على روعتها الأستاذ أسامة أنور عكاشة مخطئا تماما عندما نسب اعتقال بعض أبطال المسلسل الى عصر السادات ··

والسادات هو الذى غرس فى الجماهير عادة مناقشة الحاكم والحوار معه ·· بلقاءاته المستمرة مع القطاعات المختلفة من كل الطبقات

والطوائف .. وهو أمر لم يحدث قط لا فى عهد الملكية ولا فى عهد جمال عبد الناصر ..

فاسقط بذلك الى حد كبير حاجز الخوف والتهيب من السلطة بل الشعور بالاغتراب عنها وعن البلد كلها .. ونمى الشعور الداخلى فى كل واحد منـا بأنه مسئول عن البلد مسئولية لا تقل عن مسئوليـة رئيس الجمهورية .

ولقد كان ممكنا أن تمضى المسيرة الديمقراطية .. ولكنها توقفت بل انتكست عندما جرت أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ .. فجاءت بمرحلة جديدة لنظام أنور السادات مختلفة تماما عن المرحلة السابقة ..

ماذا كان يريد السادات
في ١٨ ، ١٩ يناير ؟

احداث ١٨ و ١٩ يناير أحداث طبيعية فى أى بلد يواجه أزمات اقتصادية ٠٠ وقد حدث مثلها عشرات الحوادث فى بلاد أخرى ٠٠ وقد كتب الكثير عن ١٨ و١٩ يناير المصرية وصدرت حتى حيثيات محاكم عليا فيها ٠٠

وفى أعرق الدول الديمقراطية يجتذب الكثير من الرعاع الى المظاهرات السلمية ويحرقون ويدمرون ويخربون ٠ وقد حدث هذا فى حوادث نيويورك الشهيرة لمجرد انطفاء الأنوار ٠٠

وليس فى نيتنا أن نستعيد هذه الأحداث ٠٠ وظروفها وملابساتها ٠٠ ولكننا نستعرض بعض نواحى قد تكون غير معروفة ٠٠ وخاصة الحديث الذى دار بين السادات وبينى بعدها ٠٠

فى اليوم الأول للأحداث فى ١٨ يناير حيث كان الرئيس السادات مقيما فى استراحته بأسوان قابلته الآنسة هدى الحسينى مندوبة مجلة الوطن العربى لأخذ حديث منه ٠٠٠ وكانت قد زارتنى قبل توجهها لمقابلة الرئيس وزارتنى بعد عودتها ٠٠٠

وكان قد أجاب على سؤال لها عن عملية رفع الأسعار ورد فعل الجماهير ضدها اذ كانت هدى قد شاهدت رد الفعل فى القاهرة فى الصباح وهى فى طريقها الى المطار لتركب الطائرة الى أسوان لمقابلة الرئيس ٠٠٠ وقال لها الرئيس فى دهشة اذ لم يكن قد عرف بحقيقة عنف المظاهرات ٠
ــ اننى أنا المسؤل عن رفع الأسعار فقد أمرت بذلك لبواعث اقتصادية مهمة٠

واذكر أنى أشرت على الآنسة هدى أن تحذف ذلك السؤال

والجواب عنه من الحديث وكنا فى مساء يوم ١٨ يناير وآثار مظاهرات النهار كله مازالت واضحة وقلت لها أن الحكومة يمكن أن تتراجع عن القرارات فلا يصح الصاق مسئوليتها بالرئيس اذ أنه لم يقررها الا بناء على توصياتها وستمز العاصفة عندما يحدث للتراجع ٠

لكن على أى حال ان أنور السادات تصرف ازاء تلك الأحداث باعتبار أنه مسئول عنها ٠ اذ تحمل كل أوزارها دون أن يحمل الحكومة ورئيسها ممدوح سالم أيامها أية مسئولية والوزير الوحيد الذى اعتبر كبش فداء هو السيد سيد فهمى وزير الداخلية ٠٠٠ رغم أن ذلك الوزير هو أول من أطلق الاتهام بمسئولية من سماهم بالشيوعيين عن تلك الأحداث الضخمة التى شملت البلاد من أقصاها الى أقصاها مما يعنى أن الشيوعيين هم أقوى حزب فى البلاد والغريب أن هذا الاتهام كان هو الخط السياسى الذى اتبعه أنور السادات فى تفسير أحداث يوم ١٨ ، ١٩ يناير ٠٠٠ وظل متمسكا بذلك الخط حتى يوم اغتياله ! ٠٠٠ ومع ذلك أقال الوزير الذى ابتكر ذلك الخط !

والواقع أن أحداث ١٨ و ١٩ يناير أخذت كل القوى السياسية على غرة حتى حزب الحكومة فلم يستطع أى تنظيم أن يسيطر على حركتها التلقائية أو يوجهها ٠٠ وبذلك ثبت أن الأحزاب ضعيفة جدا ٠٠

صحيح أن بعض أفراد من تنظيمات هنا وهناك من الجماعات الدينية ومن اليساريين حاولوا دخول تلك الحركة التلقائية وحاولوا توجيهها ٠٠٠ لكن تأثيرهم كان ضعيفا ٠٠٠ وان كانت الجماعات الدينية قد نجحت فى توجيه الجماهير لحرق الكباريهات والملاهى فى شارع الهرم ٠

لكن شعارات المظاهرات كانت شعارات تلقائية من أفواه الجماهير محدودة الوعى والثقافة ٠٠٠ ولم تكن فيها نكهة يسارية بأى حال من الأحوال بشكل عام ٠

ان الشىء الوحيد الذى أخذه أنور السادات علنا ضد حزب أو منبر اليسار أنه أبرق الى أعضائه بأن يسايروا الجماهير فى معارضتها لرفع الأسعار ٠٠٠ وهذا أمر طبيعى من حزب معارض لرفع الأسعار ٠٠٠ ولا يمكن أن ينعزل عن حركة الجماهير ٠٠٠

ولقد كان بوسع اليساريين المؤيدين لأنور السادات أن ينزلوا الى الشوارع لتوجيه مظاهرات الجماهير فى اتجاه غير معاد للنظام ٠٠٠ وقد كان ذلك التوجيه ممكنا بحكم خبرة اليساريين فى قيادة الجماهير وتظاهراتها ٠

لكن الخوف من اتهـام أجهزة البوليس لهم بأنهم المحرضـون على المظاهرات والتخريب جعلهم يحجمون عن القيام بمثل ذلك العمل ... رغم أنه كانت لهم مصلحة فى توجيه تلك المظاهرات وجهة أخرى اذ توجهت عدة مظاهرات فى شارع قصر اعينى ضد روزاليوسف مثلا تريد الهجوم عليها وتخريبها .

وقد كان من حق اليساريين أن يخشوا تلفيق قضايا ... وليس أدل على ذلك من أن الصحفيين لم ينزلوا الشارع أصلا قبض عليهم فجر يوم ١٩ يناير مثل الأستاذ فيليب جلاب الذى لم يكن من المعارضين لسياسة أنور السادات فى ذلك الوقت والأستاذ زهدى الرسام المشهور والأستاذ عبد القادر شهيب مدير تحرير مجلة روز اليوسف .

لكن لماذا الصق أنور السادات الاتهام باليسار .. وأصر على ذلك ؟ .. هناك عدة أسباب أهمها .. الموقف الذاتى لأنور السادات نفسه .. فقد شعر بجرح عميق جدا عندما هاجمته الجماهير ونددت بنظامه وبحياته وملبسه ومسكنه ... وعندما كان فى أسوان رأى بنفسه ثورة الجماهير وسخطها حتى المطار وكان خروجه من هناك أشبه بالهرب السياسى ! ..

كان أنور السادات يعتبر نفسه بطلا لحرب أكتوبر وبطلا لارساء الديمقراطية فكيف تهاجمه الجمـاهير هكذا وتهتف ضـده وتهينه بتلك العبارات التلقائية الغريبة . لقد خلفت فى نفسـه مرارة عميقة ... وأيضا كفرانا بالديمقراطية وحرية العمل السياسى للجماهير . وكانت ذاته قد بدأت فى التضخم بعد الضجة الكبرى التى صاحبت حرب أكتوبر وانتصاره النسبى فيها .

وفى تاريخ ثورة يوليو حادث مشـــابه مع فارق لقد كفر جمال عبد الناصر بالديمقراطية هو الآخر بعد أزمة مارس الشهيرة عام ١٩٥٤ وبعد أن كان هو عضـو مجلس الثورة الوحيد الذى تمسك بالنظـام الديمقراطى فانه أقام ديكتاتورية كبلت الجماهير بقيود ثقيلة جدا على حريتها كذلك فعل أنور السادات ...

من ناحية أخرى أن المارد الذى أطلقه الســادات من عقاله وخلقه نظامه .. وهو طبقة الطفيليين . والنهابين والسماسرة من أصـحاب الملايين خشـوا من حركة الجمـاهير وتوقعوا أن ديمقراطية كهذه ستأتى بالكوارث وستقلب النظام ... لقد رأت تلك الطبقة فى أحداث ١٨ ، ١٩ نضوجا فى الصراع الطبقى يهدد بزوال سلطتهم ومكاسبهم .

بينما لم تكن تلك الأحداث بمثل تلك الخطورة فان سخط الجماهير تبخر بمجرد الغـاء الحكومة لقرارات رفع الأسعار ... وصفق الناس

لأنور السادات فى طنطا والسيدة زينب ۰۰۰ وكان ممكنا أن يتوقف كل شىء وتعود العلاقة طيبة بينه وبين الجماهير ولكن السادات حمل فى قلبه وفوق ظهره أحداث ۱۸ ، ۱۹ يناير وتصرف على أساسها فى اتجاه معاد للديمقراطية وبدأ باليسار باعتباره دائما كان أضعف الحلقات لدى أى ديكتاتور يريد أن ينتكس بقضية الحرية ·

ومع ذلك كان للسادات عتاب على اليسار سنكشف عنه لأول مرة فيما بعد ··

على شاشة التليفزيون كان يظهر أنور السادات بعد أحداث ۱۸ ، ۱۹ يناير ۱۹۷۷ فى اجتماع من تلك الاجتماعات الكثيرة التى كان يرهق الجمهور والمشاهدين فيها بالثلاث والأربع ساعات متوالية ، ليتوعد اليساريين وينذرهم ۰۰۰ بأوخم العواقب ! ·

كان أنور السادات ينفذ وعيده حقا لا ضد اليساريين فقط بل ضد حريات الشعب جميعا وواقع الأمر أن السادات كفر بالديمقراطية تماما بعد ۱۸ ، ۱۹ كما شرحنا ۰۰۰ فانه كان يحرم الشعب كله منها تحت شعار أنه يلقن اليساريين أو الملحدين درسا لن ينسوه لا أكثر ولا أقل !!

وأشعل السادات حربا ضد اليسار وحزب التجمع القانونى العلنى ·· وسمى الجميع بالشيوعيين والملحدين والعملاء ۰۰۰ وقارن بين معاملة عبد الناصر لهم وتساءل كيف أنهم يؤيدون ويدافعون عن عبد الناصر رغم أنه سجنهم وقتل عددا منهم فى المعتقلات والسجون بينما هو أنور السادات قد سمح لهم بحزب سياسى لأول مرة ودخلوا المعركة الانتخابية مثل غيرهم فيكون جزاؤه منهم هو أن ينقلبوا عليه ويدبروا انتفاضة الحرامية !! بل من أطرف ما قاله أمام شاشة التليفزيون ·· أنه وجه اللوم للشيوعيين على أنهم حلوا حزبهم وتساءل هل حدث أن حل شيوعيون فى العالم الحزب الشيوعى ؟!!

وأدخل أنور السادات الاتحاد السوفييتى فى الصراع بينه وبين اليسار ۰۰۰ اذ أن مجلة الطليعة التى كان يرأس تحريرها الأستاذ لطفى الخولى وكانت تصدر من دار الأهرام نشرت مقالا عن أحداث ۱۸ ، ۱۹ يناير حملت الحكومة المسئولية ووصفت حركة الجماهير وتظاهراتها بأنها انتفاضة شعبية ·· !

نشرت جريدة البرافدا السوفيتية فقرات من المقال وجن جنون أنور السادات لأنه أخذ الموضوع بطريقة ذاتية فثار ضد مقال الطليعة واصدر قرارا بغلقها وترك للمرحوم يوسف السباعى وسيلة الغلق ·

وهاجم أنور السادات بشدة الاتحاد السوفييتى لأنه يتبنى وجهة نظر (عملائه الشيوعيين المصريين) ٠

نحن نسترجع هذه التفصيلات السياسية لنرى كيف اشتعل الحريق بين أنور السادات واليسار وعلى من تقع المسئولية فى اشعال ذلك الحريق ولابد هنا من أن نسجل أن الصحف الأمريكية الرئيسية (نيويورك تايمز ـ واشنطن بوست ـ هيرالدتريبيون) ومعظم الصحف الفرنسية والانجليزية رفضت تفسير هبة الجماهير فى ١٨ ، ١٩ يناير على أنها انتفاضة حرامية أو بتدبير كتلة سياسية معينة ٠٠٠ وكتب مراسلوها مقالات طويلة يؤكدون فيها تلقائية الحركة وشعبيتها وخطأ تحليل السادات أو اتهاماته ٠٠٠

وذهبت بعض الصحف الأمريكية الى حد تفسير اتهام السادات لليسار بالمسئولية عن تلك الأحداث بأنها مناورة ساداتية للحصول على معونات مالية أكثر من دول الخليج العربى بحجة حماية مصر من خطر الشيوعية ! ٠٠

ومع هذه الحملة الغربية ضد السادات لم يهاجم الولايات المتحدة ولا حتى الصحف الغربية ٠٠٠ وركز هجومه على الاتحاد السوفييتى واليسار والمصرى ٠٠٠ ولم يكن لليسار المصرى من منابر يستطيع الدفاع فيها عن نفسه سوى مجلتى روز اليوسف وصباح الخير بعد اغلاق الطليعة ٠٠٠

وحرص الكتاب اليساريون على توضيح الأمور وتبرئة اليسار من المسئولية ٠٠٠ وقد أغضب هذا أنور السادات غضبا شديدا ٠

ولنروى القصة فى بدايتها !

عندما حدث أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ٠٠ اتصل حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية بالأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف حينذاك وأبلغه أن الرئيس السادات يعرف موقف أسرة روز اليوسف من الأحداث ولذلك فانه يطلب منه ألا تتعرض المجلة للموضوع فقط ولا يطلب منها الدفاع عن الحكومة احتراما لموقف كتابها ٠

ولما كان الشرقاوى شجاعا وصاحب قضية كعادته فقد رد على نائب رئيس الجمهورية قائلا أنه لابد من أن يعرض الأمر على زملائه ليروا ما يجب عمله بعد ابلاغهم بما يريده السادات ٠

وأذكر أن الشرقاوى جمعنا وعرض علينا الأمر ٠٠٠ وبدأ باعلان رأيه هو أنه لا يوافق على الصمت لأن ذلك جريمة فى حق الشعب وفى حق الأبرياء الذين قتلوا فى الشارع وسجنوا ظلما وعدوانا ٠٠٠ ولم يتردد

واحد من الحاضرين فى تأييد موقف عبد الرحمن الشرقاوى ... وقلنا جميعا لنقل كلمة الحق حتى لو (رفدونا) ... وان قولة الحق هى لصالح نظام السادات نفسه ...

وكلف الحاضرون بعض الصحفيين فى المؤسسة بكتابة تحقيق صحفى بنشر الحقيقة على الناس وظهرت روز اليوسف فى الأسبوع التالى وعلى غلافها عنوان مثير أسبوع الحرائق ... وعنوان التحقيق الحكومة أشعلت الحريق والسادات أطفأه !!

حملت روز اليوسف الحكومة مسئولية ما حدث ... وحددت مسئولية ما حدث ... ووصفت تحرك الجماهير بأنه هبة تلقائية تدخل فيها عدد من العناصر المشبوهة ... وكان ما ذكرته روز اليوسف مختلفا تماما عن نغمة الصحف القومية كلها التى رددت بيانات وزارة الداخلية واتهامات السادات . فى حماس وشماتة ورعونة تقطع خط الرجعة على النظام نفسه اذا ما أراد التراجع .

ورغم أن ما نشرته روز اليوسف لم يهاجم السادات بل بالعكس أكدت أنه هو الذى أنقذ الموقف فان السادات قد غضب على روز اليوسف ومحرريها وفكر من يومها فى الاستغناء عن اليسار فى نظامه .

ومن المؤكد أن السادات كان قد بدأ يفكر جيدا فى تغيير مسار السياسة المصرية تغييرا حاسما حتى يمكن تحقيق جلاء اسرائيل عن سيناء وتوقع أن يعارض اليسار فى تلك الخطوات التى كانت تعنى تقاربا أكثر مع أمريكا وكذلك اسرائيل .. فتوقع أن مركز العاصفة سيكون اليسار .. لذلك « تلكك » على حكاية ١٨ و ١٩ يناير وكان هذا خطأ سياسيا فادحا من جانبه ..

واستمرت روز اليوسف فى خطتها لتبرئة اليسار من حوادث ١٨ ، ١٩ يناير وتتصدى للحملة المسعورة التى انفجرت ضده وتحمله كل مصائب الدنيا وفى كل مرة يتصاعد غضب السادات ويزداد تصميما على تنفيذ مخططه فى الاستغناء عن اليسار فى صحافته القومية ... اليسار الجبهوى الذى كان يعتبره هو يسارا حقيقيا ويلقبه باليسار الوطنى !!

السادات واليسار

طوال شهرى فبراير ومارس كان السادات مستمرا فى شن حملته ضد اليسار واتهامه بأحداث ١٨ ، ١٩ يناير ...

وفترت علاقته باليسار الحليف معه فى روز اليوسف حتى أنه عندما سافر الى الولايات المتحدة فى ابريل ١٩٧٧ لم يدع الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى لمصاحبته مثل غيره من رؤساء مجالس ادارات

الصحف • وهى عادة سخيفة من عادات السلطة أنه عندما تغضب على كاتب تكف عن دعوته للسفر أو الاجتماعات التى تقيمها •• حتى ليبدو الأمر كأنه عقاب وقد دلت خبرتى أن هذا بالعكس يزيد الخلاف عمقا لأن العنصر الشخصى يدخل فيه بالاضافة أننى لاحظت أن الرئيس الأمريكى والرئيس الفرنسى يصطحب معه فى رحلاته كل الصحفيين حتى المتناقضين معه تناقضـــا عنيفا وحادا •• ولكن ما زلنا نحن فى مصر نحمل بعض تراث النظرة الشمولية للأشياء •

وبدا أن السادات لم يكتف باشـــعال حرب ضد اليســـار المصرى المحلى •• بل امتدت الحملة الى اليسار العالمى كله ففى طريقه الى أمريكا عند توقفه فى باريس صرح للصحفيين الأجانب أنه يحذر الولايات المتحدة والغرب عموما مما يجرى فى الكونغو •

ومن أمثلة ذلك انتقاده للولايات المتحدة ان لديها عقدة فيتنام وهو يلومها لأنها لا تتدخل بالقوة المسلحة ضد خصومها أو لانقاذ حلفائهـــا هنا وهناك •••

وكان ذلك شيئا جديدا على كل من اشتغل بالسياسة فى مصر حتى قبل الثورة ••• فلم يحدث أن حث حزب مصرى حليف لبريطانيا التى كانت تحتل مصر أن تتحرك وتشـــعل نار حرب ضـــد أى بلد آخـــر لأى سبب ••• بل أن مصر عام ١٩٥٠ فى عهد حكومة الوفد أعلنت الحياد ازاء حرب كوريا رغم أن أمريكا نجحت فى غزوها تحت علم الأمم المتحدة وشاركت فى ذلك الغزو ٣٣ دولة !!

هذه التصريحات الحماسية لأنور السادات قد شجعت الاتجاهات ••• داخل حزب اليسار لتقف موقفا معاديا له وبدأت تلك الاتجاهات تبشر بأن السادات حليف للامبريالية الأمريكية فى المنطقة وأنه يقلب وجه السياسة المصرية رأسا على عقب ••• ويتحول بها من معاداة الاستعمار والصهيونية الى التحالف معهما ووضع المنطقة كلها تحت النفوذ الأمريكى •

هـــذا بالاضـــافة الى أنه يقيم ديكتـــاتورية مرتدا عن طريـــق الديمقراطيـــة ••• ولم يكن هـــذا الاتجاه اليسارى وحيدا فى هـــذه الاتهامات ••• بل كان اليسار العربى كله معه •

ورغم كل الأدلة المادية والنظرية التى قدمها الكثيرون للسادات بما فيهم برجوازيون أجـانب لتأكيد أن أحداث ١٨ ، ١٩ ينـــاير لا يتحمل مسئوليتها اليسار ••• الا أنه أصر على موقفه المعادى له ••• واتهامه بالتدبير والتآمر والخيانة والعمالة والالحاد والكفر والارتداد ••• الخ •

وظل حتى قبل مماته كلمـــا تحدث عن تلك الأحداث تغير وجهه وأربد وارتسمت عليه معالم الحنق والحقد والكراهية لخصومه ••• وعلى

حد تعبير أحد مساعديه الكبار لى مرة أن لدى الرئيس (فوبيا ١٨ ، ١٩)
وفى أواخر ابريل ١٩٧٧ بطش أنور السادات باليسار الحليف له فى مؤسسة روز اليوسف فعزل عبد الرحمن الشرقاوى من رئاسة مجلس الادارة وعزل صلاح حافظ من رئاسة التحرير ··· وبعد شهرين طردنى من القصر الجمهورى كمندوب لروزاليوسف ·

وكان من الطبيعى بحكم صداقة السادات بالشرقاوى صداقة حميمة أن يستغنى عن خدماته بطريقة مهذبة ورقيقة ·· اذ اتهمه ضاحكا أن الشيوعيين ضحكوا عليه وأنه لا يمكن أن يستمر رئيسا لروز اليوسف ! وعينه سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى للثقافة بدرجة وزير ·

وكانت النتيجة أن صفيت روز اليوسف كمنبر يسارى تماما بعد أن عهد بتلك المهمة الى المرحوم الأستاذ مرسى الشافعى ··· الذى أدى المهمة خير قيام !!

ولم يعد هناك يساريون قريبين للرئيس يستطيعون ابداء النصح والمشورة له شخصيا ·· أو بالكتابة فى الصحف ··· حيث فرضت قيود على كتابات من بقى منهم يعمل صحفيا فى مؤسسنه وأذكر أنى كنت ألتقى بالدكتور عبد العظيم رمضان المؤرخ والكاتب المعروف ·· ونتحدث عن سوء الأحوال ·· وكيف أن الرئيس فى حاجة الى من يتحدث معه عن الأوضاع فى صراحة ولكنه أى الدكتور عبد العظيم لا يستطيع أن يخترق الستار الحديدى الذى ضرب حول أنور السادات :

وتعقدت الأزمة أكثر بين السادات واليسار وكل القوى الديمقراطية عموما ··

عندما صدرت جريدة الأهالى لسان حال حزب التجمع لأول مرة عام ١٩٧٨ كانت صيحة معارضة حادة وعنيفة ضد النظام ···

كان السادات رغم بدئه الحرب ضد الديمقراطية بعيد النظر فلم يتجاهل الخلافات والتناقضات الاجتماعية واحتمالات المستقبل ولذلك أبقى الأحزاب حتى حزب اليسار بعد ان تحايل على الغاء التصريح بحزب الوفد للأسباب التى شرحناها من قبل ·

السؤال الآن ·· هل كان السادات يعتقد حقا أن اليسار مسئول عن الأحداث فى ١٨ ، ١٩ يناير ؟!

سنحاول الاجابة عن ذلك السؤال لا من خلال الاستنتاج بل من خلال حوار مثير معه ؟!

فى واشنطن تقابلت مع الرئيس السادات وابتدرنى بالحديث قائلا :
عاجبك اللى حصل ده ؟

قلت ٠٠٠

ـ لا يعجبنى يا سيادة الرئيس ٠٠٠ وأنا أعتقد أنك تظلم اليسار باتهامه بأحداث يناير مع أنها أحداث عادية يمكن أن تحدث فى أى بلد ٠

تحدث أنور السادات طويلا ٠٠٠ وكانت دهشتى شديدة لما عرفت وجهة نظره بالنسبة لتلك الأحداث ٠

تساءل أنور السادات عن موقف الشيوعيين العراقيين من نظام حكم عبد الكريم قاسم فى فبراير ١٩٦٣ عندما قام حزب البعث بانقلابه الدموى عليه ؟

قلت له وقفوا الى جانب قاسم ! ٠٠

قال السادات : لقد حملوا السلاح دفاعا عنه ٠٠٠ وقتل منهم الألوف أثناء هذا الدفاع رغم أن قاسم ضحك عليهم وسرق كل السلطة بعد الثورة التى شاركوه فيها ٠٠٠ ورغم أنه أودع ألفين منهم السجون وكانوا فيها أثناء الانقلاب ! ٠٠٠

وفسر السادات ذلك بأن الشيوعيين العراقيين كانوا يعرفون جيدا أن حكم حزب البعث ألعن من حكم قاسم ٠٠٠ وسيعمل على تصفيتهم ومحوهم من الخريطة السياسية ٠

استطرد أنور السادات يقول ٠٠٠ اننى سمحت لليسار فى مصر لأول مرة بالعمل السياسى علنا وافرجت عن المعتقلين ٠٠٠ وعينت وزيرين فى الحكومة منهم وكانا عضوين فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى وعينت سكرتير الحزب نفسه أبو سيف يوسف فى البرلمان من العشرة الأقباط ٠

لو فرضنا أن مظاهرات ١٨ ، ١٩ كانت تلقائية الا أنها كانت معادية لنظامى الذى تقرون أنه نظام وطنى وخالد محيى الدين صرح مائة مرة أن منبره جزء من النظام ٠

ماذا كان دور اليسار فى تلك المظاهرات ٠٠٠ هل حاول اطفاءها أو توجيهها فى اتجاه غير معاد للنظام الوطنى ؟!

وأجاب السادات على تساؤله بقوله :

ـ لا ٠٠٠ بالعكس لقد صب حزب التجمع الزيت على النار بارسال رسائله المعروفة من خلال مبرقة الاتحاد الاشتراكى العربى بتشجيع المظاهرات والمشاركة فيها والحملة على الحكومة ٠

وأنتم تقولون أن القوى التى حاولت استغلال المظاهرات هى قوى رجعية ويمينية ··· وأن القوة التى كان ممكنا أن تستولى على السلطة وسط الفوضى الشاملة خلال يومى المظاهرات هى الجماعات الدينية أو انقلاب عسكرى مغامر ـ اذن كان واجب اليسار أن يقف الى جانب النظام الوطنى ولكن ذلك لم يحدث !!

للأسف بل وقف ضدى ؟! ··

ولما قلت له أن اليسار لم يقف ضدك بل ضد الحكومة صاحبة السياسة الخاطئة برفع الأسعار ··· لم يرد السادات على تلك النقطة ··

واضفت حتى لو كنت يا سيادة الرئيس مسئولا عن رفع الأسعار باعتبارك رئيسا للجمهورية فان المجموعة الاقتصادية والحكومة هى المسئول الأول اذ اعطوك صورة ومبررات خاطئة ·

وكان المفروض أن تستقيل الحكومة بعد هذه المظاهرات وتأتى حكومة جديدة بعد أن قررت سيادتك الغاء رفع الأسعار فهى التى ورطت الرئاسة ·· وعفا الله عما سلف ·· وتمضى الأمور عادية وجماهير الأمة كلها خلفك ··· وبلا أزمة مع اليسار أو غير اليسار ·

ولكن أنور السادات كان يصر على تأكيد اعتقاده أن اليسار خذله فى أزمة ١٨ ، ١٩ هذه وكان لا يفتأ يكرر طوال حديثه ·· أنا عملت فيهم أيه ؟ ··· أنا مريحهم على الآخر !!

ودار الحديث فى مواضيع أخرى ليس هذا مكانها لكنى أذكر أنى خرجت من هذا اللقاء وأنا واثق بأن الأمور ستدلهم أكثر ··· فقد بدا لى واضحا أن السادات ليس مقتنعا بمسئولية اليسار عن تلك الأحداث ··· لكن حبل الاتصال قد انقطع من ناحية أخرى أنه بدأ يستخدم معاداة اليسار كورقة لتحقيق أهداف سياسية بعيدة المدى ···

أنها من أجل أن تدفع الدول العربية المزيد من المعونات لمصر · وينطبق هذا على الولايات المتحدة أيضا وهى التى كان السادات قد بدأ برفع شعارات مطالبا اياها بتسليح الجيش المصرى بعد أن أعلن فى البداية أنه من الضرورى تنويع مصادر السلاح ·

وبعض المراقبين قالوا ان السادات يجعل من اليسار كبش فداء لتغطية عيوب حكمه الذى أدى الى ازدياد الهوة الاجتماعية الى حد حدوث تمرد شعبى واسع فى الشارع المصرى ·

وبعض كتاب اليسار قالوا بعد المبادرة (نوفمبر ١٩٧٧) أن السادات كان يفكر من زمان فى القيام بزيارة اسرائيل فمهد لمحاصرة

خصومه ومعارضيه الذين توقع أن يكونوا من اليساريين فمضى فى اتهامهم بالمسئولية عن ١٨ ، ١٩ يناير ٠٠٠

بينما فسر البعض الآخر الامر بأن اتهام اليسار كان ستارا لدى أنور السادات لعدائه الحقيقى للديمقراطية ونقمته على الجماهير بعد أن أثارت غضبه وجرحت كبرياءه بهتافاتها ضده خلال اليومين العصيبين ٠٠٠ اى أن الهجوم على اليسار هو هجوم فى الأصل على حركة الجماهير ٠٠٠ التى لا يجرؤ على المجاهرة بعدائه لها مباشرة ٠

على أى حال ان تلك الأسباب جميعا تصلح تفسيرا لنكوص أنور السادات عن طريق الديمقراطية ويهمنا هنا أن نلاحظ أن ذلك الاتهام تلاقى مع مصالح الطبقه الطفيليه التى خلقهـا نظـامه من جراء سياسة الانفتاح « على البحرى » !

لا يلام اليسار المصرى اذ تصدى للمعارضة فى هذين المجالين ٠٠٠ فتلك مسئوليته والتخاذل فيها جريمة وطنيـة ٠٠٠ ولكن بأى أسلوب تمارس المعارضة ؟ ان الخطأ الذى وقع فيه اليسار هو أنه استمر فى نفس الأسلوب الذى عارض به السادات فى مواجهته لاسرائيل اذ دمغه بأنه خائن ومستسلم ٠٠٠ وأخرج السادات من قوى الجبهة الوطنية أى أنه دأب على أن يعارض سياسة السادات الخاطئة فعلا بعنف شديد وبطريقة عدائية تماما ٠

ولقد حدث عدة مرات خلال ممارسة السادات لسياسته الانفتاحيـة والمعادية للديمقراطيـة أن أحس بالخطأ ممـا كان يدفعـه للهجوم على الانفتاحيين أحيانا ٠٠ ويدعو أحزاب المعارضة الى التفاهم والحوار ٠٠٠ ولكن حزب اليسار المصرى لم يلتفت قط الى مثل تلك الصحوات والومضات ٠٠٠ وظل يهاجم نظـام السادات هجوما متواصـلا حادا ٠٠٠ وبشجاعة وصلابة منقطعة النظير حقا ! ٠٠ خصوصا وقد أصبحت السياسة الساداتية بالنسبة لاسرائيل مجالا للتناقض بينهما كما شرحنا من قبل ٠

النكسة للديمقراطية

ولكن من يريدون رأب الصدع الوطني كانوا يلتقطون مثل تلك التصريحات ويحاولون عمل شيء لوضعها موضع التطبيق ولو جزئيا بتهدئة الجو فقد كان مربط الفرس في تلك الفترة لأية انفراجة ديمقراطية هي أن يتوقف ذلك الصراع الدامي بين السادات واليسار عموما ..

ولقد كان السادات وأجهزته يتعاملون مع حزب التجمع كما لو كانوا يتعاملون مع حزب خارج على القانون .. وكان الصحفيون المحيطون به يزينون له هذا الهجوم وينفخون فيه ويزيدون الطين بله .. ولا أعتقد أن أحدا منهم كان سيعارض أى محاولة من السادات للزج باليساريين الى الليمانات فى أشغال مؤبدة !

والخوف يضاعف من الخوف دون حدود .. وسلوك السادات أو أى ديكتاتور ضد خصومه فى الرأى يثير الخوف والذعر فى نفوس حوارييه ومؤيديه أيضا :

وعندما كان الخليفة فى العصور الاسلامية يقطع رقبة أحد مخالفيه فى الرأى أمام أشد أنصاره ارتباطا به كانوا جميعا يرتعدون ويتحسسون أعناقهم ! .

كان بوليس السادات يتسلى يوميا بالقبض على أعضاء حزب التجمع .. هذا يوزع منشورا .. ذاك يتحدث فى أسلوب مثير مع العمال .. وان لم يجدوا سببا قبضوا عليهم بحجة توزيع نشرة الحزب الداخلية ! .. ولاحظ أنه حزب قانونى .. ومن حقه أن تكون له نشرة بل نشرات داخلية كما يشاء .. وكان القاسم المشترك الأعظم بين حملات القبض هذه هو المناضل البارز فى حزب التجمع أبو العز الحريرى .. وهو عامل فى شركة الغزل الأهلية درس حتى تخرج من الجامعة وله نضال

مشهود فى الدفاع عن حقوق العمال حتى ظفر بثقة عمال المصنع ·· ثم أهل حى كرموز ونجح فى الانتخابات كعضو فى مجلس الشعب عن حزب التجمع ·· ويبدو أن السادات وأجهزته فى الاسكندرية قد صبوا كل حقدهم الطبقى اذا جاز التعبير ضد أبو العز الحريرى هذا ·· ثم لحق الأذى أخاه ·· وجرؤ بوليس الاسكندرية على هتك عرض حصانته البرلمانية فقبضوا عليه وأوسعوه ضربا ·· ثم منعه زبانية النبوى اسماعيل وزير الداخلية حينذاك من دخول جلسة الشعب ·· ثم لما ضاقوا به ذرعا فقد كان وما زال صلبا شجاعا ففصلوه من المجلس ·· ونجح مرة أخرى بعد ذلك ··

وكنت على صلة بعدد قليل من الشخصيات البارزة فى حزب التجمع ·· من تلك التى تسمى عادة معتدلة ·· وهى فى الواقع ليست متشنجة أى تؤمن أنه لا سبيل لحل التناقضات الا عن طريق الحوار ··

وكنت دائم المناقشة معهم ·· وأتحدث معهم كلما تكلم السادات عن رغبته فى جمع الشمل الوطنى ·· فكانوا يعدوننى بالاتصال بزملائهم ومحاولة اقناعهم بهذا الخط ··

فى نفس الوقت كنت أتخاطب مع السيدة جيهان السادات التى كانت توافق على مقابلتى دائما وأشرح لها الأمر فكانت ـ وتلك شهادة للتاريخ توافق على ضرورة تصفية الموقف بين الرئيس وكل القوى السياسية بما فيها اليسار حتى تزدهر الديمقراطية من جديد ·· وتعدنى بنقل الحديث الى السادات ··

ولكن ما تكاد تمضى أيام قليلة حتى ألتقى بزملائى من حزب اليسار فيقولون لى فى توتر كيف تتخاطب معنا فى أمر التعاون مع النظام ·· وفى اليوم التالى يقبضون على فلان وفلان من أعضاء الحزب ··

فكنت أقول ضاحكا ·· أنا مش النظام ·· أنا أحاول فقط ·· لكن كل هذه الجهود قد ذهبت هباء لأن اضطهاد السادات العنيف والعنيد لحزب اليسار جاوز الحدود واستفز قوى أخرى مضادة لليسار رأت فى سلوكه خروجا عن أى أصول أو عرف ديمقراطى ··

وهذا الهجوم الشرس على اليسار هو الذى أكسب هجومه على سياسة السادات فى موضوع اتفاقية السلام مع اسرائيل تعاطفا بين قطاعات من الجماهير وخاصة بين المثقفين ·· صحيح أنها قطاعات محدودة لم تكن تزيد على ١٠ أو ١٥٪ من الناس على أحسن تقدير ·· ولكنها كانت القطاعات الأكثر نشاطا وفاعلية فى المجتمع ·· انها لم تكن من الأغلبية

الصامتة التى يستدعى أغلب أفرادهـــا من المصـــانع لطوابير الهتاف والتصفيق لقاء التهرب من العمل أو قبض خمسين قرشا أو جنيه !

ومن أخطاء أنور السادات الجنونية والتى أثارت عليه قطاعات كان هو فى غنى عن خلافها معه ٠٠ مثل القضاء ٠٠ موقفه من جريدة الأهالى ٠٠

لقد دأب على مصادرتها ونقول دأب لأنه هو المسئول عن مصادرتها فقد كان هو الذى يصدر الأمر بتلك المصادرة ٠ وللعلم ان أى جهاز أمن فى مصر لا يستطيع تقرير مصادرة أى صحيفة فيها منه ذلك الحين الا بعد العرض على رئيس الجمهورية شخصيا ٠٠

وهذا هو التفسير العلمى الحقيقى الوحيد لأن الصحف المصرية فى مصر فى عهد مبارك لا تصادر مهما اشتط بعضها وخرج حتى عن حدود الأدب واللياقة ٠٠ لأنه يرفض مصادرة أية صحيفة منذ تولى السلطة ٠ ونرجو أن يستمر ذلك موقفه على الدوام ٠

لقد استجلب السادات قاضيا كان يعمل فى الأصل عند عثمان أحمد عثمان العدو اللدود لليسار ونفس هذا القاضى كان ينتمى الى أسرة أضيرت باجراءات الثورة ضد ثروتها أى أن هناك عداء قديما قائما على مصلحة ٠٠
وفى كل أسبوع كان القاضى يصادر الأهالى فى الثامنة صباحا ٠٠ كل أسبوع ٠٠ لم يتركها أسبوعا واحدا طوال سبعة أسابيع متواصلة ٠٠ وهذا شىء لم يحدث من قبل وكان المقصـــود تعجيز القائمين بتحريرها وافلاس الحزب لأن موارده قليلة ٠٠ وكان الحزب الحاكم قد استولى على معظم أموال الاتحاد الاشـــتراكى العربى الذى ولدت من رحمه الأحزاب الثلاث ٠٠

وبلغ التعسف مداه عندما أصدرت الأهالى عددا وثائقيا يتضمن فقط مضبطة مجلس الشعب التى تتضمن مناقشات أعضائه حول معاهدة السلام مع اسرائيل ولم يكن فيها حرف واحد ٠

وحار القاضى عندما نظر طلب البوليس مصادرة العدد الذى لم يكن فيه شىء يستوجب المصادرة فالمضبطة فى كل البرلمانات مفروض أنهـا تنشر علنا فى الصحف وتذاع فى الراديو والتليفزيون ٠٠ لولا طولها ٠٠ لذلك تعمد وسائل الاعلام عادة الى تلخيصها ٠٠

ولم يكن بوسع القاضى أن يأمر بمصادرة العدد كالعادة ٠٠ فأمـر بالافراج عنه ٠

ولما ذهب محررو المجلة ليشحنوهـا من المطبعـة فوجئوا بأن أعوان السادات قد التفوا حول قرار المحكمة ومنعوا تنفيذه بحيلة طريفة جدا ٠٠

كانت الأهالى تطبع فى مطبعة دار التعاون للطبع والنشر ٠٠ وهى مؤسسة قومية للصحافة مثلها مثل مؤسسات الأهرام والأخبار ٠٠٠ الخ ٠

وجرت العادة أن الصحف التى تطبع فى مؤسسة أخرى تكون مدينة ببعض التكاليف ريثما تتجمع الدخول من الاعلانات وحصيلة البيع ٠٠ وكانت الأهالى مدينة لدار التعاون بعشرين الف جنيه ٠

ببساطة اجتمع مجلس ادارة مؤسسة التعاون وقرر مطالبة الأهالى بدفع المبلغ الآن ٠٠ واليوم والا فانه سيحتجز العدد ليبيعه دشت (لن تزيد حصيلة ذلك الدشت عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ جنيه !) ٠٠ وطبعا عجزت ادارة الأهالى عن دفع ذلك المبلغ فورا ثم أنهـا أدركت اللعبـة ٠٠ ان الحكومة لا تريد نزول العدد للسوق لماذا ؟ تصور لأنه يحوى آراء النواب الذين عارضوا اتفاقيات السلام وقالوها تحت قبة البرلمان ؟! ٠٠

من يضمن بعد سـداد العشرين ألفا ؟ ان الحكومة لن تجد وسيلة أخرى لمنـع المجـلة ؟ ٠٠ ربما تعللت شركات التوزيع مثـلا بتعطل كل سيارات التوزيع عندها عن العمل ! ٠٠٠

هل هناك حماقة أكثر من هذا التصرف ؟ ٠٠

ان جماهير مصر فى معظمها لم تكن تعارض اتفاقية كامب ديفيد ٠٠ فلماذا الخوف من نشر آراء المعارضين ٠٠

وحتى اذا كانت أغلبية الناس تعارض الاتفاقية أليست اصـــول الديمقراطية أو بالأحرى بديهياتها هى احترام ارادتها ٠٠ والسماح لهـا بالتعبير عن رأيها حتى تعدل الحكومة عن عقدها لتلك المعاهدة ٠٠ أو على الأقل تناضل طويلا لاقناع الشعب بسلامة سياستها ٠

ان هذا المنهج الشمولى هو الذى دمر النظم الاشتراكية لقد كانت ارادة أغلبية الجماهير تتجاهل ولا يسمح لهـا بالتعبير عن نفسهـا ٠٠ وتفرض الأقلية الصفوة منهجها ووجهة نظرها فى منهج وصاية مقيت ٠٠ ثم فى النهاية ثارت الجماهير ٠٠ ودمرت كل تلك الأنظمة ٠٠ وضاعت حتى الدولة فى بعض الأحيان ٠٠

لقد أنتج المنهج الذى اتبعه السادات مع الأهالى ٠٠ خسارة لمكانته بين قضاء مصر ٠٠ خصوصا بعد أن بلغ العبث مداه عندما عين قاضى المصادرة هذا نائبا عاما ٠٠ وكنت تسمع فى نادى القضـاة ومجالسهم سخرية وتريقة هجوما غير مالوف على سياسة النظام كلهـا بسبب هذه الحكاية ٠٠ وأصبح القضاة يشتغلون بالسياسة علنا ٠٠ اذ طالبوا بالغاء الأحكام العرفية ٠ واشاعة الديمقراطية وعدم مصادرة الصحف ٠٠ ولمع

زعماء لهم مثل المستشار وجدى عبد الصمد الذى كان نائبا لرئيس محكمة النقض أيامها .. ورئيسا لنادى القضاة لأنه كان نموذجا للنزاهة والعفة والشجاعة والتجرد عن الهوى .. فتصدى بقوة ووراءه معظم قضاة مصر لأهواء السلطة .. خصوصا عندما زاد السادات الطين بلة .. عندما عين النائب العام الذى كان قاضى المصادرة وزيرا للعدل ! ...

ومن يومها أصبح نادى القضاة رمحا من رماح الدفاع عن الديمقراطية حتى يومنا هذا .. كما لو كان نقابة للمحامين أو الصحفيين !

واستفزت مصادرة الأهالى أيضا كل المثقفين الليبراليين ذوى الاتجاهات الديمقراطية وأحسوا بزحف موجة ساداتية معادية لحرية التعبير .. فاتسع نطاق الجبهة المعادية لنظامه وأصبح الجميع على يقين من أنه قد تقمص شخصية الديكتاتور ...

وقد يقبل الناس الديكتاتور الى حين .. اذا كان يوفر لهم الغذاء والكساء .. واذا كانت سمعته المالية طيبة ويبدو عازفا عن عرض الدنيا الزائل ..

ولكن الأزمة الاقتصادية كانت قد بدأت تستحكم .. والفوارق الطبقية تتضح فى شكل يثير الدهشة حتى أن السادات بدأ يتكلم عن ظاهرة الحقد فى المجتمع .. وهو المسئول عن خلقها .. بهذا الاطلاق لقوى الثراء دون أى حدود فى الوقت الذى كان النظام عاجزا تماما عن حل مشاكل الاقتصاد ..

وبالتالى فان الديكتاتورية فى مثل تلك الأحوال تبدو شيئا بغيضا مكروها .. ولذلك كان من السهولة جدا ترويج حتى اشاعات عن زواج جديد للسادات لأن البعض رآه مع ابنته فى سيارته .. وخلقوا للزوجة الجديدة أبا هو أحد المحافظين .. مع أن القصة خياليا تماما .. لكن الناس صدقوها لأنهم غير مرتاحين الى أسلوب الحاكم فى مواجهة مشاكلهم ..

وعدم الارتياح هذا تطور الى تذمر وضيق بما يقوله السادات فى الاذاعة والتليفزيون خصوصا عندما كان يحتكر الشاشة ساعات طوالا .. وكلما أدار الناس محطة وجدوه أمامهم .. فسخط حتى الأطفال فى البيوت .. وبدأت تنتشر النكات الساخرة .

ويدهش المرء كيف لم يكن المسئولون عن الاعلام يقولون للسادات ان مسألة اذاعة خطبه عدة مرات فى الاذاعة والتليفزيون خطأ فادح وأن أغلب الناس يغلقون أجهزتهم فى سخط .. عندما يرونه يتحدث ! ..

ولم يكن فى معظم تلك الأحاديث ما يغرى بالاستماع أو أى جديد يشير الى قرب أو وسيلة خروج الناس من أزمتهم !!

بل ان الأمر استفحل فى عهد السادات الى حد أن بعض الناس كانوا يصطنعون أشرطة يسجلون عليها بصوت يقلده خطبا مزعومة منسوبة اليه تثير السخرية بين الناس وهم فى البيوت ٠

ولم تكن هناك قوة سياسية قد بقيت تناصر السادات حتى يمكن أن تمنع هذا السخط الجماهيرى أو الانهيار المتسارع لسمعته التى كسبها بمواقفه الوطنية وانجازاته الضخمة من قبل ٠٠

فالتيار الدينى كان التناقض معه يتصاعد ٠٠ وحزب الوفد قد سلط مشرعيه وترزية القوانين تلك الظاهرة التى بدأت فى عصر السادات ٠٠ كى يلغوا الحزب وتكل بالرجل الثانى فيه بعد زعيمه فؤاد سراج الدين المرحوم عبد الفتاح حسن ٠٠

وحزب اليسار قد أصبح فى عداء مقيم ضده وأثار اليسار العالمى ضده وشوه سمعته ٠٠

والجمهور العادى أصبح شغوفا بتتبع أخبار الفساد واشاعات الفساد فى البلاد التى طالت رئيس الجمهورية ذاته ٠٠ والتى ساعد عليها أنه قد صاهر أغنى الأغنياء فى مصر ٠٠ فقيل دائما ان أموال الأصهار كانت الستار لاخفاء أموال الأسرة الحاكمة ٠٠ كما كانت بعض الصحف الغربية تشبه نظامه بحكم الأسر الملكية فى العالم واذاعة ليبيا تصفه بأنه خديوى مصر ٠٠

وكان اعلامه وصحفه تلهث أمامه تشجعه على هذا الطريق ٠٠ والاستمرار فيه ٠٠ وصحف الغرب قد زينت له طوال عامين بعد المبادرة التاريخية ومن أبرز انجازاته بأنه قد أصبح زعيما عالميا يشار اليه بالبنان٠٠ فتملكه الغرور ٠٠

لم يكن هناك أحد يقول له قف يا سيادة الرئيس ٠٠ فكر قليلا ٠٠ وتأمل ٠٠ وانظر من حولك ٠٠

وكانت جيهان السادات تاتى له ببعض أساتذتها وكان أغلبهم من ذوى الميول اليسارية مثل سعد الدين ابراهيم ومحسن جابر وعصفور وغيرهما ٠٠ يحدثونه بصراحة كاملة عن تدهور الأوضاع ولا جدوى ٠٠ بل انه اعتقل بعضهم فى حملة سبتمبر وفشلت تماما فى الافراج عنهم رغم أنهم كانوا أساتذتها ولم يشفع ذلك لهم عنده وكانه اعتقال مبدئى لأسباب مبدئية سينهار العالم بسببها ٠٠ ولكنه الجزع ٠٠ والتربية السياسية الشمولية طفت جميعا على السطح فكان فيها الهلاك ٠٠ هلاك صاحبها أولا وأخيرا ٠٠

وصاحب ذلك عملية نهب مستمرة لقوت الشعب واتجاه نحو تجاهل مشاكله تماما .. وسنضرب مثلين هنا .. كان موقف السادات فيهما سليما ومنحازا للجماهير لكن وزراءه كانوا ضد هذا الانحياز تماما ..

العملية الأولى خاصة بأسعار الغذاء .. وفى موضـــوع الخضروات بالذات .

والعملية الثانية خاصــة بأسعار الأرض وحل مشكلة الاســكان فى مدينة العاشر من رمضان عند بداية انشائها ..

كان السادات يبين للناس أنه يفهم عمليات التلاعب فى الســوق ودور الوسطاء السيء ورأينــاه فى التليفزيون يقول أمـام الناس موجها الحديث لعثمان أحمد عثمان : يا عثمان تصور أنهم بياخدوا كيلو البطاطس من الفلاحين بستة صاغ وبعدين يروحوا يبيعوه بخمســة عشر قرشــا التسعة صاغ الفوق تروح فين ؟ ليه يا عثمان ماتعملش شركة تاخد من الفلاح وتبيع على طول ب ٨ صاغ النقل والمكسب كفــايه قوى قرشين صاغ ؟ فتكون النتيجة ان عثمان يقيم شركة اسمها الأمن الغذائى توصل فيها المسالة أن البطاطس تباع بنفس أسعار السوق وأكثر ! .. أى أن قرارات السادات طبقت لتحقيق مكاسب أكبر لمن طبقوها !

مثل آخر ما حدث فى أرض العاشر من رمضان حيث أيامها كانت المرافق تكلف ٣ جنيهــات فطلب الســادات فى التليفزيون من المهندس حسب الله الكفراوى قــائـلا يا حسب الله أنا عارف ان مرافــق الأرض بتكلف ٣/٤ جنيه كفاية تكسبوا فيها ٢٥ قرشــا وبيعوها بثلاثة ونصف جنيه المتر فيقول حسب الله الكفراوى : طب يا فندم تسمح لنا نبيع القطعة الممتازة ب ٥٪ جنيه فيرد السادات : مافيش مانع اذا كانت فى وسط البلد تفتح مسارح وسينما وغيره . واذا بالذى يحدث بعد ذلك أن ادارة مدينة العاشر تبيع المتر بخمسة وعشرين جنيه .. وهكذا ! ..

والسادات يعرف وموجود ومع ذلك لا يأخذ أى خطوة لاصلاح الموقف وكل الذى كان يعمله أن يعطى للجماهير آمالا كاذبة ويردد أننا نعيش أمجد أيامنا والحقيقة أنها أمجد أيامه هو .. وكن سعيدا بما ينعم به ويقول فخورا أنا ماكنتش أحلم باللى وصلت اليه ويحكى أنه كان بيحلم ببيت بالطوب الأحمر والآن هو بالقيشانى ! . ويقول ان الله أعطانى أكثر مما أتمنى والمفروض أن أى حاكم وصل الى منصب الحكم لا يبدى سعادته وتنعمه بهذا الحكم لأن مسئولية الحكم الحقيقى كبيرة وشاقة جدا والمنصب تكليف لا تشريف ولهذا كانت مثل هذه التصريحات من الســادات تثير سخرية الناس فى شهوره الأخيرة ! ..

الانفتاح ٠٠ فى الأصل ٠٠ وفى الواقع ؟!

(الانفتاح الاقتصادى كما يظهر من كل ما تقدم سياسة اقتصادية تستهدف فى النهاية تنمية المجتمع عن طريق اطلاق طاقاته الانتاجية ٠٠)

هكذا عرف ممدوح سـالم رئيس الوزراء أيام السادات الانفتاح الاقتصادى والهدف منه (التنمية) ٠

ولكن التنمية لحساب من ؟ ٠٠ أى أين موقع التوزيع من تلك التنمية ٠ اجاب ممدوح سالم أيضا على السؤال وهو يعـرف الانفتاح الاقتصادى فقال بالحرف الواحد :

(أما توزيع ناتج هذه التنمية فسيبقى دائما محكوما بقاعدة العدالة التوزيعية وما تتضمنه من رفض لكل صور الاستغلال) ٠ مرة اخرى أين موقع (الاشتراكية) فى هذا الانفتاح ؟ ٠٠

وهو الأمـر الذى كان يقلق أنصـار ثورة ٢٣ يوليـو والناصريين واليساريين بشكل خاص أيامها حين لم يكن يدور بخلد أحد أن الاشترا لية أو تطبيقها فى اى مكان فى العالم خصوصا الاتحاد السوفيتى سينكشف أنها زيف وفقر وخراب !! ٠ حدد رئيس الوزراء أيضـا أن الانفتاح « ليس خـروجا على الخط الاشتراكى أو عدم الالتزام بمفاهيم التخطيط أو الرقابة وليس ترويجا لمجتمع يفقد الضوابط أو عوامل التنظيم وليس دعوى للفواضى أو التضارب أو اطلاق التناقضات ٠٠ ولكنه اعادة صياغة للتنظيم الاقتصادى بحيث يتاح لعناصر الانتاج ومصـادر الثروة القومية العامة والخاصة ما يمكن أن يدعمها من الموارد الأجنبية أن تشـارك فى استثمار الفرص الاقتصادية وتكوين الناتج القومى متحـررا من القيـود البيروقراطية والقانونية وفقا للمصلحة القومية الشاملة »

وهذا الذى قاله رئيس الوزراء جاء تقريبــا فى ورقة أكتوبر التى أصدرها أنور السادات واستفتى الشعب عليها ٠

ولم يكن فى هذا ما يمــكن أن يثير الاعتراض حينذاك ٠٠ فلا هو خروج عن خط التنمية التقدمى الذى اختطته ثورة ٢٣ يوليو منذ اجراءات يوليو المشهورة ٠٠ ولا هو قرار بالتنمية الرأسمالية وفقا لمبادئ الاقتصاد الحر التى كانت مكروهة وقتها ! ٠٠ حتى لو تضمن تســهيلات جديدة للرأسمالية الوطنية لاستثمار رءوس أموالها ٠٠ وقال الاشتراكيون أيامها أن أى دولة اشتراكية فعلا فى العالم تقوم ببعض التراجعات أمام بقــايا الرأسمالية وتعطيها الفرصة للنمو لتنشيط الاقتصاد القومى والتغلب على صعوبات اقتصادية موجودة ٠ وضربوا مثلا ما حدث فى الاتحاد السوفيتى عندما أعلن لينين السياسة الاقتصادية الجديدة (النب) وقال يومها خطوة الى الوراء من أجل خطوتين الى الأمام حتى يمكن التغلب على التدهور فى الاقتصاد السوفيتى بعد نهاية حربين : حرب التدخل ٠٠ والحرب الأهلية ٠

ويومها هوجم لينين أيضا ٠٠ وهللت صحف الغرب (للتراجع عن الاشتراكية والعودة الى الرأسمالية) ٠

وكانت الظروف الاقتصادية فى مصر وقتها سيئة ٠٠ ونكتفى بايراد بعض الأرقام والمعلومات من حديث ممدوح سالم أمام مجلس الشعب فى ٢٨ يناير ١٩٧٦ : فى خلال العشر سنوات الماضــية تزايد الانفاق العام من نحو ٦٠٠ مليون جنيه فى ١٩٦٦/٦٥ ـ الى ما يزيد عن ٢٠٠٠ مليون جنيه فى ١٩٧٥ ـ وذلك فى الوقت الذى ارتفعت فيه موارد الحكومة من ضرائب مباشرة ـ وغير مباشرة ـ من نحو ٥٠٠ مليون جنيه ـ الى نحــو ١٠٠٠ مليون جنيه فقط ـ الأمر الذى أدى الى ارتفاع عجز الموازنة الجارية للحكومة ـ من نحو ١٠٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٦٥ الى نحو ١٠٢٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٧٥ ـ بالأسعار الجارية وهو يمثل زيــادة مضاعفة فى الانفاق العام ٠

كما ارتفعت معدلات الاســتهلاك الفردى ـ الحقيقية ـ خــلال العشر سنوات ٦٥ ـ ١٩٧٥ ـ من نحو ٦٧٪ من الدخل القومى ـ الى نحو ٨٠٪ ـ فاذا أضيف هذا الى أرقام الانفاق العــام نقص الادخار الواجب تحقيقه من أجل مواجهة أعباء الاستثمار الى مستويات شديدة الانخفــاض وزاد الاعتماد فى تمويل الاستثمارات بل وبعض ضرورات الاستهلاك على الموارد الخارجية ـ وليست الزيادة فى الاستهلاك ـ أمرا غير محمود ـ فى حد ذاته ـ اذا يعبر عن ارتفــاع مستوى معيشة الأفراد ـ الا أن هذه الزيادة ـ وقد تعدت امكانيات المجتمع وقدراته الانتاجية فقــد أصبح من

اللازم ــ كما أعلنت الحكومة من قبل ــ العمل الجاد على ترشيد الاس
الفردى والعام دون اضرار بحاجيات الفئــات محدودة الدخــل سب
الانتاج المحلى لايفى باحتياجات الاستهلاك الا فى حدود ٤٣٪ ــ بالن
للقمح ــ و ٨٠٪ بالنسبة للذرة ــ و ٧٠٪ من الفول والعدس ــ و
من السكر ٠ كما ارتفع الاستهلاك الفردى من السلع الصناعية المر
بمعدلات سريعة ٠

وأصبح معروفا فوق ذلك أن حجم ديون مصر يزيد عن ٢٧٠٠
جنيه منها ٢٢٢٠ مليونا بالعملة الصعبة هذا غير الديون العسكريا
لاتقل عن ٢٠٠٠ مليون جنيه أخرى ٠

وهذه الأزمة الاقتصادية لم تكن نابعة من تنمية فى طريق رأ
أو ما شابه ذلك ٠٠ انما نبعت من ظروف الحرب والتنمية الاقتصــادية
اختطتها مصر منذ ســنوات عديدة ٠٠ فقد أرهقت الحرب وتضـ
الميزانية المصرية ولا شك ٠

أضف الى ذلك أن الكثير من المصانع الضخمة التى اقمناها لم
تعمل بطاقاتها الانتاجية الكاملة لقلة قطع الغيار أو عدم وجـود الخ
أو لتفشى الادارة البيروقراطية وأعمال النهب والسلب ٠ ازاء هذا ال
المتدهور قررت الحكومة اتباع سياسة الانفتاح وأثارت كلمة الانفتاح
ضجة كلامية ضخمة اذ تصور بعض الاشتراكيين أن ذكرها يعنى أنه
هناك انغلاق عن التطور الاقتصــادى عمدت اليه الشـورة فى مر
جمال عبد الناصر ٠٠ وبسطوا أيامها عددا من القضــايا للتأكيد عل
الثورة كانت منفتحة كما يأتى : مصر تريد أن تنمى نفســها على أ
اقتصادية مخطط وفى اتجاه لا رأسمالى سماه عيدا بالاشتراكية ٠

الاستعمار يحاصر مصر ويرفض مساعدتها فى التنمية بل يكيد
ويدبر المؤامرات ٠ حتى دفع باسرائيل الى الاعتداء عليها عام ١٩٦٧ ٠

كان نشاط الرأسمالية الوطنية مقيدا ببعض الشىء والاجراءات
حدثت من تأميم ومصــادرة أخافت رأس المــال من الاندفاع فى ات
لاستثمار أمواله لم يقدم رأس المــال الأجنبى والعربى الا فى حدود ٠
محرما بل كان هناك قطاع من الرأسمالية لم يمس قط وترك له الحبل
الغارب فى الاستثمار وهو قطاع ملاك عقارات البناء ولو تملكوا عما
بملايين الجنيهات ٠

رغم وضع عبد الناصر قوانين التسهيلات للرأسمال الأجنبى ل
لاستثمار أمواله لم يقدم رأس المال الأجنبى والعربى الا فى حدود ٠

ان هناك بعض الاجراءات (المتطرفة) ضد الرأسمالية الوطنية قد اتخذت لبواعث شخصية أو استبدال استغلال باستغلال من محاسيب النظام والطبقة الجديدة التى خلقها • وهذه الأخطاء هى التى تستغل الآن لمحاولة ضرب التجربة التقدمية كلها •

(عمليات الحراسة بالتليفون وتوزيع بعض المصانع على الأنصار والمحاسيب •• وتبديد ثروات القصور) •

انه لم تكن هناك أية رقابة شعبية من أى نوع على التنمية الاقتصادية بل ان عبد الناصر حرص عن عمد واصرار على ابعاد الاشتراكيين الحقيقيين عن أى موقع قيادى اقتصادى فلم يحدث الا فى حالتين أو ثلاث أن عين ناصرى اشتراكى فعلا أو ماركسى على رأس أى شركة •

ولعل القراء يذكرون نصيحة عبد الناصر للماركسيين فى اجتماعه بهم فى مجلة الطليعة عندما حثهم على عدم الاهتمام « بعرض الدنيا الزائل » من المناصب ويكتفون بالتبشير بالاشتراكية ! ••

وترجمة هذا الكلام •• دعوا الطبقة الجديدة تمسك بمقاليد الأمور وتستأثر بثمار الثورة واكتفوا أنتم بالدعاية للنظام وتحسين واجهة الاشتراكية !!

لم تجد مصر رغم كل محاولاتها أى معونة أو تجاوبا حقيقيا من الغرب فى التنمية الاقتصادية • ولذلك اتجهت الى الاتحاد السوفيتى •

ولهذا قالوا أن الثورة لم تحاول الانغلاق •• بل حاولت الانفتاح •• وكما هو معروف أن النظم والثورات الوطنية فى العالم الثالث كانت تود وتفضل أن تتعامل مع الغرب لأنه يمثل النظام الذى تنشده مع بعض التعديلات والتحويرات • وهى قد اضطرت اضطرارا فى ظروف تاريخية معينة الى التعاون مع (البلاشفة الملاعين) •

والذى قبل هذا الانفتاح هو الشرق •• ودول عدم الانحياز وهى فى حد ذاتها لا تقدم ولا تؤخر كثيرا فى عمليات التنمية • ولقد كتبنا فى عام ١٩٧٦ فى كتابنا (رفض الرفض) أن ثورة يوليو حاولت الانفتاح •• على العالم الغربى والشرقى •• ولكن لم يفتح الباب الا للشرق أساسا •• ولكن ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر وضعت سياسة انغلاق نسبية بالنسبة للنمو الرأسمالى فى الداخل •

الحقيقة التى لايمكن انكارها أن الرأسمالية المصرية كانت تحس خلال عهد عبد الناصر أنها فى المصيدة •• وأنها مهددة دائما اذا ما حققت نموا متزايدا أن تضيع الثروة فى لحظة من أيديها • ولكن الشىء المؤكد

أن ذلك قد اكتسب عطف الجماهير في البداية .. لكن كلما تفشت ظاهرة الطبقة الجديدة جنبا الى جنب مع الارهاب استطاعت تلك الرأسمالية أن تستعيد عطف الجماهير الى جانبها هي بل وسخطها أحيانا على (الاشتراكية) .

لأن الناس بدءوا يرددون ما الجديد اذن ؟ . أزلنا طبقة رأسمالية قديمة وجئنا بطبقة جديدة أكثر شرا ؟ . فضلا على أنها تخلت عن كل التراث الديمقراطي التقليدي للرأسمالية المصرية وسامت كل القوى السياسية عذابا وأشاعت الارهاب في الشعب كله .

ومن هنا يمكن أن نفهم معنى قول الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي بعد حركة ١٥ مايو التصحيحية أن الاستعمار والصهيونية لو أنفقا بلايين الدولارات لتشويه معنى الاشتراكية لما حققا نجاحا كما حدث خلال السنوات التي سيطرت فيها مراكز القوى ولقد كان الانفتاح الذي حدده أنور السادات في خطبه وورقة أكتوبر وعلى لسان المسئولين معه أنه يعني :

١ ـ فتح الباب أمام الرأسمالية الوطنية لاستثمار ما تملكه من أموال .

٢ ـ فتح الباب أمام الرأسمال الأجنبي والعربي .

٣ ـ ازالة القيود على الاستثمار واعطاء تسهيلات لتشجيع اجتذابه هذه الفرق الرأسمالية للاستثمار ويعني ذلك طمأنة رأس المال من (أخطار) التأمين والمصادرة والحراسة . وذلك بتقنين النظم وفرض ما يسمى بسيادة القانون .

٤ ـ يتبع فتح الباب للرأسمال الأجنبي البحث عن أسواق للتبادل التجاري مع الغرب وعدم الاكتفاء بالشرق واشترطت الدولة أن تكون كل أنواع هذه الاستثمارات من أجل تدعيم الاقتصاد الوطني .

ولكن ما معنى تدعيم الاقتصاد الوطني ؟

أولا : أن يكون الاستثمار من أجل اضافة كم للانتاج يعوض العجز الموجود والذي أشرنا اليه من قبل .

ثانيا : ألا يكون ذلك الاستثمار وسيلة لاجهاض الصناعة الوطنية واصابتها بالشلل .

ثالثا : أن يكون الاستثمار دفعا لخطة التنمية التي ترسمها الدولة .

رابعا : ان ذلك انفتاح لايتم على حساب القطاع العام أى لا يكون معول هدم له ولذلك نص الدستور على أن القطاع العام هو قائد عمليــة التنميــة .

الى هنا ولا يوجد أى خطأ أو (انحراف) فى الانفتاح .. ولو أنه طبق كما قرره ورسمه المسئولون لما حدثت تلك الضجة التى أثارها ناقدو الإنفتاح أو خصومه ولما حدثت الآثار السلبية الرهيبــة للانفتاح والتى مازال يعانى منها الاقتصاد المصرى حتى يومنا هذا .. ولعل أخطر هذه السلبيات أن الطبقة التى خلقها الانفتاح أصبحت أقوى من كل شيء وافتسلت الى حد كبير كل شعارات الانفتاح الانتاجى التى رفعهــا حسنى مبارك منذ أن جاء رئيسا للجمهورية عام ١٩٨١ .. وأصبح لدينا فى مصر نوعان من الرأسمالية خصوصا بعد أن ألغى الســادات تأميم الصراع الطبقى الذى وضعه جمال عبد الناصر وكان يفخر به الأستاذ حسنين هيكل رغم أنه ضد طبائع الأمور وان كان هناك من فضـــل لأنور السادات فى هذا المجال فانه قد اعترف بالواقع الاجتماعى وتناقضاته فى المجتمع المصرى .. فهناك الرأسمالية الوطنية (المنتجة) أى التى تملك مؤسسات ومصانع تضيف كما الى الانتاج القومى .. وهذه الفئة هى التى تعنيها ســياسة الانفتــاح حقا وهى تريد أن تفك القيــود التى كانت تحول دون تطويرها ونمــوها .

ومثل تلك الفئة تلعب دورا تقدميا فى داخل سياسة الانفتاح وهى التى يعنيها أنور السادات (دع الناس الذين يكسبون فقط يؤدون ما عليهم للدولة) .

وهــذه الفئــة مع ترحيبهـا بالرأسمال الأجنبى إلا أنها تكون حذرة ألا يحطم صناعاتها بتفوقه عليها .. كمـا أنهـا ترحب بالتقدم التكنولوجى لتطوير صناعاتها لتسيطر على السوق تماما .

وجزء كبير من هذه الرأسمالية الوطنية يتمسك باستمرار التعامل مع بلاد المعســكر الاشتراكى لأنه المشترى الأول لانتاجهـــا (من ملابس وأثاث ومصنوعات جلدية ومشروبات .. الخ)

وثمة خطر طبعا أن تنمو تلك الطبقة الرأسمالية الوطنية الى أن تصبح رأسمالية كبيرة وتتشابك مصالحها فى المستقبل مع الاحتكارات الأجنبية وتتحول تناقضاتها معها الى تناقضات ثانوية وتستدير الى الشعب فى شراسة لخنق الديمقراطية !

ولكن الخطر الحقيقى والحالى .. هــو ذلك القطاع من الرأســمالية المصرية وهى الرأسمالية التجــارية الربوية أو مــا يسمى بالرأسمالية

الطفيلية . وهذا القطاع هو (ركيزة اليمين المصرى .. بل هى أكثر فئات ذلك اليمين تخلفا حتى استحقت لقب (اليمين البيومى) . فهذا القطاع من الرأسمالية ليس منتجا .. انه لا يضيف جراما واحدا الى الانتاج القومى .. انه يلعب وينهب من أموال المجتمع أساسا .. تنتقل الأموال من جيب المستهلك الى مثال هولاء التجار والمرابين والوسطاء .

والبعض منهم يعمل وكلاء للفبارك العالمية .. وهم من اصطلح على تسميتهم (بالكومبرادور) وهم أحط فئات الرأسمالية وأكثرها وضاعة .. وشراهة وأكثرها حفظا وحرصا على (قواعد) السلوك الدنىء والخسيس واللصوصية !

انهم خصوم اية تنمية اقتصادية فى البلاد .. فالواحد منهم يفضل طبعا أن تموت صناعة السيارات فى مصر كى يستطيع بيع السيارات الأجنبية .. التى (يتشرف) بالوكالة عن احتكارات أمريكا وأوربا فى بيعها للمستهلك المصرى .

والكثير من هؤلاء الكومبرادوريين من الحثالة والصعاليك ويكفى أن يركب الواحد السفن الايطالية بين ايطاليا والاسكندرية ليرى قطاع القراصنة وحاملى السكاكين و (الشبيحة) والمهربين وهم يحملون بضائع الانفتاح الى مصر اما لحسابهم أو لحساب سادتهم من الصعاليك الوجهاء الذين سيصبحون مليونيرات بعد قليل .

وهؤلاء يشكلون عصابات بمعنى العصابات يرشون الاداريين .. ورجال الشرطة ويرهبون الناس ورجال الشرطة أيضا .

وهؤلاء يودون لن تتحول مصر كلها الى مدينة حرة .. الى هونج كونج وتملؤها الشركات الأجنبية ليحققوا الثراء من العمولات والسمسرة والخطف والرشوة والدعارة وربما التجسس والتخريب .

كما أن هناك صعاليك للبروليتاريا هناك صعاليك للرأسمالية ! ..

هذه الرأسمالية الطفيلية بفئاتها جميعا .. ليست وليدة سياسة الانفتاح فقط .. انها نمت واتسعت وكبرت وتضخمت بعدها بفضل انفتاح أنور السادات الذى أتى بعكس النتائج التى أعلنها نظريا .. حقا بل وأصبح صوتها عاليا ولها علاقات بأجهزة الحكم ونفوذ وتعيث فى تلك الأجهزة رشوة وفسادا .

لكن الحقيقة أن هذه الطبقة تضرب بجذورها الى المجتمع الاستهلاكى الذى بدأت الثورة بقيادة عبد الناصر فى السماح به خطوة خطوة بعد هزيمة ١٩٦٧ .

اننا نؤكد أن البضائع المستوردة كانت على الأرصفة فى استحياء من قبل ! ٠٠ ولكنه بعد ١٩٦٧ تساهلت الدولة فاتسع انتشارها ٠٠ ثم سنت قوانين لتسهيل استيراد السيارات وغيرها ٠٠ وكان الهدف حينذاك (رشوة) الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة فى المدن لتسكت وتتلهى بالاستهلاك مادام حل القضية الوطنية سيأخذ وقتا طويلا من المساعى الدبلوماسية بعد الهزيمة العسكرية الساحقة ٠

ولابد أيضا ان نتذكر ان وضع الكثير من رجال النظام وخاصة الذين خرجوا من الجيش على رأس مؤسسات اقتصادية وهو ما كان محل اعتراض قلة من المسئولين فى ذلك الوقت هولاء الذين تولوا مسئولية شركات القطاع العام دون رقابة شعبية أو محاسبية قد تمكنوا من جمع ثروات كبيرة (خفية حقا ولكنها كانت كبيرة) سواء من نهب الشركات أو الحصول على عمولات من الشركات الأجنبية والمحلية ٠ وكان هناك أيام عبد الناصر مجال رأسمالى لم يمس قط كما قلنا من قبل وهو مجال الاسكان بحجة تشجيع البناء للجماهير ٠٠ ومن هنا اتجه أولئك الى ذلك القطاع يشيدون العمارات الضخمة بمئات الألوف من الجنيهات دون خشية من تأميم ٠

ليس صحيحا أنه لم يكن هناك أصحاب ملايين أيام عبد الناصر ٠٠ ونظرة الى كشوف العوايد فى بلديات عواصم المحافظات ستجد أفرادا كانوا يملكون عمارات قيمتها ملايين الجنيهات ٠

كان من الطبيعى أن سياسة الانفتاح التى الغت الكثير من القيود على الاستثمار الراسمالى أن تخرج الثروات المكدسة (وما تحت البلاط)٠ ويتجه الكثيرون الى الاستثمار السريع ٠٠ وما دامت القيود قد أزيلت فان الباب مفتوح لأى مجال من مجالات الاستثمار الرأسمالى ٠

ويرتبط بتحرك هؤلاء الطفيليين فى أى مجال من مجالات الاستثمار دعواهم المستمرة للعودة الى الاقتصاد الحر الكامل أو بالقليل تحويل القطاع العام الى جزيرة وسط تنمية رأسمالية شاملة تجارية وكومبرادورية أساسا ٠

هذه هى القوة الاقتصادية التى حاولت تحويل الانفتاح فى مصر الى انفتاح سمسرة وبوتيكات الاستهلاك وشارع الشواربى والشقق المفروشة وتنظيمات الدعارة السرية والتى عبر عنها الأدب والسينما المصرية والمسرح كثيرا خلال السنوات الخمس عشرة الماضية وخاصة فى عهد حسنى مبارك ٠

وهى التى تتجه الى الاستهلاك فى شراهة مروعة دون خجل أو حياء .

ولقد أثبت هذا القطاع من الرأسمالية المصرية أنه فاجر وقصير النظر اذ يرتكب بكل يوم أعمالا استفزازية للجماهير مثل نهب أموال بنوك الدولة وبناء العمارات المنهارة مقدما .. وتقاضى خلو الرجل بفحش وبيع الشقق بعشرات بل ومئات الألوف .. الخ مثل تلك الأعمال التى تؤكد صدق الموضوعية السياسية القائلة (أن الرأسمالية تحفر قبرها بيديها !) .

أين يقف السادات ؟

اذا كنا نقول الآن ان هناك قوى اجتماعية تدفع بالانفتاح الى اتجاه غير الذى تريده الدولة .. وأن هذه القوى الاجتماعية هى اليمين المصرى .. فأين كان موقع أنور السادات من هذه القضية .. لنقرأ ما كان يقول نظريا مرة أخرى .. ماذا قال فى رسالته المشهورة لمجلس الشعب :

(ان الشعب يشكو من بعض مظاهر تكدس الثروات بطريقة طفيلية عند البعض كما قلت فى خطابى ..

انا ضد الثروات الطفيلية .. سمسرة .. مغامرة .. مضاربة ومتاجرة بأقوات الشعب .

أنا ضد كل هذا ولابد ان تكونوا كلكم ضده لأنه ضد مصالح الشعب) .

وقال السادات :

(ان فى مقدور شعبنا أن يتحمل صابرا الى أقصى المدى ولكن بشرط أن يكون التوزيع عادلا) .

(ولو أننا كشعب عشنا على نصف رغيف فقط بالتساوى لتقبل شعبنا . بل حينذاك يعيش ويصمد سنين شريطة أن نعيش جميعا على نصف رغيف فلا يكون بيننا من يأخذ رغيفا بينما يأخذ ثان نصفه ويأخذ ثالث رغيفا ونصفا) !

ويبدو هنا ان راس النظام يفطن الى المتلاعبين المنحرفين بالانفتاح الذين تحدثنا عنهم .. ويوجه الأنظار اليهم بل ويتطرف فى العدل الاجتماعى ..

وماذا كان يقول السادات عن الاشتراكية .

فى خطابه لمجلس الأمة فى ١٤ ابريل ١٩٧٥ يقول (نحن قوة من قوى الثورة الوطنية فى هذا العالم تسعى الى الحرية ونقاتل دفاعا عنها ونعتقد ان مصير الحرية لا يتجزأ ونحن وسط قوى هذه الثورة طليعة من طلائع الاشتراكية) .

وهو يلفت نظر الوزراء وهم يحلفون اليمين الى من يجب أن يتوجهوا بانتباههم فيتحدث عن الذين ضحوا فى معركة ٦ أكتوبر (ان الجندى عبد العاطى الذى أصاب ٢٣ دبابة .. وهو رقم قياسى فى الحروب كان مواطنا من الشرقية من أبناء الفلاحين . ولقد شاهدت تدريبات مذهلة قبل المعركة وكان الجنود من سوهاج .

ان الذى حارب المعركة هم أبناؤنا من العمال والفلاحين والمثقفين أبناء التحالف » .

ولكن الحقيقة غير هذا الكلام الذى كان يقوله السادات فى المجلس .. فقد كان له موقف آخر .. وكان سكوته على نمو الرأسمالية الطفيلية واستفحال شرها مقصودا .. ولم تكن صدفة أن كان هو الذى أطلق الشعار القديم الذى أطلقه الانجليز فى مصر وحفظوه (لنا) فى الكتب المدرسية أن مصر بلد زراعى .. ولا تصلح للصناعة .. فقد كان السادات يكرر هذه المقولة الخاطئة .. كما كان قد أوقف أى تخطيط للاقتصاد .. وتخلص من أى وزير ذى ماض تخطيطى . بدءا من د . عبد العزيز حجازى الى اسماعيل صبرى عبد الله الى د . حلمى عبد الرحمن .. وأصبح الانفتاح المصرى مضغة فى الأفواه . ومضحكة حتى فى العالم العربى الغنى أبو الاستهلاك ومبررا لقادته كى لا يقدموا لمصر المعونة .. الاقتصادية والاستثمارات ..

ماذا كانت نظرة السادات الحقيقية للرأسمالية ؟ ..

قال لى مرة : ان الرأسمالية المصرية خدعتنا ـ يقصد خدعت الثورة ـ عندما وراها جمال عبد الناصر العين الحمراء .. أخفت الفلوس تحت البلاط وتمسكنت وظهرت بمظهر الشحاتين .. يقفوا على باب الحراسة يطالبوا برفعهم الخمسة وسبعين جنيها الى مائتين أو حتى مائة .. وهى غنية وكانزة الفلوس ..

وهذا هو الخطأ فى سياسة عبد الناصر .. احنا لم نكن فى حسباننا أبدا أن نتنى على الرأسمالية .. كنا فقط لو فاكرين بيان الثورة وبرنامجها من الست فقط . القضاء على الاحتكار .. لكن تشجيع الرأسمالية الوطنية كان دورنا وده اللى ما عملوش جمال عبد الناصر .. سألته ..

ـ ما تعريفك للرأسمالية الوطنية ؟ ..

ضحك في سخرية .. وقال ناظرا الى وعيناه تكاد تضحكان وتقولان في نفس الوقت : يا ابنى انت لسه صغير !! وجاءنى هذا الاحساس فعلا ..

قال : انا اعرف الشيوعيين قبل ما تلعب انت في الشارع .. انت تعرف خالد محيى الدين قبلى ؟! .. انا اعرف حسن فؤاد احسن منك الف مرة .. وشهدى عطية الله يرحمه كنت اعرفه ولما قتلوه في السجن زعلت جدا عليه .. وقلت للريس بعد ما رجع من يوغوسلافيا ياريس مش على العمال والبطال العيال دول يموتوا الناس .. وشهدى ده صاحب رأى وها انت شفت له سمعة دولية .. الضباط الكبار دول سجانة .. اللواء بتاع الجيش ده سجان مش ضابط .. وايه اللى وداه في سجن سياسى زى ده عاوز معاملة الناس على « الخازوق » !!

قلت للرئيس السادات ..

اللى ماشى في البلد دلوقت مش راسمالية وطنية على الاطلاق .. لا فيه انتاج .. ولا تكنولوجيا .. وانما انفتاح استهلاكى ..

ادهشني انور السادات عندما قال بصراحة كاملة انه يعرف ذلك .. وانهم شوية حرامية ولاد كلب وهو مع ذلك راض بهذا وسايبهم بمزاجه ..

قال ..

اقول لك .. اصل انتم بتوع نظريات .. لما انا عاوز اشجع الراسمالى .. اى راسمالى يطلع الفلوس من تحت البلاطة .. والراسمالى كما تعلم جبان .. اقوم اعمل له شروط .. اقول الجنيه ده لازم تفتح بيه مصنع ولا تبيع به فجل ؟! .

اقول طلع يا ابنى انت وهوه الفلوس واشتغل بها ..

لو قلت لازم تصنع البلد بالفلوس .. يقول رجعنا تانى .. عاوزين ابنى مصنع علشان يؤمموه ..

لا توجد ثقة في الحكومة من الراسمالية .. ولازم الثقة تأتى بالممارسة والشغل .. الآن .. الحكومة تقول بس طلع .. طلع اللى عندك ..

وهم يطلعوا .. وده اللى يهمنى .. عشرة في المية حينفقوا الفلوس في السكة اللى انا عايزها .. الباقى سيسرف في الهلس اللى بتسموه

الانفتاح الاستهلاكى .. أقول لك يفى الانفتاح الاستهلاكى سيفيدنا ويفيد التنمية فى البلد ..

قلت ازاى ؟ ..

قال ..

هو الناس اللى عندها فلوس دى مش عاوز تصرف وتهيص .. انت نفسك سمعت ان عندك عربية مرسيدس .. علشان جالك قرشين .. ما كان ممكن تشترى ١٢٨ ولا ١٢٥ فيات .. لكن كل انسان ياسيد الستار عاوز يعيش أفضل وأحسن ما دام بيكسب .. هو الناس بتشتغل ليه ؟ مش علشان تستهلك ..

وسكت لحظة .. وهو سعيد كما يبدو لى أنه أمسك بلجام الحديث وبدا كما لو كان محاضرة والكلمات تتدفق منه ..

الاشتراكية بتاعتكم دى هدفها ايه .. مش الناس تعيش كويس والا تفضلوا تسبحوا باسم لينين بالغشم بتاعكم ده .. على فكرة انتم عبادة الفرد عامله غشاوة عليكم ومتأصلة داخلكم وعلشـــان كده انتم مش فاهمين عيوب الاشتراكية فى روسـيا .. أنا اللى عارف بس مش بتكلم .. لأنه صديقنا ومعانا ومش عاوز أزعلهم والا يقطعوا عنا السلاح ..

قلت وأنا فى أعماقى لا أصدق أن السوفيت عندهم عيوب جسيمة لا يريد رئيس الجمهورية كشفها حتى لا يسىء اليهم .. وكذلك لا أصدق أنهم يحجبون عنا السلاح كما يتحدث السادات عن ذلك بمرارة ..

ـ ازاى ياريس ..

قال ..

ـ أنا عارف كل حاجة .. دول شوية مثقفين عاوزين يوصلوا للحكم ضحكوا على البروليتاريا بتاعتكم دى وأنتم كذلك وبكره تشوف لـو قـدر الله وحكمتم البلاد . اياك تكون مصدق أن البروليتاريا هى التى تحكم فى روســـيا ..

هذه كلها دول كبرى .. لها مصالح .. ولا أيدولوجيات ولا مبادىء .. وكلهم حرامية ولكن أمريكا أفضل علشان حاجة واحدة ..

سألت فى فضول :

● ماذا ؟

ـ مافيش حاجة سر هناك .. اللى ياخد قرشين وشوية هناك نهاره اسود بكره الصحف تفضحه .. علشان كده النظام هناك عايش ومستوعب كل

حاجة حتى المافيا .. اما نظامكم فقافل على نفسه .. وكل مره أروح روسيا أحسن ان البلد ستنفجر ! .. وباين على كل واحـــد بعد الرؤساء الكبار يتوع الجمجمة انه تعب .. وعاوز يعيش واقول لك كان عاوز الصراع ده مع أمريكا يتوقف ..

وقال السادات كمن يقرأ المستقبل : وأنا رأيى ان التيـار بتـاع التعبانين ده هو اللى حيكسب فى الآخر .. والعسكرين حيتفقوا علينـا وبكره نشوف ..

لم أكن أصدق طبعا حرفا من هذا .. وأقول فى نفسى فى غـرور ماركسى تقليدى .. أصله برجوازى لازم فهمه كده !! ..

نعود الى رأى السادات فى حكاية الرأسمالية ..

كان يرى أن السلع الاستـهلاكية تشجع الرأسمالية على الانفاق وعلى عدم تهريب النقود للخارج ..

وكان يعتقد انه بمرور الزمن فانه ستحدث حركة توازن فى المجتمع بين الاستثمار فى مجال التنمية الاقتصادية الحقيقية وبين الاستهلاك

وعندما كنت أحاجيه فى هذا يقول ان هذا هو دوركم فى الاعلام .. ولما سألته مرة : كيف ؟ ..

قال .. أنتم تعملون دعاية للاســتثمار فى مجـــال الانتاج .. وتهاجمون الاستثمار فى الاستهلاك .. وتكشفون الفساد حول السماسرة والطفيلية ..

لكن أنور السادات فسر لى فى مناسبة أخرى ونحن نناقش الانفتاح وتركه الحبل على الغارب للرأسمالية تستثمر فى أى اتجاه ..

وقال كلاما خطيرا ..

سألنى .. أليست هناك علاقة بين السياسة الخارجيـة والسياسة الداخلية ؟ .. فلما أجبت بالايجاب .. قال

كيف أكسب ثقة أمريكا .. لايكفى أنى أتجه لمصادقتها .. وأشعرها أنه حتى الاتحاد السوفيتى لايستطيع أن يفيدنى بشىء .. انما لابد أن أطمئنها فى الداخل أنى أشجع الرأسمالية .. ولا مجال أبدا للعودة من جديد لعصر التأميم والحراسة ومصادرة حرية النشاط الخاص ..

لابد أن افتح الباب على الآخــــر ·· لتتأكد من هذا وتثق فينا ·· وتساعدنا مع اسرائيل ·· وكذلك تعطينا قروضا ومنحا ·· وحاجات ثانية أنوى أطالبها بها بس مش وقتها ··

ولما سألته ما هى ·· رفض ان يجيب على السؤال ··

واتضح بعد مرور عام تقريبا من هذا الكلام أنه كان يقصــد طلب السلاح من الولايات المتحدة ·· الذى كان بداية للاستغناء عن حتى التسلح من الاتحاد السوفيتى ·· ويومها طرح شعار تنويع مصادر السلاح حتى لايكشف عن اتجاهه الحقيقى بالتملص شيئا فشيئا من الاتحاد السوفيتى ·

سيدة مصر الأولى

المعارضون لحكم أنور السادات ٠٠ حددوا دائما أن واحدا من أسباب وقوع نظامه فى أخطاء استوجبت معارضتهم ٠٠ هو زوجته السيدة جيهان السادات ٠٠ التى استحدثت أو استعارت من الأمريكيين لقب سيدة مصر الأولى ٠٠ وهو لقب كنت أبدى لها اعتراضى عليه ٠٠ واقترحت عليها مرارا عدم استخدامه ٠٠

اتهموها بالتدخل فى شئون الحكم ٠٠ بل ووصل الأمر الى حد تعيين الوزراء ٠٠ واتهموها بأنها تقوم بنشاط يزيد عن الحدود التى يجب أن تقوم بها حرم رئيس الجمهوريه فى بلد « شرقى » وانصبت عليها التخرصات والاتهامات من جانب التيار الاسلامى بسبب أنها سعت فى جهد شديد لتغيير قوانين الأحوال الشخصية بما يعطى المرأة المصرية بعض الحقوق ٠٠

وجاء وقت اتهمت بأنها تدخلت فى شئون الدولة الى حد عقد تحالفات ضد نائب رئيس الجمهورية حسنى مبارك أيامها ٠

واتهمت بأن لديها نزعة كبيرة للاثراء والالفاق فى بذخ وتكوين الثروات واتهمت أن لها تأثيرا كبيرا على المرحوم الرئيس السادات ٠٠

ولا أستطيع فى الحقيقة أن ازعم أننى استطعت من خلال علاقتى بأنور السادات ثلاثة أعوام ومن استمرار صلتى بالسيدة جيهان أربع سنوات بعد قطعه علاقته بى ٠٠ أن اقول أنى قد استطعت أن أعرف أية معلومات تذكر أو ذات شأن عن الحقيقة فى هذه الاتهامات ٠٠

فالواقع أننى لم أحاول قط أن « أتعسس » اذا جاز التعبير من خلال علاقتى بالرئيس السابق تفاصيل عن واقع ما يدور فى الكواليس ٠٠ ولعل القارىء يلاحظ أنه فى كل حواراتى ومناقشاتى مع السادات لم أحاول

ان اسال سؤالا عن مسائل تفصيلية داخلية عن فلان وعلان وانما كانت المناقشات تدور حول سياسات وأساسيات ·· ذلك لأنى كنت أقول لنفسى انه لا شأن لى بما يدور داخل هذه الجدران ·· ولا معنى لأن أقحم نفسى فيها ·· فانا معنى فقط بالأمور العامة التى تهم البلاد ·· ولكل حكم اسرار لا شأن لى بها ··

ومع انه كان من الممكن ان اناقش او على الأقل أفتح أي موضوع لأن السادات وزوجته كانا واسعا الصدر جدا ··

لكن اغلب الظن انى لو كنت قد أبديت اهتماما بما يدور خلف الكواليس لكنت اما فقدت الثقة والاعتبار عندهما باعتبارى متطفلا فضوليا ·· أو لوجدت نفسى فى دوامة شلة من الشلل أعمل لحسابها عميلا او شبه عميل !!

لذلك أنا لا اعرف أكثر مما يعرف أى شخص آخر شيئا عن تدخل جيهان السادات فى شئون الحكم أو تكوين الثروات ·· وأنا أتحفظ عند كلمة « اعرف » ·· فكل هذه « المعلومات » اذا جاز تسميتها بمعلومات هى اشاعات ··

وما كان يعنينى قط ان يكون رئيس الجمهورية أو زوجته أثرياء ·· فانا اسلم جدلا أن أى حاكم يمكن ان يثرى ·· وكنت اتصور من قبل أن ذلك طبيعى فى النظم الراسمالية حتى اتضح للأسف انه طبيعى أيضا فى النظام الاشتراكى ·· بل الحكام فيه أكثر ميلا للثراء والفخفخة ··

كان الذى يهمنى من الحاكم فقط هو أن يعنى بمشاكل شعبه ويحلها ·· ثم يثرى أو لا يثرى هذه مسالة ثانوية بالنسبة للشعوب لأن النقراشى باشا مات وفى جيبه ثلاثة جنيهات فقط لاغير ·· ومع ذلك كان من أسوأ رؤساء الوزارات فى مصر ·· فقد كان زعيما للحزب السعدى أحد أحزاب الأقلية التى كانت برادع للانجليز والسراى ··

ولقد كان يهمنى بالنسبة لحرم رئيس الجمهورية انها تضرب مثلا للمرأة المصرية أنها تعمل بالشئون العامة وتؤكد معنى مساواة الرجل بالمرأة ·· وكنت أحمد لرئيس الجمهورية انه يسمح لزوجته ان تنشط فى الحياة العامة وتؤكد هذا المعنى فى وجه معارضته ومقاومة التيار الدينى المتشدد الذى يرى مكان المرأة فى غيابات البيوت والدور ··

ولقد كنت أعرف ان جيهان السادات تعمل منذ كان زوجها رئيس مجلس الأمة بالشئون العامة فى جمعية تلا ·· ثم فى مواساة جرحى حرب ١٩٦٧ ولكن دورها كان مطموسا خلال عهد عبد الناصر ·

ولذلك كنت متحمسا لهذا الدور ونشرت عنه الكثير ..

ولما احتككت بها .. وجدت لديها ذكاء وبديهة حاضرة ووعيا .. وفى مواقف بدت لى مختلفة عن سياسة خاطئة لأنور السادات فى بعض الأمور ..

ولكن اعرف أنها اتخذت بعض المواقف الخاطئة المتعلقة بشئون حسنى مبارك عندما كان نائبا لرئيس الجمهورية وقد عرفتها صدفة من بعض أطراف تلك الشئون .. ولا مجال للتفصيلات هنا ..

كما أنى لاحظت أن الوزراء كانوا يحرصون على حضور أى مؤتمر أو مكان تزوره ، كما أعلم أن فؤاد محيى الدين كان يلح عليها لحضور وافتتاح مؤتمرات حتى بالنسبة للصحة وهى لا شأن لها بهذا .

واذكر مرة اننا كنا فى ألمانيا الغربية وكان معها د . عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية ولاحظت أن أصحاب الاحتفال يهتمون بالسيدة جيهان ويكادون يتجاهلون الوزيرة وجيهان السادات لم تلحظ ذلك أيضا بحيث أصبحت الوزيرة شبه مستبعدة . وما كدنا نجلس على مائدة الغداء حتى تحدثت فى الموضوع مع السيدة جيهان وقلت لها بصراحة أن الوزيرة هى التى لها صفة رسمية فتقبلت النقد فورا وأصلحت من الأمر ..

وسأحاول أن ألقى بعض الأضواء على دور السيدة جيهان وشخصيتها من خلال بعض اللقطات والمواقف التى عايشتها .

ذات مرة كان لدى موعد لمقابلة السيدة جيهان السادات ..

وبادرتنى بالقول أنها ستسافر الى المكسيك لحضور مؤتمر المرأة العالمى على رأس وفد المصرى .. ثم قامت الى مكتبها وجاءت بورق قدمته لى قائلة هذه هى الخطبة التى سالقيها فى المؤتمر .. هل يمكن أن تقرأه ؟ فقرأت الخطبة .. بينما خرجت هى من الغرفة فادهشنى أن ليس فيها كلمة واحدة عن قضية فلسطين على الاطلاق .. كانت هناك افكار عن المرأة المصرية وتاريخها والمكاسب التى حصلت عليها .. لكن لا توجد اشارة عن قضية فلسطين .. قالت لى بعد أن عادت ما رأيك ؟ .. قلت يافندم انامندهش جدا من هذه الخطبة .. قالت لماذا ؟ .. قلت .. سيادتك تذهبى على رأس وفد مصرى فى مؤتمر عالمى .. زى مؤتمر المرأة هذا .. ولا تنتهزى الفرصة وتتكلمين عن قضية فلسطين وتشرحينها للرأى العام العالمى ؟ .. واحنا خارجين من حرب أكتوبر من سنتين تلاتة .. وهو احنا رايحين المؤتمر ده ليه ؟ يجب أن يكون هدفنا فيه هو الدعاية لقضية فلسطين .. واستثمار منبر عالمى لهذا .. قالت لى آه والله لك حق ..

وعلى الفور قالت لى ممكن تكتب لى أنت حديث عن فلسطين أضـــعه فى خطابى ؟ ... قلت لها هذا هيكون النقطة الأولى فى القضايا التي ستثار فى الخطاب .. يعنى الخطاب ستتكلمي عن مصر والمرأة فى مصر ... وبعد كده هندخل على طول على القضية العربية الأساسية والتى تهم مصر وتهم المرأة المصرية ... نتكلم عن دور المرأة الفلسطينية فى النضـــال والتضحيات التى تقدمها الأمهات .. قالت عندك وقت للكتابة لو سمحت ؟ ... قلت تحت أمرك .. قالت طيب .. وتركتنى وخرجت من الغرفة .. وأمسكت القلم وكتبت صفحة ونصف عن قضية فلسطين وعندما عادت قرأتها وانبسطت .. واخذت تكرر لى أنها لن تنس لى أبدا هذا الجميل .. وكنت أقول فى خجل جميل ايه ؟ .. قالت لى .. لا ده أنت أنقذتنى .. كان سيبقى شـــكلى وحش أوى ... انى أروح المؤتمـــر وماتكلمش عن قضية فلسطين ! .. وغريبة أوى ان فيه كذا واحد قرأوا الخطـــاب ده ولم يقولوا لى الحكاية دى أبدا .. لم يلفت نظـرى أحد للموضـــوع ده أبـــدا ؟! .

وضحكت أنا .. وقلت لها موش دول المستشارين بتوعكم اللى انتم بتختاروهم ؟ ... ضحكت وسكتت ..

بعد يومين تلقيت دعوة منها للانضمام للوفد الاعلامى المرافق لهـــا وللوفد المصرى .. ولما كنت مسـافرا الى لندن فقد حصلت على الفيزا من هناك ومنها لمدريد حيث التقيت بالوفد عنـــدما توقف وهو فى طريقـه للمكسيك .. حكاية صغيرة تكشف عن شخصية السيدة جيهان .. فى اليوم التالى كانت قد عقدت مؤتمرا صحفيا مع الصحفيين الأسـبان .. وتوجهت الى المؤتمر بقميص صيفى وبنطلون ولكن البوليس رفض ادخالى وقال لى لابد من ارتداء جاكت وكرافت فاشتريت (جاكت وكرافت) من محل قريب .. وأول مادخلت المؤتمر قالت السيدة جيهان السادات لى بالعربى انت اتأخرت ليه ؟ .. فقلت : أصلهم قالوا لى هات (جاكيت وكرافت) .. قالت ايه الكلام الفارغ ده .. كنت تقول لهم انك جاى لى .. وابعت لى واحدا .. لم تكن السيدة تهتم بالمظاهر انما بجوهر الأشياء .. وتعـرف كيف تتعامل مع الصحفيين ..

وأذكر مرة أن السادات استدعانى على عجل ونحن فى أسوان وكنت فى حديقة الفندق مرتديا بنطلونا وصندلا وذقنى طويلة ورفض اعطائى مهلة لأعد نفسى .. واستقبلنى وجلس معى أكثر من ثلاث ســـاعات دون أن يكترث بحالة البهدلة التى كنت عليها ..

طبقا أنا أود أن ألفت النظر هنـا الى .. أن هؤلاء الناس الكبار اذا كانوا يتعاملون معنا هكذا .. فهى تتعامل مع الموظفين تحت امرتها ومع

طلاب الحاجات ومع هذه الطبقة بطريقة مختلفة .. يعنى مثلا اذا دخل عليها وزير بغير كرافت تزعل وتتضايق .. ولكن لكل حالة لبوسها كما يقولون وربما كان سبب تعامل هؤلاء الكبار مع رجال الاعلام الذين يحترمون أنفسهم يعود الى أنهم يجدون أنفسهم فى وسط جو من البساطة التى عاشوها قبل كبر شأنهم بدلا من جو الزيف والتكبير والتعظيم والنفاق الموجود حولهم وهذه مسألة يستطيع أن تلمس فى المؤتمرات الصحفية أو الندوات الصحفية التى يعقدها رئيس الجمهورية مع عدد محدود من الصحفيين .. يتبقى المسألة بساط أحمدى .. وببساطة الناس تتكلم لكن الحاشية لا تستطيع بنفس البساطة اذ أن أى مسئول كبير فى رئاسة الجمهورية قد يظل شهرا مترددا هل يخاطب الرئيس فى موضوع معين ومعروف أن السادات كان قبل ١٥ مايو ١٩٧١ فى حالة عصبية جعلت فوزى عبد الحافظ يتردد فى ابلاغه بخبر حصار الاذاعة فور علمه به وعلى الرغم من صلته الوثيقة بالسادات ..

فى الطائرة كانت جيهان السادات تعاملنا معاملة ممتازة جدا وكان فى الطائرة أيامها المطربة فايدة كامل ونادية صالح وهمت مصطفى المذيعتان وآمال عثمان التى كانت ما زالت أستاذة فى الجامعة .. فكانت السيدة جيهان تخرج من الكابينة الخاصة بها وتجلس معنا على حرف الكرسى حتى تكون وسطنا وتحكى وتتكلم وتسأل وتدردش وتناقش وتتابع ما اذا كنا قد تناولنا طعاما جيدا ..

وفى داخل المؤتمر كانت المنافسة الأساسية بينها وبين اميلدا ماركوس زوجة رئيس الفلبين .. وذكرت لى جيهان السادات أن اميلدا تعمل فى المخابرات الأمريكية .. وحاولت اميلدا أن تنتزع التفات الناس حولها بالأزياء التى كانت ترتديها يوميا .. والجدل الذى كانت تقوم به والحاشية من الصحفيين الذين كانت تصحبهم معها .. لكن جيهان السادات فى الحقيقة كانت هى محور الاهتمام ومحط أنظار معظم أعضاء الوفود .. لأنها عقدت مؤتمرات صحفية ناجحة .. كما أنها تكلمت جيدا عن قضية فلسطين والمرأة المصرية .. وفى المؤتمرات كانت تتكلم بلباقة وتجيب بذكاء وكان يبدو أنها متحمسة جدا فيما تقول .. ولأول مرة أحسست أنها شخصية عالمية .. وكان واضحا أنها سعيدة بهذا تماما ..

واكتشفت أنه من السذاجة تصور أن المسئولين الكبار يكتفون بكونهم فى السلطة .. كلا .. هم بشر مثلنا يعجبهم الظهور والاهتمام بهم ..

فيسعدون بنشر صورهم ويهتمون بذلك .. ويسرون بطلبهم فى التليفزيون ويتكلمون فيه ويعقدون المؤتمرات الصحفية والكاميرات مسلطة عليهم ويعتنون بالوضع الذى يظهرون به أمام التليفزيون وكذلك أناقتهم

فقد كنت أرى جيهان السادات ببساطة شديدة عندما يأتي التليفزيون للحديث معها تدخل غرفتها وتعد نفسها وتسأل السيدات من أعضاء الوفد اذا كانت الهيئة تمام .. ثم تتحدث فى طلاقة وبطريقة مقنعة ومؤثرة ..

وبدت لى بساطة جيهان السادات عندما دعتنا حكومة المكسيك لقضاء يومين فى أكابولكو مصيف أصحاب الملايين فى العالم وانزلتنا فى فندق غريب لم أرى مثيلا له فى حياتى من حيث الفخامة والروعة .. وأخذوا يفرجوننا على الفندق .. وكانت جيهان السادات فى المقدمة فلاحظت أنها كانت مذهولة بالفخامة مثلنا وتعبر عن ذلك فى تلقائية وبساطة .. وكانت تعلق مع نساء الوفد تعليقات على ما ترى مثلهن وتضحك وتتنهد وتتعجب ! .. وأمام أحد مظاهر الترفيه الخيالية فى صالة من صالات الفندق التفتت الى وقالت اظن يا أستاذ عبد الستار الحزب الشيوعى المكسيكى هنا بقى شايف شغله مظبوط !

وذات مرة بلغنى أن السيدة جيهان تناولتنى بنقد شديد لم أجد له مبررا وفى لقاء معها سألتها عن الحقيقة .. فقالت فى دهشة غاضبة من الذى قال لك هذا .. لابد أن تقول لى .. فلما امتنعت قالت لى ضاحكة . أنت تعلم أنه لا يجوز اسناد كلام لحرم رئيس الجمهورية والا بقت فوضى قلت لها : مرسى الشافعى ..

على الفور أمسكت بالتليفون وطلبت مرسى فوجوتها ألا تفعل والححت عليها الحاحا شديدا فقد كانت فى حالة غضب شديد قائلا انها حكاية تافهة .. وليس معقولا أن حرم رئيس جمهورية تواجه أحدا فى كلام كهذا وأنا من الأصل لم أصدقه ..

وقالت لى السيدة جيهان السادات مرة .. انها ترى أمامها أناسا يقولون لها كلاما ضد آخرين ويخرجون .. ثم يأتى آخرون يقولون ضد الأولين كلاما ويخرجون ونبقى عارفين ان دول كذابين مع بعض .. فعلقت قائلا لها هذه دسائس القصور وأنتم طبعاً تستفيدون من هذا الكلام والتناقضات بين المتصارعين على رضا السلطان ! ..

فضحكت .. وقد كانت ذكية تفهم كل شىء ..

وأذكر مرة انني كنت أتحدث معها ناقدا أسلوب الرئيس فى التعامل مع بعض الكتاب بطريقة حادة وضربت مثلا بالأستاذ أحمد بهاء الدين الكاتب الكبير ..

ولم تتضايق من هذه الملاحظة ولا أكثر منها .. بل التفتت ناحية زوجتى يرحمها الله وقالت : أعمل ايه .. الريس يضرب وأنا الاقى ..

وهكذا كانت تفعل عندما يغضب الرئيس كاتبا لتعامله الحاد معه ..
وهذا هو تفسير استمرارها فى استقبالها لى .. بعد الموقف الخاطىء الذى وقفه منى السادات وتفسير بذلها الدور الأساسى فى اعادة العلاقات بين أنور السادات وكاتب كبير مثل الأستاذ مصطفى أمين ..

وفى أيام تأزم الموقف بين السادات والمثقفين كانت تحاول دائما المحافظة على رابطة وكبارى للتفاهم بينه وبينهم عن طريق التدخل فى مواقفه الخاطئة من مسألتى نقابة الصحفيين ونقابة المحامين وكذلك عن طريق أساتذتها الذين كانت تحثه على لقائهم ليستمع اليهم ليعرف شيئا عن الواقع الذى بدأ يزداد سوءا من حوله وهو غافل عما يجرى ويحيق به شخصيا من أخطار ..

ولقد كانت تقول دائما أن ما يجعلها تثق بى هو أننى قلت عندما سألنى رئيس الجمهورية عن موقفى عندما أمر بطرد الخبراء السوفييت من مصر أننى لم أوافق على ذلك الطرد وجزعت من ذلك الى حد البكاء !! ..

وكانت تردد هذه الحكاية أمام الجميع .. بينما أنا مندهش لذلك. فقد كان تصرفى فى نظرى أمرا طبيعيا .. وعاديا .. فما كان ممكنا أن أكذب على رئيس الجمهورية فقد كنت وما زلت أرى أننى اذا كذبت على أحد فلا يمكن الكذب على حاكم البلاد .. اذ لابد أن يعرف كيف أرى الأمور من وجهة نظرى .. فاحساسى بالمسئولية عن البلد لا يقل عن احساسه هو .. بل لعلنى قدمت تضحيات بسبب هذا الاحساس بالمسئولية مثله أو أكثر منه .. ولا يمكن أن أبصق على هذه التضحيات بأن أكون جبانا أو كاذبا .. أمام الحاكم الذى قد يستفيد من ملاحظتى أو ما أقوله عموما .. فاذا كانت صحيحة فالبلد كله سيستفيد .

واعتقد أن جيهان السادات كانت تختلف كثيرا مع أنور السادات فى سياساته فى أيامه الأخيرة .. وقد قالت كلاما كهذا لبعض خلصاء السادات نفسه .. كما رأيته أنا من آرائها عندما كنا نناقش بعض الأمور وكان موقفها كما شرحت فى مسألتى نقابتى المحامين والصحفيين مختلفا عن موقفه .. وكذلك موقفها بالنسبة لأزمة ١٨ و ١٩ يناير ..

ولكن الشىء الذى يثير الدهشة هو ما جاء فى كتابها عن السادات « سيدة من مصر » فقد تحدثت فيه عن أفكار مختلفة عما كانت تقول خلال حياة السادات .. ولا أدرى من المسئول عن توريطها فى هذا كله ..

على أن الشىء المؤكد أن السيدة جيهان لم تستطع أن تتقبل الأمر الواقع (وفاة زوجها وانتهاء أبهة المركز والوضع) وتتعايش معه ..

كما فعلت أيه زوجة لرئيس جمهورية أكبر دولة فى العالم وهى الولايات المتحدة .

وعدم المواءمة هذا هو الذى يجعلها تعيش بعيدة عن البلاد كأنهـــا لاجئة فى الولايات المتحدة .. وحصار نفسها عندما تعود الى القاهرة فى اطار محدود من الناس والمعارف ..

وهذا طبعا أمر يؤسف له ويتناقض مع ما شعرت به وشعر أغلب من عرفوها بقوة شخصيتها وذكائها الاجتماعى ..

وهذا ليس فى صالحها .. حاضرا ولا تاريخا .. ولا فى صـــالح أنور السادات .. تاريخا أيضا .. ولكن كل انسان يتحمل نتائج موقفه والخط الذى حـــدده لحيـــاته بمحض اختيـــاره .. والتاريخ يحـــكم فى النهاية ..

ما بين النميرى •• وصدام حسين ؟!

واقع الأمر أن المجموعة اليسارية فى روزاليوسف التى كانت تسمى مرة باليسارة الموالى للسادات او اليسار الجبهوى •• أو كما يسميها القذافى اليسار الحكومى •• كانت لها رؤية واضحة بالنسبة لتقدير سياسة السادات بالنسبة لجمع الشمل العربى قبل حرب أكتوبر وما بعدها حتى حدث الانقسام عند مبادرة زيارة القدس •• هذه المجموعة كانت تسعى دائما ليس عن طريق الكتابة فقط •• بل عن طريق الحركة أحيانا كما لو كانت حزبا •• من أجل تدعيم التضامن العربى وتصفية الخلافات العربية ، بينما كان الناصريون مثلا يعارضون تقارب أى دولة تقدمية مع نظام السادات !

وفى الصفحات التالية سنقدم محاولتين •• على هذا الطريق •• ورد فعل أنور السادات •• الأولى السودان •• والثانية مع العراق ••



النميرى ٠٠ وعشم ابليس فى الجنة !

٠٠ فى خلال فترة علاقتى مع أنور السادات ٠٠ حدث اتصال بينى وبين رئيس السودان الأسبق (جعفر النميرى) ٠٠ وهذا حدث بدون أى اتفاق بينى وبين أنور السادات أو توجيه منه أو ايحاء بل هو تم دون أن أعرفه بشىء ٠٠ على عكس ما تصور البعض أيامها أنى فعلت ذلك باتفاق مع السادات لمساعدته فى تحقيق أهداف سياسية ! ٠

والحكاية أنه بعد أن حدث الانقلاب على (النميرى) فى يوليو ١٩٧١ ٠٠ إتخذت مجلة روزاليوسف موقفا غير موقف الصحافة المصرية التى هللت لقمع (النميرى) لذلك الانقلاب ٠٠ والمذبحة التى أقامها النميرى لليسار والعناصر الديمقراطية عموما ٠ ولم يكن بوسع روزاليوسف أن تهاجم نميرى ٠٠ فقاطعت الكتابة فى الموضـوع أصلا ٠ وهذا أسلوب صحفي معروف للتعبير عن رفض موقف لا تستطيع الصحيفة أن تعبر عنه ! ٠٠ فاعتبر نميرى أن هـذا موقف عدائى من روز اليوسف ضده وهـذا صحيح وبالتالى بدأت روزاليوسف تمنع من دخول السودان ٠٠ وظل الحال على ذلك فترة طويلة ٠٠ الا أنه بعد حرب سنة ٧٣ ٠٠ وفى احدى جلسات مجلس التحرير قلت فى الاجتماع « يا جمـاعة ماتشوفوا لنا حـل مع النميرى ده ٠٠ لقد بدأت علاقته تبقى قوية مع مصر ٠٠ ويأتى هنا كثيرا ٠٠ لماذا لا نحاول حل مشكلة توزيع روزاليوسف وصباح الخير هناك ؟ !! ونحن والشعب السودانى نكاد نكون شعبا واحدا حتى انى أرى أن من أكبر أخطاء جمال عبد الناصر أنه لم يركز على الوحدة مع السودان بدلا من سوريا ٠٠ « احنا لازم نصلح الأمور معاهم » قال عبد الرحمن الشرقاوى على الفور ٠٠ ماتروح انت السودان وتعمل الحكاية دى ! ٠٠ فاضفت قائلا « فيه حاجة كمان عايزين نعملها ٠٠ عايزين نشوف المشكلة بين

النميرى وبين الشيوعيين السودانيين ·· القضية دى لازم تتحل ويمارس الشيوعيون السودانيون نشاطهم فى السودان ·· وما دام النميرى نظام وطنى ــ وهذا كان اعتقادى فى ذاك الوقت ــ فيجب أن يكون هناك نوع من التحالف والوحدة الوطنية والتعاون هناك ·· قال الشرقاوى » روح وزى ما انت عايز اعمل ! ··

قبل ذلك كان قد حدث حديث بينى وبين زميل صديق لى هو الأستاذ ممدوح رضا رئيس تحرير دار التعاون حينذاك حول السودانيين فقال لى ان هناك شخصا فى السودن أشبه بهيكل (النميرى) اسمه الأستاذ محمد محجوب وكان شيوعيا سابقا وارتبط بنظام النميرى نهائيا وأصبح مستشارا له ويلعب دور محمد حسنين هيكل بالنسبة لجمال عبد الناصر ٠

وبالفعل ذهبت للسودان فقابلت النميرى عدة مرات فى زيارات مختلفة وأجريت معه عدة أحاديث وتكلمنا بصراحة خلصت منها فى النهاية أننى أجرى وراء سراب ·· بشأن الموقف بينه وبين الشيوعيين السوادنيين ·· وعرفت أشياء كثيرة عن دخائل الحكم فى السودان وفسادة وشخصية النميرى قبل أن يتدروش ويرتدى عباءة الدين لتدعيم حكمه كعادة الحكام المفلسين ! مما لا محل له هنا ٠

ولكنى وأسجل هنا انصافا للتاريخ أننى لاحظت أنه يعيش حياة بسيطة ·· لا تدل على حقيقة ما يقال عنه أنه قد كدس ثروات كثيرة ··

وكان النميرى دائما يتكلم عن عبد الناصر باحترام شديد ·· ويشيد بانجازاته ·· وكان يقول لى أنا نفسى أبقى زى جمال عبد الناصر ·· قال لى ذلك كذا مرة ·· كما أنه كان يبدى رفضه وعدم ترحيبه بدور السيدة جيهان السادات فى الحياة السياسية فى مصر ·· كان يقول انها بتشتغل فى السياسة وأنها بتعين الوزراء وأنها بتظهر كتير قوى » ·· وكان يقارن لى بين سلوك زوجته التى كنت أراها سيدة بسيطة عادية جدا ومتواضعة ·· كان يقارن بين هذه وتلك ·· ولم يحدث خلال علاقتى هذه بالنميرى أن أنور السادات حاول أن يوجهنى لحديث أنقله للنميرى ·· أو يسألنى عن أحاديث خاصة دارت بينى وبينه ولذلك لم يعلم منى السادات أو زوجته قط رأى النميرى فى السيدة جيهان واعجابه الشديد بعبد الناصر ··

ولكن السادات كان يحدثنى عن عبارات من أحاديثى مع نميرى ويؤكد لى دائما أنه يرى أن السودان مهم جدا لمصر وأنه فى حديث له مرة قال لى : انه لم يكن يسمح لانقلاب عام ١٩٧١ أن ينجح ·· ويقوم نظام شيوعى هناك ٠

وقال مرة ضاحكا ـ هذا من مصلحتكم لأن الانقلاب لو كان نجح ٠٠ لكانوا السودانيين بتوع الأنصار والجنوبيين ذبحوكم ذبحا وأكلوكم لحم نيء !! ٠٠

وعلق لى مرة على حديث بوناماريف المرشح للمكتب السياسى السوفييتى حينذاك معه على أنه « عايز يعلمنى يعنى ٠٠ بيعلمنى مبادىء الماركسية » ! ٠٠

ووثق النميرى علاقته بزميلى صلاح حافظ وكذلك بالأستاذين هبة عنايت وعادل حمودة وأصدر بالاتفاق مع روزاليوسف مجلة الوادى لسان حال التكامل ٠٠ وتولى الثلاثة مسئوليتها ٠٠ وكانت مجلة لبرالية جدا ولكن المثقفين السودانيين بدأوا يثيرون تساؤلات كيف توجد مجلة حرة كهذه ٠٠ بينما صحافتهم مكممة ٠٠ وكانت الوادى توزع عشرين ألف نسخة فى السودان ٠٠ فقرر النميرى غلقها ٠٠ اذ لم يطق هذه الليبرالية ٠٠ وأسند رئاسة تحريرها للأستاذ أنيس منصور للقضاء عليها كمنبر ليبرالى للتكامل ٠٠ وقد كان ؟!

وأذكر أن صلاح حافظ وأنا بذلنا جهودا كثيرة لدى الرئيس مبارك والأستاذ صفوت الشريف وزير الاعلام للحيلولة دون حدوث هذه الفاجعة لحرية الرأى التى كانت طعاما وزادا للشعب السودانى فى عصر ظلام ديكتاتورية رهيبة ٠٠ ولكن النميرى أصر على غلقها وقال كلمة مشهورة : « سك على الوادى » !

وذبلت علاقتى بنميرى باضطراد مع اتجاهاته الديكتاتورية دون أن أشعر بأسف على ذلك فقد انتابتنى حالة من (القرف العام) من طريقة حكمه ٠٠ واصراره على الايغال فى السير فى ذلك الطريق خصوصا بعد أن حاول ستر عورة النظام بحكاية الدين المألوفة لكل مفلس سياسى ٠٠ بينما كانت تحدونى الآمال عندما بدأت صلتى به أن السودان سيعود واحة مزدهرة من هذه الديمقراطية بدل أن يصلى سعيرا من الحكم الارهابى ٠٠ واتضح أنها آمال غير موضوعية ٠٠ وأشبه بعشم ابليس فى الجنة !!

.. وفي بغداد ؟! ..

وفي ذلك الوقت كان العراق يقدم نمـوذجا جيدا لتحالف القوى الوطنية جميعا بقيادة حزب البعث . وكذلك نموذجا ممتازا لانفاق عائدات البترول في خطة تنمية طموحة ... ومن ناحية أخرى يتخذ سياسة وطنية غير منحازة تحافظ على الاستقلال الوطني وفي عداء مع الامبريالية ...

وكان العراق قد اكتسب سمعة طيبة خلال حرب ١٩٧٣ اذ شارك بسرب من طائراته في معارك سيناء كما أنقذت فرقتان عراقيتان دمشق من الزحف الاسرائيلي .

ارتأى اليسار المؤيد للسادات أنه من مصلحة مصر أن يخلق تحالفا أو صداقة أو أي نوع من التعامل والاتفاق مع العراق ... خصوصا أن رقعة الخلاف كانت قد بدأت تتسع بعد اتفاقية فصل القوات الأولى ... وكان العراق يرفض تماما الاعتراف باسرائيل ويسميها بالكيان الصهيوني ولا يقبل الا بازالتها من الوجود من الناحية الدعائية دائما !!

وكان السادات قد نجح فعلا قبل وبعد حرب أكتوبر في تشكيل جبهة عربية واسعة تجاهل فيها أمران : الأول حـكاية الدول الرجعية والتقدمية . ثانيا محاولات مصر السابقة لتزعم العالم العربي . فكان أن كسب ثقة وصداقة ومعاونة السعودية والكويت وأبو ظبي وقطر والبحرين وعمان وتوثقت العلاقات بينها وبين مصر .. وفتحت الأبـواب للعمالة المصرية .. ولكن ظل العراق بعيدا عن ذلك .

ولذلك نبتت الفكرة في روزاليوسف لاصـــلاح العلاقة بين مصر والعراق التي أشرنا اليها ... وأنا واثق تماما أن أحدا لم يوح بها الى روزاليوسف من خارجها ... ولم تصدر (تعليمات) بها من أحد كما

كان يتوهم دائما أصدقاؤنا وزملاؤنا الذين يتصورون أن جميع الصحف والصحفيين يعملون بأزرار تصدر من أعلى !! لسبب بسيط جدا هو أننى كنت صاحب تلك الفكرة أيضا وعرضتها على مجلس التحرير فى روزاليوسف فتقبلها على الفور وطلب منى الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى رئيس مجلس ادارة روز اليوسف فى ذلك الوقت السفر فورا الى العراق ... وتم السفر فعلا ... وقمت باتصالات عديدة هناك داعيا من قابلتهم لاتخاذ موقف مرن وأفضل مع مصر وشارحا ومدافعا عن سياسة السادات ، وحتى ذلك الحين لم أكن قد تعرفت بسيادته على المستوى الشخصى كما حدث بعد ذلك بشهور اذ كان ذلك فى ابريل ١٩٧٤ وفى يونية من نفس العام التقيت بالرئيس السادات لأول مرة وعرضت عليه فكرة مجلس تحرير روزاليوسف ونتائج الاتصالات التى قمت بها فى العراق فى شهر ابريل ١٩٧٤ وقد تحدثنا عن ذلك من قبل .

وبعد ذلك تحسنت العلاقات نسبيا بزيارة السادات للعراق عام ١٩٧٦ وكذلك نائب الرئيس حسنى مبارك وحصلت مصر على معونة فى شكل كميات من البترول العراقى بدون مقابل .

وتطورت العلاقات الثقافية بين البلدين وتدفق الكتاب المصريون على العراق فى دعوات متتالية بعد أن كانوا يخافون من زيارتها ويعاملون أفضل معاملة وكذلك الفنانون ... وفتحت الصحف العراقية صفحاتها لكثيرين من هؤلاء الكتاب ليكتبوا مقابل أجور سخية بمقياس ذلك الزمن وامتلأت الصحف بمقالات وتحقيقات العائدين من العراق عن التقدم والتطور والديمقراطية فى ذلك البلد (بالمناسبة لم أكتب حرفا فى جريدة عراقية) وللأسف كان بعض من هؤلاء الكتاب الذين كانوا فى الواقع يحصدون بالدرجة الأولى ثمار مبادرة روز اليوسف ... يحاولون تشويه الكتاب المصريين المؤيدين للسادات فعقب كل زيارة لى مثلا لبغداد كانوا يبادرون بالاتصال بالمسئولين العراقيين ليقولوا لهم أن عميل أنور السادات قد جاء فالزموا حذركم كما يتصلون بالحزب الشيوعى العراقى ويصورونني له بصورة المرتد والخائن والعميل والأجير للبرجوازية !!

ومن الطريف أن أولئك المسئولين العراقيين هنا وهناك كانوا يذكرون لى هذا ... والأطرف أننى أستفدت كثيرا بهذا الاتهام بالعمالة رغم أنى لست عميلا اذ كان المسئولون العرقيون يبالغون فى اكرامى واحسان استقبالى باعتبارى مندوبا للسلطة أو من البصاصين لها !!

وللأسف كان معظم أولئك المتخرصين من العناصر اليسارية .. وهذا نموذج لكيف يرتكب بعض اليسار حماقة عدم الاستفادة من علاقة واحد

منه بأى مسئول لصالح التطور العام للبلاد ٠٠ بل يكتفى بالسب والافتراء والدس والوقيعة ٠٠ وهذا بشكل عام كان موقف كثير من اليساريين حتى من علاقتى بأنور السادات !

وفى تلك الأيام لاشك بدأ تفكير النظام العراقى فى استغلال بعض من أولئك الكتاب المصريين فيمن عرفوا بعد بالرافضين لنظام أنور السادات من المصريين الذين شكلوا تنظيمات مختلفة متعددة خارج مصر كانت تقبض وتقبض من أجل تحقيق هدف وهمى هو قلب نظام الحكم والفشال سياسته !! واشير القارىء هنا الى ما كتبه زميلنا ظريف الظرفاء محمود السعدنى عن « حزب الكهرباء » مثلا !!

ونذكر أيضا العينات المختلفة التى زعمت أنها مسئولة عن اغتيال السادات متصورة أن النظام قد سقط ٠٠ وأن بوسعها أن تتقدم لوراثته ٠٠ وقد ثبت أنها هيئات وهمية ٠٠ غذتها الغربة بالأحلام والأوهام والأمراض النفسية أيضا !!

ان الغربة شىء خطير جدا تمرض العقل والنفس والوطن القوى هو الذى يثبت بقدميه مغروسة فى أرض الواقع ٠٠ أرض بلاده ويتحمل التضحيات ٠٠ وما كانت هناك تضحيات ما تذكر فى عهد السادات فلم يكن يسجن أحدا أو يعتقله ٠٠ وماذا حققوا بهربهم من البلاد ؟ ٠ لا شىء ٠!
لقد ظل السادات يطبق سياسته ٠٠ وبعد وفاته يتمرغ العالم العربى كله فى سياسة السادات وأفكاره وتصرفاته ويكتبون فى نفس الصحف التى تدافع عن تلك السياسة قديما وحديثا ٠٠ فقط انهم يتمتعون بالحرية ٠٠ لكن كامب ديفيد وخطها هو السائد والمنتصر عربيا وليس مصريا فقط ٠٠ والعلم الاسرائيلى يرفرف فى سماء القاهرة ٠٠ وأمريكا فى كل مكان ! اليس كذلك ؟ وما أغنت عنهم غربتهم وما كسبوا منها !!

واستقبلناهم نحن بترحاب وفى حرارة شديدة رغم أنهم لعنوا آباءنا ٠٠ وسبوا شرفنا ٠٠ فلعلهم يتعظون فى المستقبل اذا ألمت بالوطن نازلة ٠٠ وليتعلم أبناؤنا وأحفادنا ٠٠ أن يصمدوا فى عمق بلادهم لمواجهة ما يرفضونه فيها وبين مواطنيهم ٠

لماذا حسني مبارك .. نائبا للرئيس ؟

من الدروس الغالية التى انقلهـا لك من خلال خبرتى بالتعامل مع السلطة فى قمتها أنه ما دمت لا تمد يدك بسؤالها من أجل مصلحة خاصة بك .. وتكون عفا قنوعا .. ولديك ما تقوله .. فانك تستطيع أن تفتح المناقشة فى أى موضوع مادام السلطان قد ارتضى أن تجلس الى مقعد فى مواجهته تتكلم ويستمع .. وفى الفصل القادم نقدم لك حوارا مثيرا .. فى قضية هامة وأساسية .. وليرحمه الله أنور السادات فقد كان واسع الصدر لايبرم بالجدل ولا الخلاف !

لماذا حسنى مبارك .. نائبا للرئيس ؟ ..

ليس صحيحا ما أشيع أيامهـا من أن تعيين السيد حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية جاء نتيجة ضغط من الجيش المصرى أو انقلاب صامت :

فواقع الأمر أن الحقائق كانت كالآتى :

قبل تعيين حسنى مبارك صرح الرئيس أنور السادات لأحد وزارئه بأنه يرى أن نائب رئيس الجمهورية يجب أن يكون شابا . وقد نشرت جريدة أخبار اليوم أيامها هذا الخبر . وأعادت نشره بالزنكوغراف عند اعلان تعيين السيد حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية .

ويعنى هذا أن فكرة تعيين السيد نائب رئيس جمهورية جديد وشاب طرأت على ذهن رئيس الجمهورية قبل تعيينه بعام وأكثر .

لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية منذ ثورة ٢٣ يوليو سمح بنشر نقد لاذع لنائب رئيس جمهورية مصرى . فقد نشرت مجلة روز اليوسف ورئيس مجلس ادارتها المرحوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى نقدا ساخرا من موقف السيد حسين الشافعى نائب الرئيس عندما بعث برسالة يحيى فيها عيد ميلاد مؤسسة أخبار اليوم ويصف تأسيس تلك المؤسسة بأنه عمل وطنى لا يقل شأنا عن انشاء بنك مصر أو مؤسسة وطنية اقتصادية فى مصر !

ونشرت روز اليوسف ذلك النقد فى حوالى صفحتين وبخط بارز فى صفحتها الأولى :

وكان ذلك أول مؤشر على وجود تناقض بين الرئيس أنور السادات ونائبه .

وقد اشتهر عن السيد حسين الشافعى تدينه الشديد وطيبته وعدم فاعليته وتأثيره فى مجريات الأمور سواء فى عهد جمال عبد الناصر أو بعده • لكن فى الفترة الأخيرة تطور تدينه تطورا خطيرا بدا مناوئا لنظام الرئيس أنور السادات نفسه •

اكتشف تنظيم ذو اتجاهات دينية متطرفة فى الجيش وقيل أيامها أن السيد حسين الشافعى تعاطف مع التنظيم بعد القبض على أفراده وعارض اتخاذ اجراءات قانونية ضده •

كما تعود السيد حسين الشافعى على القاء خطب دينية فى المساجد تدعو للخلافة والى اعتبار أن الرضا المطلوب والولاء لله ولرسوله فقط مما عد تلميحا ضد الولاء لرئيس الجمهورية الشرعى •

وزاد ذلك من تفاقم التناقض بين الرئيس ونائبه اذ بدا أن ذلك النائب يريد أن يكون ممثلا لاتجاهات معارضة لرئيس الجمهورية وهى اتجاهات دينية متخلفة أو متطرفة •

فى شهر مارس ١٩٧٥ طلب الرئيس أنور السادات منى فى أسوان أن أنشر فى روز اليوسف أن سيد مرعى رئيس مجلس الشعب لا يمكن أن يكون رئيسا للجمهورية بحكم الدستور وطلب من المجلة أن تنفى الاشاعات التى كانت قد راجت عن قرب تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية • ويمكن فهم هذا التصريح على أنه كان تمهيدا لتعيين حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية •

استقبلت الأوساط اليمينية فى مصر التى كانت تأمل فى تصفية ثورة ٢٣ يوليو باغتباط اشاعة ترددت أن الرئيس أنور السادات ينوى عدم ترشيح نفسه عام ١٩٧٦ ••

واصيبت بخيبة أمل شديدة خبر تعيين حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية لماذا ؟

ـ لأن تعيينه يعنى استمرار تعيين واحد من أبناء تلك الثورة والذين تربوا فى اطارها نائبا للرئيس فرئيسا بطبيعة تطور الأمور فى المستقبل •

ـ أن السلطة تظل جوهريا فى يد الجيش الذى قام بثورة ٢٣ يوليو وصانع انتصار ٦ أكتوبر •

ولهذا رحب الناصريون واليساريون فى مصر بهذا التعيين أيامها ••

ومن ناحية أخرى لم يقابل هذا التعيين بالقبول من جانب ليبيا لأنه يضع حدا لأحلام العقيد القذافى فى حكم مصر أو لعب دور سياسى بارز

في دولة الوحدة المنشودة باعتبار أن حسني مبارك شاب وفي صحة جيدة وينتمي الى الجيش المصري .

وكانت قد ترددت اشاعات أنه بعد تعيين السيد ممدوح سالم رئيسا للوزراء وكان وزيرا للداخلية وكذلك تعيين ضابط بوليس وآخر وزيرا للداخلية أنه يتردد في أوساط الجيش تساؤلات لماذا لا يشارك الجيش في السلطة أيضا ؟

ولكن هذه كانت مجرد اشاعات فقد اتضح أن فكرة تعيين حسني مبارك كانت سابقة لتعيين ممدوح سالم رئيسا للوزراء .. وعلى أى حال فان السادات أشرك الجيش في الشئون الداخلية بادخال ممثل للقوات المسلحة في الاتحاد الاشتراكي لأول مرة .

لم يعين ممدوح سالم رئيسا للوزراء لأنه كان وزيرا للداخلية وانما عين ببساطة لأنه من أخلص واقرب الأشخاص لأنور السادات وقضى فترة طويلة في الحكم منذ حركة التصحيح في مايو ١٩٧١ التي لعب فيها دورا بارزا اذ كان البديل لشعراوي جمعة الذي كان يمسك بمقاليد السلطة الداخلية ويكفي الأمن المركزي .

وقد حدثتك من قبل كيف عرفت حسني مبارك من أيام حرب ١٩٧٣ .. وبعد أن تعرفت بأنور السادات .. فكرت في عمل حديث صحفي مع مبارك بعد أن عين نائبا للرئيس وتابعت كما تابع غيري ما أثير أيامها من اشاعات حول ذلك التعيين كما ذكرنا .. وكنت قد حضرت عدة احتفالات لتكريمه بهذه المناسبة ولاحظت أنه مازال ذلك الرجل المتواضع البسيط . وتوجهت للقائه .

ونشر الحديث في روز اليوسف .. وبعدها قابلت السادات قال لي .

ـ انا شايف أنك عملت حديث مع حسني .. هو قال لك الكلام ده كله ؟ .. قلت والله هو قابلني بعد الحديث وقال لي أنا متشكر قوى على الكلام ده .. لكن سيادتك تعرف ان الصياغة ممكن مختلفة شوية .. لأنه كطيار أسلوبه مختلف عن أسلوب الصحفي طبعا .. لكن الكلام والأفكار هي هي ولا أستطيع طبعا الزيادة على نائب الرئيس ؟

سألني السادات ايه بقى أهم ملاحظة معه كصحفي . صحفي منوفي يعني ؟! قلت ـ انه متشوق جدا كي يعرف كل شيء .. هو جاد جدا .. وناوي يملأ مركزه تماما .. قال وهو يبتسم في زهد .. يعني اختيارى عال وكويس ؟

سألته لماذا اختار حسني مبارك نائبا للرئيس ؟

ضحك ضحكة حلوة من ضحكاته العذبة ؟ .. وقال لي .. سأقول لك .. أنا برضه كان يخيل لي أنك ستسألني هذا السؤال .. شوف حسني عمل نجاح كبير جدا في الحرب .. وصحيح قوات الدفاع الجوي هي لعبت الدور الرئيسي في اسقاط الطائرات في الأيام الأولى للمعركة .. لكن هو كل المعارك الحربية اللي دخل فيها الطيران المصري مع الطيران الاسرائيلي إنتصر فيها الطيران المصري والغارة الأولى عملت فوضى عند الاسرائيليين وكان الطيران المصري قبل كده والطيارين المصريين كانوا بيخافوا ساعة ما كانوا يشوفوا الطيارة الاسرائيلية قادمة عليهم . حسني عرف يربي سلاح الطيران .. بحيث انه يخلق كل يوم عند كل طيار شعور بالاعتزاز بنفسه وبالثورة والقدرة على قهر العدو الاسرائيلي .. وبعدين هو شاب .. وشاب ذكي وعارف شغله كويس ومستقيم أخلاقيا جدا .. انت عارف كثير من الطيارين بيعملوا إيه انت ماتعرفوش يا عبد الستار .. حسني ده سمعته زي البرلنت .. في الجيش أخلاقه ممتازة جدا .. ودائما زي ما أنت قلت عاوز يعرف ويتعلم .. ومحبوب بين زملائه .. ومالوش في الطمع .

وأنا لازم يكون لي نائب رئيس .. ماحدش عارف الأعمار بيد الله .

سألته وأنا اعرف أن الحديث يدخل منطقة شائكة لكني كنت قد تحدثت معه عن دور الجيش من قبل في الثورات في العالم الثالث ..

— يعني كان لازم يبقى نائب رئيس الجمهورية من الجيش .. هل انت سيادتك بتشوف ان لازم ان المؤسسة العسكرية تستمر في الحكم ؟ .. فقال لي وهو يضحك .. مؤسسة عسكرية إيه بلاش خيابة ! ..

يعني انتم بتوع الكلمات الكبيرة دي .. يعني انا مؤسسة عسكرية يعني ياسيدي ؟ طيب وعبد الناصر أليس زعيم ثورة مع أنه عسكري ؟ والله أنا اتضايق من الزي العسكري أثناء الاحتفالات ... لو كان على انا عايز افضل بالجلابية والعباية ..

وضحكت واضاف احنا مدنيين .. كلنا أولاد مصر .. فقط كل واحد له اختصاص .. الجيش له اختصاص .. والمدرس له اختصاص .. والصحفي له اختصاص .. الجيش ده حاجة مؤقتة .. بيضطر لها اي مواطن أداء للخدمة الوطنية .. يعني يصبح من المؤسسة العسكرية التي بتصدعوا رءوسنا بها ! ..

الجيش لا يلغى صفة الإنسان المدنية ·· دي البنود العسكرية هذه قيود ونظام وحاجة زي القفص الحديد ·· الواحد فينا أول مايروح بيته ·· تلاقى الضابط بيخلع لبسه العسكرى وبيلبس قميص وبنطلون ويطلع بره بيتفسح بالبدلة ·· جمال عبد الناصر خلع رداء المؤسسة العسكرية ·· التى تتكلم عنها ·· أما المؤسسة العسكرية اذا كنت عايز تعرف بقى الفرق بين الحاكم المدنى والمؤسسة العسكرية ·· المؤسسة العسكرية هى الحاكم الديكتاتورى ويستخدم الجيش فى حكم الناس بالحديد والنار ولو كان مدنى يرتدى الجبة والقفطان !! ·· ويعطى للحكام امتيازات ويحاول رشوة الجيش والبوليس ·· هذه هى المؤسسة العسكرية لكن أين هذا فى مصر الآن ·· قلت له الجيش عندنا له ·· امتيازات ليست لغيره ·

قال — يعنى ألا ترى أن الجيش دافع عن البلد والألوف ماتوا علشان البلد ؟ ·· يبقى فيه حاجات للتشجيع والتعويض شوية ! ·· وأضاف السادات قائلا : المؤسسة العسكرية دى كانت أيام عبد الحكيم عامر ·· عبد الحكيم عامر والناس اللى معاه الجيش كان لحسابهم ·· اما عبد الناصر كان غلبان ·· كان مدنى تمام ياكل عيش وجبنة ·· وأنا كمان ·· كنت مدنى ومعدتى تعبانة لا آكل كويس ·

·· قلت له وأنا أصر على الحوار لاستجلاء تلك النقطة : ولكن ياريس حسنى مبارك ·· كان فى الجيش امبارح ؟

قال لى بكره يبقى مدنى ·· وهو كله وطنية واخلاص والشعب يقدر يشكله زى ما هو عايز ·· الشعب يقدر يؤثر على الحاكم ··

قلت له بصراحة كده ياريس ·· لكن حسنى مبارك البعض يقول أنه مالوش أى تاريخ سياسى ؟! · وظروف السياسية حرجة الآن ؟

·· رد أنور السادات وقال لى ماهو علشان كده ·· مالوش تاريخ سياسى هذه تمثل ميزة عظيمة ·· انا جبته علشان يشرب نوعية الحكم الجديد ··

لأن التاريخ السياسى يعنى الأحزاب القديمة والشريف منهم أصبح عجوزا الآن ·· ونحن نريد شباب ودم جديد مملوء بالوطنية والجيل الذى صنع اكتوبر ممكن يعطى كثير ·· ونعلمه ·· وأنا الذى ثرت على الأحزاب القديمة لايمكن ان آتى بحاكم منهم بأيدى أنا ·· احنا ثورة يوليو ·· والشعب يقرر ما يشاء ·· سيلازمنى حسنى مبارك ويعرف القرارات ··

تؤخذ ازاى ·· يبقى فيه مرحلة المعرفة فى الأول ·· يعرف القرارات دى تعمل ازاى ·· وبعد كده يشارك فى صنع القرارات هو ويصدر القرارات لوحده ومايبقاش متأثر بحكم الأحزاب القديمة وفساد العهد الذى مضى وفات ·· هو راجل نظيف وطاهر وشريف ·· على فكره ·· أنا عاين أقول لك حاجة ·· ايده نظيفة جدا ·· لا يلعب قمار زى كثير من ضباط الطيران ·· ضابط الطيران · يبقى قاعد فى القاعدة ·· لا يعمل شىء وفى الانتظار وراجل عايش على أعصابه لتلبية نداء الخطر وممكن يموت فى طلعة فيلعب دور كوتشينة للتسلية وتمشى معاه بقى بعد كده ·· أو يتسلى بحاجة زى الأفلام السينمائية ··

حسنى لا يلعب ولا يسكر متماسك من شغله لبيته ·· ومستقيم جدا ·· وليس له متعة فى حياته غير أنه بياكل كويس ويلعب رياضة وكمان منوفى ! ··

سألته ·· هل حكاية ان حسنى مبارك منوفى تكون داخله فى قرارك بتعيينه ؟ فضحك وقال لى أنتم ستسمونها الجمهورية المنوفية المتحدة ·· أنا صحيح بأحب المنوفيين ·· وبأحب قريتى ··وبأحب أهل بلدى قوى ·· لكن أنا لا أعين واحد من الشارع فى منصب معين علشان هو منوفى ! ··· سألته وأنا أحاول معرفة المزيد عن طريقة السادات ومقاييسه فى اختيار الرجال : متى يجيد حسنى مبارك ياريس فن الحكم اذن ؟ ·· قال بيتعلم ·· هو فيه حد يجيد فن الحكم من الأول ·· انت كنت بتفهم حاجة فى الصحافة وأنا قبل الجيش كنت أعرف ايه عن فن الحكم ؟ وعبد الناصر ·· ولينين بتاعكم ؟ ده حسنى مبارك يستحق المنصب لأنه عمل أولا كثيرا من أجل الشعب فى اعداد سلاح الطيران وانتصاره ·· طول عمره كان ضابط كويس ومجيد وربى أجيال ·· وهو الذى حافظ على القوة المصرية الجوية وهى بتحارب فى نفس الوقت ·· موش ده عمل عظيم بعدما كانت القوات الجوية بتاعتنا بتدمر على الأرض يابتوع الكلام الكبير ؟ وتتكسر طيارة طيارة ·· وبعدين قوللى مين هو المدنى من رجال السياسة اللى انت شايفهم الذى يؤتمن الآن على نيابة رئيس الجمهورية ؟ ·· فانا سكت لحظة كده ·· وقلت له نحن كنا ننتقد ثورة ٢٣ يوليو من بدايتها أنها لم تستعن بالسياسيين ورجال السياسة حتى منظمة الشباب تأسست ماكانش فيها أبدا أى عنصر سياسى من الذين اشتغلوا فى الحركة الوطنية والسياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو ·· ونحن انتقدنا الثورة دائما أنها كانت تعين أساتذة جامعة لايعرفون كلمة فى السياسة وزراء ·· يعنى ليس الموقف مقصودا من الجيش ·· وأنا أقول هذا الكلام وأنا أعرف حسنى مبارك وأقدره لكن أنا أتعلم أصول الحكم فعلا من سيادتك فهى

فرصة لا تعوض أبدا وكذلك أحترم وأقدر دور القوات المسلحة الوطنى فى الدفاع عن البلاد ضد العدو لكن لا أحب ان يحكم الجيش البلاد بالطريقة التى تدار بها الجيوش ·· أنا أعبد الديمقراطية عبادة !

قال السادات : كلنا نحب الديمقراطية ولا نقبل الحكم العسكرى رغم أنى عسكرى ·· قلت اريد ان أسأل سؤالا آخر ·· هل أحد الاعتبارات التى جعلت سيادتك تعين حسنى مبارك نائب رئيس جمهورية ــ انك تكافىء القوات المسلحة كلها بسبب حرب أكتوبر ؟ ولا شك جميع القوات المسلحة حصلت على ثقل سياسى بسبب انتصارها فى تلك الحرب واستردت كيانها بعد هزيمة ٦٧ واستردت اعتبارها ·· وبعد فضائح عبد الحكيم عامر والرجال العسكريين بتوعه دول ؟ ··

السادات لم يرد على هذه الملاحظة وانما قال لى : من غير الهند فى العالم الثالث حاكمها ليس ديكتاتور ويبقى الواحد منهم مدنى ابن مدنى وأنا باقول لك يعنى أنا سأعمل على تدريب حسنى مبارك على الحكم من أوله ·· وأظن انت كاتب فى الحديث معاه عن سفرية الوساطة بين المغرب والجزائر وشفت عمل ايه هناك ·· ده كان درس تدريبى عظيم ·· ونجح فيه تماما ويبشر بالخير ·· (والحقيقة أن السادات نفذ وكان ينفذ ذلك اذ كان يدرب حسنى مبارك على الحكم من الأول ·· ففى العادة نائب رئيس الجمهورية فى الدول لا يعمل ويبقى رئيس جمهورية هو الذى يسيطر على كل مجريات الأمور ·· لكن السادات أسند الى حسنى مبارك مسئوليات كثيرة ·· وأول مسئولية خطيرة ·· هى كانت الوساطة بين المغرب والجزائر ·· وأيضا كان أنور السادات يسافر كثيرا ويترك له مصر يدير شئونها · بعد هذا الدكتور أسامة الباز الذى كان مدير مكتب وزير الخارجية أصبح مديرا للمكتب السياسى لنائب رئيس الجمهورية وله خبرته العميقة فى السياسة الدولية والعمل السياسى الداخلى ·· لأنه كان فى منظمة الشباب ووزارتى الخارجية والاعلام ·· وطبعا كل تلك الخبرة وضعها تحت تصرف نائب رئيس الجمهورية الذى عمل على تثقيف نفسه وفق برنامج مكثف صعب · يتضمن النظرية والتطبيق معا ·

بعد ذلك أعطى أنور السادات لمبارك مسئولية جسيمة داخلية هى الأمين العام للحزب الوطنى الديمقراطى ·· وهذا كان دليلا على جدية أنور السادات فى تدريب نائب رئيس الجمهورية له ــ بتولى المسئولية اذا حصلت له أى طوارىء وهذا شىء يذكر للسادات بجانب شخصيته وكفاءة حسنى مبارك ·· وظهر أثر ذلك بعد توليه الحكم مباشرة اذ قاد

السفينة فى الساعات الحرجة ببراعة وظفر بثقة شعبية اختيارية كاسحة بسرعة شديدة بعد مصرع السادات اذ كان قد تدرب على الحكم فعلا .. وتصرف بطريقة مدنية حضارية تماما .. ولم يكن صدفة عندما سـأل حسنين هيكل مأمور السجن عندما كان فى المعتقل عن نوع الرداء الذى ارتداه حسنى مبارك فى جنازة السادات .. فأجابه المأمور .. كان لابس بدلة عادية .. فانبسـط جدا لأنه أدرك التحول .. بين ارتداء حسنى مبـارك بدلة ماريشال .. وبين أن يرتدى بدلته المدنية .. ثم كان هناك الأسـلوب المدنى المتحضر الذكى .. عندما أتى مبارك بالمعتقلين الذين أفرج عنهم الى القصر الجمهورى .. وأخذ يتحدث معهم .. هذا كان اسلوبا ديمقراطيا جديدا لم يحدث قط طوال الحياة السياسية فى مصر وأحدث هزة أشعرت الناس جميعا أننا مقبلون على مرحلة مختلفة جذريا عن المرحلة السابقة وأيضا لعل القراء مازالوا يذكرون أن حسنى مبارك .. عندما كان جالسا فى المؤتمر الصحفى المشهور الذى كان أنور السـادات يهدد فيه الصحفيين بالضرب بالنار .. كان وجه مبارك مربدا ويبـدو عليـه عدم الارتياح لما كان يطلقه السادات فى عصبية وتشنج من تهديدات . فقد كان يمزق بحركة لا شعورية ـ بأوراق صغيرة وبكورها ويقذف بها على المائدة مثل الكرة ! ..

ولاستكمال الصورة أريد أن أقول أننى دخلت فى مناقشـة مرة مع الرئيس حسنى مبارك فى لقاء بينه وبين صـلاح حافظ وأنا عام ١٩٨٣ حول ما كان قد أشيع أيامها عن الاتجاه لتعيين السيد عبد الحليم أبو غزالة القائد العام للقوات المسلحة حينذاك نائبا لرئيس الجمهورية ، ليس مجال الحديث عنها فى هذا الكتاب ..

التعامل مع السلطة ..

لايقتضى التعامل مع السلطة أن تتصرف كانك تسـير على صراط مستقيم .. اللهم الا اذا كنت من ذوى الأطماع أو الطموح على الأقل ..

أما اذا كنت تشعر فى داخلك بمسئولية تجاه هذا الوطن ليس بأقل من مسئولية رئيس الجمهورية نفسه .. فان من حقك أن تتكلم فى تلقائية .. مع التزام حدود الأدب واللياقة .. فرئيس الجمهورية فى النهاية هو رمز ارادة ملايين المصريين .. وهو الراعى لشئونهم حتى لو أخطأ الطريق .. ويختلف عنا أن له بانوراما للرؤية تشمل العالم كله وليس فقط البلد الذى يحكمه .. لذلك تختلف البواعث والتقديرات والنوازع .. وفى رأيى أن السادات كان مستعدا لسماع ٩٠٪ من الآراء المخالفة له لو قيلت له بأسلوب مهذب وليس بأسلوب الهجاء والوقاحة .. فالحاكم بشر .. والحاكم دائما ما لم يكن عميلا أو مفروضا أو مأجورا يشعر دائما بأن عليه مهمة خدمة شعب بلاده .. فلابد من احترام ارادته وقراراته ونحن ننقدها .. ونكشف مخالفتها لما يتصور هو من أنها خدمة لوطنه والشعب الذى ارتضاه رئيسا ..

وفى الصفحات التالية نقدم حكايات ولقطات عن أسلوب التعامل المتبادل مع السلطة ..

من الدروس التى تعلمتها أن السلطة عندما تريدك تقلب الأرض عليك حتى تجدك .. ولا يهمها روتين ولا مصاعب ولا شىء على الاطلاق .. وعندما لاتكون فى حاجة اليك لا تسأل عنك على الاطلاق مهما كنت قد أديت لها من خدمات من قبل .. هى كائن لا يرحم .. ليس لديه عواطف ..

وتحضرنى فى هذا المقام حادثتان صغيران :

ذات مرة كان اسماعيل فهمى وزير الخارجيـة الأسبق مسافرا الى موسكو لمحاولة تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ومصر فاستدعانا اسماعيل فهمى وأنا وصلاح حافظ وهو فى المطار وجئنـا من بيوتنا وقال لنا ببساطة : تفضلوا تفضلوا على الطائرة فذهبنـا معه وجلسنا بالطائرة لأنه كان مهما جدا بالنسبة لاسماعيل فهمى أن يذهب الى موسـكو ومعه اثنان من الصحفيين اليساريين المعروفين بأنهم من أصدقاء الصداقة المصرية السوفيتية وقد فعل ذلك بموافقة السادات ٠

ولكن فى مرة من المرات أرسل السادات لطفى الخولى وأبو سـيف يوسف وعبد المنعم الغزالى فى رحـلة الى موسـكو للتفاهم مع المثقفين السوفيت بالنسبة للعلاقات المصرية السوفيتية وأعضاء فى اللجنة المركزية بهـدف محـاولة التـأثير على المنظرين والقادة للحزب الشيوعى السوفيتى لتحسين العلاقة أو بحث أسـباب الخلاف ٠٠ وعندما عادوا يبدو أن السادات كان قد فتر حماسـة لذلك التحسين فلم يقابلهم بعد أن عادوا وكان قد بعث بى لنفس الهـدف ٠٠ ولمـا قابلته سألته لمـاذا لم يقابلهم لوح بيده فى غير اكتراث قائلا : « سيبك » ! وعندما كان السادات فى مرحلة الصفاء مع اليسار ٠ حدث مرة وأنا فى الوفد الاعلامى المرافق له فى زيارة للنمسا أن قابلت كرايسكى مستشار النمسا وأجريت معه حديثـا وهو أصلا رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى فسألته هل تعتبر أن النظام القائم فى النمسا اشتراكى ؟

قال لى لا ان النمسا ليست اشتراكية ومازال أمامنا الكثير ٠

وفى جلسة مع الصحفيين قال السادات ان النمسا نظام اشتراكى ٠ فقلت له :

ــ يا ريس اسـمح لى كنت اليـوم مع كرايسكى وامس وقال لى ان النمسا ليست اشتراكية ! فضحك السادات وقال لى أصله بيضحك عليك ولم يغضب منى رغم معارضتى لحديثه وتوضيح انه خطأ ٠

فقال أحد الزملاء الصحفيين ما معناه أن كرايسكى قد حمى فيينا من الشيوعية فقلت معلقا : ياريس الناس علشـان تتكلم فى الشيوعية لازم تكون عارفة وقارئة لكى تدرك معنى ما تقوله ٠ فرد أنور السادات ضاحكا ياعبد الستار الناس لسه بدرى عليها علشان تدرك ولازم تتثقف علشان تعرف ان الشيوعية مش (جربة) يقصد ليست الجرب المرض الجلدى المعروف وانها مجرد مذهب من المذاهب الاجتماعية !!

فالسادات في ذلك الوقت لم يكن متخذا موقفا من اليسار ولا يريد أن يفتح معارك جانبية فترك الفرصة لليساريين أن يتحدثوا وفى الوقت نفسه كان يريد أن يوضح للجميع انه ليس ضد اليساريين اذ كان باستمرار فى كل حديث يقول (طب ما أنا يسارى) ؟! .

ويضيف :

اليس اليســـارى هو الذى يحس بمعاناة الشعب ؟ طب ما أنا فقير وابن فقير وكنت غلبان وبالبس قبقاب وأنا عيل صغير وأستحم فى الترعة وكنت أقول ان الملك يلبس قبقاب من ذهب .. يعنى أنا يسارى قطعا . وكان فى نفس الوقت يقول أيضا أن الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى صداقة استراتيجية دائمة لأن مصلحة مصر دائمة فى صداقة روسيا .. ولكن كل ذلك تبخر بعد أن تغيرت الأوضاع والمصالح !

ومن الطريف أن نحكى أن حسنى مبارك عنـدما كان نائبـا لرئيس الجمهورية وبالتالى عندما أجريت حديثا صحفيا معه أبرز فيه اتفاقه مع رئيس الجمهورية أنور السادات بشـأن اليسار والاتحاد السوفيتى .. لكن عندما أصبح رئيسا للجمهورية . فان زميلى وأستاذى لويس جرجس أخرج ذلك الحديث القديم وأعاد نشره مع حذف ما قيل بخصوص اليسار والصداقة السوفيتية لأن هذا الكلام كان قد عفا عليه الزمن ما بين ١٩٧٦ وعام ١٩٨١ عام اعادة نشر الحديث وكان التعديل لازما فقد ترك السادات لمبارك تركة منها قطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وأكوام من اللعنات ضد اليسار المحلى والعالمى معا !! فبدا أمام رئيس تحرير صباح الخير أن ما قيل عام ١٩٧٦ يعتبر نشازا عن الواقع عندما ينشر عام ١٩٨١ كتقديم لآراء رئيس الجمهورية الجديد الذى كان عليه أن يزيل تركة الماضى الثقيلة فى حذر وحنكة سياسية شديدة ! ..

★★★

ونمضى من خـــلال لقطات عديدة .. نعرف أو على الأقل نستكشف أساليب السلطة فى التعامل من تلك الحكايات واللقطات ..

وكان أنور السادات مغرما جدا فى جلســاته أن يسـمع حكايات ويتحدث عن حكايات حتى يبدو أحيــانا أنه يبحث كثيرا من المسائل السياسية عن طريق الحكاية . كان رجلا حكاء ومسليا ويحب الدردشة ويطيل فى الدردشة وقد ينسى نفسه واجتماعاته وأحيــانا كنـا نقضى أربع ساعات فى الحديث ويتدخـل عليه بعض الناس يذكرونه بمواعيـد فكان يؤجلها وكان يلذ له أن يجلس فى الحديقة ويقول تفسيرا لذلك أنه السجن .. أريد هواء طلقا وفراغا بدلا من حبس الزنزانة .

كان يبدو لى بسيطا جدا ودودا وابن بلد .. اذ كانت الشمس إذا ما غمرتنا فى الحديقة أصر على أن ينقل كرسيه بنفسه .. وكذلك ترابيزة التليفون ويرفض أن أفعل أنا ذلك .

ـ أروى حكاية من بين الحكايات . فى « قعدة » دردشة معه . كنت أحكى حكاية أو حكايتين تبين له موقفى من الدولة لأن السادات كان يفتح معى دائما موضوع الراغبين فى مناصب .. فكنت أحكى له بدورى حكايات عن دروس تعلمتها من علاقتى بالدولة .

فى احدى المرات كان ممدوح سـالم الله يرحمه جالسا معنا .. قلت له شـوف ياريس فيه حادثين حدثا لى أعتبرهما علامة طريفـة بالنسبة لى وأضعهم « حلقان فى ودانى » زى ما الناس بيقولوا فى تعاملى مع النظام . سألنى ايه ؟ .

قلت له : أنا أول صحفى مصرى تعـاون مع الطلبـة واتحاداتهم اللى خارج مصر فى الدفاع عن الفلسطينيين والدفاع عن المصريين بعـد العدوان اللى كان فى سنة ١٩٦٧ .. لأنا أنا كنت فى لنـدن بدعوة من اتحاد الطلبة العرب هناك وكان يرأسه شـاب مصرى متحمس جدا اسمه د . عادل جاد ووكيله متحمس آخر اسمه سمير رضوان وحدث العدوان والتوتر ده ففوجئنا كده أنى لاقيت نفسى مناضل ضد العناصر الصهيونية فى انجلترا فى ذلك الوقت ، ولما حصلت الهزيمة تعاونت مع اتحاد الطلبة العرب هنـاك فى عقـد الندوات والاجتماعات لمواجهـة الهجمات الدعائية الصهيونية .. فقمت بجولة فى انجلترا بمعونة الحزب الشيوعى البريطانى وموافقة فوزى محبوب قنصل مصر فى لندن وكان معايا الدكتور عبد الحميد الغزالى الذى هو أستاذ دلوقت فى كلية الاقتصاد وعملنا ندوات ومحاضرات ومناظرات وقمت بجولة فى أوربا كلها مدعوا من هيئات يسارية بالتعاون مع اتحادات الطلاب . وأسـجل هنـا رغم أن عبد الحميد الغزالى كان اخوان مسلمين أى ضد أفكارى ومذهبى السـياسى الا أنه لم يقم لذلك اعتبارا وتعاون معى بشكل مطلق من منطلق وطنى بحت وكتبت عن هذا الموضوع طوال الستة أشهر التى قضيتها بعد العدوان فى أوربا وكتبت كتاب اسمه « أوربا والعدوان الاسرائيلى » طلع فى يوليه ١٩٦٨ وتابعت باستمرار الحركة الطلابيـة فى الخارج وبنـاء على هذا الاذاعة المصرية استدعتنى أعمل برنامجين للدعاية للقضية الفلسطينية وضد العدوان .

وحدث أن مصر عام ١٩٧٠ كانت عاوزة تشجع نجاح الطلاب المصريين فى انتخاب اتحاد الطلاب العرب ضد الطلبة البعثيين ففكر المسئولون أنهم يبعثوا محمود السعدنى الذى ليس له علاقة بالموضـوع ده على الاطلاق

وبعثوا الأستاذ محمد عروق مدير اذاعة صوت العرب وكان عضوا بارزا فى التنظيم الطبيعي ومحمـود السعدني أخذ معاه صـديقيه ابراهيم نافع ومحمد رضا . فأنا طبعاً دهشت ولو كانوا أرسلوا صحفيين ممن لهـم علاقات باتحادات الطلاب وخصوصا أن بعضهم فيه غيرى كتبوا عن تلك الاتحادات لكنت فهمت ولم أدهش ..

ـ وأنا كنت أعرف أن محمود السعدنى عضو فى التنظيم الطليعى فى الجيزة وصحفي شاطر وممتاز لكن مالوش دعوة بالاتحاد .

وكان لنا زميل فى صـباح الخير اسمه منير عامر وكان من أصدقاء شعراوى جمعة فأنا سألتـه هل يصح يا منير أن الراجـل بتاعك ده (أقصد شعرواى جمعة) لما يحب يبعث ناس للاتحادات الطلابية المصرية يقوم يبعت محمود السعدنى ومحمد رضا وفلان الفلانى . لماذا فعل هذا ؟

ـ فقـال منير عامر لى أنه أمر غـريب حقـا .. وأنا سأسأل عن تفسير لها .. ولماذا لم يأخذوا شخصا مثلك ؟

ـ بعد ثلاثة أيام جاء منير عامر وأخذنى على جنب وكأنه سيقول لى سرا . وقال اسمع بقى أنت علشان راجل أحبـه وصديقي وشيخ عرب أنا بقى سألت ليه ماودوكش هناك . فعرفت ولكن اوعدنى ماتقولش لحد.. واضـاف .. السبب أنت مش الراجـل بتاعهـم . يعنى لم يصنعوك ولست مدين لهم وهم مايحبوش الصنف ده .. عايزين دائما ناس مدينة لهم انهم صنعوهم .. فمثلك جامح لا يؤمن جانبه . واضاف أنت يا راجل انت اللى عملت علاقات : اتحادات الطلاب وأنت اللى مشيت وأنت اللى رحت أوربا تدافع عن قضية فلسطين وليس لك صلة بأحد ولا أحد كان يكلفك أو يوجهك ولا أحد كنت بتتعامل معاه أو يعطى لك بدل سفر ولا بتشتغل شغل مع الحكومة ولا أى حاجة خالص يبعثوا بك لماذا لمهمة فى لندن ؟!

ـ قلت للسادات أنا أخذت الكلام ده « حلقان فى ودانى » وفهمت سيكولوجية وأسلوب النظام فى التعامل وزاد من اصرارى على أن أظل على استقلالى وأرفض أن أكون صنيعة لأحد أو تابعا لأحد . ولا أشتغل حتى فى مجموعة سياسية ولا شلة ! .

ـ أنا ممكن أقول لواحد صاحبى اعطينى خمسة صاغ واذا لم يعطينى أتخانق معاه وأقول له أنه بخيل وغير مخلص وهكذا ولكن لا أطلب من الدولة شيء على الاطلاق فطلب شيء من الدولة لابد أن تدفع الثمن لها كما أنك تضع قدمك على بداية الطريق لتكون صنيعة لها .

هذا دستور أنا خطه في دماغي وماشي عليه يا سيادة الريس ٠

كان السادات يستمع لي بانتباه شديد ٠٠ ويهز رأسه الى الحد الذي جعله وقد انتهى من تناول الطعام قبلنا وقام ليغسل يديه أن استمهلني في رواية بقية القصة حتى يعود بعد غسيلها ٠

ولما انتهيت من رواية القصة قال لي باسما : هذه كانت طريقة عبد الناصر فعلا ! ولما سألته ضاحكا : مش طريقتك دي ياريس ؟ قال لي في بساطة انت شايف ايه ؟ قلت ٠٠ ليس عندي في الحقيقة أي ملاحظة في هذا الشأن ٠٠ والحقيقة أني لم أسمع من أنور السادات أي توجيه لي بكتابة شيء معين ٠٠ رغم أني أعلم أنه كان يعطي بعض كبار الكتاب توجيهات حتى تفصيلية وقص علي قصصا عن ذلك لا مجال لذكرها ٠

ـ أذكر مرة أننا كنا قد كتبنا أن هناك اشاعة قوية أن سيد مرعي سيبقى نائب رئيس الجمهورية فسألت الريس عن ذلك في أسوان فقال انتم مش فاهمين الدستور ٠٠ روحوا اقرءوا الدستور ٠ سيد مرعي هو الوحيد الذي لايمكن يبقى نائب رئيس جمهورية ٠ سألته لماذا ؟ قال لأنه يبقى رئيس جمهورية بعد وفاة الرئيس أو عجزه وفي خلال ستين يوم يفضل هو رئيس الجمهورية حتى ينتخب الرئيس فاحنا مش محتاجين أننا نعينه ولا حاجة وأضاف ابقوا اكتبوا الحكاية دي في روز اليوسف فلما أبلغت عبد الرحمن الشرقاوي مافيش داعي لتكلم عن سيد مرعي ونزعله ونفتح بقى فتحة ٠

ولم يسألني أنور السادات بعد ذلك لماذا لم ننشر ما طلب ٠٠

أما الرواية الثانية التي اهتم السادات بسماعها ٠٠ عن علاقتي بالدولة فكانت عن قضية اضراب المعلمين التي اتهمت فيها ظلما واعتقلني عبد الناصر دون أن يوجه لي أي اتهام أو حتى سؤال وظللت شهرين في سجن أسيوط لا أعرف لماذا أنا معتقل ٠٠ وقلت للرئيس السادات أنني كنت قد كتبت في نفس يوم اعتقالي مقالا في صباح الخير أتحدث عن ربيع مصر القادم باعادة انتخاب عبد الناصر رئيس للجمهورية ! ٠ كما أنني كنت من أكبر الدعاة داخل الحزب الشيوعي المصري لحل الحزب والاندماج في تنظيم الاتحاد الاشتراكي كتيار يساري فيه ! ٠٠ ولم تكن لي علاقة قط بموضوع اضراب المعلمين سوى أن المتهم الأصلي به كان الأستاذ لطفي عبد السميع وهو مدرس ابن خال لي وصديقي وكان بدوره ناصريا متحمسا لكنه تجرأ وتقدم بمطالب للمعلمين ٠٠ دون أن يأخذ اذنا من الدولة بأن يتقدم !؟

ثم بعد ذلك رغم وضوح عدم علاقتى بالموضوع اتخذ عبد الناصر من اعتقالى بعد أن اعتقل عضوا بارزا من قيـــادة الحزب الشيوعى اســمه محمد بدر وسيلة للضغط على الحزب فى المفاوضــات التى كانت جارية وقتها للاتفاق على حله ·· ولم يفرج عنا الا فى اليوم التالى لاتمام الاتفاق ·· وقضيت بذلك ستة شهور معتقلا دون سبب ·

قلت للسادات ان هذه العملية بجعلتنى أشـــعر بعدم الاعتماد على تصورات أخلاقية لمواقف السلطة تجاه القضايا المختلفة ·· قال السادات معلقا : هو انت شفت ايه عبد الستار ·· ده فيه ناس قعدت خمس سنين ·· وخربت بيوتهم ·· وناس ماتت كمان ··

قلت ضاحكا : أصل ماكانش عندهم حزب شيوعى يحلوه !!

قال : دى كانت حاجة وحشـــة ·· ده ربنا ستر معاك وان كنت ماتستهلش رحمته ! قلت ـ ياريس هل لم تكونوا تلفتوا نظر عبد الناصر لهذه الأخطاء وقمع الحريات ده ؟

قال : كثير ·· كثير قوى ·· وأحيانا كان يتجاوب على واحد أو اثنين ·· ما هو أنا اللى أنقذت أحمد رشدى صالح ·

سألته بماذا تفسر سياسة عبد الناصر الديكتاتورية هذه ·

قال : تقدر تفسر لنا ديكتاتورية هتلر ·· وستالين ·· ده طبع ·· وعبد الناصر كان دائما متوتر ·· ولا يهمه العواطف ولا البنى آدمين ان عندهم لسان وعقل وأحساسيس ·· كان متوتر خايف دائما على الثورة من أعدائهــــا ·· وكان يرى الأعداء في كل مكان ويصــــدق التقارير على طول ··

سألته : هل تعتقد أن سيادتك مسئول فعلا ·· عن أخطائه ؟ ··

نعم أعتقد ·· وان لم يكن يعطينا الفرصة ·· وكان عندنا أمل انه يغير من طريقته ··

وكان عبد الناصر زعيم عظيم جدا ·· غير تاريخ مصر كلها فله هيبة حتى عندنا اللى شاركنا معاه · ·العرب كلهم كانوا معاه والغرب خايف منــــه ·· والروس يقولوا له شـــبيك لبيك ·· يســــمع كلامى ولا كلامك ليه ؟!

كان السادات يحترم حق الانســان الذى عينه فى منصب معين فى التصرف كما يرى ويتحمل المسئولية كاملة ·

ونضرب مثلا بما حدث مرة فى روز اليوسف حيث أعطى السادات المسئولية الخاصة بها للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ٠٠ وكان هو رئيس مجلس الادارة ٠٠ وكان العضو المنتدب بهـا هو الأسـتاذ عبد الغنى عبد الفتاح الذى كان صديقا للدكتور عبد القادر حاتم وزير الاعـلام ٠ وكان عبد الرحمن الشرقاوى له طريقة فى ادارة مؤسسة روز اليوسف وهى أن جميع الشئون الادارية يلقى بمسئولياتهـا على العضو المنتدب ٠ وبالتالى لا يتدخل فى الشئون الادارية الا لرفع الظلم عن مظلوم يشكو له ٠ وظلت هذه هى طريقة التعامل بينهما وكانت جيدة وكان عبد الغنى مسيطرا على الادارة فى روز اليوسف لأن كل الناس الأساسيين هو الذى عينهم ولذلك كان يبدو حاكما حقيقيا للمؤسسة ٠

وجاء وقت طرح فيه مشروع لائحة لروز اليوسف فاقترح عبد الغنى مشروع لائحة تعطيه كافة الحقوق والسلطة بحيث يكون هو الشخصية الأولى فى المؤسسة وادهشنى وهالنى ما قرأت فوضعت مذكرة قلت فيها ان المؤسسة هكذا ستغرق لأنه سيكون فيها رئيسان وانه من الطبيعى أن الرئاسة الأساسية فى المؤسسة هى لرئيس مجلس الادارة ! ٠٠

انبسط عبد الرحمن الشرقاوى بما كتبته وبدا كما لو كان قد تفتحت لأول مرة عيناه على طغيان عبد الغنى ٠ وكانت النتيجة أنه بدأ يتدخل فى شئون الادارة بعد أن تنبه للأمر فبدأ يوقف بعض قرارات العضو المنتدب ولكن عبد الغنى تمادى حتى بدأ يلغى القرارت التى يصدرها رئيس مجلس الادارة وكنت أضـحك سـاخرا وأنا معـه قائلا : لقد أصبحت جنرالا بلا جيش ! ليس له سلطة الا على سكرتيرتك المسكينة !

وتفجر الصراع التقليدى فى المؤسسات الصحفية بين رجال الادارة وبين الصحفيين وأيهمـا أحـق بادارة المؤسسة ٠٠ وجـاء عبد الرحمن الشرقاوى بعد طـول صبر وعين لويس جرجس أمينـا عـاما للدار (بمعنى مدير) ٠ فاذا بعبد الغنى عبد الفتاح يعطى تعليمات للاداريين بألا يتعاملوا مع لويس جريس ٠ وبعث للويس جريس يطالبه بالخروج من المنصب الذى عينه فيه ٠٠ عبد الرحمن الشرقاوى ٠٠ ان الاداريين فى كل مؤسسة صـحفية يرون أنهم أحق بادارة المؤسسـة بدلا من هؤلاء الصحفيين الجهلة الذين يتقاضون مرتبات على مجرد كلام ٠٠ فى كلام ٠٠ ولا يهم بعض الاداريين أن تفشل صـحف المؤسسة وتتحول الى مجـرد مؤسسـة للطبع فقط لا غير ! ولعب المجلس الأعلى للصـحافة قبـل د٠ مصطفى كمال حلمى بهذا التناقض طويلا لالهاء الصحفيين !!

فذهب لويس جريس الى عبد الرحمن الشرقاوى وروى له ما حدث فأخذ الشرقاوى سيارته واتجه الى منزل أنور الســادات وطلب مقابلة الرئيس .

فقابله على الفور واستمع الى روايته ثم قال له .

ـ يا عبد الرحمــن أنت المسئول أمامى عــن روز اليوســف . أنا ما أعرفش عبد الغنى عبد الفتاح ده وأنت على الفور تذهب لمؤسستك وتمنع عبد الغنى عبد الفتاح من الدخول وأنا سأتصل بممدوح سالم الآن تليفونيا أمامك ليقبضوا عليه ويذهب الى النيابة !

ـ وحدث السادات ممدوح سالم وزير الداخلية وقال له اقبضوا على عبد الغنى عبد الفتاح وامنعوه من دخول المؤسسة اذا حاول دخولها .. الشرقاوى هو رئيس المؤسسة ولا أحد غيره .. ومسئول أمامى أنا .

ـ عندما عاد عبد الرحمن الشرقاوى الى المؤسسة وجد المنظر التالى .

ضابط المباحث العامة للصحافة (اللواء ســيد زكى) واقفا أمام المؤسسة وعندما نزل عبد الغنى عبد الفتاح من ســيارته تقدم اليه وقال له .

ـ اتفضل روح البيت .

فقال له عبد الغنى ازاى ؟ أنا لازم أدخل .

فقال له اذا أصررت على الدخول أنا سأقبض عليك للأسف الشديد . هكذا التعليمات عندى يا عبد الغنى بك !

وتمت سيطرة الشرقاوى على الموقع فى روزاليوسف لأن السادات وقف الى جانب المسئول الذى عينه .

وحكاية أخرى .. أذكر أننا فى روز اليوسف ناقشنا ضرورة اصدار مجلة اسبوعية تكون لسان حال للعاملين المصريين والعرب فى الخارج بعد اذ بدأ الدّور العربى فى أوروبا وأمريكا يبرز .. ورأينا أن تكون هذه المجلة وسيلة نقل للفكر والثقافة والسياســة المصرية الى أولئك العرب فى الخارج .. وكذلك ننقل فكر ونشــاط وانتقادات ووجهــات نظرهم الينا هنا ..

وقلنا انه من الضرورى أن تنفذ تلك الفكرة بذكاء شديد باعتبار أن هؤلاء العاملين يعيشون فى بلاد ديمقراطية يقرءون فيها انتقادات لما يسمى بالسياسات العليا .. وبالتالى فيجب أن تتمتع المجلة بقدر كبير

جدا من حرية التعبير ·· فلا تكون نشرة رسمية مثلها مثل أى صحيفة قومية تصدر فى مصر ·· والا فشلت ·· ولم تؤد الدور المفروض أن تلعبه ··

وكلفنى عبد الرحمن الشرقاوى أن أعرض الفكرة على السادات ·· فسجلت مذكرة قصيرة من صفحتين فقط لأنى كنت أعرف أنه أى السادات لا يحب قراءة المذكرات المطولة ·· وحملتها معى وأنا أقابله ·· وشرحت له الفكرة بالتفصيل وبالغت فى موضوع الطابع الديمقراطى لتلك المجلة ··

وقلت له ان مجلس تحريرها سيكون معظم أعضائه من العاملين العرب والمصريين فى الخارج ويعقد اجتماعا كل ثلاثة أو أربعة أشهر فى بلد ما ··

وبعد أن التهيت قال لى هذه فكرة ممتازة وقبلكم بتوع الأهرام عرضوا على فكرة مشابهة لكنهم لم يستطعوا شرح الفكرة مثلكم ·· أنا موافق على مشروعكم ·· وبلاش الأهرام ·· وقل لعبد الرحمن على لسانى انى موافق مائة فى المائة ··

ثم سألنى فجأة ·· من سيكون رئيس تحريرها ؟ قلت له لم نحدد بعد ·· ويمكن لأننا سنصدرها فى البداية مرة كل أسبوعين يكون صلاح حافظ ··

قال لا ·· كفايه على صلاح روزاليوسف وأمثالك من بتوع الكلام الكبير ده ·· أنت تكون رئيس تحرير تلك المجلة ··

قلت ·· يا سيادة الريس أنا لم يحدث بينى وبين أى صحفى فى روز اليوسف فى أى وقت نزاع أو صراع لسبب واحد أنى منذ عينت لم أرغب قط فى أن أتولى منصب حتى ولو سكرتير تحرير ·· دائما كان هدفى أن أصبح كاتبا وصحفيا حرا دون قيود أو مواعيد ·· ولا أستطيع أن أدير عملا فيه خمسة أشخاص ·· والجماعة الوحيدة التى أدير شئونها وبنجاح والحمد لله هى جماعتى ··

ضحك وقال فكرتنى بميت أبو الكوم وكان يقصد ان جماعتى هذه هى الكلمة البديلة عن أسرتى ثم عاد يقول : قل لعبد الرحمن أنى قررت أن تكون أنت رئيس تحرير هذه المجلة ·· ده انت فاهم الموضوع بتاعها تمام ·· وكلمنى خطوة خطوة عن كل حاجة فى المشروع ·· وشوف عاوزين ايه ··

قلت ·· يا سيادة الريس زملائى فاهمين الموضوع أحسن منى والله العظيم ·· وعلى العموم سنبحث الموضوع مين يكون ماسكها ·

علم أمين ما كان يسمى بالمجلس الاسلامى بمشروع روز اليوسف فذهب يقاوم المشروع مع أنه كان يدافع عن الشرقاوى ضد المتطرفين الدينيين ٠٠ وقال كيف تسندون مجلة كهذه للشيوعيين ٠٠ وتعثر الموضوع ٠٠ ونحن فى روز اليوسف تلكأنا حتى استغنى السادات عن يساره فى عام ١٩٧٧ فاستبعدنا جميعا !! وقبر المشروع نهائيا ولم تصدر قط حتى الآن جريدة مصرية ذكية للعرب فى الخارج ! وأروى حكاية أخرى :

كانت هناك مباحثات فى القناطر مع شخصية هامة ربما جروميكو لا أذكرها الآن فتأجلت المقابلة فجأة ٠ لماذا ؟ لأن الريس وهو فى الاستراحة جاءه خبر أن الفقيه فى قريته ميت أبو الكوم توفى فتوجه إلى القرية كى يقدم العزاء بل وتلقى العزاء فيه عند القبر الذى دفن فيه ٠

لقد كان السادات مرتبطا بالقرية وبالفقيه وبشيخ الخفراء وكل شخصية فيها ولذلك لم يكن غريبا تنازله عن قيمة جائزة نوبل لمشاريع لتطوير القرية ٠٠ وربما كان السادات واحدا من مثقفين مصريين قلائل ارتبطوا هذا الارتباط بقريتهم ٠ وكان السادات شخصية ذات أريحية ورغبة فى امتاع من يعرفهم خصوصا من خدموه فى أوقات صعبة ٠٠ والحقيقة ما من غرزه أو مقهى صغيرا كان قد مر عليها أنور السادات بسيارة النقل فى شبابه سواء كان سائقا أو تباعا أو مقاولا الا وأنصفه أنور السادات ومنحه مساعدة بأى شكل : فلوس أو حجة الى بيت الله الحرام اذا استطاع أن يقابله أو يوصل له رسالة ٠ ومن العناصر التى أكرمها ورد جميلها ٠ مسجون اسمه مبارك مصطفى وكان محكوما عليه بسبعة وستين عاما ولا يوجد مسجون سياسى فى مصر الا وعرفه ٠ وكان له وضع ممتاز لأن أمثاله كانوا يعاملون معاملة خاصة باعتبار مدة الحكم الطويلة ٠ وكان مبارك يمد أنور السادات بالصحف سرا وهو فى السجن بعد تولى السادات الحكم اتصل به ٠ فقدم له أنور السادات كل المساعدات الممكنة فأفرج عنه وارسله للحج والحقه يعمل بمائة وعشرين جنيها فى الشهر عام ١٩٧٨ وطبعا نحن نذكر حكاية الرجل الذى كان فى قرية البحيرة الذى استضاف أنور السادات وهو مريض بالدوسنتاريا وتحرى عنه الزميل ابراهيم سعده حتى عثر عليه ٠ وأكرمه السادات وزاره فى بيته وأصلح الطريق الموصل اليه من أجل خاطره !!

وفى أسوان رأيته يسأل عن مواطن كان يقدم له الشاى شكك زمان وقيل له انه مات فطلب من المباحث التحرى عن عائلته حتى وجدت ابنا له فاستدعاه وأكرمه هو وعائلته ٠

وكان للسادات فلسفة فى مثل تلك الأعمال ٠٠ قال لى مرة وهو يفسر سلوكه ٠٠ أنا دايما أقول لنفسى ما دام الله قد أنعم على بأن وضعنى

فى موقع يمكن منه أن أساعد الناس فلماذا لا أرد جميل الذين ساعدونى فى أسوأ فترات حياتى ؟ ..

الصديق يعرف وقت الضيق .. وأنا عشت أيام ضيق كثير .. وأهلنا علمونا الوفاء ..

كان السادات لماحا .. فلما لاحظ أننى سكت ولم أعلق على كلامه .. قال لى ضاحكا ..

طبعا مش عاجبك الكلام ده وبتقول لازم مساعدة الشعب والبروليتاريا بتاعتكم ولا يهم مساعدة أفراد .. المهم الملايين ..

قلت له .. يا سيادة الرئيس انى سكت لأنى كنت أتأمل طبيعة الوفاء هذه فى سيادتك لأن غيرك يتبرأ من أبوه لأنه ساعده وعاش فترة فقره الشديد .. هذه قيم عظيمة التى تمارسها يا سيادة الرئيس .. ولا تناقض بين أن يكون الانسان وفيا معترفا بالجميل لأفراد وبين أن يخدم ويضحى من أجل الملايين من أبناء الشعب !

أحيانا كنت أشعر أن السادات يتصور الشيوعيين آلات بلا مشاعر ولا أحاسيس !

وكانت للسادات تصرفات طيبة كثيرة .. ونحكى واحدة أو اثنين منها .. كان زميلنا رحمه الله مراسل الجمهورية فى لندن الأستاذ الأديب فاروق منيب مريضا بمرض الفشل الكلوى مما يعنى تردده كل يومين على مركز غسيل الكلى وكان ثمن الجهاز الذى يغسل الكلية خمسة آلاف جنيه استرلينى ولذلك كان بعض المرضى الميسورى الحال يشترونه ويجرون عملية الغسيل فى بيوتهم لتفادى متاعب الانتقال .. وكان فاروق منيب يتمنى شراء جهاز .. ويضعه فى بيته .. وكان يساعده على ذلك أن زوجته صحفية تعيش معه فيمكن أن تدير الآلة التى سيوفر شراؤها مائتى جنيه استرلينى كل مرة يتم فيها الغسيل فى المستشفى . وطبعا بعث فاروق طلباته لكل الجهات المسئولة ولكن أحدا لم يستجب له وعندما كان السادات فى لندن .. وكنت أنا بين الوفد الاعلامى المسافر معه وأقيم له حفل استقبال فى فندق كلاريدج .. فاتفقنا مع فاروق منيب .. أن يأتى .. على أساس أن أتكلم أنا مع الرئيس .. فى الموضوع ونجعله يقابله فى حفل الاستقبال .

وعندما جاء منعه البوليس من الدخول طبعا .. وتقدمت أنا من الرئيس وحكيت له الموضوع .. فرد على الفور يعنى نشتريها له !؟ .. طبعا طبعا .. وأنا عارفه من أيام الجمهورية .

ثم سأل هو فين ماجاش ليه ؟ ٠٠ قلت له ٠٠ هو على الباب ينتظر اذن سيادتك ٠٠ التفت السادات حوله ٠٠ وقال فين فوزى ٠٠ يقصد فوزى عبد الحافظ ٠٠ ولما لم يجده ٠٠ قال لى معلهش يا عبد الستار انده له من فضلك ٠٠ خرجت وقلت لفوزى عبد الحافظ هات فاروق ٠٠ ودخل فاروق ٠٠ وقبل الرئيس الذى استقبله بحرارة شاكرا فى امتنان شديد ٠٠

حكاية أخرى ٠٠ كان للسادات قدرة كبيرة على التحمل ٠٠ وأذكر أننا كنا على مائدة دعاه اليها ملك السعودية ٠٠ وكانت مائدة حافلة كبيرة على الطريقة الشرقية ٠٠ خراف ونحن جلوس على الشلت ٠٠ وكان عند السعوديين رقصة اسمها رقصة السيف وكان لابد أن يشارك أنور السادات فيهـا ٠٠

ورغم أنه كان متعبا وعمره متقدم الا أنه نهض وأمسك بسيف ٠٠ يرقص معهم ٠٠ وبدا عليه أن يتماسك ٠٠ اذ استمر يشارك فى الرقص مجاملة للسعوديين ٠٠ ووقتها تأملته واحترمته كثيرا ٠٠ لأنى أحسست أنه يجهد نفسه كثيرا كى يجامل ضيوفه بالأسلوب الذى يعجبهم حتى يتوصل لنوع من الاتفاق العربى أو التعاون العربى ٠٠

وهناك حكاية أعتقد أنها درس لنا نحن الصحفيين ٠٠ ففى الاجتماع الى حضره حافظ الأسد مع ملك السعودية ومع أنور السادات لمناقشة الأوضاع فى سوريا ٠٠ وكانت العلاقات حينذاك متوترة بين مصر وسوريا وبين سـوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٦ ٠ قال حافظ الأسد ٠٠ لأنور السادات ٠٠ يا ريس بقى معقول تسلط على واحد زى موسى صبرى ده يقعد يشتمنا ٠٠ وكان الأستاذ موسى صبرى أيامهـا يهاجم النظام السورى بقسوة شديدة كعادة أغلب الصحفيين عندما يهاجمون النظام الذى يتناقض مع مصر ٠

فرد عليه أنور السادات قائلا وانت يا حافظ عندك خمسين موسى صبرى كنت بتسلطهم علينا ٠٠ والدرس فى هذه الواقعة فى الحقيقة يدل على أنه ٠٠ يجب على الصحفيين مهما كانوا مؤيدين لنظام ما ألا يكونوا ملكيين أكثر من الملك ويجب أن يحتفظوا لأنفسهم بخط الرجعة فقد تعود المياه الى مجاريها ٠ فالزعماء المتخاصمون عندما يتصـالحون « يروح الصحفيون فى الرجلين » كما يقال ويصبحون كبش الفداء ويبدون كأدوات أو صوت سيدة ولا تبالى بمصيرهم السلطة على الاطلاق ٠ « فالمصالح العليا » فوق كل شىء ! ٠ وكلما كان الصحفى شتاما هجاء كلما رخص سعره لدى الحاكم حتى لو أغرقه بالعطايا والمنن ٠٠ ذلك لأنه يوجد طابور طويل ممن يريدون تقربا من الحاكم وزلفى له أن يلحقوا بكتائب الهجائين ٠٠ بينما

يوجد عدد قليل من أولئك الذين يلتزمون جانب الموضوعية وينحرفون عن طريق النفاق ؟!

والحاكم يعرف كل هذا .. ولكن أى حاكم يحتاج كما قلنا لهذا وذاك .. الموضوعى والمنافق .. الأمين على الكلمة واللص والغشاش واللاعب بها لعبة الثلاث ورقات ! ..

والحاكم البارع هو الذى يستخدم المنافق دون أن يقع فى فخ تصديق كل ما يقول .. فاذا ما حدث ذلك فكأنه تجاهل عن عمد رؤية الحقيقة .. ولا يرى الا الصورة التى يرسمها ويقدمها له أهل النفاق .. هذا بالضبط ما حدث للسادات .. فقد صدق ما قالوه وهم يزينون له جريمة القوانين الديكتاتورية .. وصدق موكب النفاق والخداع الأمريكى والأوروبى والصهيونى الذى صوره لنفسه زعيما عالميا يشار له بالبنان .. فتملكه الغرور .. فراح ضحية ذلك الغرور .. بعد أن تصور نفسه قادرا على خرق الأرض وبلوغ الجبال طولا .. ألم يعد لنفسه مدفنا فوق جبل سينا فى معبد اسلامى مسيحى يهودى ؟ أى نبى من أنبياء الله ؟! .

بداية .. النهاية ..

كان الأمر قد تفاقم . وتلاحقت الأحداث والمشاعر .. وبدا أن البعض قد بدأ ينفض يده من النظام وصاحبه .... بينما الرئيس .. يزداد التصاقا بالطبقة والعناصر التى تجره الى الهاوية .. ويتضاعف التناقض بينه وبين التيار الدينى الذى بعثه بيديه ليحارب خصوما له لم يكن لهم من سلاح سوى الورقة والقلم بينما هم سلاحهم من الجنازير والمدى طوروه الى القنابل والمدافع الرشاشة .. حتى كانوا هم القتلة لمن دفع بهم الى الوجود ..

ولن ندخل فى تفاصيل معركته مع التيار الدينى فقد كتب الكثير جدا عنها .. ولكننا كالعادة سنعرض من خلاله ومن خلال ما كان يقول السادات كيف بدأ الطريق الى النهاية ينفتح على مصراعيه أمامه !

وانفضوا من حوله ··

بعد ١٧ و ١٨ يناير ١٩٧٧ بدأ السادات فى سياسة كانت تؤدى يوما بعد يوم الى انفضاض الناس من حوله ؟!

بل انه أضاع الفرصة الذهبية التى أتيحت له عند ما بدأ يدخل فى معركة السلام بالمبادرة ·· ثم المفاوضات لتوقيع اتفاقية السلام ··

كما أوضحنا من قبل ·· لم تكد تنتهى أحداث يناير حتى بدأت شمس الحرية تغيب من سماء مصر ·· وبدأ انزلاق أنور السادات الى الدكتاتورية ·· وبدأ حتى عاملون معه فى جهاز الحكم ·· وكتاب يدافعون عنه ويدينون بمناصبهم الكبيرة ·· يشيرون الى أنه يخطىء الطريق ولو سرا !

أذكر أنه فى الاجتماع الذى عقده الرئيس السادات فى يونية عام ١٩٧٧ فى المعمورة وقد حضرته أنا وتلاه مباشرة قراره بسحب كرنيه الرئاسة منى وانقطاع صلتى بالسادات ! ··

فى ذلك الاجتماع كان كل تركيز السادات فى حديثه ينصب على وجوب تطهير نقابة الصحفيين من الشيوعيين الموجودين بداخلها (وكان نقيب الصحفيين يوسف السباعى آنذاك) ·· وظل السادات يكرر القصة المألوفة التى تقول أن الحوادث التى حدثت فى يناير ١٩٧٧ انما هى من تدبير الشيوعيين واليسار وأنها انتفاضة حرامية ·· الخ ·· وظل يتوعد اليساريين بعذاب أليم وطالب نقابة الصحفيين بضرورة التضامن معه وتتولى فصل ثلاثمائة صحفى قائلا أنه ليست مشكلة فى ذلك طالما هم شيوعيون وعملاء ! ··

ــ وطيلة حديث الرئيس أثناء الاجتماع كنت أتبادل النظرات معه عند تركيزه على تلك العبارات ··

وكنت أيامها عائدا من أمريكا ١٩٧٧ حيث كان هو والسيدة قرينته في زيارة وكنت أنا قائما بتغطية هـذه الزيارة ٠٠ وقابلتهما هناك ٠٠ وظللت أتنقل عبر عشرة ولايات أمريكيـة مدافعـا في جـولتي عن القضية الفلسطينية والتقيت بالكثير من الفلسطينيين هناك ٠٠ وكانوا يهاجمون أنور السادات وقتها ويشددون الحملة عليه بالقول بانه بدأ يستسلم للاسرائيليين من أيام فض الاشتباك الثاني مع اسرائيل ٠ وكان الدبلوماسي النشيط حمدي صـالح هو الذي نظم لي تلك الجولة هو والأستاذ محمد حقي المستشار الاعلامي أيامها ٠٠

وعدت من أمريكا ولم يحدث مني أي تصرف مضاد للنظام بل كان موقفي جيدا جدا معه بل كنت أواجه الفلسطينيين خاصة أعوان الجبهة الشعبية حيث اكتشفت أن القاعدة الرئيسية لمنظمات كمنظمة (جـورج حبش) أو حواتمه هي في الولايات المتحدة حيث يمولها كثير من الأثرياء الفلسطينيين ٠ المهم لمـا أنتهى الاجتماع في المعمورة ٠٠ وسرت بجـوار المرحوم علي حمدي الجمال رئيس تحرير الأهرام حينذاك والمرحوم محمود نائب رئيس التحرير ومحسن محمد رئيس تحرير الجمهورية ومجموعة أخرى من الصحفيين فقلت لهم وأنا كظيم :

ـ الله ٠٠ ايه الحكاية ٠ دي متنيلة قوي يا جماعة ٠ وكان ذلك تعليقا على كلام السادات ٠٠

فرد علي حمدي الجمال قائلا هو انت لسه ماعرفتش انها متنيلة ؟ فقلت لا ٠٠ لأني لسه راجع من أمريكا من ثلاث أربع أيام فقط ٠

فقال ده حصل حاجات زي دي كتير ٠ ده من أيام ذهب للقاء الجيش في منطقة القنال وقال لهم مثل هذا الكلام والعن !

الغريب الذي لفت نظري هو أن رؤساء التحرير الذين عينهم الرئيس بمعرفته هم أيضا خارجون من الاجتماع وغير مقتنعين بهذا الكلام وبالعكس علي حمدي الجمال ومحسن محمد (وهذا الكلام أقوله لأول مرة) أنهم كانوا يتحدثون بطريقة ساخرة على كلام الريس ٠ فأنا مشيت وكلي ألم على تدهور الموقف السياسي بهذا الشكل لكن ٠ لابد من تسجيل أنه في هذا الاجتماع كان هناك صـحفي واحد فقط هو الذي اتخذ موقفا في الاجتماع ازاء كلام الريس بخصـوص فصل ٣٠٠ صحفي باعتبـار أنهم شيوعيون وهو المرحوم ابراهيم البعثي ٠٠ ورغم أنه كان من المعروف عنه أن له صـلة جيدة بالأجهزة في الدولة الا أنه الوحيد الذي وقف في الاجتماع وقال : يا سـيادة الرئيس نحن لا نقدر أن نفصـل أحـدا

من نقابة الصحفيين أو ٣٠٠ صحفي بدون أي تعليمات أو تحقيقات من النيابة وادانة القضاء ٠٠ ولو فعلنا ذلك فسوف يتحقق ما يقوله الشيوعيون من أن يوسف السباعى ما جاء الا ليصفى نقابة الصحفيين وتطهيرها من الصحفيين الذين ينادون بالديمقراطية واليسار ٠٠ وهنا سوف يأخذ الشيوعيون وساما على أنهم المدافعون عن البلد والديمقراطية ! فنظر اليه أنور السادات ولم يرد عليه أو يعلق على كلامه ٠٠

ونحن نسجل هذا الوقف رغم خطأ ارتكبه المرحوم البعثى ضدى وضد الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير جريدة الشعب عندما كنا فى لندن متهما ايانا بالتعامل مع التروتسكيين الانجليز ! بل وأخطأ فى حق الشرقاوى مرة ذكر السادات لى ولعبد الرحمن ذلك فى احدى المرات وقد كان السادات مولعا بمهاجمة وكشف عناصر معينة ولا أدرى ما هى الأسباب التاريخية لذلك مثل الأستاذين ضياء الدين بيبرس الذى كان يشمت فى صلاح حافظ أنه ضربه مقلبا فى مواد كان ينشرها ضياء فى روز اليوسف ويقول السادات لصلاح حافظ ضاحكا ألم أقل ذلك الكثير عن ضياء الدين بيبرس ؟٠ وكذلك الأستاذ على الدالى الذى كان يكرهه كراهية التحـريم ٠

وأنا شخصيا أكن ودا شديدا للأستاذ ضياء واحترم آراء كثيرة للأستاذ الدالى ثبت صحة معظمها فيما يتعلق بالاشتراكية بالذات ولكن هكذا كان يقول أنور السادات الذى أحاول أن أعطى لمحات من حياته وأفكاره وآرائه ٠

وأروى واقعة أخرى ٠٠

لقد كانت الصحف المسماة بالقومية تصـدر كل يوم وعلى صدر صفحاتها كالعادة سواء فى عهد عبد الناصر أو السادات أو مبارك مانشتات عن نشاط الرئيس ٠٠ ومع ذلك كان السادات يلوم تلك الصحف متهما اياها بأنها لا تنشر بما فيه الكفاية ولا تعطى نشاطه القدر الكافى من الاهتمام ٠

روى لى الأستاذ محسن محمد أن السادات جمع رؤساء التحرير وقال لهم وسألهم فى غضب سافر : هو أنا فى أجازة يعنى ؟ لماذا لا تكتبوا عن اللى أعمله ؟؟ أم أنا لا أشتغل ؟

علق لى محسن محمد ٠ ماكانش يوم يمر الا والمنشتات تكتب عن أنور السادات فاندهشنا جدا ! واضـاف محسن محمد : الراجل ده نرجسى جدا ! ٠٠

كان هذا كلام وأسرار فى الحكم لا تقال طبعا لأحد · لأننى كنت أدرك أن مثل هذا الحديث سيؤدى الى ثرثرة تؤذى محسن محمد · لكن هذا يبين الى أى مدى كان الصحفيون ينظرون الى السادات وهو ولى نعمتهم بعد أن تنكب الطريق !

الأمن والسادات :

ان أجهزة الأمن والمستويات فيها لواءات وعمداء وعقداء احتككت بهم ورأيت وسمعت منهم الكثير عن انتقاد سياسة السادات · كان بعضهم لا يوافق على تعامله مع نقابة المحامين ولا حرصه على سقوط الكثير من المرشحين الذين ليسوا حكوميين فى انتخابات نقابة الصحفيين ودأبه على محاولة التدخل فى شئون النقابة ــ وكنت أشعر أن رجال الأمن الذين كانوا يهاجمون السادات أمامى ينفسون عما فى نفوسهم فهم مصريون ووطنيون أيضا ويدركون حجم الكارثة المقبلة · ولأن هذا كان كلاما يحدث بينى وبينهم فى « قعدات » خاصة وكنت ألاحظ أنهم بيثقون فى انى لن أنقل حديثهم لأحد ولذلك كانوا يتكلمون بصراحة جسورة أحيانا بل ويلعنون الرئيس ويشتمونه !!

كما سمعت كلاما أثناء علاقتى مع السادات أيضا من وزراء أو غير وزراء بعدما اتسعت علاقتى بالسلطة وما كلمت أحدا عنه ولكننى كنت أقيم أرشيفا فى مخى بشكل مكثف ! خائفا من تسجيله على ورق ! كنت أسمع من رجال الأمن مثلا : احنا كل ما بنهدى الجو فى مكان كان السادات يشعلله ! ·

وسخر أحد رجال الأمن أمامى مرة من الاهتمام الزائد « بتاع » أنور السادات نتيجة الانتخابات التى كان يتنافس فيها كامل زهيرى مع صلاح جلال فى نقابة الصحفيين وقال لى ان « أنور السادات جالس جنب التليفون وكل شويه يسأل عن الأصوات ؟ · كان مهتما جدا · وكأنها حياة أو موت » !

كان بعض رجال الأمن يقولون لى باستمرار ان سياسة السادات تهدد الاستقرار ·

شهادة رجل أمن مهم :

أذكر حديثا طويلا لا أنساه حدثنى به ضابطا أمن ذات مرة ونحن فى القطار للاسكندرية اذ عبرا عن اعتقادهما أن السادات هو الذى يشعل الفتنة الطائفية فى مصر لمصلحته علشان يفضل « راكب السلطة »؟!

وقال لى « انه بيخلق الحاجات دى ويساعد على اشعالها · ويعتقد أن لديه تنظيما سريا « فى البلد هو اللى بيولع ويوقع الناس فى بعض المسلمين والمسيحيين علشان خاطر هو يجد تبريرا لاستخدام العنف وغيره ! » ! ·

وأدهشانى بقولهما : أنتم اليساريين اللى لازم تلعبوا دور فى الموضوع وقلت لهما يومها · نلعب دور ايه ؟ نلعب دور تقوموا أنتم تمسكونا وتقولوا انتوا اللى بتذكوا الفتنة علشان أنتم ملحدين ولاد كلب ؟ ·· مانقدرش نلعب دور لأنه بيضربهم وبيضربنا نحن معا له ·

وأنا فى حل الآن من أن أحكى قصة هامة حدثت لى شخصيا مع واحد من كبار رجال الأمن هو المرحوم اللواء عليوة زاهر مدير المباحث العامة وكان صديقى وصديق على مستوى عائلى لقرابته لزوجتى فقد كنا نتزاور باستمرار منذ كان مجرد نقيب فى بور سعيد عام ١٩٥٩ · عندما عرف بحكاية طردى من « رحمة الكنيسة » أى عندما سحب السادات كارنيه الرئاسة منى · فوجئت به يقول لى « احمد ربنا على اللى حصل ده من مصلحتك ! » ··

فلما سألته لماذا ؟ قال لى : « أصل الراجل ده نهايته سوده » ! لقد فوجئت وذهلت أن يصدر كلام كهذا من رجل أمن كبير ويتحدث هكذا عن رئيس الجمهورية الذى يعمل عنده ··

قلت له : ازاى ؟

قال لى « أنا بقولك ان الراجل ده آخرته مش كويسة واحسن لك انك تكون بعيد حتى لا ترتبط به وبأعماله السودة اذ لو أنت فضلت صديق مرتبط بيه زى ما كنت كده لما تيجى أخرته حيقولوا انت معاه وحيجيبولك مصايب كثيرة من وراء الحكاية دى لأنك محسوب عندهم من أعوانه · فسينالك الأذى لكن كونه أنه اتخلص منك دلوقتى هذا من مصلحتك » ! ومضى عليوة زاهر يقول ومن مصلحتك أن هو اللى اتخلص منك » ؟!

لماذا ؟

« لأن هذا معناه انك مش عاجبه · لو انك كنت انت اللى مشيت ماكانش يبقى من مصلحتك لأنه ده معناه انك مش مسايره على هواه والا طمعان انك تبقى وزير زى ما بيعمل الآلاف غيرك وهو رفض ! فأحمد الله دلوقتى كل الناس حتعرف لما تحصل الكارثة انه مشاك وطردك من رياسة الجمهورية يعنى معناها انك مش عجبه · انه غضبان عليك يبقى ماحدش يقدر يعتبرك من الأذناب ولا من الأعوان خصوصا أنه معروف انك بتؤيده وبتدافع عن الهانم كمان !!

حـاجة كانت غريبـة بالنسـبة لى حقـا . وأدهشنى حديثـه وهذا حدث عام ١٩٧٧ . وقلت للمرحومة زوجتى واحنا خارجين : « الراجل ده قصده ايه من الكلام ده هو بيحاول يجر رجلى والا ايه ؟ . قالت لى : يجرّ رجلك على ايه ما هو طول عمره لم يحاول أنه يستدرجك على شيء وبيعاملك كقرين وكشخص يحترمك دائما ... رغم انه مدروش وبيكره الشيوعيين موت لا عمره حاول يستدرجك فى أن يعرف منك معلومات ولا حاجة . وعامل حدود بينك وبينه فى المسائل دى ؟! .

ونحن فى السيارة فى طريق عودتنا خبطت على رجلى وقلت لزوجتى « والله دى حاجة غريبة قوى . أدى الدولة ياستى . نظام ايه ده المخوخ ؟! على كل حال لابد ألا يخرج هذا الكلام من افواهنا على الاطلاق لأن فيه رقاب تطير وأولهم رقبة صاحبنا .. فمادام الراجل قد وثق فينا فلا يصح أن نقول الكلام ده عنه » . وكان اللواء عليوة زاهر رجل أمن يشهد له بالذكاء وسعة المعرفة والقدرة على التنبؤ ــ فقد كان يعتقد أن الخطر الأكبر على السادات سيأتى من ناحية الجماعات الاسلامية . وأيضا كان يرى أنه ممكن ان تحدث ثورة شعبية كبرى ويقول أنه أى السادات سيجر البلد الى ثورة شعبية لأنه غافل تماما عما يجرى . وده كان فى وقت مبكر جدا . اذ كان فى صيف ٧٧ . والحقيقة صاحبنا هذا لم يكن المسئول الوحيد الذى كان يشجب سياسة السادات ويخشى عواقبها . ولكن كان هناك الكثيرون من كبار موظفى الدولة وبعض الوزراء يوافقونى وهم فى خوف وقلق عندما كنت أعبر لهم عن رأيى فى أى انتقادات أو تحذيرات من السياسة الخاطئة التى يمارسها نظام رئيس الجمهورية وأنا أتكلم معهم . وكنت أقول لهم ان هذا سوف يؤدى الى كوارث فى البلد . وكانوا ينظرون لى فى قلق وعجز معا ويبدو أن طريقتى فى التعامل معهم ومعرفتهم بأننى رجل عقائدى كانت تجعلهم يثقون أن ما يدور بينى وبينهم لن يتسرب « ويخرج بره » . ولذلك كان بعضهم يجرؤ على اضافة معلومات تؤيد ما أقول . وان كان يدهشنى أنهم جميعا بدوا عاجزين حائرين ماذا يفعلون ! كما ان أغلبهم كانوا من الساخطين حتى كنت أقول للواحد منهم فى دهشة .. من اذن المبسوط فى هذا البلد ؟!

وأنا أذكر أن بعد عودتى من أوربا بعد مصرع السادات وقابلت صديقى جمال الناظر وزير السياحة والطيران فى مكتبه كانت أول عبـارة قالها أول ما دخلت عليه فى المكتب أنا افتكرتك كثيرا عند اغتيال الريس وكلامك عن التيار الدينى والديمقراطية وعن اللخبطة اللى فى البلد . لقد افتكرتك كثيرا واحترمتك قوى ! .

من أجل هذا عندما حصل التمزق والتفكك فى الدولة أو فى قوى الأمن يوم المنصة عند اغتيال السادات كان ذلك أمر طبيعيا اذ كان لسان حال أغلبهم يقول :

« انج سعد فلقد هلك سعيد » • لم يدهشنى ما حدث لأن أغلب الحاشية والمنتفعين ترهلوا وركزوا على الكسب والتهليب حتى أصبحوا يملكون ما يستمتعون به وبالتالى يخشون من فقد حياتهم ولم يقوموا بواجبهم فى حراسة الرئيس • وكان التقصير انعكاسا لهذه الحال • حيث ساد التسيب وكذلك أيضا حالة من القرف العام من نظام السادات الذى تدنى كثيرا وبدأ يخطو خطواته نحو الانتحار بعد ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ •

لقد انفضوا من حوله ـ وعندما جاء خلفه حسنى مبارك كان مدركا ذلك جيدا •

ولكن من انفضوا عنه لم يكونوا بعض رجاله فقط •• بل كان هناك أيضا الولايات المتحدة •• واسرائيل •• كما سنرى على هذه الصفحات •••

بداية النهاية

ان من بين الأخطاء والحماقات الكبرى التى ارتكبها أنور السادات ٠٠ هو استبساله فى الدفاع عن عثمان أحمد عثمان ٠٠ بحيث قلب مؤسسات الدولة الى تكايا وعزب ٠٠ يتصرف فى تشكيلها كما يريد كما ظهر فى سطوته فى طرد المرحوم الأستاذ أحمد فرغلى عضو مجلس الشعب وزميلنا فى روز اليوسف من قبل ٠٠ بسبب الكتاب الذى كتبه عثمان ضد جمال عبد الناصر ٠٠ وتصدى أحمد فرغلى ببسالة ضد الكتاب ومؤلفه فأثار حفيظة عثمان ثم أنور السادات نفسه ٠

وجاءت الفرصة عندما عقد المرحوم أحمد فرغلى المؤتمر الصحفى الذى انتقد فيه النظام وأشار الى اشاعة اغتيال خالد محيى الدين ٠ ففصلوا أحمد فرغلى من البرلمان ٠٠ وهذا طبعا بايعاز ومباركة أنور السادات وكانت هذه القصة واحدة من المسائل التى عجلت بنهاية أنور السادات لأنه بذلك كان يهدم الحياة البرلمانيـة ويوسع دائرة خصـــومه عـلاوة على تصــغير مكانته وطمس كل عمل جيد عظيم مثل حرب أكتوبر ٠٠ أو الاجراءات التى اتخذها بالنسبة لبذر بذور للديمقراطية ٠٠

وعندما أحس السادات أن المثقفين والصحفيين بدءوا يهاجمونه كرد فعل لاشعاله الحرب ضدهم دون أن يحـاول قط أن يلتقى بهـم وسط الطريق اذ أخذ يشتمهم فى خطبه ٠٠ ويسميهم بالأراذل والأفندية « اللى بيستخدموا مياه ساخنة » وحاول تأليب الرأى العام ضد الصحفيين فزعم أن الصحفى المتوسط يحصل على مرتب ٤٠٠ جنيه فى الشهر ٠٠ بينما هو فى الحقيقة لم يكن يزيد عن ١٠٠ أو ١٢٠ جنيه أيامها ٠٠ مما اضطر حتى الأستاذ موسى صبرى صديق أنور السادات للرد على تلك النقطـة وتوضيح الحقيقة للرأى العام ٠٠ وازداد سخط المثقفين على أنور السادات٠٠

وأؤكد هنا ٠٠ انه ليس بسبب سياسة السلام مع اسرائيل وانما لمواقفه المتصاعدة ضد الحريات ٠٠ وكن يثيرالسخرية معايرتهم بأنهم يعيشون فى أعطاف النعيم (وهذا طبعا غير صحيح) ٠

بينما هو أى أنور السادات فى الحقيقة كان يرفل فى أعطاف النعيم كما تقدمه مجلة بارى ماتش وغيرها بل هو كن يشهد بذلك ويحمد الله ويثنى عليه فى اليوم عشر مرات ٠٠ وكانت النتيجة أن زادت عزلته عنهم وبدأ المثقفون يسخرون ويتشفون فيه بالاستماع الى الأشرطة التى بدأت تظهر حيث يقلد بعض الناس صـوت أنور السادات فى أحاديثه وخطبه ٠

كما أنه بدا فى الأفق أن السادات بدأ يخف الثقفة أو لا يكثر بها وأتى بوزير من أصل اقطاعى وزيرا لها ٠

فى نفس الوقت لم تؤدى حملة أنور السـادات ضـد الصحفيين والمثقفين الى عزلهم عن الشعب بل ازدادوا بهم التصاقا وازدهرت ظاهرة هجرة الصحفيين الذين يعملون فى الخارج وفى الجرائد الخارجية وتصدر مقالاتهم ضده ويتردد صداها هنا فى مصر ٠٠ ومن كان يسافر الى الخارج يأتى معه بأعداد هذه المجلات ٠٠ ونسخ منها تطبع وتوزع على الناس ٠٠ واصبح لكل كاتب رافض يقيم فى الخارج ٠٠ قيمة كبيرة جدا له هنا فى مصر ٠٠ لأن كلامه جعل أنور السـادات نفسه يشن حملة عليه فازداد العطف عليهم بين الناس خصوصا عندما طالب بطردهم ٠

وقد دافعت أنا عن هؤلاء الصحفيين بالرغم من أنهم كانوا يشتمونى شخصيا ٠٠ ولكنى كنت أرى ٠٠ أن من حقهم التعبير عن رأيهم عن سياسة مصر سواء داخلها أو خارجها ما دام أنهم لا يستطيعون التعبير عن رأبهم فى صحف الداخل ٠ وكنت أرى أن الناس الذين يعارضون كامب ديفيد أو السلام مع اسرائيل ٠٠ لو نشروا رأيهم لما حدث شىء فقد كان شعور الشعب من أجل ابرام اتفاقية سلام مع اسرائيل كبيرا ٠٠ وعلى أى حال كما قلنا أن الشعب هو الذى يقرر ومن حقه أن يسمع كل الآراء ٠ وكان رأيى هذا مطابقا لآراء صحفيين آخرين من أنصار السلام ومؤيدى سياسة السادات ٠

وكانت ديكتاتورية السادات تتطابق مع مصـــالح الطبقة الطفيلية الجديدة المعادية للديمقراطية فشجعته على ذلك المنهج وضخمت له ذاته أكثر مما ضخمها هو بجانب تضخيم الغرب له ٠٠ واحطته بسياج من العناصر الانتهازية « والمطيباتية » والمتسلقة فأودت به باختصار الى التناقض فالتصادم مع كل القـوى السياسية فى مصر يمينا ويســارا مما تسبب فى مصرعه فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ وسط ترسانة الجيش المصرى كله ٠ أما الانفتاح الاقتصادى ٠٠فقد حدد أنور السادات فى ورقة أكتوبر وغيرها من الوثائق أنه يهدف الى أن يكون انفتاحا انتاجيا كما رأينا من قبل ٠

ولكن الذى حدث بعد ذلك أن الانفتاح تحول الى انفتاح استهلاكى .. واندمجت الطبقة الجديدة التى نشأت فى معظمها من الحثالات فى طريق الكسب السريع على حساب خراب الاقتصاد المصرى واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء . وبعد أن كان أنور السادات يشن حملات ضد الطبقة الطفيلية والسماسرة والوسطاء سكت عليها ... بل انتقل من مرحلة الصمت الى مرحلة التشجيع برفضه تصديق أن هناك بليونيرات فى مصر وباعلان بهجته أن مصر قد ارتفع سعر (الأرض فيها يا ولاد) وأطلق أيدى اللصوص والنهابين وسمح لكثيرين منهم بدخول الحزب والبرلمان والحكومة قائلا كل واحد يكسب كما يشاء على شرط أن يدفع استحقاقات الدولة أى الضرائب وبالطبع لم يكن أحد يدفع بل أغلبهم يتهربون من الضرائب !

وفى البداية كان السادات يعتبر أن السماح بحرية رأس المال يطمئن الأمريكيين على نواياه فيساعدونه فى تحرير الأرض كما يطمئن الرأسمالية على اخراج مدخراتها للاستثمار كما أشرنا من قبل لكن بعد ذلك أصبح الانفتاح دولة مستقلة تشكل قوة ضاغطة ثم مسيرة وموجهة لنظامه هو فاستسلم تماما حتى حدثت الكارثة ..

وبلغت حساسية السادات ضد حرية الرأى مبلغا شديدا .. اذ كان ممثلوا الأغنياء الجدد فى السلطة يثيرون ثائرة السادات ويستعدونه كل يوم ويصبون الزيت على النار ويخترعون ويلفقون القضايا والتحريضات ضد العناصر المعارضة كما حدث فى قصة سفارة بلغاريا المشهورة التى انتهك فيها كل الأعراف الدبلوماسية ثم قضية (التفاحة) الفجة التى اتهم فيهما عشرات الشرفاء والمناضلين اتهامات باطلة سخيفة مثل التآمر والتجسس ... وضاع صوت العقلاء الداعين للتهدئة والحوار .. وكسبت المعارضة ارتباطا أوثق بالجماهير وبالذات الحزب الجديد القديم الوفد الذى لم يعطه السدات الفرصة للعمل السياسى اطلاقا وكذلك التيارات الدينية على اختلافها بينما حصل حزب اليسار على أكثر بقليل من ٤٪ من أصوات الناخبين فى أول انتخابات بعد مصرع السادات وهو الحزب الذى قاد ومارس النضال ضد الساداتية باصرار وثبات .

وكما قلنا كان أغلب جلساء السادات خاصة فى الفترة الأخيرة من عناصر اليمين التى كانت تعمل فى جهد حثيث للوصول بالبلاد الى ديكتاتورية تأتى بكوارث .. وكانوا يشجعونه على عدائه لليسار فقد كانت الحملة ضد اليسار هى المظهر الأساسى للحملة ضد الديمقراطية .. ومن أبرز هذه العناصر عثمان أحمد عثمان .

كنا فى رحلة مع أنور السادات وذهبنا الى السعودية ودول الخليج وذهبنا لأبو ظبى حيث قابلت الأستاذ محمود السعدنى وكان رئيس تحر جريدة الفجر هناك الذى استقبلنى بحرارة فقد كنا أصدقاء وزملاء المعتقل أيام عبد الناصر ·

واصطحبنى محمود السعدنى لمقابلة عثمان أحمد عثمان فى دار الضيا حيث كان مرافقا للسادات · روى لى محمود السعدنى بعد خروجنا ·· عثمان قال له ·· ايه اللى خلاك تجيب الواد الشيوعى ده ولكن محمود السعد سأله فى دهشة ساخره : أنا اللى جبته ياعثمان ؟ ·· انتم اللى جبتوه مع فى الطيارة ·· ده انت ورئيس الجمهورية اللى جايبينه !! فرد عليه عثم وقال له ·· لا انت جايبة هنا ليه الأشكال دى لا نريدها ! ·· كان محم السعدنى يتكم مع عثمان بدون كلفة بحكم صداقتهما القديمة التى عثمان والحق يقال وفيا له فيها فى أزمته وهذا يتطابق مع ما ذكرته السيدة جيهان السادات من ان عثمان كان يحرض أنور السادات الشيوعيين « وضربهم بالجزمة » ·· وكذلك العرب المعارضين له وهكذا ··

·· والمعروف أن عثمان أحمد عثمان هو من حمل لواء الدعوة ضد المستأجرين الغلابة لصالح ملاك العقارات منذ بداية تولية وزارة الاسكان ودعى الى أن تنفض الحكومة يدها من بناء المساكن ووضع قوانين للاسـ تطلق يد القطاع الخاص مائة فى المئة فرد عليه صلاح حافظ فى روزاليوسـ فى مقال قال فيه لعثمان ·· « انه يصلح مقاولا ولكن لا ينفع وز سياسيا » ·· وكان عثمان زعلان من المقال ·· وفى طائرة الرئيس هناك عبد الرحمن الشرقاوى وبينما نحن عبد الرحمن وأنا جلوس بالرئيس يمر علينا فى طرقة الطائرة ويقول لعبد الرحمن : يا عبد الر- أقعد شوية مع عثمان لأنه زعلان شوية ·· فقلت لعبد الرحمن بعدها اللى أقعد مع عثمان أنت راجل كبير لا تقعد معاه ·· أنت تقعد مع الرئيس لكن ما يصحش انت تتكلم مع هذا الرجل الذى سيودى السادات داهيه !!

تجمعت عدة ظواهر ·· قبل حادث المنصة ·· قبل ٦ أكتوبر أو بالاحرى قبل الخطوة المباشرة للطريق الى ذلك الحادث المروع ، خطوة اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ ·· نقول تجمعت عدة ظواهر تشير بوضـ الى أن النهاية وشيكة ·· نهاية عصر السادات ··

وهى نهاية لعب أنور السادات فيها الدور الأساسى بحيث يمكن

يقال دون أية مبالغة أنه أى السادات قد سار الى حتفه بظلفه عامدا متعمدا في حماقة منقطعة النظير ؟!

من النادر جدا فى التاريخ أن (ينتحر) حاكم كما (انتحر) أنور السادات .. وهو انتحاز فعلا لأن كل شيء كان واضحا أمامه .. الطريق الخطأ .. والطريق الصواب .. وكان هناك قدر هائل من النقد لسياسته عن طريقة الكتابة والاذاعة بجميع لغات العالم .. كما كان هناك من يبصره بخطأ ما يفعل .. ومن هؤلاء أهل بيتة أنفسهم بصرف النظر أن بعضهم مسئول عن بعض أخطاء السادات وطريق النهاية والذى سار اليه كما لو كان عن عمد واصرار .

لقد بدد رصيدا هائلا له .. وأدار ظهره لقضية هى التى مكنت له فى الحكم ونصرته على تيار مسيطر على العالم العربى كله عشرين عاما .. وهى قضية الديمقراطية التى كسب بها كل الأوراق . وبدأ يتجه اتجاهات انتقامية ضد الشعب نفسه الذى مكن له فى الأرض .. وصفق له وحياة لمعاركة المجيدة فى اعادة سيادة القانون .. وحرب أكتوبر .. وعقد اتفاقية السلام .. والسماح بعودة الاحزاب فانقلب عليه يكبلة بقوانين متشنجه مروعة كان بينه وبين الناس ثارا !! ..

بمناسبة ما كانت تقوله جيهان السادات عن أعصاب أنور السادات أنا أذكر أنه عند عودته فى شهر يوليو أو أغسطس من أمريكا قبل مصرعة بشهرين أو ثلاثة أشهر وكان قد اجتمع هناك بالرئيس الامريكى وعقد فى مصر المؤتمر الصحفى الذى ثار فيه على الصحفى الذى سأله هل اتفقت مع الرئيس ريجان ضد الجماعات الاسلامية فى ١٩٨١ ؟ السيدة جيهان أيامها كانت تقول لى أن السادات فقد أعصابة تماما بعد عودته من أمريكا لماذا ؟ لأنه احس أن الولايات المتحدة تخلت عنه تماما فلا هى تقبل الضغط على اسرائيل لحل قضية النزاع فى الشرق الأوسط ولا هى موافقة على حل المشاكل المالية المعلقة بيننا وبين الولايات المتحدة . وهو كان عصبيا أيضا لأن اسرائيل خدلته أيضا . فبعد توقيع معاهدة السلام ظهر ان اسرائيل تملصت من تنفيذ الشطر الثانى فى اتفاقية كامب ديفيد وهو الجزء المتعلق بالحكم الذاتى للفلسطينين عندما استحدثت حكاية الحكم الذاتى للأفراد وليس للأرض اذ أدركت أن حكاية الحكم الذاتى كان يفهمها أنور السادات على أنها ليست الا دولة فلسطين بلا اسم وأصبحت عصبية أنور السادات حائلا بينه وبين من يريد أن يتحدث اليه بحرية . فكان اذا أراد أن يتكلم معه كان يتحسس الموضوع ويلف حوله حتى يستطيع أن يفتحه . وتولد لدى السادات كما قالت السيدة جيهان احساس أنه مخدوع وأن الاسرائيلين بدأوا يتصرفون بغير أمانة معه .

وكانت أكثر المسائل بروزا فى الموضوع هى ضرب اسرائيل للمفاعل الذرى العراقى بعد زيارة بيجين له عام ١٩٨٠ فشعر ان هذه كانت خدعة كبرى له اذ فهم الرأى العام بأن الرئيس يسكت أو يبارك ضرب المفاعل الذرى العراقى كما أن كل التخطيطات المصرية بالنسبة لاستكمال حـل المشكلة الفلسطينية كانت قد تجمدت ووصلت الى طريق مسدود وكان واضحا تماما أن أنور السادات كان عاجزا عن المضى خطوة واحدة الى الامام ٠ وكان كل الذى ينتظره هو جلاء القوات الاسرائيلية عن سيناء فى ابريل ١٩٨٢ وكانت يثير توتره وقلقه احتمال أن الاسرائيليين فى آخر لحظـة يتملصون أو يتهربون من تنفيذ الجلاء تحت أى حجة وبدلا من أن يدفعـة ذلك الى الاعتماد على الجماهير أكثر ويحسن من سياسته الداخلية مع الناس ويتوام مع القوى السياسية المختلفة ، كان يدفعه بالعكس بكل قوة وطيش وحماقة ضد كل القوى السياسية لمجرد أى معارضة ٠ وكان ظاهرا جـدا عندما حل مجلس الشعب لوجود خمسة عشر معارضا فيه أنه يخشى من أن أى معارضة يمكن أن تؤدى الى حدوث تراجع اسرائيلى عن الانسحاب من سيناء وقد دفعه هـذ الخوف الى التلميح الى نوايا غريبـة على السياسة المصرية مثل الاعلان عن الاستعداد لاقامة نوع من التعاون مع الولايات المتحدة واسرائيل وكما لوح أنه ممكن أن يلتحق بحلف الاطلنطى !؟ مما قوى من شوكة المعارضة ضده وبدا أن الجلاء عن سيناء ثمنه فادح جدا وهو ضياع استقلال البلاد وربطها بأحلاف عسكرية وهو ما ناضلت ضده مصر طويلا ٠ لكننى أعتقد أن السادات لم يكن جادا فى اعلاناته هذه عن مثل هـــذه الأمور بل بالعكس أن الأمريكان ما كانوا يستطيعون أن يثقوا بهذا الرجل ويتساءلون ماذا سيفعل بعد أن تجلو القوات الاسرائيلية من مصر بعـد المقلب الذى « عمله » بقيام حرب ١٩٧٣ وأيضا المقلب اللى « عمله » مع الاتحاد السوفيتى بالنسبة للخبراء عام ٧٢ ٠ هذا الانقلاب السياسى الذى كتبت جريدة ايطالية أيامها تعليقا على طرد الخبراء السوفيت أن على دول حلف الأطلنطى أن تفكر مرتين فى التعامل مع هذا الرجل بعد ما أظهره من غدر بأصدقائه السوفيت اللذين قدموا له كذا وكذا ٠٠٠ الخ ٠

وشواهد الحال كانت توضـــح أن الســـادات طوال الوقت ٠٠ كان متوترا باستمرار وكلما كان البعض يكلمه عن الافراج عن المعتقلين بعد سبتمبر ٠ كان يقول بعدين نشوف وأنا أذكر أن الوزير النشط حسب الله الكفراوى قال لى أنه فاتح السادات مرة أن اعتقال عدد من الناس تم بطريق الخطأ وبدون وجه حق وقال ان السادات نظرا اليه وهو يتنهد : فـات الأوان يا حسب الله خلاص اللى حصل حصل ٠٠ وقال انه كان بيقولهـا بطريقة ندم ٠ لكن على أى حال نحن أمام الموقف الواضح وهو أن السادات

ارتكب خطأ العمر في حملته سنة ١٩٨١ على كل من هو سياسي · بل انه لم يراعي حتى اعتبارات كان حتما أن يراعيها مثلا اعتداؤه على حرمة الكنيسة والمنصب الديني الكبير وشبه المقدس لبطريرك الأقباط وتحديد اقامته في الدير وفرض من يحل محله ·· هذه جرأة لم تحدث من قبل في تاريخ مصر الحديث وتشكل أسبابا وليس سببا واحدا للفتنة الطائفية ·

مثل آخر اعتقاله لنجل الأستاذ المرحوم احسان عبد القدوس ·· الأستاذ محمد عبد القدوس الذى ينتمى للتيار الدينى وليس ارهابيا بحال من الأحوال ·· دون أن يرعى أن احسان قد ساعد على تهريبه من عيون البوليس أيام نضاله ضد الانجليز ·· وأنقذ حياته وحريته ·· وكان صديقه ·

ومثل آخر ·· اعتقاله لأكبر سياسى فى مصر لأكبر حزب فيها قاد الحركة الوطنية لأكثر من ثلاثين عاما ·· وهو فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد القديم والجديد والذى كان السادات قد سمح للحزب بالعودة ·· ثم تراجع ··

ومثل آخر وليس أخير ·· اعتقال محمد حسنين هيكل ·· رفيق جمال عبد الناصر ·· ومهندس انقلاب السادات على رجال عبد الناصر والذى لعب دورا أساسيا فى انفراده بالحكم فى ١٥ مايو ١٩٧١ ·· ولم يكن هيكل متآمرا أو ارهابيا ! ··

النهـــــاية ...

بعد اغتيال انور السادات .. اجرت بعض الأجهزة بروفة لاسترجاع كيفية حدوث ذلك الاغتيال ـ وتكررت تلك البروفة اكثر من عشر مرات وتقدم كل مرة احتمالا آخر من احتمالات حدوث الجريمة .. مثلا : ماذا كان يحدث لو كان هناك حراس اماميون امام المنصة . أو ماذا كان يحـدث لو كان هناك خلف الرئيس حرس .. أو على الجـــانبين .. فاكتشف الباحثون والمراقبون بعد التجارب العديدة التى جرت فى مكان مجسم للحادث نفسه انه كان حتما مقضيا أن يقتل انور السادات .. فهو قتل من جانب احد المتآمرين من سيارة الجيش التى توقفت فجاة وكان الاحتمال الأكبر انها تعطلب مؤقتا .. لم يكن هناك جدوى من زيادة الحرس أو وضعه من أمام أو من خلف .. فواضعو الخطة كانوا يضعون مثل ذلك الاحتمال .. ولذلك خططوا لقتله عن طريق فريقين .. فريق راكبى السيارات .. والفريق الذى غادرها ..

كما أجرى عدد من الباحثين فى بعض الأجهزة دراسات مفصلة عن ما هى الأسباب المباشرة التى أدت الى تصاعد التناقضات بين الســادات وخصومه .. بحيث حدث ما حدث بعد أن بلغ الاستفزاز لهؤلاء الخصـوم مداه .. وتهيأ المناخ السياسى والاجتمـــــاعى فى مصر لحدوث مثل تلك الجريمة مما انعكس نفسه على المتآمرين فشجعهم . فواحد من أسـباب اندفاع الارهابى أحيانا لارتكاب جريمته هو احساسه أن الناس تكره من يريد اغتياله أو ستقف موقفا سلبيا .

وبعد دراسات ومناقشات طويلة .. خلص الباحثون الى نقاط عديدة .. أهم نقطتين فيها هما نقطتان :

النقطة الأولى : أن واحدا من أسباب تصاعد الصراع بين السادات وخصومه هو شتائمه واتهاماته القاسية بعبارات حادة ضدهم ٠٠ فهو تارة ينعت بعضهم بانهم عملاء ٠٠ ويتوعدهم بالويل والثبور ٠٠ وانهم الندية وخونة ٠٠ وملاحدة ٠٠ ومرة اخرى أنهم دجالون ٠٠ وملقون كالكلاب داخل السجون ٠٠ الخ ٠٠

والنقطة الثانية : ان سببا آخر من تصاعد الصراع مع اغلب الدول العربية هو رده على الشتائم والاتهامات التى كانت توجه له على طريقة رد التحية بأحسن منها ٠

فاثار ذلك التوتر ضده وساعد خصومه العاملين فى الاعلام بالذات على ترويج بضاعتهم ضده ٠٠ وتضاعفت الشتائم ضده مما أثر فى سمعته وقلل من مركزه وهيبته ٠٠ وبدا كأن قامته كقامتهم يتبادل معهم المهاترات والسباب ٠٠ وليس رئيس جمهورية يكتفى باطلاق عدد من الكتاب طويلى اللسان ليردوا على أمثالهم من طوال الألسنة على الجانب الآخر ٠٠

وانتهى الباحثون الى اقتراح محدد يتلخص فى كلمتين ٠٠ أو أربع هى :

لا شتائم ٠٠ لا رد على الشتائم ٠

لا شتائم للمعارضة والخصوم السياسيين حتى لو تجاوزت الحدود ٠

ولا شتائم لأى بلد عربى حتى لو سلط اعلامه ضد رئيس الجمهورية شخصيا ٠ ويمكن أن يوكل بمهمة الرد لكتاب من كتاب النظام ٠

والحقيقة أن أنور السادات كان خصومه قد نجحوا الى اجتذابه الى ساحتهم وميدانهم هم ٠٠ وبأساليبهم هم ٠٠ فاندفع يخطب فى كل مكان يشتم خصومه حتى دولة كبرى مثل الاتحاد السوفيتى ٠٠ ويسخر ويتفكه بما يعتقد أنه سلبيات هنا وهناك ٠٠

وبدا فى كثير من خطبه غاضبا ناقما وهو يتكلم بالذات عن الصحفيين الذين يهاجمونه خارج مصر ٠٠

ويكفهر وجهه وتبرق عيناه وتجحظان كلما جرى حديث حول ١٨ و ١٩ يناير حتى أصبح سهلا على من يريد أن يثيره أن يفتح الموضوع ٠٠ ويتحول الأمر الى كارثة اذا ما وصفها بأنها هبة شعبية !

أما الدول العربية ٠٠ فقد كان يستغل مواهبه السابقة كصحفى للرد عليها بنفس أساليبها الخارجة عن الحدود ٠

ولم تكن هناك حاجة الى ممارسة هذا الأسلوب من جـــانب رئيس الجمهورية ؟..

فقد كانت أحداث ١٨ و ١٩ يناير قد ولت وانقضت وهو الذى كان يذكر الناس بها وكذلك القوى السياسية .

وكان الشعب فى معظمه كما ذكرنا من قبل يؤيد سياسته فى حل التناقض التاريخى مع اسرائيل .. الا أن أنور السادات كان يتصـــور أنه لو ترك الحرية لناقديه فى هذه السياسة من جانبه سيكسبون الجمـــاهير وبالتالى ينتصرون عليه ويفشلون سياسته .. مع أن هذه الحرية لو تركت لهم لما كسبوا الجماهير ولا هم يحزنون ..

وآية ذلك انه بعد اغتيال السادات مباشرة انفجرت فى مصر وفى العالم العربى حملة شعواء على كامب ديفيد وصانع كامب ديفيد .. ومع ذلك لم يستنكر الشعب المصرى كامب ديفيد وكان بوسعه أن يفعل ذلك .. وكذلك لم ينجح خصوم سياسة السادات أن يحشدوا الرأى العام العربى ضد تلك السياسة .. بل ان الذى حدث كما أوضحنا من قبل أن الناس قدموا من كل فج عميق يؤيدون ســـــياسة السادات بعد ١٣ عاما من مصرعه !

لقد راح السادات ضحية مبالغته فى قوة وتأثير خصومه .. وأيضا نزعاته الديكتاتورية التى كانت أحداث ١٨ و ١٩ يناير هى الفرصة التى تحينتها تلك النزعات فظهرت على الســطح ســافرة عارية .. فمــا كان السادات فى تاريخه ديمقراطيا أو ذا نزعات ديمقراطية ..

فهو كان عن خطأ وجهل جسيمين يؤيد أكبر ديكتاتور ظهر فى تاريخ العالم (هتلر) وتطوع للعمل لحسابه تصورا منه أن ذلك نوع من النضال الوطنى لتحرير مصر من الانجليز ..

وأنور السادات اعترف بانه كان معاديا لاقامة نظام ديمقراطى فى مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو عندما قال ان عبد الناصر كان الوحيد بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى دعى الى اقامة نظام ديمقراطى .. بينما صوت باقى اعضاء المجلس مع اقامة الديكتاتورية .

(وقد عرف بعد ذلك أن خالد محيى الدين ويوسف صديق صوتا أيضا مع الديمقراطية) ..

حتى الوضع الاقتصادى وقتها لم يكن يخيف كثيرا اذا ما كان قــد سمح للناس بحرية التعبير .. فقد كانت هناك سنوات الانفتاح الأولى التى

احدثت انتعاشا ·· كما أن الألوف من المصريين كانت قد تفتحت أمامهم أبواب العمل فى البلاد العربية ··

ولقد اخطأ السادات خطأ رهيبا باعتقاله كل القوى السياسية دفعة واحدة ·· وبدا للجميع كما لو كان قد افتعل حوادث للفتنة الطائفية ليضع كل تلك القوى فى المعتقلات ·· اى انه حارب فى عدة جهات فى وقت واحد ولم يفهم الشعب المصرى كيف يضرب النظام كل الناس رغم أن الأغلبية الساحقة منهم لا تنتمى الى احزاب ·· انما شمول الضربة لكل القوى جعل الناس يحسون أن الضربة موجهة لهم كلهم ·· لمصر كلها ··

ولم يقتصر اثر هذه الشمولية فى الضربة ·· على داخل مصر ·· بل تعدى الأمر لخارج مصر ·· وقد كنت فى رحلة فى فرنسا وبلجيكا وهولنده وايطاليا ايامها ·· ورأيت كل صحف الغرب تندد بما فعله السادات ويفقد بذلك جزءا كبيرا من رصيده الذى حصل عليه بسبب معاهدة السلام ··

واصبح هناك شمولية فى انتقاد السادات ·· لم يعد الأمر يقاصر على قطاع اليسار العالمى ·· بل والقوى الديمقراطية ·· وأيضا معظمهم اليمين الأوربى ·· وكذلك فى الولايات المتحدة ·· وأيضا فى كل العالم الاسلامى والعربى ··

والطريف أن انور السادات قد ادهشه أن صحف الغرب وقفت ضد تلك الاعتقالات ··

وقال فى اسى كيف تهاجمنى وأنا فعلت ما فعلت لصالح الغرب ؟! وكان يقصد انه فعل ذلك لحماية معاهدته مع اسرائيل للسلام ·· ومن الطبيعى انه أمر يجب أن يؤيده الغرب ·· فلماذا تهاجمه صحافته ؟!

لم يكن أنور السادات قد فهم بعد أن قطاعات عديدة فى الغرب بدأت تسأم اسلوبه وصداماته فى كل مكان حتى أصبح البعض يقولون أنه لم تعد هناك فائدة منه ·· فقد حرق نفسه وكباريه فى العالم العربى ولم يعد له دور جديد ينتظره ··

لقد فشل تماما فى جذب العرب الى شىء مثل كامب ديفيد الذى جوهره الصلح مع اسرائيل ·· ولا ينتظر أن يتقدم خطوة فى هذا السبيل ··

لم يفهم انور السادات انه لحماية نفسه من انقلاب الغرب عليه ·· واحتمال أن يضحى به أنه يجب بعد تحقيقه للسلام أن يركن لشعبه ويعتمد عليه ويعقد هدنة ومصالحة مع كل الأحزاب السياسية أو بعضها وحتى لو رفض التيار الدينى ايامها تلك المصالحة فقد كان يمكن عزله بالاتفاق مع الوفد واليسار والمنظمات النقابية والمهنية وكل التنظيمات فى مصر ··

ولكنه بالعكس ·· عاد من الولايات المتحدة يحمل العصا يلهب بها ظهر الديمقراطية ويتنكر لقاعدة أساسية من قواعد حكمه طالما كررها وأشاد بها ·· وهى قاعدة رفض فتح المعتقلات من جديد ·· فقد كان يباهى الأمم أنه يرفض مبدأ الاعتقال ويحذر الشعب من تكراره · وبالفعل ظلت مصر فى عهده حوالى عشر سنوات لا تعرف طعم الاعتقال الى أن نكص على عقبيه فاعتقل زهرة المفكرين والسياسيين والنقابيين فى مصر ! ·

وبالفعل وجدت كل القوى السياسية نفسها فى صف واحد فى مواجهة حكمه ·· والحجة التى يقدمها أنصار السادات لتبرير حملة سبتمبر ١٩٨١ أنه كان يخشى أن تتعلل اسرائيل بأى تحرك معارض لاتفاقية السلام فترفض الانسحاب والجلاء بحجة أن الشعب المصرى يرفض تلك المعاهدة والنظام عاجز عن اقناعه بها ··

وهى طبعا حجة بلهاء ·· ففى اسرائيل نفسها كانت هناك حركة نشطة ضد اتفاقية كامب ديفيد ومع ذلك لم تتعلل الحكومة الاسرائيلية بذلك الحركة لالغاء الاتفاقية أو لعدم توقيعها من البداية حيث نشأت المعارضة منذ بدء المفاوضات من أجلها ··

وهى بلهاء لأنها تتجاهل أن حركة الاعتقالات كانت تتويجا لسياسة مستمرة « متطورة » دائما من جانب أنور السادات منذ ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ لتقييد حرية الشعب وأن تبرم السادات بحرية الكلمة كان يزداد يوما بعد يوم بجانب احساسه بتضخم الذات وأنه نبى السلام فى المنطقة تقريبا ·· فكيف يجرؤ أحد على معارضته ··

ويبدو أن أنور السادات كان يقلقه أحيانا من الداخل أنه لم يصل الى منزلة جمال عبد الناصر فى نفوس الناس من حيث الحب والمهابة والزعامة ·· اذ أذكر أنه قال لى مرة فى معرض حديثى عن حرب ١٩٧٣ ·· انتم يعنى قاعدين مدح فى جمال عبد الناصر ·· رغم انه هزم عام ١٩٦٧ ·· لكن لا أرى هذا المدح لحرب أكتوبر وهى الانتصار الوحيد للعرب من أيام بيقولوا صلاح الدين ! ··

ومرة قال لى ·· بعد أن كانت هناك اشاعات عن مسئولية اليسار فى مظاهرات حلوان فى يناير ١٩٧٥ ·· معقول انكم تخلوا الشعب يقف ضدى ·· هو انا ولا جمال عبد الناصر ··

وأردف قائلا :

ـ والله عبد الناصر كان عمل لهم كفر الدوار ثانية ووضع نصفهم فى اللومان !

كان يقض مضجعه ويثير أعصابه انه لم يبلغ منزلة عبد الناصر ٠٠ وهو قد عاش عصر عبد الناصر حيث كانت الكلمة محبوسة ٠٠ ولم يكن احد يستطيع قط أن يشير ولو تلميحا لنقد من أى نوع لأى تصرف لجمال عبد الناصر ٠٠ بينما العشرات كانوا ينقدون سياسة أنور السادات ٠٠ حتى أنور السادات نفسه عاش ١٨ عاما مكبوتا لا يستطيع الاعلان عن رأيه لو كان معارضا لجمال عبد الناصر ولو فى جريدة حائط ! ٠٠

لذلك كان الطريق سهلا ومغريا أمامه ٠٠ ليضيق صدره بالكلمة ٠٠ وحرية التعبير ! ٠٠

تأمل كلمات السادات وهو يقول فى أعقاب ١٨ و ١٩ يناير مشيرا الى « سلوك » اليسار فى تلك الأحداث ، وهو السلوك الذى اعتبره موجها ضـــده ٠

" انا الذى سمحت لهم بحزب سياسى علنى لأول مرة ٠٠ وعبد الناصر هو الذى سجنهم وعذبهم وأجبرهم على حل حزبهم ٠٠ مع أنه لا يوجد حزب شيوعى فى العالم حل نفسه أبدا ٠٠ وفى نهاية المطاف يهيجوا الناس ضدى ٠٠ ساوريهم أياما لن يزوا مثلها اذن ٠٠

كان السادات يكرر كلاما كهذا ٠٠ مرات عديدة فى خطبه وهو يتكلم فى مرارة وحرقة شديدة حتى بات واضحا أن المسألة كما لو كانت ثأرا شخصيا ٠٠

كان هنا متأثرا بحساسيته الذاتية أيضا بجانب العوامل الموضوعية الأخرى ٠٠ وجاءت الكارثة الكبرى عندما قام بالمبادرة وعمية السعى من أجل السلام ٠٠

لقد نصب له الغرب كمينا هائلا ٠٠ عندما استخدم معه نفس أسلوب المستعمرين القدامى الذين كانوا يبهرون شعوب افريقيا بالخرز الملون والملابس المزركشة ٠٠ بالتليفزيون والصحف ٠٠ وكبار القوم (وكان السادات يسعد كثيرا بمعرفتهم ويخلع عليهم لقب صديقى فى تلذذ شديد وقارن بين أصدقاء عبـد الناصر من الغـلابة مثـل نكروما وسوكارنو وسيكوتورى وأصدقاء السادات من جيسكار ديستان وكارتر واللورد فلان وعـــلان ٠٠) ٠٠

حصار شديد قامت به وسائل الاعلام الغربية لخلع ألقاب وصـفات البطولة والشجاعة والبراعة على أنور السادات ٠٠ طبعا بجانب زفـة وسائل الاعلام المصرية ٠٠

ودعوات ليخطب هنا وهناك فى برلمان كذا ومؤتمر كذا فى أوربا ٠ ٠ وأمريكا ٠٠ بل قيل فى وقت من الأوقات أن السادات لو رشح نفسه رئيسه للولايات المتحدة لنجح أمام المرشحين الأمريكيين لحما ودما ! ٠

والحقيقة أن السادات قد اكتسب شعبية كبيرة فى أوربا وأمريكا ٠ ٠ فقد كان أول زعيم عربى يتحرك جديا نحو السـلام مع اسرائيل بجانب مصلحة الولايات المتحدة والصهيونية العالمية فى ابرام ذلك السـلام والاعتراف ٠٠ بالدولة الاسرائيلية ٠

وأود هنا أن أؤكد أن سعادة الولايات المتحدة والصهيونية بابرام سلام مع اسرائيل ليس معناه ان ذلك السلام ضد مصالح مصر وشعب فلسطين ٠٠ بل انه من صميم مصالحهما ٠٠ وقد تلتقى مصلحة الاستعمار مع مصلحة الشعوب جميعا فى وقت من الأوقات حول قضية معينة كما ظهر ذلك مثلا فى مواجهة النازية ٠٠ وكما يحدث كثيرا عند التقاء مصالح دول استعمارية معينة بعمليات نزع السلام واقرار السلام العالمى ٠٠ وهكذا ٠

لكن المشكلة أن السادات قد سكر بخمر الدعاية الغربية الهـائلة الكفيلة بافساد زعماء كثيرين من دول العالم وتضخمت ذاته اكثر ٠٠ وبدلا من أن يمتلىء بالثقة ازداد احساسا بالذات وضاق بكل حكمة ٠٠

وعندما نتحدث عن اغتيال السـادات ٠٠ فنحن سنتعرض لبعض الملاحظات حول هذا الموضوع ٠٠

لا شك أن الاعلام المصرى يتحمل مسئولية كبرى فى التعجيل بنهاية أنور السادات ٠٠ واقصد بالدرجة الأولى الصحف ٠٠ فالاذاعة والتليفزيون جهازان حكوميان مثلهما مثل اى ادارة حكومية تخضع مباشرة للتعليمات بصرف النظر عن الهزل فى بعض تلك التعليمات ٠

وهل هناك هزل أكثر من اذاعة رسـالة السيدة جيهان السادات للماجستير فى التليفزيون على الملايين على شاشة التليفزيون كأنما هى « فتح لعكا » دون اكتراث بأن هناك آلاف من أصحاب رسالة الماجسـتير والدكتوراه ٠٠ يعرضون رسالاتهم كل يوم امام حضور لا يتجاوز عددهم بضع عشرات ٠٠

وتحضرنى هنا واقعة ٠٠ ان منصور حسن وزير الاعلام حينذاك لفت نظر السادات الى الخطأ فى اذاعة مناقشة الرسالة ٠٠ فقال السـادات أذهب وقل لها أنت ذلك ! ٠٠

واذيعت واحدث ذلك اثرا سيئا جدا بين الناس وبالعكس كانت فرصة لاثارة لغط على نطاق جماهيرى بانها رسالة مزورة أو مصنوعة من بعض

الاساتذة للهانم ·· والمرء يدهش حقا كيف يصاب بعض القادة فى أحيان معينة بالعمى السياسى الى هذه الدرجة بحيث لايدركون رد فعل بعض أعمالهم بنتائج عكس ما يريدون على خط مستقيم ··

نعود الى الصحف ·· انها جميعا باركت فى حماس شديد حملة السادات فى سبتمبر ·· ووصفها البعض بانها ثورة ·· وفرسان التأييد فى تلك المرحلة ظلوا فرسان الصحافة المصرية القومية حتى يومنا هذا ·

هنا سيثور سؤال ضخم ·· ماذا أعمل أنا كرئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية أو رئيس تحرير صحيفة ·· تابعة للنظام باعتبارها صحافة قومية اذا كان رأس النظام يطلب منى أن أؤيد سياسته فى أمر خطير كهذا ··

اذا أنا وافقت كان بها ستمضى الأمور وأظل « راكبا » مقعدى ·· واذا لم افعل فانى سأنحى عن ذلك المنصب وأفقده ··

والواقع انه اذا سلمت بتنفيذ ارادة النظام والكتابة للدفاع عن قضية خاطئة ·· حرصا على منصبى اذن أنا خائن لأمانة الكلمة ولا أفترق عن أى مأجور ·· ما العمل اذن ··

ان الوزير الذى لا يوافق على سياسة رئيس البلاد عليه أن يتنحى عن الحكم ليترك المكان لمن يقبل تطبيقها ··

والوزير فى النهاية موظف ·· لا يواجه الجماهير يوميا بالكلمة الموجهة اليهم لتنمية وعيهم وللدفاع عن مصالحهم ·· فالكاتب أكثر مسئولية مع الضمير والانسانية من أى موظف تنفيذى ·· والكتاب هم الذين أشعلوا الثورات ضد الظلم ·· ان الكاتب الأمين على قضية شعبه أشبه بالنبى البشرى ·· أى أن الفرق بينه وبين النبى الحقيقى أنه لم يرسل من السماء !·

ولقد استقال رجل ذو منصب عال جدا من منصبه عندما اختلف مع السادات فى سياسته ازاء اسرائيل وهو نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اسماعيل فهمى ··

وبعده استقال رجل آخر ذو منصب عال وزميل وصديق تاريخى لأنور السادات لنفس السبب هو محمد ابراهيم كامل ··

ان أى كاتب أولى منهما وهما موظفان تنفيذيان وليس كاتبان ذوى رسالة أن يسلك مثلهما ·· والأرزاق على الله كما يقولون !

اذن هذه ليست دعوة مثالية ·· أو خيالية بل هى حدثت فى مصر وفى

وفى عهد الملكية وفى العالم كله ·· ومثل هذا السلوك الخاطىء الذى سلكته الصحف القومية هو الذى يفقدها مصداقيتها ·· ويرجع ذلك أيضا الى النظام نفسه أنه لا يسمح بحرية التعبير ·· ويمثل هذا تراكما ضده يؤدى تضاعفه الى الانفجار ··

الملاحظة الثانية أن السادات فى صراعه ضد التيار الدينى الذى بدأ يتمرد عليه لم يسلك السبيل الذى كان مفروضا سلوكه لمواجهة مثل تلك الاتجاهات الفاشية الارهابية وهو تجميع كل القوى الديمقراطية ضده ·· لو فعل هذا لكانت خريطة مصر السياسية قد تغيرت تماما ··

وكان ممكنا أن يتجاوز عن معارضة بعض تلك القوى لكامب ديفيد ·· بل مثل ذلك التعاون كان سيخفف تلك المعارضة ، ويجعلها اقل حدة ··

لكن السادات بسياسته الطائشة ·· قد جعل اليسار يتحالف مع اليمين المتطرف وغير المتطرف ·· فقد كان يضرب الاثنين ضربا موجعا بل اليسار اكثر رغم أنه لم يكن يستخدم قنبلة أو بندقية ··

وقد ظل اثر هذا الثلاثى موجودا حتى يومنا هذا ··

ومن المهم هنا أن ننقل وجهة نظر أحد زعماء اليسار حول هذه القضية عندما كنت أدير حوارا حول تلك القضية ·· (كان ذلك قبل انهيار اليسار العالمى) ·

ـ نحن لا شك فى تناقض مع التيار الدينى ونرى انه يمثل خطرا على الديمقراطية والتطور الاجتماعى ·· خصوصا انه يملك سلاحا قويا هو الدين يسهل التضليل به ··

ولكن كيف تريد منا أن نتحالف مع الحكومة وهى تضربنا كل يوم ·· وكأننى بهذا اتعرض للضرب من جهتين ·· الحكومة ثم التيار الدينى ·

اننا اذا حاربنا التيار الدينى فما أسهل أن ينسف حزبنا ·· ويقتل أعضاءنا كما تفعل كل الحركات الفاشية فى العالم ·· بينما الحكومة تطعننا ·· بل ان الحكومة ستفرح أن التيار الدينى يصفينا جسديا ·· وستجد واحدا فيها أو خبيرا امريكيا من مستشاريها السريين ينظرون هذه العملية فيقول حسنا ·· دع التيار الدينى يصفى اليسار ليبقى هو وحده فيسهل علينا القضاء عليه ··

وهو منطق معقول لا سبيل الى الرد عليه من جانبى على الأقل ··

ولعل هذا هو الذى جعل حزب الوفد يبدأ نشاطه السياسى بالتحالف مع التيار الدينى « المعتدل » كما سماه ·· رغم التناقض التقليدى بين الاتجاهين ··

فقد حسبت زعامة الوفد الموقف هكذا ٠٠ اذ ثبت على الخط القديم وهو التناقض مع الاخوان ٠٠ فسيحاربوننى وربما استخدموا الارهاب بدرجات متفاوتة ضدى ٠٠ بينما الحكومة تتربص بى ٠٠ وحتى اليسار فيه قطاعات كبيرة تتصور أنى أى الوفد مبعوث العناية الالهية لتصفية ثورة ٢٣ يوليو وربما اعادة الملكية ايضا ٠٠ اذن ساضرب من جميع الجهات ٠٠ وأنا فى مرحلة التكوين أريد أن اضع اقدامى على خريطة الحياة السياسية فى مصر ٠٠

ورغم أن الوفد قد خسر بهذه السياسة معظم اقباط مصر ٠٠ وكذلك آلاف العناصر الديمقراطية الليبرالية التى كانت تنتوى الانضمام اليه باعتباره حزب الليبرالية الوحيد فى مصر ٠ الا أن الوفد ما زال يرى أن السياسة التى اتبعها كانت صائبة ٠٠ والسبب أن الحزب الوطنى سواء فى عهد السادات أو مبارك ما زال يختط خط « الوحدانية » فى الساحة السياسية ٠٠ ويعتمد على نفوذ أعضائه من الطبقة الجديدة فى كل مكان ٠٠ وما أعطته اياهم قوانين الحكم المحلى من سيطرة على مقدرات الجماهير فى المدن والقرى والعزب والكفور !

الملاحظة الثالثة ٠٠ ان الارهابيين اللذين اغتالوا السادات قد اختاروا لحظة مناسبة كانت الجماهير ممزقة بين السخط والقلق والتوتر ضد سياسة السادات ٠٠ وكان قد فقد جزءا كبيرا من رصيده بأخطائه المتتالية ٠٠ بحيث انه عندما قتل كانت جنازته عنوانا لوضعة الجماهيرى ٠٠ اذ لم تكن جنازة جماهيرية بحال من الأحوال وليس ذلك بسبب خوف رجال الأمن فقط ٠٠ وانما لعدم اهتزاز الجماهير بالحزن ٠٠

ولابد من الاعتراف بهذا رغم تاييدى لسياسة السادات فى قضيته الأساسية وهى السلام ٠٠ ولقد كانت الحياة تمضى عادية جدا على بعد كيلومترات قليلة من الجنازة ٠٠ كما لاحظ وسجل كل المراقبين الدوليين والمحليين ٠٠ حتى أن بعضا من خلصاء أنور السادات من الصحفيين مثل الاستاذين انيس منصور وابراهيم سعده ٠٠ انتقدا اخطاءه بعد أيام قليلة من مصرعه ! ٠

ومن الطبيعى انه مما يؤكد قيمة الخبرة التاريخية انه بعد ١٣ عاما من وفاة السادات يذكره اليوم اغلب الناس بالخير ٠٠ ويشيدون بحصافته السياسية ومبادرته فى ابرام اتفاقية السلام مع اسرائيل ٠٠ ولكن ليس كل الناس زعماء حتى يستطيعوا استشفاف المستقبل وسلامة السياسة من خلال الضباب الكثيف والأوضاع المؤقتة ٠

الملاحظة الرابعة ٠٠ ان فساد نظام الحكم فى عهد أنور الســادات قد ظهر واضحا من تخاذل حاشيته وحراسه فى الدفاع عنه ٠٠ لقد انبطح الجميع ارضا خوفا وهلعا ٠٠ الحراس قبل المسئولين المفروض أن هؤلاء الحراس يحمونهم ٠٠

وليس ابلغ فى تقدير ذلك مما ذكره صحفى أجنبى أيامها ٠٠ من أن تلك الحاشية قد شغلتها واتخمتها عملية السعى من أجل الاثراء اكثر من القيام بمسئوليتها ٠٠

ولابد من التسجيل هنا أن فوزى عبد الحافظ سكرتير السادات كان الوحيد بين هذه الحاشية الذى حاول عمل شىء فى تلك المجزرة الرهيبــة لانقاذ رئيسه ٠٠

الملاحظة الخامسة ٠٠ وربما كانت اهم الملاحظات ٠٠ ان هنــاك رأيا ذا قيمة يقول أن الأمريكيين شاركوا فى اغتيال السادات ٠٠ ويعتمــد هذا التحليل على بعض القرائن :

أن الأمريكيين رأوا أن السادات قد استنفد دوره وحرق ولم يعــد له فرصة فى جمع العــرب حول أى سياسة ٠

انه قد تجاوز الحدود فى الفردية والضغط على الحريات بحيث يمكن أن يحدث انفجار لا يدرى أحد من سيخلفه فى الحكم ٠

ان الأمريكيين ، لم ينسوا درس حرب ١٩٧٣ عندما خدع العــالم كله حتى تصور انه لن يحارب ٠٠ فاطلق بعضهم عليه لقب رجل لا يمكن « التنبؤ بماذا سيفعل » ٠٠

وبالمناسبة لقد صدر كتاب عن أنور السادات الفه أستاذ كندى يتهم أنور السادات أنه ضحك على أمريكا واسرائيل ليسترد سيناء ٠٠ وهــذا الكتاب قدمته فى مجلة روز اليوسف عام ١٩٨٠ ٠

ولم يكن أحد يعرف ماذا يمكن أن يفعل السادات عندما تجلو القوات الاسرائيلية فى ابريل ١٩٨٢ ٠

وساعد على الاحساس بهذا الشعور فى الادارة الأمريكية أن السادات قد كشف مساعدة أمريكا للمجاهدين فى افغانستان وهو أمر كانت تخفيه أمريكا ولا تعترف رسميا به فى توازنات علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى عندما كان دولة كبرى ٠٠

وعندما يتساءل البعض لكن الذى قتل السادات تنظيم اسلامى سرى متطرف وليس تنظيما أمريكيا ؟٠٠

والرد سهل وهو ان المخابرات الأمريكية تخترق كل التنظيمات فى العالم تقريبا ٠٠ شيوعية ويسارية ودينية ٠٠ وواضح مما يجرى حاليا فى الاتحاد السوفيتي أن ذلك الاختراق وصل الى نخاع النظام السوفيتي بالملايين وليس بالآلاف !

وبالتالى فمن الممكن جدا أن يكون الاختراق الأمريكي قد وصل الى قلب تلك التنظيمات السرية الدينية خصوصا انه جاء وقت كان التيار الدينى فى مصر يجاهر بأن الأمريكيين اقل خطرا من الشيوعية لأنهم من اهل الكتـــاب !

ومن السهل أن يعمد عملاء المخابرات المركزية داخل مثل تلك التنظيمات الارهابية على الايعاز باغتيال السادات ، كما ثبت عندما اوعز عملاؤها فى منظمـة الألوية الحمـــراء الارهابية اليســـارية فى ايطاليا باختطاف « الدو مـورو » ســـكرتير الحـزب الديمقراطى المســيحي الايطالى لأنه كان يتجه الى قبول عرض الحـــزب الشيوعى الايطـــالى بتطبيق فكرة « المساومة التاريخية » بين الحزبين مما كان سيؤدى لاشتراك الشيوعيين فى الحكم لأول مرة بعد أن طردوا منه عقب تأسيس حلف الأطلنطى ٠٠

وكاتب هذه السطور يميل الى هذا الرأى وان كان لا يمكن اثبات شيء فالمســـألة حدس وتخمين ســياسي بنــاء علي قوائن قد توجد ضدها قرائن اخـــرى ٠٠

ولكن اذا لم يحدث أن ساهم الأمريكيون مساهمة عضوية فى حادث الاغتيال ٠٠ فانهم على الأقل رحبوا به بالتاكيد ٠٠ وأحسوا أن عبئا ثقيلا قد ازيح عن كاهلهم فقد كانوا قد تخلوا عنه حسب ما عكسته زيارته الأخيرة لواشنطن ، قبل اغتياله ٠٠ ويميل كثير من المعلقين السياسيين أن المسمار الأخير فى نعش الســـادات بالنسبة لأمريكا كان اعـــلانه خبر تزويدها للافغانيين المناوئين لنظام كابول بالأســـلحة ٠ وكانت حملة الصحف الأمريكية ضد حملة سبتمبر بداية الاعلان السافر عن التخلى الأمريكى ٠٠

ولم استطع أن اكتب رايى هذا فى جريدة مصرية فنشرته فى المجلة التقدمية الاسرائيلية « نيو أوت لوك » التى تدافع عن الحقـــوق القومية الفلسطينية وتهاجم للتوسع الاسرائيلى ٠

واذكر انى حملت عددا من هذه المجلة يتضمن مقـــالى ٠٠ وقدمته للسيدة جيهان السادات فقالت لى انها لا تعتقد أن الولايات المتحدة لهـــا يد فى اغتيال السادات ٠ ولما سالتها حتى لم تتعاطف او تبتهج بما جرى نفت ذلك ايضا ٠٠

الملاحظة الخامسة أنه كما تدين تدان ٠٠ ففى الوقت الذى سمح السادات بصدور كتب تهاجم جمال عبد الناصر وسياسته ٠٠ فانه ما كاد يموت حتى ظهرت عشرات بل مئات الكتب تهاجم سياسته ايضا ٠٠ وهذه هى ثمار الديمقراطية ٠٠ ومن أعظم انجازات السادات فى رأيى أنه حطم الآلهة التى ما كان يستطيع أحد أن يتوجه بنقد اليها ٠٠

أذكر أنه فى عام ١٩٦٥ عندما انتقد الرسام الكبير المرحوم صلاح جاهين محافظ القاهرة حينذاك صلاح دسوقى فى كاريكاتير ٠٠ كان ذلك يعتبر يومها حدثا خطيرا وجرأة لا حدود لها اذ كيف ينتقد محافظ فى مصر ٠٠ وله صلة وثيقة بزعيم الثورة جمال عبد الناصر ٠

ما كان أحد يستطيع فى مصر أن « يتنفس » نقدا واحدا ، ولو تلميحا ضد سياسة الزعيم ٠٠ حتى لو كان وزيرا فى مجلس الوزراء ٠٠ وكان الآلهة الصغار موجودون فى كل مكان يهددون من ينتقدهم بالاعتقال والحراسة والفصل أو النقل على الأقل ٠٠

ويجب أن يتذكر ناقدو سياسة السادات فى موضوع الديمقراطية أنه يشترك مع جمال عبد الناصر فى نفس الوقت ٠٠ فعبد الناصر كفر بالديمقراطية وألبس مصر قميصا من حديد بعد أزمة ١٩٥٤ التى جعلته يفقد الثقة فى الشعب تماما ويمارس وصاية عليه ٠٠ والسادات كذلك بعد ١٨ و ١٩ يناير ضرب الديمقراطية وانتكس بها ٠٠ ولكن ضربه لها كان رفيقا عما جرى أيام عبد الناصر على الأقل لم يعتقل أحدا ولم يعذب أحدا منذ تولى السلطة حتى سبتمبر ١٩٨١ ٠٠

لابد أن يذكر أولئك أيضا أن السادات هو الذى فتح باب الديمقراطية كما ذكرنا فى فصل سابق ٠

ولا عبرة بالقول بأن عبد الناصر كان يمارس سياسة وطنية معادية للاستعمار ويجرى اصلاحات اجتماعية جذرية ٠٠ هذا صحيح ٠٠ ولكن تبين فساد الاعتماد على ذلك فقط وضرب حرية الشعب فى نفس الوقت ٠٠

وما حدث فى البلاد الاشتراكية يجب أن يكون عظة وعبرة فقد كفرت كل الشعوب فيها بأى اصلاح اجتماعى جذرى أو غير جذرى ونفضت كل هذا وأدارت ظهرها له وطالبت بالحرية السياسية ٠٠ وانزوت الأحزاب الشيوعية محسورة فى الأركان تلعق جراحها ٠٠ وتبكى من الندم (راجع سلسلة مقالات الكاتب فى جريدة العالم اليوم عن التحول من الاشتراكية الى الرأسمالية فى دول شرق أوربا (سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٩١)

ثم انه ثبت أن ذلك النوع من الاصلاح الاجتماعي الجذرى مع الدكتاتورية يؤدى حتما الى خراب الاقتصاد القومى ٠٠

ومن المؤكد انه اذا كان جمال عبد الناصر قد استمر فى الحكم ولم يتوفاه الله انه كانت ستحدث كوارث اقتصادية فى مصر على غرار ما حدث فى الدول الاشتراكية أو الدول النامية فى آسيا وافريقيا التى أخذت بمنهج التنمية التقدمية التى وصفت أيضا بالاشتراكية ٠٠ وهذا ما يحدث فعلا أمام أعيننا اليوم وغدا ٠٠

وأغلب الظن أن عبد الناصر كان سيضطر الى اعادة النظام الاقتصادى الى الوراء اذا جاز التعبير أى الراسمالية والانفتاح ٠ ٠ فعبد الناصر ليس بأكثر ذكاء وقدرة من جورباتشوف أو زعماء دول أوربا الشرقية أو افريقيا وآسيا ٠٠

انها حتمية تاريخية أن الانهيار كان لابد أن يحدث اذا لم يكن التحول الاقتصادى نحو قوانين السوق قد بدأ بطريقة سريعة ولكن ذكية ٠

واذا كان الحديث يجر بعضه بعضا ٠٠ فلابد ان نجيب على سؤال٠٠ ماذا كان يحدث لو أن انور السادات قد تصلب فى موقفه مع الولايات المتحدة واسرائيل ورفض تقديم التنازلات التى قدمها لهما من أجل استرداد سيناء بعد أن رفض العرب التعاون معه فى خطته ؟ ٠٠

ان القيام بحرب ضد اسرائيل لتحرير بقية الأرض كان أمرا مرفوضا من جانب كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ناهيك عن العجز المصرى ازاء قوة اسرائيل المتفوقة فى الوقت الذى يمكن للاتحاد السوفيتى تحديد القدرة العسكرية المصرية ٠

ولنفرض أن مصر كانت قد ظلت على علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتى واستمرت فى التشدد ٠٠ مستندة على هذه العلاقات ٠٠

ماذا كان يحدث ؟ ٠

ستظل اسرائيل ترفض التنازل ٠٠ وتساندها أمريكا ٠٠ وهما تعرفان أن مصر والعرب لا يستطيعان الحرب ٠٠ خصوصا أن القوة العسكرية العربية الثانية وهى العراق كانت تفكر فى اشعال الحرب ضد ايران ٠٠

الذى كان سيحدث هو أن تتباغت مصر ٠٠ بتزايد الوفاق بين المعسكرين المتناحرين ٠٠ ثم تاتى البيروستريكا فتضع الصيغة النظرية لذلك الوفاق بل تمهد السبيل لتخلى الاتحاد السوفيتى عن مساندة الشعوب فى حربها أو صراعها العادل مع المستعمرين والمحتلين ٠٠

ثم تاتى القارعة ٠٠ وهى انهيار الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى تماما ٠٠ ويفقد العرب تماما سندهم فى معركتهم ضد

اسرائيل ‥ ويصبحون فى المركز الأضعف ‥ وسيضطرون صاغرين الى اللجوء الى الولايات المتحدة « راجين عفو الخلاق » ! ‥

وليتأمل من يعيش فى غفلة مغزى حرب الخليج ونتائجها ‥ وكيف استطاعت الولايات المتحدة أن تحشد العالم كله ‥ وتحت كلمة كله عشرة خطوط لأنها تتضمن الاتحـاد السوفيتى الذى طالما ساند العراق وتربطه معاهدة بالاتحاد السوفيتى ‥ والقادة السوفيت يعرفون جيدا أن حرب الخليج ستؤدى بالضرورة الى احكام السيطرة الأمريكية الكاملة على مصير الشرق الأوسـط ‥

وطبعا ان مصر أو كامب ديفيد ‥ أو العرب وموقفهم من اسرائيل ليس له دخل بحال من الأحوال فى الانهيار الذى حـدث فى المعسكر الاشتراكى ‥ فهذا الانهيار نتيجة تفاعل داخلى فى النظام نفسه ‥ علاوة على براعة وذكاء وتخطيط السياسة الأمريكية وستكتب فى المستقبل كتب رائعة تكشف أسرار تلك البراعة والخطط ‥

اذن الانهيار كان قادما ‥ بصرف النظر عن سياسة السادات ‥ وكان العرب جميعا سيصبحون عراة أمام الوحش الأكبر فى الغابة ‥ الولايات المتحدة وحلفاؤها من الوحوش المتوسطين والصغار !.

ومن المؤكد انهم أى العرب كانوا سيحصلون فى تلك الحالة عـلى أقل مما حصل عليه السادات عام ١٩٧٩ ‥ وهذا هو الحاصل فعـلا اليـوم ‥

بل ان ما انجزه السادات أيامها وهاجمه خصومه عليه يعتبر ركيزة اليوم للمطالبة العربية ‥ فالسوريون يقـولون لماذا جلوتم عن سيناء ولا ترضون بالجلاء اليوم عن الجولان ‥ وسيقدم الاسرائيليون شروطا مجحفة جدا اذا وافقوا على مبدأ الجلاء أصلا لأن ميزان القوة ليس فى صالح العرب بعد أن لم يعد لهـم حلفاء اشـتراكيون ‥ وهنا سيقول السوريون ولكنكم وافقتم على تسليم سيناء بدون مستعمرات والاكتفـاء بوضع قوات دولية على الحدود ‥ وجهاز انذار مبكر ‥ الخ ‥

وبالمثل سيقول الفلسطينيون عن شروط السادات لقبول الحكم الذاتى ‥ ومن أبرز الاستنتاجات السياسية للسادات انه كان يتنبأ بل ويحـذر دائما من أن المعسكرين الكبيرين سيتم الاتفاق بينهما على حساب الـدول الصغيرة ‥ وطبعا هو لم تستشف أن واحدا منهما سينهار وينفرد القطب الآخر بالعالم ‥ ولكن السادات كان يؤمن دائما ويؤكد أن أمريكا أقـوى من الاتحاد السوفيتى ٠ بل انه كان يسخر من النظام السوفيتى الاشتراكى

ويقارن بينه وبين النظام الرأسمالى الاحتكارى الأمريكى الذى كان يقول انه أفضل منه ..

وهذا هو الذى قاله جورباتشوف بعده بأقل من عشرة أعوام .. وكل قادة الأحزاب الشيوعيين .. بل وأثبته الواقع من أن الاشتراكيين السوفيت يقفـــون فى طوابير طويلة يتسولون الخبز من العالم الرأسمالى .. ومن أمريكا بالذات بل انحدر الحال الى حد التسول من قطر أرزا وزيتا !!

ويذكر لأنور السادات فى هذا السبيل أيضا أنه اكتشف فساد النظام الاقتصادى القائم على التأميم وقمع الرأسمالية .. ففتح الباب للرأسمالية تنشط من جديد وهذا وعى كبير .. رغم حـــدوث أخطاء ذكرناها بالتفصيل فيمـــا ســـبق ..

وهذا ما اكتشفه جهابذة الفكر الاقتصادى الاشتراكى الماركسيين الأقحاح .. وأصبح المطلوب الآن انطلاق الرأسمالية فى الاستثمار بحـرية لتطوير البلاد النامية وانتشالها من وهدة الفقر بل المجاعة .. وليتـــأمل من لا يريد التأمل نتائج السياسة الاشتراكية فى بلد مثل أثيوبيا .. حيث مات الملايين فى ظل حكم الشيوعى منجستو .. ومأساة هربه بعد أن ذاق شعبه العذاب فى ظل قيادته الغيورة على مصالح البروليتاريا والجمـــاهير الكادحة ! وقس على منجستو الكثيرين من قادة البلاد النامية الاشتراكية.

ويذكر لأنور السادات أنه خلع الثوث الاشتراكى الضار بمصـــالح الأمة قبل غيره .. واعترف أنه سبقنا نحن الماركسيين ــ اللذين زعمنا دائما أن لدينا مفاتيح الفهم والوعى لكل شىء فى العالم ــ فى ادراك هذه البديهية البسيطة وهى أنه لا يتحقق الرخاء والعدل الاجتماعى بالملكية العـــامة الشاملة لكل وسائل الانتاج ..

اننا لم ندرك ذلك الا عندما انقلبت الدنيا فوقنا رأسا على عقب .. أما هو فقد فهم ذلك والنظام الاشتراكى فى أوج ازدهاره الذى تبين فيما بعد بشهادة أقطابه أنه ازدهار مزيف ..

وحتى السوفيت أدركوا أخيرا قيمة تجربة السادات .. فقد روى الرئيس حسنى مبـــارك فى اجتماع خاص بعـــدد من الصـــحفيين أن جورباتشوف قال له مرحبا .. احك لى يا سيادة الرئيس عن تجربتكم فى الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص ؟ ! ..

وقال مبارك بأمانته وتلقائيته البسيطة أصل الحال انقلب فى الدنيا !! مشيرا الى أن قادة الاشتراكية والماركسية يسألون عن خبرة العـــودة

للرأسمالية ! ٠٠ واذكر انى علقت على عبارة الرئيس بقولى : فعـــلا يا ريس الدنيا حالها انقلب ٠٠ وضحك حسنى مبارك !

ويذكر لأنور السادات انه كان يتشوف المستقبل ٠٠ فهو الذى لفت أنظار المصريين الى التخطيط له ٠٠ فضرب أجلا لعام ٢٠٠٠ حتى نستعد له بالمشاريع والمنجـزات ٠٠ وكان يؤكد على ذلك ٠٠ كما كان يؤكد على التكنولوجيا واثرها ودورها ٠٠ وهى أمور لم تكن تطرح على بســـاط السياسة المصرية من قبل ٠٠

وهو الذى طرح شعار فصل الدين عن الدولة ٠٠ لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ٠٠

ولو أنه استخدم عباءة الدين لتمرير الغاء مادة الفترتين فقط لرئاسة الجمهورية بشكل متتالى ٠: بوضع المادة التى تجعل الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ٠٠ وهى المادة الخطيرة التى أصبحت وســـتظل زادا للتيار الدينى ليطالب بتطبيقها فعلا أى اقامة حكومة دينية ٠٠

وهذا نموذج للتناقض بين الأقوال والأفعال ٠٠ وقد برع الســادات كثيرا فى هذا اذ مثـــلا يقـول اننا سنعمق الديمقراطية فيحدث ضرب للديمقراطية ٠٠

فمن حيث كان يدعو الى فصل الدين عن الدولة كان ينص عـلى الالتحام بينهما فى الدستور ٠٠ وهى مادة تمثل « الخازوق » فى الدستور المصرى لأى محاولة من اى نظام حكم لاقامة حكم علمانى ديمقراطى حقيقى كما تقتضى دواعى التحضر ومصلحة التقدم ٠٠ والا فمصيرنا مثل ايران والسودان الشقيق ومن لف لفهم من الأمم التىخدعت باتخـاذ الدين وسيلة للحكم ! ٠٠

ولقد كان السادات رجلا مؤمنا ومسلما حقا ٠٠ وقد كان ايمانه بالله يتزايد كلما أحس بنعمته عليه ٠٠ ولكنه كان غير متعصب ٠٠ ولم يكن يحاسب أو يقرب شخصا أو يعامل أحدا على أساس الدين على الاطلاق ولم تكن عنده حساسية من هذا النوع ٠٠ ولا علاقة لهذا بموقفه من الفتن الطائفية ٠٠ وكيف استفاد منها ٠٠ ولا علاقة له بموقفه الخاطىء تماما من تحديد اقامة البابا بطريرك الأقباط ٠٠ هذه مواقف سياسية تســـتهدف تحقيق أهداف سياسية ٠٠

وكان يستخدم حكاية الالحاد كلعبة سـياسية أيضا وليس سـخطة منه على الملحدين مثلا٠٠ واستخدمها حتى تلميحا ضد جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل لأغراض سياسية ٠٠ وهذه طبعا سياسة مكيافيلية ٠٠ وتتناقض مع ما كان يسميه بأخلاق القرية ٠ ٠

ولقد حاول استخدام اخلاق القرية هذه لتغليف ديكتاتوريته باسباغ فرديته في الحكم بطابع ابوى ·· وهو اسلوب اقطاعى متخلف ·· عندما كان يقول انا كبير العائلة المصرية ·· ويقول أن ذلك افضل لقب أو منصب حتى من رئيس الجمهورية ! ·

وكبير العائلة يعنى أن من حقه ضرب أولاده الصغار فى أى وقت ·· وخضوع كل افراد العائلة لأحكامه كأننا فى نظام قبلى ! ·

وطبعا كانت اجهزة الاعلام والصحفيون يزيفون له هذا كله ·· ولا يبصرونه بخطئه ·· فقد كان يستهويهم أن الواحد منهم قد اصبح قريبا من رئيس الدولة يحادثه ·· ويؤانسه ويؤاكله ·· ويفيده ايضا ··

وهى فى الحقيقة ميزة كبرى يمكن أن تدير الرءوس ·· وتغرى بالزهو والغرور ·· اذا لم يكن فى الراس فكر ومسئولية واحساس بالوطن كله ··

وفى ظل كبت حرية الصحافة والحاقها بالنظام اصبحت الأنا هى المحرك الأصلى للكثيرين من الصحفيين ·· والمصلحة الخاصة ··

ودرج النظام على عدم محاسبة أحد على موالاته للنظام السابق باخطائه ·· ويستمر الواحد لسانا للنظام الجديد كما كان بالنسبة للقديم ·· فمن مصلحة السلطة وجود هذا النوع المستعد لخدمة اليمين او اليسار أو الوسط حسب من يجلس على الكرسى ··

ولو تامل القارىء صحف عصر عبد الناصر فسيدهش أن البعض كان يكتب عن نظامه فى مديح لا مثيل له ·· ثم بعده كان يهاجمه هجوما عنيفا ··

وهذه ظاهرة يفرزها اى نظام ديكتاتورى ·· يعتمد على صحافة واحدة ناطقة باسم النظام ·· أما اذا تعددت الصحف والميول والأحزاب السياسية فستضمحل هذه الظاهرة ويظهرجيل من الكتاب الصادقين المحافظين على شرف الكلمة فعلا ··

ولقد تحمل كثير من كتاب الصحف القومية الاضطهاد والعنت لأنهم قالوا لا ·· فى كثير من الأحيان ·· ونفوا فى الأرض · · واعتقلوا أو طردوا ·· وظلوا صفحات مضيئة فى تاريخ الصحافة المصرية ··

وسأروى هنا شهادة وانطباعات من شقيق لأنور السادات التقيت به صدفة وأنا جالس على مقعدى فى القطار من أسيوط للقاهرة اذ كنت فى ضيافة محافظها النشيط اللواء حسن الألفى وكنت بصحبة حسين مهران

وكيل أول وزارة الثقافة ورئيس هيئة الثقافة الجماهيرية والأستاذ نبيل زكى نائب رئيس تحرير الأخبار والأستاذ محمد صالح مساعد مدير تحرير الأهرام ·· التقيت بالمهندس زين السادات وجلسنا نتحدث عن أخيه ·· فذكر لى بعض الأمور التى رأيت تسجيل بعضها ··

قال ان السادات كانت تسيطر عليه فكرة جلاء اسرائيل عن مصر ·· وكان يخشى ان تثير المعارضة له قلاقل تعطى اسرائيل العذر فى الانسحاب· وقد ذكر ذلك لهم فى العائلة عندما سألوه عن السبب فى حملة سبتمبر وأكد لهم انه سيفرج عن المعتقلين بعد جلاء اسرائيل ··

● وقال انه لم يلاحظ أن أنور السادات كان عصبيا ·· بل كان هادئا جدا ·· ولم يكن يثيره الا شىء واحد هو الخوف من عدم جلاء اسرائيل ·· وكان لا يفتأ يردد عليهم أن الارض عرض يا أولاد ··

● وقال انه لا يعتقد أن أمريكا شاركت فى اغتياله ·· ولم يكن لها مصلحة أيضا فى ذلك الاغتيال ·

● وقال انه ليس صحيحا ما يشاع من ان السيدة جيهان السادات كان لها تأثير قوى عليه ·· وقال « لا يكون أنور السادات اذا كان هذا هو الحال ·· ان أخى كان راجل يعنى راجل » ··

● وقال ليس صحيحا أن جيهان السادات عزلت السادات عن أخوته أو أولاده من زوجته الأولى ·· بالعكس كان السادات يرعى شئونهم ويعين شخصا مخصوصا لتلك الرعاية ·· ان الذى حدث هو تنظيم زيارتهم له لأنه رئيس جمهورية له مواعيد ولم يكن يستطيع السادات الاجتماع بأهل بيته فى كل ساعة ··

● وذكر أن السادات لم يكن ثريا كما يتصور البعض ·· وضرب مثلا بأنه عندما أراد هو أن يتزوج شخصيا ·· ناداه السادات وقال له الفرح يا ابنى فى بيتى وسأعطيك قماش بدلة ·· ثم شيكا بثلاثمائة جنيه تغطى من مرتبه الذى كان محولا على البنك !·

ولما سألته عن فرح الليالى الملاح فى الاسكندرية حيث ساهم أوناسيس فيه ·· لابنه أو ابنته ·· سكت ·· ثم قال الناس الكبار تحتفل بأفراح رئيس الجمهورية كثيرا جدا ··

ونفى أن يكون للسادات ثروة محولة عن طريق أزواج بناته باعتبار انهم أغنياء أصلا ·· وتساءل أين هى ثروة السادات ؟! ولماذا لم ترث بناته من زوجته السابقة شيئا منها ·· وهناك محامون يستطيعون الدفاع عنهم ·

● ولما سألته عن السر في فخامة ملابس السادات قال انه منذ صغره كان شياكة ٠٠ ويهتم بأناقته ويسعد عندما يذكر له أي شخص ذلك منذ كان ضابطا في الجيش ٠

● وقال ان السادات كان دائما يقول لهم وهو جالس معهم ٠٠ انه سيأتي اليوم الذي يعرف الناس فيه صحة سياستي وسترفعون رءوسكم الى فــوق ٠

● وقال ان السادات كان يهاجم اسرائيل أمامهم ٠٠ ويقول لابد ان نأخذ الأرض ونتصالح معها حتى نتقي شرها ٠٠ « ونخلص من الحرب علشان نبني البلد بقى ٠٠ العيشة بقت صعبة يا أولاد ! » ٠٠

● وقال ان السادات كان يستشعر الخطر على حياته في الشهرين الأخيرين من حكمه بالذات وكان يقول لنا توقعوا أسوأ النتائج ٠٠ وانا مصر على سـياستي ٠٠ وغدا يعرف الناس قيمتي ٠٠ » ٠٠

● وذكر انه كان بارا باخوته جميعا ٠٠ وابوهم أوصاه عليهم قبل وفاته فكان يقول له انا لست أخاهم بل اباهم يا أبي !

● وقال انه بعد اغتيال السادات لاحظ انفضاض الناس من حولهم خصوصا بعد قضية عصمت السادات ٠٠ ولكنه يلاحظ حاليا أن ناسا كثيرين يأتون اليهم ويترحمون على السادات ٠٠ ويقولون والله ده كان راجل نظره بعيد ٠٠ وهذا يسعده حقا ٠٠ اذ لا يصح الا الصحيح ٠٠

وسألني : أين هي الأموال الطـــائلة التي صـــادروها من عصمت السادات ؟!

ولما سألته ماذا يعني بهذا السؤال : قال الحقيقة لم تكن هناك أموال ذات قيمة ٠٠ كان عنده بيته وسيارته وشوية كلام فارغ ! ٠٠ بينما قدرها المستشار حسني عبد الحميد بالملايين !!

ختام الحديث ٠٠ أن السادات قد دخل التاريخ كحاكم له بصــمات كبيرة على مسار مصر السياسي ٠٠ بل مسار المنطقة العربية وتطور الأحداث فيها ٠٠ ولن تطمس أخطاؤه التي عرضـــناها بأكبـــر قدر من الموضوعية والصراحة بل والقسوة أحيانا ٠٠ انه قد حقق انجازات كبيرة يعتبر بعضها علامات طريق في طريق تطور مصر والعالم العربي ٠٠

فهو الذي قام بحرب ١٩٧٣ التاريخية ٠٠ والتي نقلت الصراع العربي الاسرائيلي من مرحلة الجمود والتفوق الاسرائيلي الى مرحلة التحــرك والندية العربية مع اسرائيل ٠

وهو الذى حقق أول سلام عربى اسرائيلى ·· وفتح الباب فى مصر للتطور الاجتماعى بعد حل المشكلة الوطنية فى جوهرها ··

وهـــو الذى أعاد غرس بذور الديمقـــراطية فى مصر بعـــد ظلام الديكتاتورية لعشرين عاما تقريبا ·· فظهرت الأحزاب وصحافتها الحـــرة نسبيا ·· وتحررت الصحف القومية بعض الشىء أيضا ·· وسقط تأليه الحكام وتحطمت عبادة الفرد ··

وفتح الباب لمعالم الصراع الاجتماعى أن تظهر سافرة بعد أن كانت مطموسة ·· وهو الذى اكتشف ضرورة تعديل المسار الاقتصادى فى مصـــر ··

وهو الذى تصدى من اليوم الأول لخطر الحكومة الدينية التى ظهرت فى ايران ·· وأدرك تهديدها للديمقراطية والعلمانية فى الوطن العـــربى ·· وأيد العراق رغم التناقض بينه وبين مصر فى صراعه ضدها بعد أن وضع العالم العربى أمام الواقع ··

وطوال عشر سنوات قضاها فى الحكم قاوم السادات أى محاولة لفك القطاع العام وكان يكرر أنه هو الذى مكن مصر من شن حرب أكتـــوبر التحريرية ·· وذلك رغم حملاته على الاشتراكية ·

وأغلب ما عابه عليه خصومه من اتجـــاه بالسياسة الى الولايات المتحدة ·· بدأ العالم كله يسعى اليه بعد التغييرات الخطيرة والجـذرية التى حدثت فى العـــالم ··
وأصبح الجميع يتجهون للولايات المتحدة وعلى رأسهم المعســـكر الثورى أو الذى كان ثوريا فى العالم ·· الذى يزحف فى انكسار مروع فى ذلك الاتجـــاه ··

وتبدو مصر أكثر كرامة ووقوفا على قدميها واحتراما لنفسها وقدرها فى علاقتها بالولايات المتحدة · بل تبدو فى قضية حل النزاع العـــربى الاسرائيلى شريكا للولايات المتحدة فى تقرير مصير الأمور ولو فى حدود ··

ولا نستطيع أن نزعم أن هذا الحديث عن أنور السادات الذى يعتمد أساسا على مناقشات معه ·· هو دراسة شاملة أكاديمية لعصره ·· انما هو بالدرجة دعوة للتأمل والتفكير فى تقييم موضوعى لحياة وسياسة ذلك السياسى المصرى ·· الذى ظلمه الكثيرون وسلبوه حقه فى انجازات هائلة مجيدة له ·· لمجرد أنهم اختلفوا معه فى بعض القضايا ·· بينما الذى جلب الهزيمة لمصر بفضل نظامه فى حـــرب ١٩٦٧ بشكل مروع وأقام

ديكتاتورية ارهابية اكثر ترويعا ·· علاوة على انهيار الوحدة المصرية السورية ·· وضرب بثورة العراق لأطماع وحدوية ، ومن يومها تمزق العالم العربى ·· يغمضون عيونهم عن مثل تلك الأخطاء الجسيمة ·· من اجل اعمال ايجابية نقر جميعا بحدوثها ··

وبذلك يبتعدون عن ساحة العدل والانصاف ··

ولولا سياسة انور السادات لما كنا الآن نمارس الديمقراطية والحرية وننشغل بقضايا وهموم البناء الداخلى ·· ولكنا ظللنا فى حال مثل حال سوريا ارضنا محتلة ·· وحسنى مبارك يجاهد من أجل تحرير سيناء ·· ولكن السادات حرر لنا سيناء ·· وجاء من بعده مبارك ليقود المسيرة نحو العمل الداخلى ·· وبناء مكانة دولية كبيرة لمصر فى عصر وحوش الغاب ·· او بالأحرى عصر الوحش الأكبر !!

عبد الستار الطويلة

القاهرة ٧ ديسمبر ١٩٩١

الملاحق

سيجد القارىء فى الصفحات التالية احاديث صحفية مع المرحوم انور السادات وبيـــانات ومذكرات مختلفة رأينا تســجيلها لأنها تكشف نواحى كثيرة من سياسته وشخصيته .

الملحق الأول

حديث انور السادات للمؤلف وكان اول حديث يدلى به لصحفى مصرى ونشر فى مجلة روزاليوسف ونشر فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ · وقفز ذلك النشر بتوزيع روز اليوسف ثلاثة اضعاف توزيعها فى ذلك الوقت ـ وكان ذلك بداية التدعيم العملى لخطة انور السادات بالتعاون مع قطاع اليسار الذى يؤيد التحالف معه · وهو الاتجاه الذى كان يتزعمه المرحوم الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ··

●● تحدث الرئيس السادات الى روز اليوسف · ادلى بحديثه الى عبد الستار الطويلة على مدى ثلاث ساعات · وتناول فيه اخطر قضايا الموقف الداخلى ، والعربى ، والعالمى · وفيما يلى نص الحديث :

بابتسامة صريحة ، بسيطة ، قال لى الرئيس انور السادات :

ـ تشرب ايه الأول ·· وبعدها هات ما عندك !

كان الوقت مساء ، واللقاء فى شرفة البيت · والرئيس على سجيته ، يؤدى ـ باستمتاع ـ مهمة المضيف المصرى الودود ·

وجاءت اكواب الليمون ·

وتأملت فى سكون الليل ملامح الرئيس وعيناه تنظران بعيدا ، عبر الفضاء الممتد ، كانما تستشرفان آفاق المستقبل ، فانتهزت الفرصة ، وبدأت الحديث ···

مسئوليتنا ·· لا مسئولية أمريكا

● **سيادة الرئيس ·· كيف ترى المستقبل ؟ هل تعتقد أنه ستنشب حرب جديدة ؟ ان اسرائيل لا تكف عن اصـــدار تصريحات تتحدث فيها عن حـــرب خامســة ·**

قال الرئيس :

ـ لا افهم لماذا يهتز بعض الناس من مثـــل هـــذه التصريحات · اننى اعتقد أن معظمها للاستهلاك المحلى ، وان المؤسسة العسكرية فى اسرائيل ستفكر مرتين ، بل عشر مرات ، قبل أن تخوض مغامرة عسكرية جـــديدة ضدنا · ويوم تقرر أن تخوضها ستجدنا مستعدين ·

ـ لقد خاضت اسرائيل ضدنا أربع حروب · كسبت ثلاثا منها ، ثـــم خسرت الرابعة ·· وهذه الخسارة غيرت الأوضاع التى ترتبت على الحروب الثلاث السابقة · وخلقت فى الشرق الأوسط وضعا جديدا تماما ، لا تملك اسرائيل ــ ولا غير اسرائيل ــ أن تتجاهله ·

● **لكن اسرائيل ، يا سيادة الرئيس ، تعمل جاهدة لتصفية هذا الوضع الجديد الذى ترتب على حرب اكتوبر · وبعض المراقبين يرون أن يد الصهيونية لعبت دورا فى اسقاط الرئيس نيكسون ، كجـــزء من هذه التصفية · فما رأيكم ؟**

قال الرئيس :

ـ مع أن الصهيونية ليست وحدها التى تحاول تصفية ثمار اكتوبر · ان بعض الاخوة العرب أيضا يقومون بنفس المحاولة ، ويشككون فى مغزى انتصار اكتوبر ، وفى التغيرات الضخمة التى أحدثها محليـــا وعالميا · ولكن هذه ملاحظة هامشية · ولنعد الى سؤالك ·

ـ ان الواقع الجديد الذى فرضته معركة اكتوبر لن يغيره سقوط هـــذا أو ذاك من الحكام فهذا الواقع صنعناه نحن · وكل تطور يطرأ عليه سنكون نحن العامل الأول والعنصر الأساسى فيه · ان اكتوبر قد وضع ارادتنا على خريطة الأحداث لأول مرة ، والى الأبد ·

ـ قد يعطلنى سقوط هذا أو ذاك من الحكام اغير خططى · وأنا فى السياسة لا أضع أوراقى على المائدة دفعة واحدة · ولهذا لا اهتم كل هذا الاهتمام بموضوع سقوط نيكسون · ولن أحمل حملى لأحد ·

● ـ ماذا تعنى بهـذا التعبير يا سيادة الرئيس ؟

قال الرئيس :

ـ أعنى أنه اذا غيرت أمريكا سياستها ، أو تنصلت من وعودها ، لن أعتذر بأن نيكسون تغير ، وبأنه كان قد وعدنى بكذا وكذا . ان قضية التحرير مسئوليتنا ، وليست مسئولية نيكسون او فورد أو كيسنجر .

عندما كان اسماعيل فهمى (وزير الخارجية) فى الولايات المتحدة ، اكد له الرئيس الأمريكى جيرالد فورد ، ووزير الخارجية هنرى كيسنجر أن أمريكا ستظل ملتزمة بسياسة نيكسون . وهـــذا حسن . ولكننا أيضا مستعدون لأى احتمـــال آخر . لأن القضـــية كما قلت قضيتنا ، ونحن المسئولون عنها ، لا الولايات المتحدة .

ابعـــاد التغيير

الهدوء ما زال سائدا . وكوب الليمون فرغ . والرئيس يلاحظ هذا ويطلب كوبا جديدا لى . لا يريد أن يتخلى عن دور المضيف الريفى الودود الكريم .

● **سيادة الرئيس ... ما تزال نظـــرتك الى دور الولايات المتحدة فى حاجة الى تفصيل اكثر . لقد صرحت اكثر من مرة ، وكـــررت التصريح اثناء زيارة الرئيس نيكسون للقـــاهرة ، بأن الولايات المتحدة قد غيرت سياستها نحو مصر . فما المعنى الذى قصدته بالدقة ، وما هى أبعاد هذا التغيير ... خاصة واننا نرى الولايات المتحدة مستمرة فى تسليح اسرائيل ، وبنفس الحماس القديم ؟**

قـــال الرئيس :

ـ ومن قال ان أمريكا لن تواصل تسليح اسرائيل . لقد سلحتها قبل الحرب واثناءها وبعدها . أن الدبابات التى اسرعت من العريش الى ميدان القتال رأسا كانت امريكية . وكل طائرة فانتوم اسقطناها أو افلتت منا كانت امريكية .

لقد أكدت اكثر من مرة أن التغيير فى السياسة الأمريكية ليس تحولا عن مساندة اسرائيل الى مساندة العرب . ولست اظن انه سيكون كذلك ابدا .. على الأقل فى حياة جيلنا الحـــالى .

ان التغيير فى السياسة الأمريكية هو باختصار : رد فعل جديد امام حقيقة عربية جديدة ·· نحن غيرنا الصورة ، فتغير رد الفعل · قبل أكتوبر لم تبال الولايات المتحدة حتى بالاستماع الينا ، ورفضت أن تحمل قضيتنا على محمل الجد ، أو حتى أن تدرجها فى جدول أعمال اهتماماتها ، فلما عبر الجندى المصرى القناة ، وحطم خط بارليف ، وحطم معه نظرية الأمن الاسرائيلى وفوجئت الولايات المتحدة بمصالحها البترولية عارية بلا حماية ·· كان لابد أن تعيد النظر فى سياستها وأن تسرع الى تغييرها · وهو تغيير مصدره نحن · ويجب أن نستفيد منه ، ونطوره ·

- **الى اى مدى تتوقع أن نطوره يا سيادة الرئيس ؟ ان البعض يقولون ان مصر هى التى غيرت موقفها وليس الولايات المتحدة · وهم يستشهدون بحديث سابق لسيادتكم ، قلتم فيه انكم كتبتم الى الرئيس حافظ الاسد تقولون ان امريكا دخلت بثقلها فى الحرب ·· واننا على غير استعداد لمحاربة امريكا ·**

قال الرئيس :

ـ نعم قلت هذا · وكانت امريكا هى التى تحاربنا فعلا · ولكن كيسنجر كان فى نفس الوقت يوقظ المستر هيث ، رئيس وزراء بريطانيا وقتها ، ليرجوه أن يتصل بنا لنقبل ايقاف القتال · حدث هذا فى ١٣ اكتوبر ، فى عز انتصار قواتنا واندحار القوات الاسرائيلية ، وفى الوقت الذى بدأت فيه أمريكا تدخل بكل ثقلها ، وبأسلحة جديدة تماما ، ميدان المعركة ·

ماذا كنت تفعل انت وقتها ؟

أمريكا قررت أن تحاربك · وفى نفس الوقت تلح على وقف القتال · معنى هذا أنها بدأت تدرك ما لم تكن تدركه من قبل · وانها مستعدة لفهم جديد ، ولتبنى سياسة جديدة ·

هل كان على وقتها أن استمر فى الحرب ، بما يتبعها من دمار ، أم استفيد من هذا التراجع الأمريكى ؟

اننى واثق من أن التاريخ كان سيحاسبنى لو واصلت القتال ضد أمريكا ، بدلا من أن استفيد من تراجعها ، واشجعه ، واعمقه · وهذا ببساطة هو ما فعلت · واعتقد اننا حتى الآن كسبنا من هذه السياسة ، ولم نخسر شيئا ·

- **هذا صحيح يا سيادة الرئيس • ويكفى أن سبعة الوية اسرائيلية ، واربعمائة دبابة ، سحبت نفسها من غرب القناة بلا قتال بفضل هذه السياسة • ولكن تصريحكم عن عدم الاستعداد لمحاربة امريكا آثار بعض القلق • ولهذا احب ان اسأل : ماذا لو ان امريكا غزت ارضنا غزوا سريعا بقواتها و •••**

قال الرئيس :

فلم يدعنى الرئيس أواصل ، وقاطعنى قائلا :

ـ وهل هذا سؤال ؟ هل تشك فى أننا عندئذ سنقاتل جميعا •• ابتداء من رئيس الجمهورية وانتهاء الى أصغر طفل ؟

الثغرة والحرب المحدودة

وكوب الليمون الثانى لم يفرغ بعد • والرئيس يتأمل الأضواء البعيدة فى ظلام الليل ويبدو واضحا أن حديثنا اثار فى صدره بعض شجون المعركة ، وبعض ذكرياتها •

- **سيادة الرئيس •• عندما وجهتم نداء الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لارسال قواتهما الى مصر ، وارغام اسرائيل على احترام وقف اطلاق النار •• هل كان وضعنا العسكرى متدهورا بحيث احتاج الى هذا النداء ؟**

قال الرئيس :

ـ لم يكن متدهورا على الاطلاق • انما اردت بهذا النداء أن أسجل التزام الدولتين الكبيرتين بحل القضية على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ••• الذى يقضى بانسحاب اسرائيل من الأراضى المحتلة • وقد أحدث النداء أثره • وأجبرت اسرائيل على احترام وقف اطلاق النار ، والانسحاب من غرب القناة ، ثم الارتداد شرقا فى سيناء •

- **ولكن ••• يقال يا سيادة الرئيس ان اسرائيل كانت قادرة على احتلال السويس عسكريا ، لولا تدخل رجال السياسة والضغط الدولى ؟**

قـال الرئيس :

ـ يرد على هذا الزعم حطام ٣٢ دبابة اسرائيلية ، ما تزال موجودة على مشارف السويس ، ان هذا الحطام هو حصيلة المحاولة الاسرائيلية لاحتلال المدينة · واعتقد انه رد كاف على سؤالك ·

● **سيادة الرئيس ·· ماذا كان يمكن ان تكون عليه الصورة العسكرية ما لم تحدث الثغرة ؟**

قـال الرئيس :

ـ كنت افضل أن يكون السؤال : من الذى صنع الثغرة أصلا ؟ ان امريكا هى التى صنعتها ، ولو لم تتدخل أسلحتها الجديدة ما استطاعت اسرائيل أن تخطو خطوة واحدة نحو الغرب ، ومع هذا فالثغرة كان محكوما عليها بالتصفية وكانت خطة تصفيتها جاهـزة ، لولا أن اسرائيل آثرت السلامة وانسحبت منها ·

على أننى ساجيب على سؤالك ، واقول : انه لو لم تحدث الثغرة لاستفدنا من الوقت فى تطوير هجوم قواتنا ناحية الشرق ·

● **سيادة الرئيس ·· اثار البعض كلاما حول هدف المعركة ، فقالوا انها كانت معركة للتحريك لا التحرير · وانها كانت حربا محدودة · فما هى الحقيقة ؟**

قـال الرئيس :

ـ هذه عبارات من قبيل التلاعب واصطناع الشعارات · ما التناقض بين التحريك والتحرير ؟ ان التحرير هو هدفنا من المعركة ·· والتحريك هو أحد وسائلنا ، وهو يعنى صدم العدو ومن يقف خلفه ، والعالم كله ، وايقاظه بالنسبة لقضيتنا لارغام العدو على التراجع ·

اننا نعلم وندرك أبعاد التـوازن الدولى وحساسية منطقة الشرق الأوسط وأهميتها بالنسبة للغرب والشرق ·

ولذلك فان حرب اكتوبر كانت حربا محدودة ، تضرب نظرية الأمن الاسرائيلى فى الصميم ، لادراكنا أن ذلك سيتبعه تغييرات هامة تخطـو بنا نحو التحرير الكامل للارض ·

وفى الأمر الاستراتيجى الذى أصدرته للقائد العام للقوات المسلحة حددت له أهداف هذه الحرب المحدودة فى أربع نقاط :

★ ارغام اسرائيل على الحرب فى جبهتين ٠
★ الحاق خسائر بها لم تتكبد مثلها من قبل ٠
★ الزامها بالتعبئة العسكرية أطول مدة ممكنة ٠
★ ايقاظ التضامن العربى بحيث يستخدم العرب ، لأول مرة ، كافة اسلحتهم فى المعركة ٠

وقد تحققت كل هذه الأهداف فى حرب اكتوبر واثبتنا للعالم فساد نظرية الأمن الاسرائيلية ٠

وابتسم الرئيس لحظة ، ثم اضاف ضاحكا :

ـ كنا ونحن أطفال فى القرية نتصور أن الملك يلبس قبقابا من ذهب ! وقبل اكتوبر كانت نظرية الأمن الاسرائيلية قبقابا ذهبيا من هـذا النـوع الموهوم ٠ والآن يعرف العالم ، كما يعرف أصحاب القبقاب أنفسهم ، انه من خشب ٠٠ وان تحطيمه ممكن !

● **ولكن ٠٠٠ يا سيادة الرئيس ٠٠ لماذا اخترتم أن تكون الخطة أصلا خطة حرب محدودة ؟**

قـــال الرئيس :

ـ لا تستطيع أية قيادة أن تضع خطة تتجاوز الظروف والامكانيات ٠ ان الشرق الأوسط منطقة ساخنة جدا ، ومجرد تحريك مشكلته يكفى لايقاظ العالم كله ، وكل خطة مسئولة يجب أن تضع فى حسابها الظروف الدولية ، والامكانيات ٠

مصر والســـوفيت

سرح الرئيس ببصره عبر حاجز الشرفة ، واحسست للحظات أنه نسينى ، فانتظرت بعض الوقت قبل ان استانف سؤاله ٠

● **ســـيادة الرئيس ٠٠٠ هل الامكانيات التى تشير اليها هى السلاح ؟**

قـــال الرئيس :

ـ نعم ٠٠ لم يكن تسليحنا على خير حال ٠٠ وساقول لك سرا لـم يعرفه أحد حتى الآن ٠ لقد دخلنا المعركة ونصف طائرات الهليوكبتر التى عندنا معطلة ، بسبب نقص فى قطـــع غيارها ٠٠ وهى قطـــع كان يكفى لاستيعابها صـــندوقان تحملهما طائرة ركاب عادية ، ولكن الأصـــدقاء السوفيت لم يسعفونا بها ٠

● يقودنا هذا ، يا سيادة الرئيس الى مسالة العلاقات المصرية السوفيتية بصفة عامة . لقد سمعت كثيرين ، اثناء جولة اخيرة قمت بها فى عدد من بلدان العالم ، يلقون تبعة الفتور بين مصر والاتحاد السوفيتى على عاتق مصر .. ويشيرون بوجه خاص الى ان مصر سلطت الاضواء على كل من ساهم بدور فى انتصار اكتوبر ، الا الاتحاد السوفيتى .

قال الرئيس :

ـ من قال اننا لم نسلط الضوء على الدور السوفيتى ؟

ان من يقول هذا يستطيع ببساطة أن يعود الى الصحف ، ليرى كيف تحدثت ، وكم مرة تحدثت انا عن دور السوفيت فى مساعدتنا .. لقد صرحت ، والمعارك قائمة ، باننا عبرنا بالسلاح السوفيتى وأكدت أكثر من مرة ، وفى قمة تجمد العلاقات بيننا ، اننا نقدر دور الاتحاد السوفيتى ومساعداته ومناصرته .

● ما هى المشكلة اذن ؟

قال الرئيس :

ـ المشكلة كانت دائما حول موقف الاتحاد السوفيتى من تسلحينا ، ولهذه المشكلة تاريخ طويل سبق أن شرحته ، ولا أجد فائدة فى تكراره ، واثناء الحرب أمدت امريكا الجيش الاسرائيلى بأسلحة تعوض كل ما فقده ، وبأسلحة جديدة لم تكن لديه ، بينما الجسر الجوى السوفيتى كان ينقل الينا صفقات سبق الاتفاق عليها ، وتأخر تنفيذها ، وكان مفروضا أن تصل قبل ٦ اكتوبر .

وقد رحبت ، مع ذلك .. بهذا الجسر أروع ترحيب ، وعندما زارنا كوسيجين اثناء القتال ، قلت له : هذا حقا هو الأسلوب الذى ينبغى أن يسود علاقاتنا .. ولننس ما فات .

ولكن ما كاد القتال يتوقف حتى توقف ورود الأسلحة ، حتى المتفق عليها ، والمتبقية من العقود السابقة ، بينما استمر الجسر الجوى الأمريكى يعوض اسرائيل عن كل ما فقدته .. لم نحصل نحن على طائرة واحدة من الطائرات التى فقدناها ، ولم يبدأوا فى تعويض الدبابات الا بعد اسبوع من وقف القتال .. رغم حاجتنا الشديدة الى الدبابات اثناء معركة « الثغرة » .

وسكت الرئيس لحظة ٠٠ ثم أضاف :

ـ لقد جمد السوفيت مساعداتهم حتى فى غير المسائل العسكرية ٠٠ هل تتصور انهم طالبونى بثمانين مليون دولار من فوائد الديون فى نفس الاسبوع الذى اعتمـــد فيه الكونجرس الأمريكى ٢٢٠٠ مليون دولار لاسرائيل ؟

● **ما السبب يا سيادة الرئيس ؟**

قـال الرئيس :

ـ انهم حتى الآن لم يشرحوا السبب ٠

● **لكننا نعلم ان من المبادىء المقررة فى السـياسة المصرية أن الصداقة المصرية السوفيتية صـداقة استراتيجية ٠ فهل تغير هــذا ، خاصـة وان الأحاديث تتردد كثيرا عن سياسة اكثر توازنا ما بين الشرق والغرب ؟**

قـال الرئيس :

ـ من جانبنا لم يتغير شيء ٠٠ وموقفنا من الصـداقة مع السوفيت ما يزال نفس الموقف ٠٠ والدليل على هذا هو تجديدى للتسهيلات الممنوحة للاسطول السوفيتى عندنا ٠

ان جوهر المشكلة هو موقف السوفيت أنفسهم وضرورة أن يتفهموا مضمون الصداقة بيننا ، وحرصنا على طابع الندية فيها ٠

اننا حريصون على الصداقة المصرية السوفيتية وعلى تجاوز كـل أسباب سوء التفاهم ٠٠ ومهما حدث ، فلا جدال فى أن هذه الصداقة قائمة ومجسدة فى السد العالى فى أسوان ، ومجمع الحديد والصلب فى حلوان، وفى تزويدنا بالسلاح منذ عام ١٩٥٥ ٠

لكننى اكرر مرة اخرى ٠٠ ينبغى على السوفيت أن يتفهموا جـوهر صداقتنا ، وطابع الندية فيها ٠

● **هل تحسنت العلاقات بعد مقابلة الدكتور حجازى للرئيس بودجورنى ، والرسالة التى حملها منه ، خاصة وقد ذكرت الصحف أن الرئيس بودجورنى قال للدكتور حجازى : ان الطريق الى صـداقة العالم العربى يجب أن يمر بمصر ٠**

قال الرئيس :

ـ أعتقد أن التفاهم بيننا يتزايد ·· وان العلاقات الآن تتقدم وتتحسن ·

سياسة المحاور

● **سيادة الرئيس ·· ماذا عن علاقاتنا العربية ؟ لقد نجحتم جدا فى خلق وتدعيم أوسع جبهة بين الدول العربية قبل الحرب وأثناءها ·· ولكن البعض يأخذ علينا اننا بدونا منحازين لدول عربية معينة ، وتجاهلنا دولا عربية اخرى ، فما قول سيادتكم ؟**

ابتسم الرئيس وقال :

ـ اننى اعتبر التضامن بين العرب فى حرب اكتوبر من أروع فصول هذه الحرب ومن أهم نتائجها · ويكفى اعتراف أساتذة الاستراتيجية فى العالم بأن العرب قد أصبحوا يشكلون بعد اكتوبر « قوة عالمية سادسة » وهذا تعبيرهم ، وليس من عندى ·

أما الذين تحدثوا ويتحدثون عن انحيازنا لدول عربية وتجاهل دول عربية أخرى ، فهم ما زالوا متأثرين بنظرية « المحاور » القديمة ·· ومن هنا حديثهم عن محور « مصر ـ السعودية » مثلا · وهو حديث لا يستند الى أساس ، وينطوى على خطأ فى فهم الواقع وظروف المعركة ·

اننا جميعا نخوض معركة مصير عربى واحد وقد فرضت ظروف هذه المعركة ، وقدر التاريخ أن تكون مصر القاعدة العسكرية الأساسية وأن تكون السعودية مالكة ستين فى المائة من احتياطى البترول العربى ·· فلما تساندت قدرة مصر العسكرية وسلطان السعودية البترولى بدا كل منهما اكثر فعالية · ولكن النصر فى اكتوبر كان للعرب جميعا ·· وشاركت فى انجازه كل المساهمات العربية على اختلاف مصادرها وأنواعها واحجامها ·

ان من حقائق المعركة أن السعودية ، بحكم سيطرتها البترولية ، تملك تأثيرا هاما على الحسابات الأمريكية وسأضرب لك مثلا : عندما جاء هنا هنرى كيسنجر ، خاطبنى بافاضة حول الحظر العربى على البترول ، وكيف أنه يضر بالمصالح الأمريكية ضررا بالغا ·· وطبيعى انه لم يكن يحدثنى بشأن البترول المصرى ·· فمصر لا تملك بترولا ·· وانما السعودية هى التى تملك ٦٠ فى المائة من بترول العرب ، كما قلت لك ·· وقد تخاطبت

بعد ذلك مع الملك فيصل في الموضوع واتفقنا على موقف جديد ، كان له بالفعل اثر بالغ ·

هل يمكن أن نطلق على شيء كهذا تعبير « محور مصر ــ السعودية »؟

اننا لسنا من انصار المحاور ولا نؤمن بجدواها وسياستنا هي السعى الى تضامن عربى شامل وتنقية الجو العربى دائما من الشوائب ·· ولا اتصور أن هناك سياسة أخرى يمكن أن تخدم العرب فى وقت يواجهون فيه معركة تحرير كبرى ·

● **وما حال التضامن العربى الآن فى راى سيادتكم ؟**

قــال الرئيس :

ــ فى أزهى صــوره ·

● **كيف الحال مع العــراق ؟**

قـــال :

ــ علاقتنا بالعراق طيبة جدا ·· وتتحسن كل يوم ·

● **وليبيـا ؟**

قــال

ــ المشكلة الجوهرية فى علاقتنا مع الجمهورية العربية الليبية انها تريد أن تلعب دورا أكبر من حجمها وطاقتها ·· وستظل هناك مشكلة طالما العقيد معمر القذافى مصر على اتباع هذه السياسة ·

● **وماذا جرى فى زيارته الأخيرة ؟**

قــال الرئيس :

ــ لقد جاء وصفينا الحساب معا ·· بمعنى اننا حصرنا ما كان له عندنا من أسلحة وودائع ··

الانفتاح والتعميــر

الوقت يمتد بنا ·· وموعد العشاء قد فات ·· ونائب رئيس الوزراء ممدوح سالم ، وصل منـــذ فترة وانضم الينا ·· واسئلتى لم تفرغ بعد ·· والرئيس يصبر ·· لأننى ضيفه ·

● **سيادة الرئيس ·· هناك مسائل داخلية يلح الرأى العام فى الاستفسار عنها ، وفى مقدمتها موضوع**

« الانفتاح » ·· ما مغزى هذا الشعار ؟ وما علاقته بالمعركة ؟

قال الرئيس :

ـ اظننى أوضحت فى أحاديث سابقة أن سنوات الصمود الست كانت قد هبطت بوضعنا الاقتصادى الى مستوى سىء جدا ·· وبعد المعركة كان طبيعيا أن تطفو الى السطح مشاكل اقتصادية جديدة كالتعمير مثلا ·· وشعار الانفتاح يهدف بالتحديد الى مواجهة هذه الظروف ·

ان العالم كله ينفتح على بعضه البعض ·· الاتحاد السوفيتى ينفتح على الغرب ويتفق على قروض بمليارات الدولارات ·· ودول عربية بترولية مثل العراق تحصل على قروض من فرنسا واليابان ·· فلم لا نتبع نفس السياسة نحن أيضا لنطور اقتصادنا ، دون أن يمس ذلك بالطبع استقلالنا ؟

لقد أعلنا ، ومازلنا نعلن ، اننا نرحب فى المقام الأول برؤوس الأموال العربية ·· فهى أولى وأجدر بالمساهمة فى التنمية على النطاق العربى كله ·· وهى بذلك تساهم فى خلق السوق العربية المشتركة ، وفى تدعيم وتعزيز التضامن العربى ·

ولا بأس لدينا ، فى نفس الوقت ، من الاستعانة برؤوس الأموال الأجنبية وتشجيعها ، خاصة فى مشاريع التعمير ·· ودائما بشرط عدم التفريط فى استقلالنا أو فى خطط التنمية التى نضعها لبلادنا ·· هذا هو مغزى الانفتاح ومفهومه ·

- **يقودنا هذا ، يا سيادة الرئيس الى قضية التعمير ذاتها · ان هناك من يتساءلون كيف تعمرون وتنفقون الملايين على مدن القناة بينما الحرب لم تنته بعد ، وما تبنيه اليوم قد يدمر غدا ؟**

قال الرئيس

ـ سمعت هذا السؤال كثيرا ·· وآخر من اثاروه معى كانوا الاخوة الصحفيين من الخليج العربى ·· لكننى ارد على السؤال بسؤال آخر : هل يمكن أن أترك مليون مهجر يعانون التعاسة والغربة والضياع سبع سنوات ، ثم أطالبهم بمزيد من الانتظار ؟ ··

ولنفرض أن الحرب اشتعلت من جديد ، وهذا احتمال قائم طبعا ،

فقد سبق ان أعلنت ان مدن القناة اصبحت من مدن عمق الجمهورية ·· وان أى ضرب لها سارد عليه بالضرب فى مدن العمق فى اسرائيل ·

ثم من قال ان الاستعداد للقتال ، أو توقعه ينفى المضى فى البناء ؟ لقد رفعنا من زمن طويل شعار « يد تبنى ويد ترفع السلاح » ·· وجاء تطور الأحداث يثبت أنه شعار سليم تماما · فما بنيناه فى سنوات الصمود كان دعامة معركة اكتوبر وبالذات القطاع العام المدنى ·· الذى لعب دورا اساسيا فى كسبها وزودنا بمعظم احتياجاتها ·

ان المعركة لم تكن ابدا ، ولن تكـــون ·· حجة للكف عن البناء والتراخى فيـــه ·

● ولكن ·· من اين المـال ؟

قال الرئيس بحسم :

ـ من امكانياتنا أولا ·· من عرقنا وكدحنا ·· ثم من التمـــويل الخـــارجى ·

الحـوار ·· والأحـــزاب

يقى سؤال لا ادرى كيف اطرحه ·· سؤال عن الحوار الساخن الدائر فى هذه الأيام حول التطوير السياسى · فكرت أن امهد له بالاشارة الى بعض ما تنشره « روز اليوسف » فاذا به يعلق على عددها الأخير المخصص لعيد الفلاح ·· ويبدى أعجابه بمقال صلاح حافظ الافتتاحى عن « مصر الأخرى » ·· مصر الفلاحين ، ويقول لممدوح سالم : هذا هو الكلام الذى يجب أن يقال ·· هذه مصر الحقيقية التى تعمـــل وتضـحى وتطعـم الآخرين ، ولا يشغلها ما يشغلهم ·

ووجدت الفرصة سانحة عندئذ لألقى بسؤالى ·

● سيادة الرئيس ·· ما رايكم الشخصى فيما يدور الآن من حـــوار حول الاتحـــاد الاشـــتراكى ، والأحزاب ، والمنابر ، ونسبة العمال والفـــلاحين فى مقاعد المنظمات السياسية و ···

واذا بالرئيس يقاطعنى :

ـ هذا هو السؤال الذى لن أجيب عليه ! اننى اتابع الحوار ، وأقرأ كل ما ينشر حوله ·· ولكنى أرفض أن اقول رايى الآن ، حتى لا تتأثر حرية

المناقشة . ان الحوار ظاهرة صحية .. والديمقراطية هى العمود الفقرى للوحدة الوطنية التى اثبتت وجودها ، وتجلت كأروع ما تكون ايام المعركة . ونحن فى حاجة الى هذه الوحدة .. لأن المعركة لم تنته بعد .. وأكرر : لم تنته بعد .

● **سؤال اخير يا سيادة الرئيس : طرا على ذهنى الآن وانت تقول ان المعركة لم تنته بعد .. لقد شاهدت اخيرا عملية عبـــور قامت بها قواتنا المســلحة فى منطقة القنــاة ما هو انطباعكم بعـــدها ؟**

قـــال الرئيس :

ان العالم الذى رأى حال جيشنا فى يونيو ١٩٦٧ قد ذهل عنــدما رآه فى اكتوبر ١٩٧٣ .. لقد نفذ جيشنا قرار وقف القتال وهو سليم وقوى وبعد بيان العبور ثبت انه ازداد قوة .

اننا بهذا البيان قلنا للعالم : ها نحن نمد يدنا للسلام ونحن اقوياء وسنذهب الى جنيف ونحن اقوياء .

اننا لسنا « ديماجوجيين » وليس لدينا ما نقول للاستهلاك المحلى .. فالمعركة لم تنته .. وقرارات مجلس الأمن لتسوية عادلة ، موجودة .. وضمان وتعهد الدولتين الكبيرتين موجود .. فاذا ركبت اسرائيل راســها فسنحارب ولن نكف حتى يخرج آخر جندى اسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة .. وكل شىء فى طريق هذا الهدف محسوب ، وكل الاحتمالات نحن مستعدون لها وقادرون تماما على مواجهتها .

● **شكرا سيادة الرئيس .. لم تبق عندى اسئلة .**

– اذن .. تبقى للعشاء !

الملحق الثانى

حديث انور السادات الثانى للمؤلف ، ونشر فى مجلة روز اليوسف فى ٢٤ مارس ١٩٧٥ عقب فشل محادثات كيسنجر فى اسوان ٠

وكان واضحا فى الحديث انه اى السادات يخاطب فى الحديث جبهة الرفض العربى ٠

تحدث الرئيس انور السادات الى روز اليوسف ٠
اعلن انه غير متلهف على عقد اتفاقية جديدة

لفصل القوات ، وانه اذا فشل كيسنجر فان المبادرة ستظل فى ايدينا لاننا نملك القوة العسكرية ونملك استخدامها ، ورد على خرافة « الحل المصرى المنفرد » التى ترددها جبهة الرفض فى العالم العربى ،ووصف هذه الخرافة بانها ضد التاريخ ٠ وقال ان تخلى مصر عن دورها العربى وهم ، وامنية للاستعمار ٠

واذاع الرئيس اسرارا جديدة عن اتفاقية الفصل الاولى ، وعن كيفية انضمام ليبيا الى اتحاد الجمهوريات العربية ، وعن دور مصر فى تصفية مشاكل العراق مع ايران ٠

وفيما يلى نص الحديث الخطير ، كما كتبه عبد الستار الطويلة من اسوان :

لم اكن اجهل بالطبع كم هو مشغول :

كنت المس بنفسى درجة حرارة النشاط فى اسوان وهى ترتفع يوما بعد يوم · واتابع ما يبذله من جهــد مكثف · يكاد يفوق طاقة البشر ·

تباينت اغراضهم واختلفت أهدافهم ، ولكنهم اجتمعوا عــلى توجيه السهام الى سياسة مصر ·· صحيح انها سهام طائشة ·· لا تدرى من اين ولمــاذا والى اين ؟·· وهى لا تخــدش ولا تستطيع أن تخدش صلابة السياسة المصرية واستقامتها ، ولا يمكن أن تشوش على وضوح الرؤية عند القيادة السياسية ·

ولكن هذه السهام فى الحقيقة تؤثر على التضامن العربى بما تثير من « شوشرة » وضجة ، وقديما قال اجدادنا : العيــار الذى لا يصيب ·· « يدوش » ·

ثم هى ايضا تؤثر على وحدة القوى الوطنية فى العالم العربى ·· تلك الوحدة التى خلقتها معركة اكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ·· والتى هى لازمة لصالح قضية التحرير العربية حتى تستكمل مهامها على الأقل ·

بهذه الفكرة فى رأسى جلست الى الرجل الذى صنع معركة اكتــوبر وأدارها ، الرجل الذى ورث تركة مثقلة ومروعة معا ·

والذى استطاع أن يخلص العالم العربى كله من أخطر آثار التركة ، وهو أثرها المعنوى المخرب للقوة والروح العربيتين معا ·· حتى لكأنه أصبح هناك عالمان عربيان : عالم ما قبل اكتوبر ١٩٧٣ ·· وعالم ما بعــد أكتوبر ١٩٧٣ ·

جلست الى أنور السادات وهو يقود السفينة وسط الأنواء والأعاصير بحكمة وثقة ، وبمهارة بالغة ، ليحصد ثمار نصر اكتوبر الى آخر قطرة ·· وليعيد للعالم العربى كل ما اغتصب منه فى غفلة من الزمان ـ والعــرب أيضا ! ـ بأقل الخسائر الممكنة ، حتى لا تثكل أم ابنها · وحتى لا يتهدم بناء قديم أو جديد تسكنه أسرة سعيدة !

الحل المصرى المنفرد ضد التاريخ :

قلت للرئيس السادات :

- **ســـيادة الرئيس ·· اننى اتابع مع عشرات الصحفيين هنا فى أسوان جهودك من اجل الحق العربى ·· لا من اجــل مصر وحدها فى تلك**

المباحثات الصعبة المضنية وانا لم اجىء لتؤكد لى هذه الحقيقة .

ــ لقد سمعت فى الحقيقة ترديد اننا متمسكون بتحقيق الانسحاب على الجبهات الثلاث واننا متمسكون بحقوق الشعب الفلسطينى .. الخ .

وليس سرا اننى فى مباحثات الفصل بين القوات الأولى عام ١٩٧٤ كنت أفاوض هنرى كيسنجر على خط الانسحاب من الجولان جنبا الى جنب مع خط الانسحاب من سيناء . واصررت فى محادثاتى على ضرورة اخلاء القنيطرة .

قلت :

● **هذه حقائق معروفة . حتى أن الحديث عن حل مصرى منفرد يعتبر فى نظر اى متابع للأحداث نوعا من المغالطة ، كما يبدو ايضا نوعا من الكفر والجحود .**

على اننى فى الحقيقة اريد أن استمع من سيادتكم الى التأصيل النظرى والتاريخى لهذا التمسك المصري بموقف عربي موحد ، أو بحل عربى شامل .

فسرح الرئيس ببصره بعيدا كأنما ليسترجع احداث التاريخ ، ثم التفت الى قائلا :

ــ ان فى تاريخ الأمة العربية هجمتين خطيرتين .. ارادتا القضاء عليها .. التتار والصليبيون .. ولم يستطع العرب مواجهة الهجمتين الا باتحادهم .

وما كان ممكنا أن يخرج الاستعمار الاستيطانى الصليبى بعد ثمانين عاما من العالم العربى الا بفضل تعاون « بر الشام » ومصر معا وتحت قيادة واحدة .

ان هذه الخبرة التاريخية فى الماضى تصدق على كل أزمة أو هجمة على العالم العربى اليوم . والهجمة الصهيونية هى من نفس ذلك النوع الصليبى الذى قصد به تدمير الشخصية العربية أو على الأقل اضعافها وحجبها عن موكب التطور .

واذا ما استعرضنا التاريخ منذ بدء التسرب الصهيونى ، منذ عهد بلفور ، نجد أن مصر تلعب دورا اساسيا بجانب الدول العربية فى

مواجهة الصهيونية . الم تكن حرب ١٩٤٨ .. وحرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ حربا عربية تحملت مصر فيها العبء الرئيسى ؟

قلت :

● **وماذا عن حرب اكتوبر ١٩٧٣ ؟**

فأجاب :

– هذا الانتصار فى حرب اكتوبر ما كان يمكن أن يحدث لولا تضامن الصف العربى قبل وأثناء الحرب .. ولولا دخول مصر وسوريا معا المعركة بتنسيق واحد .. ولولا مساندة سائر الدول العربية للمعركة .

وما كان ممكنا للعرب ان يستعيدوا ما استعادوه من كرامة ، ومكانة، وثقة بانفسهم وبقوتهم ، وثقة من العالم بقدراتهم .. ما كان ممكنا ان يحدث هذا لولا التضامن العربى .. ذلك التضامن الذى كان وجوده شرطا منذ التاريخ القديم لمواجهة التتار والصليبيين .

وبسط الرئيس السادات كفيه قائلا :

– من أين يأتون بهذا الكلام عن موقف مصرى منفرد ؟ ان هذا ضد التاريخ .

ليبيا والوحدة العربية :

قلت :

● **سيادة الرئيس .. فى اطار ايمانكم العميق هذا بالتضامن العربى ، أين تحتل مسالة الوحدة العربية موقعا فى سياسة مصر ؟**

– أولا : بعد تجربة انفصال سوريا .. اتفقنا وعلى رأسنا المرحوم جمال عبد الناصر على الا نخوض تجربة وحدة اندماجية مرة أخرى . وانما تتحقق الوحدة العربية على مراحل .

اننا نريد أن نتحد لنبقى متحدين ، ولتستقر وحدتنا لا لتنفصل مرة اخرى ، وفى عهد المرحوم جمال عبد الناصر تباحثت مصر ، بل هو شخصيا مع كل من سوريا والعراق عام ١٩٦٣ على أساس اقامة اتحاد فيدرالى .

● **وكيف وضعتم هذه الخبرة فى تجربة اتحاد الجمهوريات العربية ؟**

أجاب الرئيس :

ـ ان كل الناس يعرفون أنني خضت معركة من أجل ذلك الاتحاد ضد مراكز القوى التى كانت تعارضه تحت شعارات مختلفة ٠

وسأذيع سرا الآن ، وهو انه لم يكن مقدرا فى البداية أن تدخل ليبيا هذا الاتحاد ، رغم كل ما تسمعونه من « هتافات وحدوية » ٠

● كيف كان ذلك يا سيادة الرئيس ؟

قال أنور السادات وهو يسترجع ذكريات التـــاريخ في تلك الأيام الحاسمة من تاريخ مصر بعد حركة التصحيح :

ـ انها قصة طـــريفة حقا ٠٠ لقد عقدت البـــلاد الأربعة : سوريا والسودان وليبيا ومصر اجتماعا حضره رؤساؤها الأربعـــة ، واستمر الاجتماع أربعة أيام ٠

وفى ذلك الاجتماع قال الرئيس نميرى صراحة انه لا يرفض الوحدة، ولكن ظروف بلاده لا تسمح بانجازها الآن مكتفيا ببيان بنغازى ٠

أما ليبيا فقد طرح العقيد القذافى شعارات وكلمات ضخمة كمثـل تلك التى يرددها بعض اطراف جبهـــة الرفض الآن ٠ وكان ظاهر هذه الشعارات المزايدة الوحدوية الفـــورية الاندماجية و ٠٠ و ٠٠ وباطنها الحقيقى رفض للوحدة ٠ لأن العقيد القذافى ببساطة يطرح شروطا يصر على تنفيذها كثمن لتلك الوحدة ٠

وسكت الرئيس لحظة ريثما يرشف كوبا من الماء نصف البارد ٠٠ وعاد يقــول :

ـ كان الموقف أمامى اذن : ان هناك دولتين لن تدخلا الوحـــدة ٠ احداهما السودان ، والأخرى ليبيا ٠٠ وان اختلفت الأسباب ٠

عندئذ قلت ، موجها حديثى للرؤساء الثلاثة : ان حافظ الأســد لن يعود هذه المرة الى سوريا دون أن ننجز معه الوحدة ٠ وسأعيد معه اقامة الجمهورية العربية المتحدة على الأسس الجديدة التى وضعناها لاتحـــاد الجمهوريات ، أى على أساس اتحاد « فيدرالى » ٠

ووافق أخى حافظ الأسد على ذلك ٠

وهنا فقط عاد العقيد القذافى فتنازل عن شروطه ، وطلب أن ينضم الى الاتحاد ٠ وحدث بعد ذلك ما عرف باتفاق دمشق وما تلاه من خطوات٠

نحن اذن وحدويون ٠٠ ولكننا ندرك أن الوحدة عملية صـــعبة ٠٠

وتحتاج الى خطوات ·· ونرفض اية شروط كثمن لهذه الوحــدة ·· كما نرفض اية محاولة لاجبارنا على التوحد بشكل معين ·

واستطرد الرئيس انور السادات قائلا :

ــ اليس التضامن العربى الحالى اساسا وتمهيدا عظيما للوحــدة العربية فى المستقبل ؟ ··اليست مصر هى التى لعبت الدور الرئيسى من اجل خلق ذلك التضامن ·· والابقاء عليه وتدعيمه فى وجه كل المحاولات لتخريبه ؟

قلت :

● **هل ترون ان اتجاه مصر نحو الوحدة العــربية بدأ بثورة ٢٣ يوليو فقط ؟**

فاجاب قائد مسيرة ثورة ٢٣ يوليو ، بامانة الثائر الذى لا يتجاهل التاريخ :

ــ لابد ان نعترف بالحقائق التاريخية الموضوعية ·· ان التزام مصر بالعالم العربى فى تاريخها الحديث موجود قبل ثورة ٢٣ يوليو ·

ورغم ان هذا الالتزام كان مهزوزا بحكم وضع مصر حينذاك كبــلد شبه مستعمر ·· ومحكوم بنظام رجعى متخلف ·· الا انه عندما تبلورت اول فكرة للوحدة على مستوى الدول العربية تحت اسم «الجامعة العربية» جاء الملوك والرؤساء العرب الى الملك فاروق فى انشاص ·· وابرم اول اتفاق رسمى للتوحد او التجمع العــــربى فى مصر · ولو ان ايدن وزير الخارجية البريطانى بارك ذلك ·

● **من اين نشا ذلك الالتزام التاريخى ؟**

ــ هذا قدر مصر ·· فهى طوال عمرها ، بحكم موقعها الجغــرافى والحضارى والثقافى والاستراتيجى ، وبحكم عدد السكان ، كانت وما تزال اكبر دولة عربية واكثرها فعالية وتاثيرا فى المنطقة · واكثرها التزاما تجاه العرب ·

الا ترى ان مصر عندما انتصر جيشها فى سيناء فى اكتوبر احس العرب كلهم انه انتصار لهم ؟

وحتى اولئك الذين يطالبون مصر بكذا وكذا انما فى الحقيقة يعكسون احساسهم ــ مهما بلغ سوء نيتهم ــ بالدور الخاص والقدر الخاص لمصر بين الدول العــربية ·

كان على أن أعد أسئلتى عن الجزء الثالث من حديثنا ، وهو عن قضية فلسطين ، بينما كان الرئيس انور السادات يقوم بدوره التقليدى كمضيف كـــريم ·· فيأمر لى بقدح ثالث من عصير البرتقال ·

- سيادة الرئيس ·· اننى ايضا اريد أن اعــرف لمحات من الأسس الفكرية التى تحكم الســياسة المصرية تجاه قضية فلسطين ·· هذه السياسة التى أرى انها قد حققت نجاحا كبيرا اذ تاكد الوجود الفلسطينى الشــعبى بعد ٢٥ عاما من التجاهل ·· واعترف العالم كله تقريبا واقعيا على الأقل بمنظمة التحـــرير الفلسطينية ·· واصبح الحديث الآن يدور حول دخول المنظمــة كطرف مستقل فى محادثات جنيف لتسوية شاملة فى الشرق الأوسط ·· ولأول مرة اصبحت قضية اقامة دولة فلســطينية على جـــزء من الأرض الفلسطينية مســـألة يتعاطف معها الراى العام العالمى ، بل ودول كثيرة كانت لا تكاد تسمع عن شىء اسمه فلسطين اصلا ·

قال الرئيس ضاحكا :

ــ هل هذا سؤال أم بيان ؟ · المهم ·· ان هناك اربعة عناصر اساسية تحكم الموقف المصرى وتجعل مصر ملتزمة فى الماضى ، وفى الحاضر ، وفى المستقبل ، بقضية فلسطين :

أولا ــ قدر مصر الذى تحدثنا عنه · والتزامنا كدولة عربية بالدور الأساسى فى مواجهة اى ازمة تواجه العالم العربى كله ·

ثانيا ــ انه حتى بحكم المصـــالح الوطنية الأنانية فان مصر ملتزمة بالدفاع عن قضية الشعب الفلسطينى ، أو بالأحرى مشاركته فى الدفاع عن نفسه ازاء الهجمة الصهيونية · بحكم أن فلسطين مجاورة لنا ·· وألصق حدودنا ·

ثالثا ــ ان العالم العربى كله جسم واحد ، اذا اشــتكي منه عضو اشتكى باقى الأعضاء · جسم تحكمه وحدة المصير · ووحدة المصير ليست

كلمة غامضة . انها تعنى أن الاستعمار مثلا اذا التهم بلدا عربيا وسكت الباقون فانه سيلتهم بقية البلاد واحدة وراء الأخرى .. هذه بديهيات وحقائق يعرفها تلاميذ المدارس .

ولذلك كانت خطة العدو دائما هى تقسيم البلاد العربية والتفرقة بينها ، حدث ذلك فى الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا . وحدث فى اتفاقية سايكس بيكو .

وقد كان العدو يدرك منذ زمان بعيد وحدة العالم العربى . وعندما هزم لويس ملك الصليبيين فى المنصورة فانه حاول استرداد كرامته فى بلاد عربية أيضا .. فذهب يغزو تونس والجزائر .

وفى الوقت الحالى تحاول الدول الكبرى اعادة صياغة المنطقة جغرافيا ، وخلق نفوذ لها حيث تستطيع .

رابعا ـ التحدى الحضارى للصهيونية : ان الاستعمار لا يترك منطقة الا ويترك وراءه فيها ذيولا تثير الخلاف والتناقض .. كما حدث فى الهند مثلا . وهو قد خرج من المنطقة العربية تاركا لنا مشكلة فلسطين . وهى فى جوهرها ليست فقط اغتصابا لأرض عربية ، وانما هى تحد حضارى من الصهيونية للعالم العربى .

. . .

وسكت الرئيس أنور السادات لحظة ريثما يشعل البايب ، ثم نظر الى قائلا :

ـ هل رأيت أفلام الهنود الحمر ؟

ان الصهيونية تريد أن تحول العرب الى هنود حمر .. يقفون حيث هم « محلك سر » .. دون تطور حضارى . انها تريد أن يتحول العرب الى العيش فى معازل .. « وجيتو » .

والتحضر بالنسبة لنا نحن العرب قضية حيوية .. بل هو قضية حياة أو الموت .

ولذلك نحن ضد الصهيونية ، الخطر الداهم لا على الشعب الفلسطينى فقط بل على الشعوب العربية جميعا بما فيها مصر . ولذلك فنحن نؤيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، ونناضل لكى تكون له دولة . وموقفنا واضح ومحدد . وقد أكدنا أكثر من مرة انه ما لم تحل القضية الفلسطينية فسيظل خطر تفجر الموقف فى المنطقة قائما .

● هذا يفسر اذن التصدي المصرى منـــذ البداية للزحف الصـــهيونى فى العـــالم العــربى ·· ولكن خصومنا يقولون اننا من أجل أن نصل الى اتفاق يحل المشكلة المصرية يمكن أن نتخلى عن التضامن العــربى ؟

قال الرئيس فى ثقة :

ـ اذا كانوا لم يتعلموا من خبرة التاريخ القديم ·· بعد درس حرب ١٩٧٣ ·· ومن اتفاقية الفصل ١٩٧٤ فى سيناء والجولان ·· ومن تضالنا من أجل فلسطين ·· فلن يجدى الحوار ·

اننا نعمل دائما من أجل التضامن العربى · ونصفى الخـــلافات العربية · حتى مشاكل بعض الدول العــــربية مع جيـــرانها نعمل على تصفيتها · وليس سرا أن مصر بذلت الجهود المكثفة الأساسية لحل الخلاف بين العراق وايران ؟

ولقد تلقيت برقية من صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقى وهو فى الجزائر ، يشكر فيها دور مصر لحل المشكلة قبل أن يحضر اجتماعه مع شاه ايران والرئيس بومدين · وكذلك بعث لى شاه ايران بمثل تلك البرقية من الجــزائر أيضا ·

وصمت الرئيس السادات لحظة ، ثم قال :

ـ ان الناس كلها ترى سياستنا واضحة من أجل خلق تضامن عربى فى المجال الاقتصادى ·· لقد قلت عدة مرات أن العرب يملكون رأس المال · والدول المتقدمة تملك التكنولوجيا · ويجب اجراء تزاوج بين الاثنين : رأس المال العربى والتكنولوجيا الأجنبية لتطوير العالم العربى وجعله القــوة السادسة فعــلا ·

ولقد عقد رئيس مجلس الوزراء المصرى الدكتور حجـــازى عدة اتفاقيات لاقامة مشاريع عربية مشتركة فى مصر ·· وعقدنا اتفاقيات مماثلة مع العراق ·· ونحن نعمل فى الواقع من أجل خلق ســــوق عربى مشترك · وهو أساس الوحدة العربية فى المستقبل ·

اننا نرسم خططنا الاقتصادية لنهضة العالم العربى كله ، ولعشرات السنين المقبلة ، على أسس التضامن العــربى ·· فكيف يتصور مخلوق أننا يمكن أن ندير ظهرنا للتضامن العربى ·· من أجل ما يسمى « بحل مصرى » ·· ونحن نعرف جيدا أننا لو سمحنا للعدو أن ينفرد بكل دولة عربيــة وحدها لالتهمنا جميعا !

اذا فشل كيسنجر

كان الرئيس أنور السادات يفيض فى الشرح وتوضيح الأمور ٠٠ حتى احسست اننى جالس أمام استاذ جامعى ٠٠ يربط بين حقائق التاريخ فى الماضى والحاضر ربطا جدليا ٠٠ فيرسم طريق الحاضر والمستقبل فى يسر شديد ٠٠

قلت للرئيس :

● **سيادة الرئيس ٠٠ دون التعرض لأسرار المباحثات بينك وبين الدكتور هنرى كيسنجر أريد ان اعرف ما هى الصعوبة الأساسية فى اتمام الاتفاق هذه المرة ؟**

قال الرئيس :

ـ وهل كان الاتفاق سهلا فى المرة الماضية ؟ ان ما يمكن ان اقوله لك ان وضعنا أفضل من العام الماضى ٠٠ واسرائيل هى الموزوطة الآن أى فى « كورنر » كما يقولون ٠٠ وانا اتباحث هذه المرة ولست قلقا للتوصل الى اتفاق ٠٠

قلت :

● **هل يعنى هذا ان الاتفاق الجديد لن يحسن وضعنا عسكريا وسياسيا ؟**

اجابنى فى ثقة :

ـ ان وضعنا بدون اتفاق حسن عسكريا وسياسيا ٠٠ واذا ما تم الاتفاق الجديد فسيكون وضعنا أحسن وأحسن ٠

● **سيادة الرئيس ٠٠ أود أن أعرف تفسيرا لقولكم انكم لستم قلقين للتوصل الى اتفاق ٠٠ وان وضعنا الآن حتى بدون الاتفاق حسن ٠**

قال :

ـ ان كل ما كان عندنا قبل اكتوبر ١٩٧٣ نقلناه بعد اكتوبر الى المجتمع الاسرائيلى ٠ التمزق ٠٠ والضياع ٠٠ والانقسام ٠٠ وعدم ادراك ماذا سيحدث فى المستقبل ٠٠ وعلاوة على هذا ، فان اسرائيل قد كشفت أمام العالم ٠٠ ووضعناها فى حجمها الحقيقى امام الدنيا ٠٠ فلم تعد ذلك الجبار « السوبرمان » ٠

وهى الآن كما قلت لك فى « كورنر » ٠ اذا لم يتحقق الانسحاب الجزئى الجديد فانها ستبدو فى صورة المتحدى للرأى العام العالمى وارادة المجتمع الدولى ٠

ان كل تحرك تقوم به اسرائيل ينقلب ضـــدها ٠ انها كالمخلوق ذى العاهة الآن ! بينما على الطرف المقابل نحن ٠٠ سياستنا واضحة ومستقيمة ويعرفها العالم جيدا ٠ ومن ناحية اخرى معنا الحق ٠ واهم من ذلك معنا القوة ٠ القوة العسكرية ٠ وقوة التضامن العربى بأساليبه المختلفة ٠

ـ باختصار : نحن اليد العليا الآن ٠

● **ما الفرق بين وضعنا عـام ١٩٧٣ عند اتفـــاقية فض الاشتباك الأولى وبين وضعنا الآن ؟**

قال الرئيس :

ـ عند اتفاقية فض الاشتباك الأولى كنت حريصا ومتعجلا للتوصل الى اتفاق ٠٠ فقد كنت اريد تحديد حجم انتصارى وسط حملة التشويش التى كانت موجودة (وشارك فيها أطراف جبهة الرفض ايضا !!) بسبب وجود الثغرة الاسرائيلية ٠

قلت :

● **وما هو البديل عندنا اذا ما فشل هنرى كيسنجر فى التوصل الى اتفـــاقية ثانية للفصـــل بين القوات ؟**

ـ كما قلت لك لسنا قلقين على الاطلاق ٠ ان المهم عندنا ان الوضع اصبح فى صالحنا ويد العرب هى العليا ٠

وما دامت يدنا هى العليا فاننا نمتلك ناصية المبادرة بأى طريق .. أمامنا مؤتمر جنيف نتجه اليه ٠٠ امامنا مجلس الأمن ٠٠ امامنا العالم ومنظماته ٠٠ امامنا الدولتان الكبيرتان الضامنتان للقرار ٣٣٨ ٠

ونحن لن نتشنج ٠٠ ولن نتحدث عن الاستعمار والامبريالية والرجعية و ٠٠ ان هذه هى اسهل الأساليب ٠٠ اننا سنمضى فى استخدام السـلاح الذى نراه ملائما ٠٠ خصوصا ونحن نملك القوة العسكرية أيضا ٠٠ ونملك استخدامها ٠٠ وقد جربنا استخدامها ٠٠ وجربوا هم استخدامنا لها ٠

● **هل هناك اتفاق من جميع الأطراف على التوجه الى مؤتمر جنيف بعد الاتفاق الجديد ؟**

ـ سواء توصلنا إلى اتفاق أو لم نتوصل سنتجه الى جنيف · ولن تحدث خطوات انسحابية جديدة بعد الخطوة الحالية اذا تم الاتفاق الا في اطار التسوية الشاملة في مؤتمر جنيف ·

قلت :

● **سيادة الرئيس ·· ان البعض يقول انه كان من الأفضل ان تدخل مصر مؤتمر جنيف منذ تم وقف اطلاق النار ، وانه كان من الأفضل أن يتم التوصل الى اتفاق فصل القوات داخل ذلك المؤتمر ؟**

قال الرئيس ضاحكا :

ـ غريبة هذه الضجة حول مؤتمر جنيف ·· وانا الذى دعوت اليه وذهبت اليه عام ١٩٧٣ بينما لم تذهب سوريا ·

ثم امسك الرئيس ورقة وقلما ·· ورسم مثلثا ·· وقال :

ـ إن السياسة المصرية مثل ذلك المثلث قاعدة المثلث تمثل المبادىء التى لا نحيد عنها أبدا :

جلاء قوات الاحتلال عن كل الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، وتحقيق الحقوق القومية للشعب الفلسطينى · وهذه القاعدة هى الاستراتيجية ·· ثابتة لا تتحرك · أما رأس المثلث فهو التكتيك ، الوسيلة، ورأس المثلث هذا يتحرك يمينا أو يسارا أو وسطا ·· لتحقيق الهدف الاستراتيجى الثابت ··

ووضع الرئيس القلم ·· ونظر الى قائلا :

ـ لعلك فهمت ما أعنى ··

عندما يطرح الامريكيون نظرية الحل خطوة خطوة ·· فاننى أبحث ما اذا كانت تحقق شيئا فى سبيل الهدف الاستراتيجى ·· واوافق على الخطوة ·· وأعارض ما قد يحيط بها من شروط تتعارض مع ذلك الهدف الاستراتيجى ·

· واذا ما عدنا الى ما بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٧٣ ·· فسنجد انه كان مستحيلا فض الاشتباك الاول فى مفاوضات داخل مؤتمر جنيف ·· لماذا ؟

واشعل الرئيس السادات دخان البايب ·· بينما بدأت أرشف فنجان القهوة الرابع ، واعتدال اسوان الربيعى بدأ يتحول الى حر بعض الشىء ·

ثم استانف الرئيس حديثه قائلا :

ـ أولا لابد أن ندرك اننا كنا نفض الاشتباك مع الولايات المتحدة وليس مع اسرائيل ·· فقد كان الذى يحاربنى فى التسعة أيام الأخيرة للحرب هو أمريكا ·

وفى البداية كان ما اطالب به هو عودة الاسرائيليين الى خط وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر ·

ولكن كيسنجر قال لى ·· ان الاسرائيليين « مزنوقين » ·· ويفكرون فى الانسحاب من الثغرة ··

وكنت أعرف ذلك طبعا ·· فقد كان مدخل العدو الى غرب القناة ممرا عرضه ستة كيلومترات ·· وقواته محاصرة بمائة الف جندى مصرى يربضون فى الشرق بعد قرارنا التاريخى برفض سحب اية قوة من هناك· ومن الغرب توجد القوات المصرية التى بدأنا نحشدها على عجل ·

كنت أعرف سوء حال الاسرائيليين ·· كما قال بعد ذلك الجنرال شارون فى مذكرات اليعازر رئيس الأركان السابق عن الثغرة : « ان حالنا أسوأ مما كنا فى أى وقت سبق » · كما صورت جولدا مايير الموقف عندما قالت « نحن فى الحضيض » ·

قلت :

● **هل يعنى هذا ان الأمريكيين هم الذين اقترحوا انسحاب الاسرائيليين من الثغرة ؟**

ـ ان كيسنجر قال لى انى أعلم انكم قادرون على تصفية الثغرة ·· وانا والرئيس نيكسون ندرك موقفكم ، ولكن البنتاجون لن يسكت عن مساندة اسرائيل · كما أن الاسرائيليين يدركون صعوبة مركزهم · ويعرفون أن معركتهم خاسرة · وقال كيسنجر لى ان الجهود التى نبذلها فى اعادة الاسرائيليين الى خطوط ٢٢ يحسن ان نبذلها فى فض اشتباك واسع يسمح لهم بالخروج من الثغرة · فوافقت طبعا ·

واستطرد الرئيس يقـــول :

ـ لم يكن ممكنا ان يتم ذلك فى مؤتمر جنيف فالتوتر كان موجــودا والاعصاب مشدودة بين الطرفين المتقاتلين ·

وكان طبيعيا أن يحدث استقطاب داخل المؤتمر : الاتحاد الســوفيتى يؤيد العرب وأمريكا تؤيد اسرائيل ·· ونعود الى حالة اللاسلم واللاحرب ·

قلت

● سيادة الرئيس ٠٠ اذا ذهبنا بعد الاتفاق الحالى الى مؤتمر جنيف ٠٠ فكيف ستكون الصورة ؟

– اننا لو توصلنا الى اتفاق جديد لفض الاشتباك فى سيناء والجولان ٠٠ فسنكون قد انتزعنا الفتيل من الوضع المتفجر فى المنطقة ٠

ونحن قد استطعنا خلال الفترة الماضية زحزحة القوة الرئيسية المؤيدة لاسرائيل ، وهى الولايات المتحدة ، عن موقفها المؤيد مائة فى المائة الى موقف يصفونه فى الولايات المتحدة باقامة سياسة متوازنة ٠

● وما هى توقعاتكم بالنسبة لنجاح مؤتمر جنيف ؟

اجاب الرئيس :

– ان الصراع الحالى ٠٠ صراع اجيال ٠٠ وغير متوقع حل المشكلة فى أسابيع أو شهور قليلة فى مؤتمر جنيف ٠ سيستغرق الأمر وقتا ٠

● لمـــاذا ؟

– لتعقيدات المشكلة نفسها ٠ والصراع بين الدول الكبرى ٠٠ والموقف العربى بأبعاده ٠٠ والعلاقات الدولية بين الكبار والصغار ٠٠ اننا يجب أن ننظر للخريطة العالمية كلها لنحدد سياستنا تماما ٠

ان لدينا وضوح رؤية كاملا ٠٠ وسياستنا تسير فى خط مستقيم ٠٠ هى سياسة عربية من أجل صالح الوطن العربى ٠٠ ووهم من يتصور انفصال مصر عن العالم العربى ٠٠ انه وهم ٠٠ وأمنية للاستعمار ٠٠ عاش فيها طويلا ٠٠ ودبر مؤامرات عديدة من أجل تحقيقها ٠ ولكنه فشل ٠ تحطمت كل محاولاته السابقة على صخرة التضامن العربى ٠ وستتحطم محاولاته الجديدة أيضا ٠٠ وتبقى الصخرة !

● شكرا ٠٠ سيادة الرئيس ٠

الملحق الثالث

الحـديث الأول مع القذافى
وقد نشر فى مجلة روز اليوسف ١٩٧٦

الحـديث الأول مع القذافى

قلت للعقيد القذافى بعد ان جلسنا الى بعضنا البعض فى غرفة سكرتيره الاخ سيد قذاف الدم فى ذلك الفندق فى سيريلانكا ٠٠ هو على مقعد ٠٠ وانا على السرير ٠٠ فى ذلك اليوم من صيف ١٩٧٦ اثناء انعقاد مؤتمر عدم الانحياز هناك ٠

دعنا يا سيادة العقيد نبدا المناقشة ٠٠ وقبل ان نبدا أود أن أؤكد لك انى قادم من تلقاء نفسى لاجـــراء هذا الحوار ٠ لم ينصحنى احد بعمله ولم استشر احدا ٠ ٠ حتى المجلة التى اعمل بها لا تعلم شيئا عنه ٠ وسيكون مفاجاة لها عندما اعود الى القاهرة بحصيلة الحوار معك ٠

وأريد ان اكون صريحا معك والحقيقة ان حافزى وراء السعى لهذه المقابلة هو حافز سياسى اكثر منه حـافز مهنى لأن القضية بالنسبة لى انى مواطن مصرى اشتغل بالسياسة ويزعجنى كما لعلك قرات فى كتابى « رفض الرفض » هذا التمزق فى القـــوى الوطنية العربية ٠ ويزعجنى اكثر ان الرفض قد تحول من كلمات الى قنابل ومسدسات ضد المدنيين سواء فى مصر او فى لبنان مما

يهدد حركة التحرر بكوارث افدح مما جرى حتى الآن •
ولذلك ارجو الا تسبب صراحتى معك حساسية من أى نوع لأنك في موضــع الاتهام بالنسبة للشعب المصرى وبالنسبة للشعوب العربية كلها بل وللعالم كله •

ونحن لا نتهمك بحكايات مثل مسالة « كارلوس » وما حولها من خيالات دراماتيكية ، ولكنــا نتهمك بمسالة محددة اعترف بها عملاء المخابرات الليبية من المصريين •• ان نظامك يمارس عمليات تخريبية منظمة ومقصودة في مصر وضد المدنيين •

وأنا رجل فلاح تسيرنى نواياى الطيبة ونزعاتى الفطرية التلقــائية حنيا الى جنب الوعى السياسى •

قــال :

ـ انا فى ليبيا اى واحد يمكنه مناقشتى ويقول لى يا معمر •• وأنا فقط اتساءل عما اذا كنتم انتم اليسار الحكومى فى مصر احرارا فى كلامكم أم لا •• هل انتم مثل بقية صحفيى مصر •• اذا ما قال الرئيس الســادات أن معمر رجل وطني قالوا جميعا انه ابو الوطنيـــة •• واذا ما قال انى مجنون قالوا فى نفس واحد انى خــريج مستشفى المجاذيب ؟!

قلت :

ـ يا سيادة العقيد •• لا اظن انه توجد صحافة فى العالم العربى ذات طابع شمولى مثل صحافة ليبيا •• فالصحافة عندكم تدق على وتر واحد •• وليس فيها معارضة او نقد لشىء ذى بال • اما الصحافة المصرية فلن احدثك عما تكتبه روز اليوسف وصباح الخير دائما حتى الأخبار تكتب بحرية لم يحدث ان مارستها الصحافة المصرية منذ ربع قرن من الزمن •

وليس هناك يسار حكومى كما تقول •

فقاطعنى قائلا :

ـ لست انا الذى اقول ذلك بل بعض اليساريين يتهمونكم فى مصر بذلك •

قلت :

ـ هؤلاء هم اليسار الرافض ومع ذلك انا هنا لا امثل يسارا حكومیا او غير حكومى فلست مندوبا لاحد انما كما قلت لك انى مواطن مصرى

يسارى حقا لكن لم يكلفنى أحـــد بلقائك وانمـــا بدافع من نفسى فقط .
و « حكومية » يسارنا تجىء من أننا نعى الظروف الموضوعية والذاتية فى بلادنا بحيث نقف موقف التدعيم والتأييد لنظامها الوطنى الحالى مع نقده من أجل تطويره ·· ولكننا لسنا حكوميين بمعنى أننا تابعون أو موظفون أو مأمورون ·· انه موقف اختيارى ١٠٠٪ .

قـــال :

ـ أنا مستغرب انك جازفت هذه المجـــازفة الكبيرة فأنت الصحفى المصرى الوحيد الذى طلب مقابلتى .

قـلت :

ـ ليس فى الأمر مجازفة ولا شىء ·· وتصورك هذا انعكاس لأنك لا تعرف فى الحقيقة سياسة السادات ولا التطور الهائل الذى أحدثه فى مصر . وربما هذا هو المصدر الرئيسى لتوترك فى علاقتك بالرئيس .

يا سيادة العقيد الى ما قبل حركة مايو كان جـرس البيت اذا دق بعد منتصف الليل انتفضت انا وزوجتي من النوم أو ترتبك وتصفر وجوهنا اذا كنا يقظين لأن معنى ذلك ان البوليس على الباب ·· والأدهى من ذلك اننا لم نكن نفهم سبب هذا الهجوم البوليسى !

اننا الآن آمنون تماما ·· وأعرف جيدا انه اذا كان ضدى إى اتهـام سيكون هناك جهاز أو أجهزة أمثل أمامها تسائلنى وتستمع الى شرحى ودفاعى عن نفسى . وليس فى مصر معتقلات ·· والله تحداك السادات انت وحافظ الأسد ان تحكما بلديكما بدون اجراءات استثنائية يوما واحدا .
وأنا أعرف أنه ما زال عندك معتقلون ؟ وفى سوريا الآلاف .

ان السادات اشاع الديموقراطية حقا فى مصر ورد للانسان المصرى شعوره بكرامته وأمنه بل احساسه بأنه يشارك فى تحديد مصير بلاده .

واسمح لى أن استمر فى الحديث لأجلو لك بعض جوانب الصورة .

اذا كانت تصلك تقارير تقول لك ان نظـــام الســـادات يهتز أو أن الجماهير انصرفت عن تأييده فثق أنها تقارير كاذبة ·· ان مصر تمـــر بصعوبات وأزمات حقا معظمها اقتصادية وأنتم العرب المنتجون للبترول والمستفيدون الأول من حرب أكتوبر المسئولون أولا وأخيرا عن هذه الأزمة ·· ولكن الديموقراطية التى ارساها أنور السادات فى مصر تريح الناس وساعدت الناس على أن يفهموا جوهر الأزمة وسببها . والحكومة تعـالج أى ثورة جماهيرية بطريقة مختلفة كثيرا عما كان يجرى من قبل .

واقول لك ان من يريد أن يحاول من الخارج أن يمس مصر ونظـام السادات هو ممثلها ستقطع الجماهير يده ٠

وانا اقول لك الحقيقة عندما أحذر من أى قصور أو وهم لدى القيادة الليبية أن لسيادتكم تأييدا من أى نوع فى مصر ٠

لقـد جاء وقت أيام عبد النـاصر وايام السـادات كان لك معجبون ومؤيدون فى مصر ٠

أما الآن واسمح لى إن اقول لك بصراحة انه لا يوجد فى مصر الا كل من يتمنى ان يرجم النظام الليبى بحجر ٠٠ بعد حوادث القنابل الأخيرة ٠

حتى الطلبة الذين كان بعضهم يؤيدك من تاثير تاييده لعبد النـاصر أصبحوا ضدك ولا يصدق أحد قط أى كلام لك عن حب مصر والاعجـاب بمصر ، فان المصريين لم يروا منك بعد حرب انور السادات بل إثناءها الا كل شئ يجرح شعورهم ويثيرهم ضدك لأنه لا يوجد تضامن منك معهـم حقـا ٠

بعد أن أصغى لى العقيد جيدا قال :

ــ هذا شئ غريب ٠٠ أنتم تفهمون القضية بالعكس تماما وتقبلونها ٠٠ ده انا اللى زعلان ومجروح من مصر ومن الرئيس أنور السادات ٠

ان الرئيس للسادات قد اختار الحرب ٠٠ هو قد حشد جيوشه ضدى على الحدود ٠٠ ويهددنا بالغزو ٠٠

بعد كل الذى عملناه لمصر ٠

ان الودائع الليبية ما زالت فى المصارف المصرية ٠

وتصورت فى خاطرى أن ليبيا نقلت بليونا او بليونين من اموالها المودعة فى البنوك الأجنبية الى البنوك المصرية فسالته عن حكاية الودائع هذه فقال لى انها حوالى مائة او مائتى مليون دولار ٠ فقلت له فى دهشة :

ــ وهل هذا مبلغ ؟ هل مائة مليون دولار تكفى شيئا ٠ لماذا لا تضـع بلايينـا ؟

قـــال :

ــ المهم هذا ما طلبته مصر ٠٠ ووضعناه ٠٠ ولم نسحبه ٠٠ وفى حرب اكتوبر قدمنا للجيش المصرى اجهزة اليكترونية واجهزة اشعة تحت الحمراء اشتريناها بالعملة الصعبة من الغرب وقدمنا زوارق عبرت القنال ٠

وركبنا صواريخ فى الزوارق البحرية وما حذر فرنسا بشأن صواريخ الكروتال الا بسبب اننا قدمناها لمصر • وقدمنا ملابس وطائرات ميراج (٢٥ طائرة) تحطم منها خمس فى المعركة وقدمنا ١٠٦ دبابة لمصر و ١٠٠ لسوريا والدبابات التى تحاصرنا على الحدود الآن هى دبابات ليبية • وقدمنا الملابس والجوارب للجنود حتى صابون تايد والفانلات وفتحنا مخازن الذخيرة فى قاعدة « عقبة بن نافع » وكنت اشترك بنفسى فى حمل الصناديق لشحنها بالطائرات واشرفت على شحن الدبابات •

وتحول مجلس قيادة الثورة فى ليبيا الى غرفة عمليات للمعركة •

وافريقيا قطعت علاقاتها كلها باسرائيل بفضل ليبيا ••

وليبيا هى التى عملت على أن تكون القاهرة مقر منظمة الوحدة الافريقية وليس اديس ابابا ولم نفكر فى طرابلس •

وعندما كان الاسرائيلية على بعد ٨٣ كيلو متر من القاهرة لبست ملابس القتال والبراشوت وكذلك فعل عبد السلام جلود وركبنا الطائرة متوقعين خطر ضربنا بصاروخ لكى نشترك فى الدفاع عن القاهرة فى ٢٩ رمضان •

لا يوجد من يحب مصر ويدافع عن مصر مثل معمر وبكر يونس •

ثم تساءل العقيد :

هل هذه آخرتها ؟ اطلع مجنون •• معمر القذافى مجنون ؟!

فعلا مفيش رئيس عربى واحد يركب باراشوت ويطير علشان يحارب ده فعلا يبقى مجنون !

قلت وأنا اسرى عنه :

لكنك افسدت هذا كله ـ وهو أمر لا ينكره احد ابدا وعندما شككت فى الحرب اثناء المعركة ذاتها وبعدها وعقدت مؤتمرات فى أوربا ونشرت فى الموند الفرنسية وغيرها تهاجم سياسة مصر وتشكك فى نتائج حرب اكتوبر التى اعترف الخصوم قبل الأصدقاء انها انتصار ولو جزئى للعرب وترتبت عليها نتائج خطيرة وهامة على النطاق العالمى ••

قال :

صحيح انى بعثت برقية للرئيس السادات عندما قبل وقف اطلاق النار لأنى احسست أن « العار لحق بنا وكنا نقاتل معا فى خندق واحد ، وكان قبول وقف اطلاق النار بالنسبة لى نوعا من الذل للعرب وأرسلت

للرئيس السادات برقية بهذا المعنى اقول فيها لماذا تقبل وقف اطلاق النار والمفاوضات المباشرة مع العـدو ·

واضاف العقيد وعلامات الألم على وجهه :

لقد كنت اقول لنفسى فى تلك الأيام لماذا يذلنا العدو ؟ ولماذا نقبـل الـذل ؟

وشـعرت بعد فك الارتباط الثانى بالذات أن السادات قد أنهى المعركة مع العـدو ··

توقفت وقلت :

ـ ماذا تعنى بالمعركة مع العدو بالضبط وفى اى حدود تراها ؟ هل ما زلت ترى انه يجب أن نمارس معركة القضاء على اسرائيل ؟ هل انت كرئيس دولة يرى الوضع العالمى الموضوعى والظروف المحلية الذاتية · هل ترى أن هناك امكانية لتحقيق مثل ذلك الشعار ؟

اذا انت قد عدلت عن تلك الفكرة فسنستطيع أن ندرك جيدا سياسة السادات وتعرف انها استثمار جيد لنتائج حرب اكتوبر للتوصل الى هدف محدد هو ازالة آثار العدوان زائد تكوين دولة وكيان للفلسطينيين ·

ان النضال ضد العدو يتخذ اشكالا مختلفة ، مرة دفاع مسلح ، مرة مفاوضات ، مرة مناورات · ولو انك قرأت كتابى رفض الرفض لرأيت شرحا لتلك القضـية ·

قال : لقد قرأته وساقرأه مرة ثانية ·

واستطرد القذافى يقول فى لهجة متاثرة بل فى صوت متهدج :

ـ الذى عملتـه انا مع مصر هو واجب وطنى دفعتنا اليه قوميتنا واعزازنا لدور مصر ولا يبرر أبدا مهما عملت من اخطاء أن ينسى هذا الموقف ·· يعنى خلاص اصبحت ليبيا وحشه ؟ · تقولوا يسقط القذافى ·· المجنون ·· هل هذه آخرتها ؟! ·

بعد أن قدمت روحى ، ومشيت وروحى على كفى ونزلت فى القاهرة فى الظلام تنسون ذلك وينساه الرئيس السادات أخى الأكبر والوالد الذى قلت للشيخ زايد انه والدى ·

هل تريدون تكفير العربى بالتعاون مع اخيه العربى ؟·

هل تكافئونا بحشد الجيش المصرى على حدودنا ·· هل انا مجنون

أن اركب بمظلة للدفاع عن مصر ·· يمكن مجنون بصحيح لأنه ما فيه رئيس يعمل زي ما عملت ·

هذه مسائل تحز في نفوسنا ونفس الشعب الليبي ·

ألم تفكروا لحظة في هذا الشعب ·· هل تتصورون أن الشعب الليبي مبسوط من ذلك الحشد على الحدود ؟ ·

ولا اتصور أن فيه شعب عربي مبسوط من الحكاية دي · يعني غزو ·· فيه عربي يقبل ان بلد آخر يغزوه ·

قلت ·· ولكن ما رأيك في حل المشكلة الفلسطينية ؟

قال القـــذافي :

انا قلت لياسر عرفات اذا كنتم موافقين على الحل الذي تراه مصر انتم احرار ·· انتم اصحاب القضية ·

قلت : يعني كفاح مصر من أجل ازالة آثار العدوان لن يتعـــرض لمزيد من الهجوم من جانبك ؟

قال : لا ·· دي مش مشـــكلة ·

قلت :

ماذا اذن في مساهمتك في انقلاب السودان الأخير ؟

قال في عصبية :

ــ مال مصر بالسودان ؟ ما شأن مصر بالسودان ؟ السودان يستطيع أن يدافع عن نفسه ؟ ·

قلت ضاحكا مهدئا اياه :

ــ ألا ترى أن التاريخ يعيد نفسه على مســـتويات مختلفة · اتذكر مناقشتي معك عن دورك في تحطيم انقلاب السودان اليساري · يومها لـم تقل ما شأن ليبيا ومصر بالسودان بل تعاونتما على تحطيم انقلاب قـام فاروق حمد الله « جمال عبد الناصر » ضباط السودان الأحرار بقيـــادته واستولى على السلطة في خمس دقائق واستمر ثلاثة ايام لولا تدخلكما · وقمت انت بالدور الرئيسي في قصة سيحاسبك عليها التاريخ حسابا عسيرا يوما ما لأنك لم تخطف عمـلاء للاستعمار او خونة وانما عددا من ابسـل مناضلي الشعب السوداني وقد اثبتت تجربة التاريخ ان نميري قد خـذلك ولم يكن افضل من اليسار على أي حال :

وهكذا أنت تدخلت فى شئون السوان عام ١٩٧١ ·

فليس من حقك أن تمنع مصر من التدخل والدفاع عن السودان ضد أى انقلاب ·

والحاصل اليوم مهزلة حقا ·· ان اليمين السودانى يحاول تدبير انقلاب ضد النميرى الذى مهما قيل فيه فهو قائد وطنى ويجب الوقوف معه ضد أى انقلاب رجعى ·· وما حدث بينه وبين القادة اليساريين الذين اعدموا شىء مؤسف وحطم الوحدة الوطنية فى السودان حتى اليوم بل هو المسئول عما يجرى من مؤامرات رجعية كل يوم ··

ان المهدى والأنصار والأخوان المسلمين هم الذين حاولوا الانقلاب اى أن الرجعية والولايات المتحدة هى التى كانت ستحكم السودان وهذا ضد مصر وضد العالم العربي والحركة الوطنية كلها والشعب السودانى نفسه ·

أين موقفك فى هذا ؟ ··

لقد وقفت بجانب اليمين الرجعى ··

وأين كان موقع السادات ؟

وقف ضد هذا اليمين وهزم المخطط الرجعى الامبريالى وانتصر لبقاء حاكم وطنى مثل النميرى · وهو يمكن أن يتطور مع الأحداث ·

لقد أخطأت أنت عام ١٩٧١ · وأخطأت عام ١٩٧٦ فى موضوع واحد هو السودان ·

والسبب فى رأيى افتقاد الرؤية الصحيحة : النظرية والتجربة ·

قال : ألم تقرأ النظرية الثالثة ؟

قلت :

لم اقرأ ما اصدرته من كتب بشأنها لكن قرأت ملخصات فيها وخطبا ألقيتها أنت عنها ··

لكن لنؤجل لو سمحت لى ـ الحوار الإيدولوجى الآن وندخل فى صميم الموضوع وهو علاقتك بمصر ·

اننى أريد ان اعرف بشكل حاسم رأيك فى الاتهام الموجه لليبيا ان أجهزة الأمن فيها تدبر حوادث التخريب والقنابل فى مصر ؟

قال فى عصبية :

لقد قلت لك من البداية انى برىء من هذا كله ·· نحن لم نحرض ولم

نحرك أي أحد لالقاء قنابل فى مصر ·· هل معقول أن أقتل المدنيين ؟

هذه حوادث يسأل عنها السادات نفسه ·

قلت مقاطعا في دهشــة !

ـ كيف ؟

قـــال :

ـ ان المخابرات المصرية تتعاون مع المخابرات الأمريكية فى القيـام بهذه الحوادث لافساد العلاقة اكثر بين مصر وليبيا · والسـادات يثـق في اجهـــزته ·

ان الذين قبض عليهم مصريون وهم المسئولون ولو كانوا ماجورين فهم مسئولون ايضا ·

هل حاكمتم مصطفى أمين أم حاكمتم أمريكا عندما ادانته المحـاكم بالتجسس ؟

ما شأن ليبيا بحوادث تخريب يرتكبهـــا مصريون وربما يقوم بها اصحاب تيـارات مختلفة · وكل يوم فى مصر يكتشفون تيارا وتنظيما ســريا ؟

قلت :

ـ يا سيادة الرئيس ان المحاكم عندما أدانت مصطفى أمين أدانت معه الولايات المتحدة صحيح ان هذه الولايات لم تدخل السجن لكنها أدينت ولا معنى للقول ان المسئولين مصريون ·

ولنناقش هذه القضية بهدوء ··

لم يعد في مصر أجهزة مهما بلغت قوتها تعمل لحسابها الخـاص · نافتراضك ان المخابرات المصرية تعمل وحدها مع المخابرات الأمريكية ·· وتزيف على النظام العربى حوادث قنابل لأغراض سياسية مستحيل حدوثه الآن بعد ان قلم السادات اظافر كل الأجهزة ولعلك تفهم مغزى محاكمة قادة المخابرات فى عهد عبد الناصر · ان من بين معانيها :

اضرب المربوط يخاف السايب !

او فليتعلموا من راس الذئب الطائر !

ان عمل تلك الأجهزة الآن تحت الضوء ·· حتى ضـــوء الصحافة الساطع واى شخص فيها يمكن محاسبته ونقده جماهيريا ·

من ناحية اخرى ما مصلحة المخابرات المصرية فى افساد العـــلاقة بين مصر وليبيا ؟ ان تلك المخابرات من العناصر الوطنية ، وحتى لو نظرنا الى المصلحة الضـــيقة فان الجيش المصرى والمخـــابرات المصرية تكمن مصلحتها فى توطيد العلاقات مع ليبيا لأنه على الأقل كان هناك ضـــباط يعملون فى ليبيا ويكسبون مرتبات أعلى من مرتباتهم فى مصر وانا كان لى أخ ضابط مهندس عندكم وأعرف التحسن الذى طرأ على حياته خلال خدمته عامين فى ليبيـــا ·

ثم مم تخـــاف المخـــابرات المصرية من ليبيـــا حتى تعكر صـــفو العـــلاقات مع مصر ؟

ما هو النظام الليبى ؟ اننى افهم أن المخابرات المصرية وكل أجهزة الأمن المصرية تحاول ذلك مع نظام يسارى لأنه بحكم انتماءات تلك الأجهزة الأيدولوجية ومصالحها الطبيعية ترفض النظم الماركسية وهى لا تخفى ذلك قط ·· هذا اذا فرضنا ان تلك الأجهزة يمكن أن تتدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخـــر · لأنه لا يعجبها نظامها !

هل انت كوبا ؟ ·· هل انت كاسترو ؟

ان الفرصة الوحيدة لليبيا ان تكون ذات اشعاع ايدولوجى فى المنطقة هى ان تكون شيئا من هذا · ولكنها ليست كذلك فلماذا تتناقض معهـــا أجهزة الأمن ؟

واسمح لى أن افكار النظرية الثالثة هى خليط من افكار ناصرية بل انك لم تجدد فى الناصرية شيئا · وبدأت من حيث بدأ عبد الناصر وليس من حيث انتهى ·

من ناحية اخرى ان أجهزة الأمن المصرية لو فرضنا انها أرادت تدبير اشياء كهذه لتلصقها بليبيا لكان ممكنا ان تقوم بها دون أن تحدث خســـائر فى أرواح المدنيين ·

ان قتل المدنيين له نتائج سيئة بالاضافة الى المشاكل التى يعانى منهـــا الشعب بحكم تضحياته فى المعركة · فهل تريد أن تقول ان النظـــام يثير الجمـــاهير ضده بنفسه ؟

ثم ما هو هذا « البوليس المخلص » الذى يضحى بنفسه ويتعرض للقتل

يحمل قنابل ويفجرها وتتفجر فيه ؟ ·· ولماذا يقبض البوليس على عميله وقد اصيب بالعمى ·· ويعترف علنا فى التليفزيون بجريمته ؟·

قـــال :

ـ انا لا اعرف هذا كله ·· لكن الشيء المؤكد والذى اريدك ان تقوله للعالم ولكل مسئول فى مصر اننى لا يمكن ان يخطر ببالى ان اتحول الى مجـرم اقتل المدنيين المصريين ··

ـ قلت :

يا سيادة العقيد الا يحتمل ان تكون لديك اجهزة تريد افساد العلاقات المصرية الليبية وتدبر هى هذه المسائل خصوصا ان الطابع البدوى ما زال يغلب على عقلية المواطنين هناك اى ان الضبط والربط فى الدولة ليس قائمـــا ··

قال العقيـــد :

ـ ان الحكم فى ليبيا يمثل سلطة الشعب تماما ·· ليس هناك اجهزة منفصلة فعندنا لجان شعبية ونقابات ومؤتمر عام ·· ليس معمر القذافى هو الحاكم وانما كل الشعب ·

وامسك العقيد بورقتين واخذ يكتب لى عليهما ويرسم نظام ومؤسسات الحـــكم فى ليبيـا ·

قلت :

سيادة الرئيس اسمح لى ان اقول لك اننا نفهم هذه المسائل جميعا واعرف جيدا معنى الدولة · بعد كل المؤتمرات واللجان ·· هناك مجموعة تقبض على جوهر السلطة · هؤلاء الحراس العديدون معك اليسوا الدولة ؟ هذا الحارس الذى كان يقف خلفك هو ممثل الدولة يعني جهاز القمع والقهر·

وليس معقولا ان المخابرات الليبيـة ســتعرض اعمالك واسرارها على مؤتمـر شـعبى للاسـتفتاء ·

وحكاية عدم مسئوليتك عن اعمال معينة سبق ان ذكرتها عنـــدما تحركت المسيرة الشعبية التى ارادت الزحف نحـو مصر ·· هـو شيء لا يدخـل فى عقل احـــد ·

ولناخـذ مثالا آخـر ·

عمليات المتسللين الليبيين لقتل عمر المحيشى والهونى ·· هل هـذه

ايضا تمت بمؤامرات مصرية امريكية مع ان قضاءنا قد اداتهم وقضاؤنا فوق الشبهات ؟

قال القذافى :

لا .. حكاية المحيشى دى حاجة تانية .. لضباط يستمعون الى اسرارهم وأسماء زوجاتهم فى راديو الشرق الأوسط .. فهم من انفسهم اصدروا قرارات لجنودهم بالتخليص على المحيشى !

وانا اعلنت ذلك على العالم ان ضباطهم هم الذين امروهم ولست انا .

قلت :

سيادة العقيد هذا شىء خطير لا مثيل له فى اى دولة . كيف يقوم ضباط بتدبير مؤامرات قتل خارج بلادهم دون استئذان من السلطة المعنية فى البلد ؟

وهو خطير ايضا لأن ذلك يعنى ان هناك اجهزة وضباطا عندك قد يكونون هم الذين دبروا حوادث القنابل فى مصر دون علمك مثلا ؟!

قاطعنى قائلا :

– لا .. انا هنا رئيس ولا يمكن عمل شىء من هذا دون قرار منى .

قلت :

– أشمعنى يعنى انت باركت القرار بالتخليص على المحيشى . ثم انه امر خطير ان تلجأ دولة الى مؤامرات القتل خارج حدودها هكذا علنا ؟

أن الصهاينة كانوا اكثر احتراما للعالم عندما اختطفوا ايخمان وحاكموه فى بلادهم .

اما تدبير مؤامرات القتل .. فذلك شىء فظيع ويضر بنظامك ضررا بليغا ويفتح الباب لتصديق اى حديث عن حمايتك لعصابات ارهابية دولية .

بل ان مواقفك فى تأييد بعض حركات التحرر تختلط بحوادث ارهابية وتفقد معناها وقيمتها .

والحقيقة انه بعد أن ذكرت لى حكاية الضباط الذين يتصرفون وحدهم فيأمرون جنودهم بقتل المحيشى اصبحت مصدقا للاتهام الموجه ضد أجهزة الأمن الليبية بارتكاب حوادث التخريب فى مصر .

قـــال :

لا تتسرع فى الحكم ‥ لقد قلت لك أن ليبيـا بريئة من دم المدنيين المصريين ثم استوقفنى لحظة ‥ وقال :

قبل ان نستطرد فى الحديث عن المحيشى لأن عندى كلام عنه اريد ان اقول لك حكاية مهمة كنت اريد ان اذكرها منذ البداية ٠ أرجو أن تبلغها للرئيس السادات بأى طريق ٠

قلت :

مـــاذا ؟

اعتدل فى جلسته وبدأ يحكى بصوت مؤثر :

ان الذين يعملون على الافساد بينى وبين الرئيس الســادات ذهبوا الى أبعد مدى فى محاولة تشويه موقفى الشخصى ودسوا على حكايات كاذبة عن سيدة عظيمة محصنة اقسم بالله انى برىء منها وهى وشايات دنيئة ٠

وسكت القذافى لحظة ثم قال فى تهدج شديد :

قل للرئيس السادات أن معمر عندما ســـمع ذلك الكلام صعق وانكسف وانزعج ‥ وتأثر تأثرا شديداً ٠

واستطرد قائلا :

يبقى انا مجنون فعلا اذا كنت رددت مثـــل تلك الوشايات يبقى السادات له ميت حق ‥ بل له حق أن يحاربنا فعـــلا ‥ وكل حاجة اخرى يعملها ‥ لأن هذه قصص فظيعة !

وأنا لو كنت محل الرئيس السادات لفعلت أكثر من هذا ولما تحملت كمـــا تحمل هو ٠

يا أخ عبد الستار أنا مسلم ‥ ومؤمن بالله ‥ أنا بحق بجلال الله لم تصدر منى حكايات قذرة كهذه ٠

وأنا بعد أن سمعت الحكاية دى قلت السادات معذور واللى عاوز يعمله له حـــق فيه اذا كنت انا قلت كلام كهذا ‥ وكل شىء أتنازل عنه ٠

قـلت :

ان الرئيس الســـادات قائد موضـــوعى تدفعه وتحركه المصالح

العليا للوطن . واعتقد ان هذه الحكايات لا تجعله يشكل موقفا رئيسيا ضد ليبيا وعلى اى حال فمن المفيد تقل تاكيداتك هذه اليه واعـــدك بان افعـــل .

قال : انتم معذورون فى اى كلام تقولونه ..

وأنا مستعد لاجراء تحقيق تقوم به اجهزة الأمن المصرية عن مصدر هذه الحكايات الفظيعة ، واضع مليون دولار تحت تصرف هذه الأجهزة لكشف الحقيقة يمكن ان اكتب لك بها شيكا الآن لتسليمها للسادات .

وقد سمعت ان عمر المحيشى هو الذى دس على هذه المسائل ولكنى غيـــر متـــأكد .

قـــلت :

وماذا عن الانتقادات المستمرة التى تقوم بها صحفكم للســـيدة جيهان السادات بزعم انها تتدخل فى الشئون السياسية للبلاد ؟

قال : اننى اكن للسيدة جيهان السادات كل احترام وتقدير وهى أخت كبرى لى بل هى رائدة لزوجتى ..

وانا كل اسبوع « مرتى » تتعارك معى وتقول لى يا معمر انت حر فى خناقك مع الرئيس السادات . لكن انا ذنبى ايه : أريد أروح للسيدة جيهان التى علمتنى اللبس والنظام والدنيا ماشيه ازاى وفتحت عينى على الحياة ، ونفسى ازورها اما انت والسادات « فتعاركوا » على كيفكم ؟

قـــلت :

كيف اذن تسرى تلك الاشاعات والقصص الكاذبة كما تقول ؟

قــــال :

المشكلة ان الرئيس السادات يصدق التقارير والاشاعات وساحكى لك مثـــالين :

فى يوم قرأت انا تقريرا كتبته الأجهزة المصرية التى تقول فيـــه ان ليبيا حشدت الجيش الليبى على الحدود تمهيدا لغزو مصر وضم جزء من الصحراء اليها بعد تحريض أولاد على وانه تمهيدا لهذا بعثت ليبيـــا بسيارة دورية لجس النبض .

ولما حققت فى الموضوع تبين لى ان حرس الحدود الليبى اخذوا

عددا من العمال المصريين المتسللين وطردوهم عبر الحدود فى سيارة تويوتا ٠

وهل يتصور عاقل أن ليبيا تغزو مصر ؟ أو تضم صحراء ٠٠ والصحراء الغربية جزء من مصر ؟

الم نحلم بمصر ودور مصر الأم ؟ كيف يقول احد اننا نفكر فى غزوها لكن المسئول عن ذلك هو تلك القوى التى تريد تعكير جو العلاقات المصرية الليبية ٠

قلت :

ـ لو سمحت لى أن هذا الصفو معكر من البداية وأعتقد انك المسئول عنه ٠٠ ان مصلحة النظام فى مصر الأكيدة هى ألا تصطدم به نظم أخرى ٠٠ وتتركه يمارس سياسته فى هدوء ٠٠ فان لدى مصر من المشاكل ما يجعلها تطبق شعار تضامن عربى على أوسع نطاق ولو فى أضيق الحدود ، ومحايدة لمن لا يقبل ذلك الحد الأدنى من التضامن ٠٠

وأنا لا اريد أن ادخل فى تفاصيل تصرفات الماضى ، لكنى ساضرب لك مثلا فى علاقة مصر بالعراق ٠

ان العراق دولة عقائدية اى يحكمها حزب ذو نظرة سياسية وفلسفية شاملة لكل الأشياء ٠ ويختلف العراق مع مصر بناء على هذه العقيدة فى النظرة لقضية فلسطين وفى طريقة حل المشكلة مع اسرائيل ٠٠

مع ذلك توصلت مصر الى صيغة تعامل مع العراق ادت الى أن العلاقات بين البلدين قد أصبحت فى حال طيبة مع احتفاظ كل منهما بوجهة نظره ٠ ولم يعد العراق يهاجم مصر وان كان لم يتنازل عن وجهة نظره بل تنشرها صحفه من حين لآخر ٠

اذا كنت تحب مصر وتؤمن بدورها القيادى أو انها قلب الوطن العربى ٠٠ الخ ، فلماذا لا تكون علاقة ليبيا مثل علاقة العراق بمصر ؟

لماذا لا تطبق سياسة التعايش السلمى مع مصر ؟ ودع التاريخ يحدد لنا أى السياستين أفضل ٠ وستتطور سياسة التعايش السلمى الى تعاون فوحدة ٠٠ الخ ٠

ثم لماذا لا تختلف مع الرئيس السادات فى غرفة مغلقة ؟ لماذا لا تقول له رأيك كيفما شئت فى هدوء بينك وبينه دون هذه الضجة التى تفسد كل شىء ولا تؤدى الى شىء فان أسلوبك فى التعامل مع مصر قد أدى الى تدهور لم تشهده مصر مع أى دولة عربية أخرى من قبل ؟

ـ ثم ما هو خلافك مع مصر ؟ هل تريد القضاء على اسرائيل الآن الا تقبل التعاون مع مصر فى النضال من أجل تصفية آثار العدوان وتشكيل دولة فلسطينية وتسجل رأيك فى الحل الاستراتيجى الشامل بعد ذلك ؟

قـــال :

انا مستعد ٠٠ وانا قلت لك انى ذكرت لياسر عـرفات كلاما كهذا عندما جاءنى وقال ما يصحش من أجل الفلسطينيين فى لبنان انك فى خناقة مع مصر ولازم تنسقوا معها ٠

قلت له : ما دمتم انتم راضيين مع مصر فانا موافق لأن خلافى معها بسببكم انتم وراح ياسر وتوقف برنامج الحيشى الذى يهاجم الشعب الليبى كل ليلة ليومين أو ثلاثة ولكنه عاد من جديد ، وقال لى ياسر عرفات بعدها انه مكسوف مما حدث ٠٠

قلت للعقيـــد :

ـ بمناسبة لبنان ما هو حقيقة الموقف الليبى ازاء القضية ؟

موقفنا معروف٠ نحن مع المقاومة والقـــوى الوطنية والتقدمية ورفضنا موقف سوريا وطلبنا من الدول العربية أن تحتج على تدخلها بسحب سفرائها كخطوة ضد دمشق وتساعد المقاومة بالسلاح والمال ٠ مستعدون لارسال جيوش للقتال معها لكن لا يوجد موقف عربى موحد ٠

قـلت :

فعلا ان موقفك هـــذا هو نفس موقف القـاهرة تقـــريبا ٠٠ لماذا لا تتعاون معها حـول نقطة التقـاء كهذه بدلا من توسيع هوة الخلافات ؟

قـــال :

انا مستعد لكن الرئيس السادات هو الذى يرفض التعاون ٠

قـلت :

لماذا ٠٠ وقد أعطـاك الف فرصة وفرصة ٠

قـــال :

هناك قوى ضد التقاء مصر بليبيا ومنهم اسماعيل فهمى ، وزيـر الخـــارجية ٠٠

قاطعتــه قائلا :

ـ هذا غير صحيح بدليل ان اسماعيل فهمى ذكر لى أنا وعدد من الصحفيين انكم تبتعدون المقاومة فى لبنان • ثم كما قلت لك ان مصلحة مصر الأساسية فى ان تهدىء كل جبهة فرعية لتركز على الجبهة الرئيسية ضد العدو وحل مشاكلها المعقدة •

قــال العقيد :

المشكلة ايضـــا كما قلت لك أن الرئيس الســـادات يصدق كلام المخابرات والتقارير • وقد سمعت مرة أن القنصل الليبى قبض عليه وهو يوزع منشورات فى السيدة زينب • فجزعت واجريت تحقيقات متتـــالية وعلمت انها حكاية مدبرة من اجهزة الأمن المصرية •

كما ان الرئيس متصور انه سيحدث انقلاب ضدى • وانا اعـــلم أن اسماء عدد من الضباط قد قدمت له على انهم سيقومون بانقلاب •• وانا اريدك ان تعود معى الى ليبيا وساكون معك فى كل بقعة فى ليبيا لتـرى من هــو معمر بالنســبة للشعب الليبى وانزل بنفسك وحدك فى الشــوارع واسأل الناس اذا كان هناك رغبة فى الانقلاب ضدى •

قــلت :

انك تبسط الأمور يا سيادة العقيد بتصـــوير أن كل شىء يحــدث بواسطة اجهزة الأمن المصرية ولكن هذا لا يخفى حقيقة خطأ السياسة الليبيــة •

واسمح لى ان اقـــول لك ان موقفك متشــــابه مع موقف الاتحاد السوفيتى بالنسبة لمصر • انه قدم معونات كبيرة لمصر وبعد حـــرب اكتوبر اتخذ موقفا مختلفا وامتنع عن معاونتنا عسكريا او اقتصاديا •• فماذا كانت النتيجة ؟ خسر الاتحاد السوفيتى معظم مكانته التى شيدها اساسا بعلاقته مع مصر طوال العشرين عاما الماضية •

ولم يغير الاتحاد السوفيتى علاقته الطيبة معك أو مع الجـــزائر او مع سوريا أو مع العراق ، وهذا لا ينفى المركز الرئيسى الذى تحتــله مصر فى العـــالم العـــربى •

وانت الآخر قد قدمت مساعدات نعترف بها • ثم بعد ذلك اسأت الى مصر اساءات متتالية وتحملت مصر •• ثم ما هى النتيجة ؟ لن تفيدك كثيـــرا علاقاتك الجيـــدة مع دول اخـــرى بل انك معــــزول عربيـــا • وأثق تماما انه لو حدث انقلاب عسكرى عليك فى ليبيا لن تقف دولة واحدة

الى جانبك ، بل ربما فى النهاية اذا نجوت من الانقلاب ستكون مصر هى البلد الوحيد الذى يقبلك لاجئا سياسيا !

ان مصر قد قبلت الملك السنوسى لاجئا وهى لا تتفق معه سياسيا ٠٠ ومن قبل قبلت الملك سعود وبالمناسبة ما هى امكانيات حـــدوث انقلاب عسكرى فى ليبيا ؟

قــــال :

لا يوجد اى امكانية فنظام الحكم شعبى كما قلت لك وبعد فتــــرة سيتحول الجيش الى مؤسسات يشترك فى ادارتها المدنيون والعسكريون ليحدث تلاحم بين الشعب والجيش كما كان الأمر فى ليبيا عام ١٩١١ عندما جاء الايطاليون وتصوروا انهم سيستولون عليها فى عشرين ساعة فاستمر القتال عشرين عاما ٠

نحن الآن نندهش عندما تقولون فى مصر كيف سيمكن للقــذافى أن يستوعب كل الأسلحة السوفييتية التى تكفى جيشا من ستين الف مقاتل ٠٠ اننا بانتظام الذى بدأنا فى تنفيذه يمكن ان نجند نصف مليون جندى والأسلحة التى اشتريناها لا تكفى ٠

والأمريكان لو غزوا ليبيا سيجدون امامهم نصف مليون مقاتل ٠٠ الشعب كله يقاتل ؛ ونحن ندرب الناس كلهم الآن ٠

قــلت :

ـ هذه الأسلحة التى تمتلكها هل انت مستعد لتقديمها كعون لمصر لو قامت الحــــرب ؟

قــــال :

ودى مسالة عاوزة كلام ، لقد قدمنا من قبل ونقدم فى كل وقت ٠٠ مصر هذه وطننا ٠٠ ومن غير مصر لا تبقى الأمة العربية ٠

قــلت :

انى فى دهشة من كل هذا الكلام الطيب عن مصر ٠ ودعنا من مسالة القنابل التى اختلفنا حولها أين أنت من معاونة مصر اقتصاديا ٠ اين المشاريع الاقتصادية الضخمة ؟

قــــال :

ان الرئيس السادات قد جمد كل المشاريع !

قـلت :

اى مشـــاريع جمـــدها ؟

قـــال :

الحافلات ومشروع التاكسى والجمعية التاسيسية لوضع الدستور ٠

قـلت :

وهل هذه مشاريع : الأوتوبيس والتاكسى ؟ هذا كله خمسة او عشرة ملايين ٠ أين المشاريع الضخمة كاوتوستراد طرابلس الخرطوم مرورا بالقاهرة ، وخط السكة الحديد ، ومشاريع المنطقة الحرة على الحدود ٠٠ الخ ٠

هناك مشـــاريع بآلاف الملايين وتسبب الرخاء للبلدين وتفتح بيوت عشرات الألوف من العمـــال ٠

ثم أين موقعك من صندوق التنمية العربى ؟ لماذا لا تعلن مساهمتك ببليون جنيه استرلينى أو مليار دولار فى مشـــاريع مصر الاقتصادية ولو فى شكل قرض مع فترة سماح ؟ لماذا لا تطالب السوفييت وهم اصـدقاؤك الآن ان يغيروا موقفهم من مصر فيؤجلوا دفع الديون ؟

ودعنى اتصور معك ماذا كان الموقف لو انك حتى مع خلافك مـــع الرئيس السادات حول سير حرب اكتوبر تعاوننا فى الحقل الاقتصادى أو بادرت بتقديم قرض كبير ٠ ان الصورة كانت ستكون مختلفة تماما ٠٠

ولكنك قد فرضت شروطا لمعوناتك الاقتصادية !

قـــال :

نحن مستعدون لكل شىء ولكن الرئيس السادات يغلق الباب فى وجهى للتفاهم ٠٠ واخذ العقيد يعدد محاولات من جانبه للاتصال والتفاهم ٠

فذكر لى مقابلاته مع السيد محمد شاهين وعلق قائلا : شوف الرئيس بيستمع لاقطاعيين وانا رحت فرح لشـــاهين هـــذا لقيت مصر كلها هناك ورفاهية وبذخ ٠٠ هؤلاء هم الناس حول الرئيس يحكمون معه ٠

وقـــال : انه وقع ورقة جاء بها السيد شاهين تحدد مطالب الرئيس، ولكنه بعد فترة « بهدلتنى الصحافة وانكسف شاهين » !

وذكر ايضا انه حاول الاتصال تليفونيا بالرئيس وفشلت محاولاته وشعر انه لا يريد الاتصال به ٠٠ وعلق قائلا : ان هـــذا ضد التقاليد العربية ٠٠ مفروض يرد على ويقول انا ضدك وزعلان من كذا ٠٠

وعلقت قائلا : هل يقول لك زعلان من ايه ؟ لقد قال ذلك الف مرة ٠٠ ولا فائـــدة !

وذكر محاولة قام بها السيد بشير الرابطى بالاتصال الذى قام به وفشلت المحاولة !

وكذلك محاولة استدعاء السيد محمود شيت الذى طلب منه الاتصال بشيخ الأزهر وياسر عرفات والسيد شـــاهين لكى يحولوا دون تدهور الموقف وتحديد نقاط الالتقاء والخــلاف ٠

ومع مكتب المحامين العرب ذكر أيضا أنه دعى الى لقــاء مع الرئيس وطلب منى أن أسأل شفيق ارشـــيدات لأعـرف كيف رفضت مصر هـذا المســعى !

وكذلك ذكر محاولات اتحاد الطلبة المصرى لوقف الحملة بين البلدين وموافقته على توقف الحملة ثلاثة شهور بينما كان الاعلام المصرى مستمرا فى الهجوم عليه حتى توج بالحملة العنيفة بعد انقلاب السودان ، وقــال القذافى انه بدأ فى الرد فقط بعد هجوم الاعلام المصرى فيمـا بعـد الســودان ٠

وأضاف القذافى قائلا :

ان الرئيس يشتمنى ويقول عنى مجنون وانا لم اشتمه ابدا ٠

قــلت :

كيف ذلك وأذاعتك تشتمه كل يوم ٠

قـــال :

الاذاعة ٠٠ مش أنا !

قـلت :

سيادة الرئيس ٠٠ سنعود مرة أخرى للفصل بين مسئوليتك كرئيس دولة وبين الأجهـزة ٠

قـــال :

– ان المسألة فرق بين الاذاعة وبينى ٠ وحتى فى مصر عندكم دائما تهاجمون سوريا والبعث السورى ولكن الرئيس يقول انا لا اهاجم حافظ الأسد ٠ وعلى العموم نحن نرد على حملاتكم ٠ وانا لا اشتم السادات لأنى لو تكلمت كلاما كهذا لقطعت شعرة معاوية ٠

يا أخ عبد الستار والله ان الرئيس الســــادات مع خلافى معه كنت أعامله زى أبى أو أخى الأكبر ٠ وما زلت متأثر جدا من حضوره ٠٠ عيـد ميلادى وكيف أن بناته كانوا يعاملنى باحترام وبأخوة وكيف كان يكرمنى

ويكرم زوجتى ومرة قالت لى السادات حقه يضربك بالكرباج فقلت لها ده ابى حقه عمل أى شىء !

قلت :

وهل هذه مشاعرك الآن بعد حشد الجيوش على الحدود ؟

قال :

انا فى الندوة عن الصهيونية العالمية فى طرابلس جاءنى واحد امريكى وقال لى مصر حشدت جيوشها على الحدود الليبية ، ما رأيك ٠

قلت له : نحن لسنا منزعجين ، اذ ننظر للجيش المصرى كأنه جيش ليبى ٠ واليوم كما رأيت فى المؤتمر الصحفى استفزونا كثيرا ولم نستجب لهم ٠

واضاف العقيد القذافى قائلا :

يا اخ عبد الستار عندما جاءنى الخبر بحشد الجيش المصرى قلت : اسحبوا الجيش الليبى على طول من الحدود وحتى الدوريات اسحبوها ٠ ولا تتعرضوا للجيش المصرى اذا زحف فهو داخل ارضه ٠

قلت :

اعتقد ان هذا تكتيك عسكرى فقط ٠٠ ربما تسحب الجيش ، دفاعا عن المدن ؟

قال :

هذا أمر لا يتصوره عقل أن يحارب الجيش المصرى الجيش الليبى !

قلت :

ـ قل لى كيف تؤمن مصر نفسها من المتسللين الليبيين الذين ينشرون الخراب والدمار فيها ؟

قال :

لقد قلت لك الحقيقة ٠ وأريد أن أضيف لك مسألة بشأن الحرب

٠٠ لو اختار الرئيس السادات الحرب ٠ اليس لكم عندنا ربع مليون مصرى ٠٠ هل تريدون منا أن ناسر ربع المليون كما تفعل الدول عندما تحدث حرب بين الدولتين ، وهل ترى كيف أن الصورة بشعة ؟

قــلت :

أرى الصورة جيدا · ولكن ما العمل فى رأيك ؟ ·· من أين نبدأ ؟

قـــال :

اولا اريد ان اسالك سؤالا : هل تعتقد ان السادات عميل لامريكى ؟

قلت فى دهشــة :

وهل هذا سؤال يا افندم ؟ وهل يعكس هذا السؤال هواجس فى نفسك ؟ لا حاجة بنا الى القول بتلك البديهية ان السادات قائد وطنى ترجع وطنيته الى تاريخ عريق قديم ضحى خلاله بالكثير جدا مما لم يضح به المرحوم الرئيس عبد الناصر نفسه لأنه لم يتعرض لما تعــرض لــه السادات ·

واسترسلت احكى بعضا من تاريخ انور السادات واوضحت سياسته مع الولايات المتحدة ، والعقيد القذافى يصغى باهتمام ثم قال :

ـ الحمد لله ·· انا مبسوط انك يسارى وتقول هذا عن الرئيس السادات · انا كمان اشاركك فى الرأى واثق فى وطنيته · فما الخــلاف اذن ؟ ··

قــلت :

هذا سؤال يوجه للنظام فى ليبيا · اريد أن اعرف ماذا تريد كى يوجد حد أدنى للتفاهم وتطفأ نيران الفتنة الحالية ؟ ان ما افهمه ان مصر تريد نظاما صديقا أو غير معاد لها على الأقل فى ليبيا ·

قـــال :

ان عمر المحيشى يسىء الى العلاقات بين مصر وليبيا واذا اجرينا استفتاء فى ليبيا لن يجد تأييدا له ·

وهنا انتهزت الفرصة وقلت له ان عائلة المحيشى مهددة اقامتها فى ليبيا ومن الظلم ان يحدث ذلك والمفروض حرصا على علاقات التــاريخ القديم ان تدعها تلحق بزوجها وذلك لن يزيد من نضال المحيشى ضدك · وهذه مجرد مسألة انسانية فقط ·· فلم يرد القذافى على اقتراحى ·· ومضى يحمل على المحيشى حملة شديدة انهاها بانه افشى اسرار الجيش والميزانية ·

وقال انه لم يعترض عندما أرسلت مصر طائرة خاصة مع الشريف مروان لنقله الى مصر وقبوله لاجئا سياسيا · لكن عندما بدأ يهاجم ليبيا ويفشى الأسرار كان لابد أن ترد ليبيا على الحملة ·

وقال القــذافى فى عصبية :

أنا لا أضمن رد فعل الشعب فى ليبيا ازاء ما يقوله المحيشى عـلى الناس فى ليبيا زعلانه جدا من مصر ولا أضمن أى شيء ؟

قــلت :

ـ ها نحن قد عدنا الى تأكيد مسئولية ليبيا عن القنابل فى مصر · ربما كان ذلك من قبيل رد فعل الشعب الليبى ضد مصر معبرا عن ذلك بواسطة اجهزته التى تملك القنابل والمسدسات ؟! ·

هل هذا معقول يا سيادة العقيد ؟

وســألت ··

وماذا تريد بشأن المحيشى ؟

قــال :

أريد تسليمه الى ليبيـا ؟!

قلت فى دهشة واستنكار :

ـ وهل هذا معقول ؟

قــال :

ان عبد الناصر سلم أبو توار وسلم الطيارين السعوديين ·

قــلت :

اسمح لى هذا كلام وهمى ·· ان اكثر ما تتوقعه اذا ما اكــدت ليبيا حسن نيتها فى التفاهم ان يتوقف نشاط السيد عمر المحيشى ثم انت تقول انه لا قيمة له فلماذا هذا الاهتمام الكبير بتصفيته · ثم مضــيت اســأل :

ـ وماذا أيضا ؟

قــال :

ممكن ان نكتفى بذلك الآن بالنسبة للمحيشى كما تقــول · لكن

٢- المسألة الأولى ان التقى انا والرئيس السادات لمدة خمس ساعات نتكلم فيها لوحدنا بصراحة تامة ٠

قـلت :

هذه اعتقد مسألة صعبة جدا ٠ لابد من حدوث تصرفات ليبية عديدة تؤكد جدية النظام الليبى فعلا مثل وقف الحملات الاعلامية واخذ مسألة القنابل بجدية بتقديم كل المعلومات للسلطات فى مصر التى تؤكد براءتكم من هذه الأعمال الاجرامية اذا كان النظام الليبى بريئا حقا !٠

وســـألته :

فى حالة اجتماعك بالرئيس السادات لماذا تطلب أن يكون عـلى الحدود ، لماذا لا تاتى الى مصر ؟

اجـاب :

لأنى عندما جئت مصر اثناء استدعاء الشيخ زايد لى فى الاسكندرية قوبلت مقابلة سيئة فقد اركبونى سيارة قديمة وعملوا للشيخ زايـد موكبا وانا لا ٠٠ ففهمت المعنى وركبت سيارة السفارة الليبية ٠

كما أن الليبيين لا يقبلون منى الآن أن آتى مصر ٠ فهم زعلانين جدا من مصر ٠٠ وتعال بنفسك وشوف ٠

وهنا قال القـذافى ضاحكا :

احكى لك مثلا من ضـمن التقارير التى سمعت انها ترفع للرئيس السادات : هل سمعت حكاية صورة السيدة جيهان وهى ترقص مع ديستان ٠٠ طبعا سمعت أننا علقناها فى مطارات ليبيـا وكتبنا تحتها زوجـة الرئيس المـؤمن ٠

قـلت :

نعـم سمعت ذلك ٠

قـــال :

ما رأيك ان هذه قصة كاذبة مائة فى المائة ٠٠ هل نحن نعلق صورة زوجات الرؤساء ونشنع على الناس ٠ وهاتوا لجنة من الصحفيين والنيابة تمر على مطارات ليبيا وتسأل امتى كانت الصورة دى موجودة ؟

واستطرد القـــذافى :

الحكاية دى أن الصحف الأمريكيـة هى التى نشرت الصـــورة مـرة والسؤال هوهل انتم ذكرتم للشعب أن الصحف الأمريكية نشرت الصـورة أم لا ٠ وهاجمتوها بدلا من الافتراء والكذب علينا ٠

وهنا قلت اننا لسنا فى حاجة لمهاجمة الصحف الأجنبية لنشر مثل هذه الصورة فهذه مسائل عادية فى العالم المتحضر ٠

وهنا بدأ العقيد القذافى يشكو من الصحف المصرية وكيف انها تخفى الواقع ٠

وضرب مثلا : اخفاء خبر اعلان ليبيا استعدادها لتشغيل الطلبة المصريين فى ليبيا فى الصيف ٠

فقـلت لـه :

لأن الذى سيحدث أن أماكن عمـــل هؤلاء الطـــلاب ستتحول الى معسكرات للتدريب على التخريب وتفجير القنابل ٠

واستطردت قائـلا :

يا سيادة الرئيس انت تريد ان تكون جمال عبد الناصر ٠ ولكنـك مستعجل جدا فتمهل ٠٠ على مهلك وان الطريق الحالى لا يؤدى الى شئ ٠

فلم يعـلق القذافى بشئ ٠

واستطردت القـــول :

اذا كنت تعتبر عبد الناصر زعيما او معلما لك ٠٠ فلماذا تنسى ان انور السادات شريك عبد الناصر وانه من أعطاه عبد النـــاصر ثقته الكاملة واختاره نائبا للرئيس ولم يعرف انه حدث خلاف حاد بين الاثنين فى قضايا رئيسية سياسية او اجتماعية ٠

وقد ورث انور السادات تركة مثقلة وقاد الســـفينة وسط أنواء العواصف ٠ ان اخلاصك لعبد الناصر يقتضى منك التعاون تماما مع انور السادات ٠ بل انه يجب أن تضع فى الاعتبار خبرة السادات التى تفـوق خبرتك مرات عديدة ٠

عندما يتحدث عن السياسة انت تستمع ثم تناقشه فى هدوء !

وسكت القـــذافى ولم يعـــلق ٠

ثم عـــدت القـــول :

سؤال واحد يا سيادة العقيد :

ما علاقتك بالاتحاد السوفييتي وهل لم تتغير نظرتك للشيوعية ؟

قال الرئيس الليبى :

ـ وهل غير عبد الناصر نظرته بسبب صداقته مع السوفييت واننى عرفت فقط أن الاتحاد السوفييتى صديق ٠

وما زال رأيي في الشيوعية كما هو وعندنا النظرية الثالثة ٠

وانا اضحك عندما تقولون في الصحف ان عندنا قواعد سوفيتية ٠

ان عندنا ما كان عندكم قبل أن تزعلوا مع السوفييت ٠٠ ولو كان السوفييت قد أعطوكم سلاحا الآن لوافقتم على وجود الخبراء والتسهيلات البحرية التى تسمونها قواعد ٠

أحيانا اقرأ الصحف المصرية فاتصور انى اقرأ « النيويورك تايمس » لأنه من هو الزعلان من وجود أسلحة سوفيتية وخبراء يدربونا فى ليبيا غير الأمريكان ؟ هل صحافتكم صحافة امريكية ؟ زعلانه هى الأخرى من الحكاية دى ليه ؟ وتقول لى لماذا لا اطالب السوفييت بتصليح علاقتهم بكم ؟ كيف ذلك وقد قالت صحيفة الجمهورية أن هناك جيشا سوفيتيا فى ليبيا لاثارة الاضطرابات فى المنطقة العربية ٠

قلت :

ان الخلاف بين مصر والاتحاد السوفيتى قصة طويلة لعلك قرأتها فى كتابى وكتابات اخرى ليس الأمر سهلا بحيث ان واسطة ما تحل المشكلة بسهولة ٠

والسوفييت مخطئون فى حق مصر وهم يجنون ثمار سياستهم الخاطئة ٠ وانا اقول لك هذا وانا آسف ولكنها الحقيقة التى تتناقض مع تصورى عن دور الاتحاد السوفيتى بالنسبة لمساندة حركات التحرر الوطنى ٠

قال القذافى والحديث يوشك أن ينتهى :

أرجوك أن تؤكد لكل مسئول فى مصر وللرئيس السادات شخصيا كذب الوشايات ٠

ثم سكت لحظة وقال :

ما تيجى عندنا كام يوم فى رمضان ٠

قلت للعقيد قبل أن أغادر غرفة الفندق :

اننى ارجوك أن تتذكر قبل أن تتهم الشيوعيين بانهم عمــلاء أن لهــم تاريخا ورصيدا وطنيا عميقا ٠٠ وأنهم ساهموا ويساهمون فى الحــركة الوطنية بشجاعة وصلابة ٠

وأنا مثلا واحد من آلاف فى مصر لهم تاريخ فى النضال الوطنى : فورائى اثنا عشر عاما من السجن والاعتقــال منهم تسعة فى عهــد عبد الناصر ومع ذلك فنحن الذين ندافع عنه اكثر من اى احد ٠

كما ارجو أن تتذكر أن من « يبجى على مصر لا يكسب » وتجربة عبد الكريم قاسم واضحة ٠

ضع يدك فى يد مصر ٠٠ وسلمها القيادة فى اطار الوحــدة واتكل على الله واستفد بخبرة ونضوج من سبقوك فى القيادة والثورة ٠

واشكركم كثيرا على هذا الوقت الطويل الذى اتحته لى ٠

قال العقيد ٠٠ أنا كل ما يهمنى أن توصل هذا الكلام ان لم تكن ستنشره ـ للرئيس أنور السادات وتقول له اننى اريد ان القاه لبضــع ساعات وحدنا واثق اننا سننهى كل شىء ٠

قــلت :

هذا ما أنوى أن افعله فعلا ٠٠

قال العقيد بصوت متأثر والنوم يداعب جفونه بشدة وهو يقــاوم ٠٠ فقد كانت أربع ساعات تقريبا قد مضت علينا ونحن فى هذا الحــوار الطويل المتشعب ها أنت ترى أننى أبذل كل ما فى وسعى للتوصل الى تفاهم ٠٠ لقد التقيت بكثيرين من قبل وتحدثت معهم وأنت ترى كيف انى مرهق من الاجتماعات المستمرة ٠٠ ومكثنا طول هذا الوقت ٠٠

وسكت لحظــة ٠٠ وقال :

لماذا لا تأتى معى فى الصباح فى الطائرة الى ليبيا وتقضى معنــا اسبوعا وترى ٠٠

قــلت :

انى مرتبط بموعد رحلة الى اوربا فلابد أن اسافر الى مصر لأوصل كلامك هذا للرئيس ٠٠ واسافر ٠٠

قــــال :

ـ لماذا لا تأتى عندنا وانت فى أوربا قبل عودتك لمصر ؟

قــلت :

ستكون معى زوجتى فى هذه الرحلة ··

قال العقيــد :

تعال ومعك زوجتــك !

قــلت :

ساكون مشغولا بالحديث معك والجولة معك ··

قــــال :

ـ تفسحها هى فى اى مكان ولو امريكا ·· وتقعد مع « مرتى »

قــلت :

هذه مسالة صعبة ·

قــــال :

افضل حاجة تيجى معى فى الطائرة بكره ·· تعال يا اخى ··

قلت مرة أخــــرى :

ـ الأفضل أن أسافر وأبلغهم فى مصر كل ما دار بيننا من حوار ·

قال وهو يصـــــافحنى :

ـ مع الســـــلامة ··

وشكرته مرة أخرى ··

وخرجت وطوال الممر لاحظت أن نظرات العرفاء لى قد لانت ورقت بعض الشىء ··

وصاحبنى الأخ محمد الذى تمنى لى بحرارة شديدة ان انجح فى مهمتى ·· وان لم يحاول حقا للحظة واحدة ان يعرف ما دار بينى وبين العقيد من حديث ··

ووصلت الفندق وكانت أنوار الفجر تتسلل فى افق مدينة كولومبو جنة الله فى الأرض ·· تدحر جيوش الظلام ··

وبدت لى غرف زملائى فى الفندق مضاءة ·· وفعلا ما ان وصلت حتى فتحت ابوابهم واجتمع من حولى **فوميل لبيب وحمدى فؤاد ونور يس احمد وهدى توفيق فى قلق شديد** ··

حمد الله على سلامتك ··

كانوا يخشون أن يحدث لى مكروه ··

وللحقيقة اسجل انهم احترموا التقاليد المهنية الى آخر مدى لأنهم لم يحاولوا ان يسالونى قط عما دار من حوار ·· بل اكتفوا بابداء البهجة على عودتى وشكرتهم من الأعماق على قلقهم الشديد حتى أنهم ظلوا متيقظين حتى الساعة الرابعة والنصف صباحا فى انتظارى ·

الملحق الرابع

اللقاء الثانى مع القذافى
فى اكتوبر ١٩٧٦ ونشر فى روز اليوسف

فى احتفالات اجدابيا ‥ عندما دخلت الخيمة فى الصباح قام العقيد القذافى ونهض لاستقبالى ‥ وجلسنا خمس دقائق مع زملاء العقيد ‥ ثم استأذن قائلا :

تعال نجلس وحدنا هناك ٠

وفى ركن الخيمة ‥ أتى ببعض الوسائد ودفع ببعضها لى قائلا :

اضـــجع ‥

واضطجع هو ‥ متمددا على جنبه الأيسر ٠

ورفضت الاضطجاع طبعا ‥ فألح ‥ فقلت ضاحكا :

ـ يا سيادة العقيد ‥ ستة آلاف سنة كانت هناك مصر دائمـا ‥ وكانت هناك دولة لها تقاليد بيروقراطية ورسميات وبروتوكولات‥ وللحاكم دائما مهابة تفرض شكليات معينة ‥ أما ليبيا فلم يكن هناك شىء اســمه ليبيا منذ ١٠٠ سنة لذلك لا استطيع مهما تحـــررت ومهما كان الحاكم ديمقراطيا وبسيطا أن أضطجع أمامه ‥ أو أجلس معوجا ٠

هذه أشياء مغروسة فى أعمـــاقنا منذ آلاف الســنين ‥ والرئيس السادات بسيط وديمقراطى جدا فى تعامله كفلاح على مصطبة ومع ذلك لا أستطيع داخليا أن أفعل شيئا كهذا ولو أمرنى به ٠

قال القذافي باسما :

ـ اذن تدخل في الموضوع ·· انا سبق دعوتك للحضور الى ليبيا معي في الطائرة في كولومبو او تاتي بعد ذلك ·

وانا عندما تحدثت معك ·· كنت اريد بذل محاولة لاصلاح الموقف ·· وكان نشر الموضوع في روزاليوسف بادرة طيبة ورد فعل سررت به وسر به كل واحد في ليبيا لأنه مفهوم أن الرئيس موافق على نشره ·

وانا قرأت التحقيق عدة مرات ·· وكويس جدا وروحه تؤكد انكم ناس وطنيون تريدون الخير للأمة العربية · لكن لم يعجبني كلام صلاح حافظ ، هل صلاح حافظ هذا يسارى ؟

قلت في دهشة :

ـ طبعاً ·· ده أبو اليسار ·· بل هو ماركسي ·· وهـــو المسئول عن أي شيء يعجبك في روز اليوسف فهو وفتحي غانم رئيسا التحرير ·

قـــال :

ـ أمال ليه قال الكلام اللي كتبه ده وكمـــان عبد الرحمن الشرقاوى الرجل الذي احترمه واحبه وايدته في كلامه ضد شيخ الأزهر في معركة الاسلام المشهورة ·· لماذا يهاجمني ؟

قــلت :

ـ سيادة العقيد ·· ارجو ان يكون واضحا لك اننا نختلف معــك في الكثير جدا من الأمور السياسية الكبيرة والتفصيلية ·· وان من حقنا ان ننقدك · لكن المشكلة هي أن القوى الوطنية العربية قد تعودت منذ عام ١٩٥٩ على معالجة الخلافات بينها بطريقة بشعة اذ تعادى بعضها البعض اكثر مما تعادى الاستعمار عدوها المشترك ·

اننا نريد ارساء تقاليد بين القوى الوطنية لمعالجة خلافاتها بروح اخوية وبنــاءة ·

ان اسلوب صلاح حافظ في مقالته التي تشير اليها ·· كان يتضمن تلك الروح تماما ·· يكشف التناقض في تصريحـــاتك وبين الواقع ·· وبالعكس يهيب بك أن تبذل خطوات لاصلاح الموقف ·

وعبد الرحمن الشرقاوى انتقدك بقسوة من هذا المنطلق عندما كانت القنابل تنفجر في مصر وحافظ الأسد يقتل الفلسطينيين ·

وفي كتـــابي رقص الرقص أنا انتقدك ·

واضفت قائلا :

ـ لا ... ارجو ان يكون واضحا أن بيننا وبينك خلافات عميقة لكن المشكلة اننا ندعو الى أسلوب سليم يؤدى الى التوصل الى لقـاء نراه محتوما بين القوى الوطنية جميعا لصالح الشعب العربى . ثم اسـتأنف العقيد حـديثه :

ـ انا دعوتك للحضور عندما قالوا لى انك فى اوربا .. قلت لمفتـاح شريف هاتوه .. وانا اريد أن اسألك سؤالا : ماذا عن رد الفعل عنـد الرئيس السادات لرغبتى فى تصفية الموقف ومقابلته ؟ .

قـلت :

ـ سيادة العقيد .. لو اذنت لى اننا نضع القضية بالمقلوب الآن .. أن السؤال الذى يجب أن يطرح هو ما الذى حدث من جانب ليبيا منذ اعلنت رغبتك فى التصالح فى كولومبو .. هل حدثت تصرفات تؤكد هذا الاتجاه مما يعنى انه اتجاه أصيل ودائم ؟ .

وتوقفت لحظة وقلت :

ـ تسمح لى ان اتكلم وساتكلم بصراحة اكثر هـذه المرة فانى أرى الموقف يتدهور ولا يخفى على أحد من يتسبب فى تدهوره يوما بعد يوم .

قـال :

ـ يا اخ عبد الستار .. يا عبد الستار .. لا داعى لأن تسـتأذننى فى ان تتكلم .. وأن تقول لى سيادة العقيد لو سمحت كذا وكذا .. انا استدعيتك من آخر الدنيا لأنى اثق انك ستعمل كل ما بوسعك بقلب صـاف لصالح البلدين .. وانت رجل مثقف وقلت لى انك اشتغلت بالسياسة عشرين سنة وسجنت كذا سنة .. فتكلم معى بصراحة وندية .

قلت :

ـ اشكرك .. ان الاستئذان لا يتناقض مع الندية .

المهم .. يا سيدى اننى منذ قدمت ليبيا اصبت بصدمة .

فالصحف عندكم تهاجم مصر والسـادات شخصيا ببذاءة وتلفيـق منقطع النظير .. فكرى اباظة يقول : الشعب الليبى يأكل البلح فتخـرج جريدة الجهاد بصفحة تقول انها مؤامرة من السادات على الشعب الليبى .

ان الصحف عندنا حرة نسبيا .. الدولة لا تتدخل الا فى الاشـياء

كبيرة ٠٠ وليس ما يكتب فى صحف مصر يعبر عن رى الدولة بالضرورة ٠

وقد كنت اتصور أنك وانت تثير ضجة كبرى فى العالم كله لا العالم العربى عن الفلسطينيين أن الاعلام الليبى سيكون مركزا فى كل كلمة للدفاع عن شعب فلسطين والهجوم على سوريا التى تذبحهم ٠

فاذا بى اجدكم تغفلون سوريا تماما وتهاجمون مصر التى ترفع لواء الدفاع عن الفلسطينيين ٠

ثم انت فى خطابك امس ٠٠ ما هذا الذى قلته ٠٠ اذا كنت ستعتذر لى الآن بحجة أن الاعلام أنت غير مسئول عنه ٠ حسنا ماذا عن كلامك أنت ؟ ٠

فى خطابك هذا هاجمت السادات ٠

قاطعنى قائلا :

لم اهاجمه بالاسم ٠

قـلت :

وايه يعنى ٠٠ المعنى واضح ٠٠ الصبية بتوع المدارس كانوا يهتفون ضد السادات بالاسم يعنى شعارات لقنوها من كوادر مؤتمراتكم الشعبية ٠٠ وفى خطابك هذا اثرت نعرة شوفينية اقليمية خطيرة لدى الشعب الليبى وانت تقول عن نفسك انك امين القومية العربية ٠ وتضع صورة فى الاحتفال لعبد الناصر ذلك « المعلم والأمين » ٠

ولكنك تقول فى الخطبة للشعب الليبى هناك حاسدون وطماعون فى ثروتك ٠٠ وهذا بالضبط يتفق مع دعاوى خصوم الوحدة الذين يحذرون الليبيين من المصريين تحت شعار « احذروا زحف ٣٠ مليون جائع » ٠

ثم انك تقول فى الخطبة ان اولئك الطامعين دائما والحاسدين ينفسون عن ليبيا انها تبنى وتعمر وتنشىء المدارس والمزارع والمصانع ٠

ــ يا سيدى أن احدا فى مصر لا يحسد ولا يطمع فى ليبيا ٠٠ وان مصر اياديها بيضاء على كل العرب ٠٠ ويبدو لى أن العرب البدو الذين فتح الله عليهم بالبترول قد تملكهم الغرور وتقمصتهم شخصية ونفسية غنى الحرب والطبقة الجديدة ٠٠ وافهم أن يكون ذلك الشعور موجودا فى الكويت مثلا لكن لا افهم أن يكون بين عرب ليبيا الامتداد التاريخى لمصر وانت تقول دائما انك تحب مصر وعربى العنق والبعد والشكل ٠

ومن ناحية أخرى أن البناء والتشييد والتعمير فى ليبيا انما يتـــم بايد مصرية اساسا ·· ان الذين شـــيدوا لك اجدابيا حيث تقيـــم الآن مصريون وما زالوا ياتون للبناء رغم سوء معاملة بوليسك لهم ·· اهــل بعد هذا تقف وتحذر الناس من الطامعين ؟·

انك فى هذا الكلام شوفينى اقليمى مثير لنزعات اقليمية تعصـــبية ولست قط عربيا يدعو للقومية العربية فما بالك باميتها ؟ ·

ثم ماذا يمكن ان تتوقع من الرئيس السادات الآن هو يراك تقـــول لاورق اليوسف انك تريد المصالحة ·· ثم صحفك تهاجمه · وانت تهاجمه ·

اليس ذلك تناقضا بين الاقوال والافعال ·· كيف يمكن أن يصـــدق رغبتـــك ؟ ··

ان ما رايته وقراته انما يعطى فرصة لتصـــــديق أن هناك وجهين لاسلوبك فى التعامل ·· عندما سالنى الناس فى القاهرة عن انطباعى من جلستى معك بكولومبو ·· قلت يبدو لى منطقيا جدا فى رغبته فى التصالح وتصفية الجـــو ·

ولكن البعض قال لى هذا هو الوجه الأول للعقيد ·

يعنى يقصدون تناقضا بين ما تقول وما يحدث فعلا ·

كيف اذن تريد التصافى واللقاء يا سيادة العقيد ؟ ·

قال القذافى بعد أن اصغى الى فى صبر واهتمام حقا :

ـ انا كنت متوقع ان تسالنى عن الاعلام بالنسبة لسوريا ·

يا عبد الستار لا تشك لحظة واحدة انى مع المقـاومة الفلسطينية ·· ولا تشك فى انى ضد ما يفعله حافظ الأسد فى الفلسطينيين ·· انها جريمة ·· ووفدنا فى مؤتمر مناصرة الشعب الفلسطينى عنده تعليمات بالادانة الشاملة لجريمة سوريا ·

وانا اعرف حافظ الأسد جيدا ·· واعرف رايه فى الرئيس السادات·

ولكن الذى يرغمنى على عدم الهجوم على موقف سوريا عــلانية هو موقف مصر ·

انتم تخدمون سوريا خدمة عظيمـة بهـذا الهجـوم على وحشـد الجيش وتصريحات الجمسى ·

انا أواجه على حدودى خطر غزو ‧‧ أو ناس عماله تقــول ده جيش وراه مهمة أستراتيجية ؟ !‧

لازم أواجه الخطر ‧‧ وأواجه تعبئة شعبى لهذا الخطر ‧‧ ولا أخلق أعداء جددا ‧‧ فأمارس ضغطا على ســوريا بالأســاليب الدبلوماسية والسرية ‧

لكن والله العظيم لو الأمور هادئة بينى وبين مصر لولعت سوريا دى ولعة ‧‧ ولكنت شفت الاعلام الليبى عمل ايه ازاء الجريمة السورية هناك‧

ومع ذلك فانا باقول لازم يا شعوب عربية تقومى بتحرك ‧‧ مظاهرات ‧‧ مؤتمرات للضغط على سوريا ‧

اما مسألة الهجوم على مصر والرئيس السادات ‧‧ فانا فعلا بعـد الحديث كنت ناوى أعمل تهدئة لكن فجأة وجدت الرئيس يهاجمنى وفى خطاب ١٨ سبتمبر يقول على عامل لى فيلسوف زى ماوتسى تونج ويتوعدنى مـرة أخـــرى ‧

ثم تصريح الجمسى ‧‧ كان لابد أن أرد ‧‧ والا الشعب الليبى يتخانق معى ‧‧ ورجال الاعلام يتخانقوا كمان ‧

وسكت لحظــة وقــال :

ـ ما بتتكلمش مع موسى صبرى فى الكلام الفارغ الذى يكتبه ؟‧

قـلت :

انا بعد أن قرأت ما يكتب فى صحفكم ‧‧ أقول لك أن عندكم عشرة موسى صبرى ‧‧ وموسى صبرى ارق وأخف كثيرا من أى واحد عندكم ‧

ثم اضفت قائلا :

ـ دون الدخول فى تفاصيل ‧‧ السؤال الذى يجب تحديده ‧‧ هـل أنت جاد فى محاولة تصفية الجو مع مصر ‧‧ هل أنت مقتنع بالأهداف الاستراتيجية لهذه التصفية بما يعود على مصر وليبيا بفائدة ؟

قـــال :

ـ لا شك ‧

قـلت :

ـ اذن اتفقنا على ذلك فالمسألة بسيطة جدا ‧‧ أن النظام المصرى فى

موقف الدفاع بالنسبة لك بمعنى انك انت الذى تهاجمه سواء بالاعلام او بمؤامرات المخابرات الليبية والقنابل ٠

المطلوب أن تكتسب ثقة النظام المصرى فى انك جاد فى التصالح ٠

قـــال :

ـ هل رأيت عند الرئيس السادات رغبة فى التصالح ؟

قـلت :

ـ لقد قلت لك من قبل فى كولومبو ان النظام المصرى لا يريد معاداة دولة ما ٠٠ اننا نريد على الأقل التعايش السلمى مع الدول المختلفة ٠٠ وبالنسبة للعرب نريد تضامنا عربيا فلدينا من المشاكل ما يغنينا عن التدخل والمخاصـــمة ٠

ولكن المشكلة بينك وبين الرئيس السادات فى تقديرى هى انك فعلت كل ما يمكن عمله لتدمير ثقته بك ٠ وعليك أن تكتسب هذه الثقة شـيئا فشـــيئا ٠

يعنى لا يمكن أن تبدى رغبتك فى المصالحة ثم تنتظر ان مصر ستتوقف عن حملاتها ضدك على الفور ٠

العكس هو الصحيح ٠٠ تبدى رغبتك ٠٠ وتتصرف تصرفات تؤكد جديتك ثم تبدأ مصر فى التفكير فى الثقة فى حـــديثك وانت قد رأيت ان اسماعيل فهمى الذى اتهمته بالعمل ضد اللقاء قد بذل جهودا فى تصفية الجو فى القاهرة بل وتحمس لنشر حديثك الأول بما فيه من هجوم عليه ٠ وليس لمصر مصلحة فى التناقض واستمراره حادا ٠

قال القـــذافى :

ـ نحن عندما وقعت مصر اتفاقية سيناء قررنا عدم مهاجمة مصر لأن سوريا والمقاومة كانتا تهاجمانها فقلنا حتى لاعتبارات اخلاقية لا يجب مهاجمتهـا ٠

لكن منذ بدأ المحيشى يهاجمنا تغير الموقف ٠

قـلت :

هل المحيشى هو السبب ؟ ٠

قال بسرعة :

ـ المحيشى هو السبب فى كل ما يحدث الآن ٠

قـلت :

ـ انك قلت فى خطابك يوم أول سبتمبر ان الطائرة التى نقلت المحيشى من تونس حملت معها ايضا القنابل ضد مصر ٠٠ فهل هذا اعتراف منك بمسئوليتك عن حوادث القنابل عندنا ٠

قال ضاحكا :

لا ٠٠ اقصد ان الطائرة حملت اسباب الخلاف وتفجر الموقف ٠

قـلت :

ـ اقول لك الصراحة ٠٠ اننى عندما جئت الى ليبيا كنت اتصور ان حديثك عن ان المحيشى ليس له مكانة تذكر عند الشعب الليبى كلام مبالغ فيـــه ولكن بعـد ان جئت واستقصيت الموقف حتى من مصريين عاديين ورسميين هنا تبين لى ان المحيشى ليس له اى رصيد يذكر ٠ قال لى مصريون هنا انه مشهور بهجومه على مصر من قبل ٠

اذن لماذا تتحدث دائما عن خطر المحيشى وتتوتر فى الحديث عنه ٠٠ اى خطر يمثله عليك ٠٠ اريد ان اعرف بصرف النظر عن رأيى فى افكاره وبرامجــه ؟

قـــال :

ـ الحمد لله انت رأيت بنفسك ان المحيشى لا يمثل شيئا ولا خطــرا ٠٠ اننا نهتم بحكاية المحيشى لأنها عنوان على عداء مصر للنظام الليبى ٠ انه مخلب قط فى يدها لمهاجمتنا وهذا ما يهمنى فقط ٠

اما نحن فنعرف حتى رأى المحيشى فى مصر ٠ لقد بعثنا اليه بواحد من انصارنا غير المكشوفين وتحدث معه فقال له انه لا يثق فى نظـــام السادات وان السادات متقلب ولا يمكن الثقة فيه ٠

ومن ناحية لو كان المحيشى رجلا جادا ٠ لماذا لم يستمر فى مجلس قيادة الثورة ويناضل ويخلق تيارا معه ؟ لكنه عمد الى محاولة الانقــلاب وشغل عيال ٠٠ عاوز يسبني ٠٠ كلام فارغ وروح اسال الناس عليه ٠

قـلت :

ـ هل المحيشى يسار الثورة الليبية ؟

انفجر ضاحكا ٠٠ وقال :

ـ اسال ٠٠ ده راجل قال عنى فى الاذاعة انى عميل للسوفيت وحولت

ليبيا الى قاعدة عميلة للسوفيت · شوف مين بقى بيستخدم كلمة عميل للسوفيت دى ·· يمينى ولا يسارى ·

قلت ضاحكا :

ـ ما انت كنت الى سنوات قليلة تقول نفس الكلام وتقول الشيوعيون عملاء ·· والاتحاد السوفيتى دولة استعمارية ·

قــال :

ـ هو انت فاهم يا اخ عبد الستار أن الحكم لا يعلم الحاكم ؟ هــو عبد الناصر ثبت عند موقفه ورأيه عام ١٩٥٢ مثــل ١٩٧٠ ·· والرئيس السادات نفسه مش كان قال ان عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة كان الوحيد الذى طالب بالديمقراطية بينما السادات وكل أعضاء المجلس كانوا ضدها ·· ما الذى حدث بعد ذلك ؟ السادات الآن لما مسك الحكم عمــل ديمقراطية وانتم اليساريين مبسوطين منه أربعة وعشرين قيراط ومن شوية اتفقنا سويا على أن عبد الناصر كان ضد الديمقراطية ·

قــلت :

ـ نعود لموضوع المحيشى هل هذه المسالة الأساسية التى تؤرقك ؟

قــال :

ـ انها تهمنى لأنها رمز لموقف مصر منا ·· انها اخطر مظهر ·· واذا توقفت اذاعات المحيشى معناه تحول فى موقف مصر تجاهنا ·

وسالنى العقيد هل أسمع المحيشى ؟ قلت له لا ·· قال لازم تسمع ··

قــلت :

ـ مش يعنى بيقول كلام زى المصور أن امك يهودية وانت لم تقــم بالثورة وانك طفل غير شرعى ·· الخ ·

واضفت قائلا :

ـ انا رايى ده كلام فارغ لأن ويلى براندت كان لقيطا ·· ويعلن هو ذلك ومع ذلك لم يمنعه ذلك من ان يكون افضل مستشار لألمانيا فى العشرين سنة الأخيرة ·

ضحك القــذافى وقال :

كل هذا الكلام لا يهم ·· لكن المهم ان المحيشى بيتكلم باسم الشعب الليبى ·

وقال لى القذافى انه لازم أسمع تسجيلات فى الاذاعة الليبية عما يقوله المحيشى ·

قـلت :

على أى حال أنت فى الاذاعة الليبية تترك ناسا يهاجمون فى برامج معينة كل يوم مصر ·

قـــال :

ـ لكنى لم آت بشخصية سياسية مصرية وانصبها على رأس مايسمى بجبهة وطنية ضد النظام المصرى وتعطى تعليمات بالراديو للناس ·

وابديت دهشتى ·· لأنى لم اكن أعرف نوع ما يذيعه المحيشى ·

وحدث بعد أن وصلت مطار طرابلس ليلا أن وجدت الأستاذ/ ابراهيم البشارى مدير اذاعة طرابلس فى انتظارى ورجانى مرافقته للاستماع الى بعض اشرطة المحيشى وسمعت · والحقيقة انها كانت مفاجأة لى أن اسمع فقد تبينت انها اشبه بصوت فلسطين وتنظيم وتوجيهات · فقلت للبشارى على أى حال اوقفوا انتم البرامج المخصصة لمهاجمة مصر والتى سمعت أن مصريين يتكلمون فيها ·

وكان انطباعى حينذاك بعد أن سمعت الأشرطة · انها عملية تحريض على قلب نظام الحـــكم الليبى لا بالدعـــاية والاثارة فقط بل بالتنظيم والدعوة اليه ·

ولقد اكد لى السفير المصرى فى طرابلس وكل أعضاء السفارة الذين قابلتهم ان هذا الكلام كله عبث وأن المحيشى لا يمثل شيئا · وأن هذا الكلام لا صدى له فى الشعب الليبى ولا ينظم شيئا ·· بل يستثير الناس · وأن المرة الوحيدة التى كان للكلام فيها صدى عندما تحدث المحيشى عن النفقات المبالغ فيها فى بعض المشروعات الليبية ·

قلت للقـــذافى :

ـ وماذا غير المحيشى ؟·

قـــال :

ـ اريد ان التقى بالرئيس السادات كما قلت لك وتحدد نقاط خلافاتنا واتفاقاتنا · أريد لقاءه دون وسيط وانا أعرف انه رجل صريح وصدقنى أنى احس تجاهه بمشاعر الابن تجاه أبيه لكن المشكلة الدساسون بينى وبينه ·· والأمريكان أيضا ·

قـلت :

وماذا عن الأمريكان ؟

ــ الأمريكيون يلقون فى روع السادات كما بلغنى انه اذا هاجمنى فان ذلك يندرج فى خطتهم الشاملة للتصالح مع اسرائيل ٠

قاطعته قائلا :

ــ ارجوك يا اخى ان تترك جانبا هذه التفسيرات الساذجة التى يقولها لك البعض ٠ واوضح انكم فى ليبيا عندكم ضحالة سياسية وليس لديك مستشارون مثقفون واعون ٠

ستعود الى ترديد حكاية امريكا ونفوذ امريكا ٠

اننا اتفقنا المرة الماضية على وطنية القياديين فى مصر وليبيا ٠٠ واذا انسقنا الى حكاية امريكا لصدقنا اتهـامك بانك عميـل المخابرات الامريكيـة فى المنطقـة لاثارة القـلاقل ضد الانظمة الوطنية ٠٠ وانك كنت رجل المخابرات الامريكية فى حكاية انقلاب السودان اليسارى ٠٠ ولكنك تذكر انى قلت لك فى ندوة روز اليوسف انى دافعت عنك فى هـذه المسالة امام اليسار الأوربى وقلت نحن معتادون فى العالم العربى ان تضرب القوى الوطنية العربية بعضها البعض بشدة وعنف ٠

ثم اسمح لى ان المخطط الأمريكى يستهدف تمزيق المنطقة العـربية كلها ٠٠ وهو حتى الآن ناجح وناجح بسبب اخطاء تصرون عليها فى ليبيا ٠

قـال :

ــ ان مصر هى التى تهاجمنا ٠

قـلت :

ــ ان مصر فى مركز المدافع ٠٠ مصر مسـئولة عن قضايا مصيرية للعالم العربى ومشاكلها الاقتصادية وانتم العـرب اما تهاجمونها واما تديرون لها ظهوركم دون اية معونة جذرية ٠

واضفت قائلا :

ان الذين يصورون لك ان السادات متفق مع امريكا او صـديق لأمريكا واهمون أو كذابون لأن هذا ضد منطق الأحداث ٠

وقلت ايضا : بماذا تفسر انقلاب السـودان بواسـطة حزب الأمة والاخوان وتدعيم السعودية لهم كما تقول انت ؟ أليس ذلك ضربا تحت الحزام « كما يقال فى الملاكمة » من جانب امريكا ضد مصر لمحاصرتها من السودان والميـاه ٠

ومن هنا ترى خطاك فى تأييد الانقلاب وتدعيمه ٠

وبماذا تفسر محاولة ابادة المقاومة الفلسطينية في لبنان : أليس « ضربا تحت الحزام » ايضا من جانب الأمريكيين ضد السادات لاضعاف الفلسطينيين فى المساومة الدولية واثارة العالم العربى على كل القيادات العربية لعجزها عن حماية المقاومة بشكل مباشر ؟

ـ وبماذا تفسر أن كل دول الخليج والسعودية تغل يدها عن معونة مصر الا فى حدود مع انها تملك البلايين ؟ ٠

ان سخاء تلك البلاد يعنى سخاء أمريكا الى حد كبير ٠

ولكنها تعطينا بالمقدار الذى يجعلنا مجرد نعيش ٠٠ ومثل الراسمالى فى بداية الراسمالية عندما كان يعطى للعامل مجرد ما يساعده على العودة للعمل فى اليوم التالى ٠

وبمـــاذا تفسر استمرار تســـليح اسرائيل وتعطيل القضـــية حتى الآن ؟ ٠

ان خصومتنا مع أمريكا باقية ٠٠ لكلنا نحاول استثمار نتائج حرب اكتوبر التى تجاهلتموها هنا فى احتفالاتكم فى ليبيا ٠

يجب ان تتبين الموقف فى أعماقه ٠٠ ولذلك انا شخصيا لا أهتـز ولا أهتم عنـدما اسمع السادات يتحدث عن صديقى كيسنجر وفورد ومستر كذا وكذا ٠ لأنى أثق ثقتى من انى جالس أمامك الآن ٠ ان السادات يعرف الاستعمار الأمريكى جيـداً ٠٠ ويعـرف الاعيبه ٠٠ ولا تنس يا سيادة العقيـد أن الســادات حارب وهـو صبى الاستعمار ٠٠ وهو ضابط ايضا شارك فى عمليات بالقنبلة والمسدس وسجن سنوات طويلة ولم يكن له سند ما ٠٠ ليس ابن باشا أو بيه يدافع عنه ٠

اسمح لى لا يأتى أحد الآن ويعلمنا فى مصر أن قيادتنا التى عملت الثورة صديقة للاستعمار ٠٠ هذه اهانة ٠

قال العقيـــد :

يا عبد الستار انت تدهشنى بكلامك هذا والله ٠٠ المسألة اذا كانت هكذا يبقى الأمر بسيط وباسمع كلام غلط من ناس ٠٠ وانا كمان مندهش من انك تقول لى كلام مختلف عما اسمعه من مصريين كثيرين حتى وسطاء ٠٠ انت تعرف الرئيس السادات جيدا ومن امتى ؟ انت عامل زى ما تكون آكل شارب معاه وفاهم بيعمل ايه ومقتنع به خالص ٠

قــلت :

ـ انا اعرف الرئيس السادات شخصيا منذ عامين فقط ٠ وليست علاقتى به وثيقة كما تتصور فانا لا اراه كثيرا كما كان يفعل زمان مــع هيــكل ٠

لكنى أعرف الرئيس وسياسته من خلال متابعة هذه الســـياسة قبل ان القاه شخصيا ٠٠ وهى مسألة ليست فى حاجة الى ذكاء كبير ٠٠ وسجلت هذه المعرفة فى كتابى عام ١٩٧٤ قبل ان اتشرف بلقائه ٠٠ وأكدت لى الأيام صدق تحليلى وفهمى علاوة على أن هذا اللقاء قد خلف اعجابا وتقديرا شخصيا من جانبى للرئيس لأحد له لأشياء كثيرة ليس الآن مجالها وارجو أن تقرأها يوما فى كتاب ٠

قال القـــذافى :

ـ هل كل اليسار فى مصر كده رأيهم زيك ؟٠

قــلت :

معظمهم بل وبعضهم يفهم أحسن منى ٠٠ وربما الفرق أنه بحكم اللقاء الشخصى مع السادات تجـــد تأثرا شـــخصيا بشخصيته القوية والديمقراطية ٠ لكن لو قابلت أى يسارى مصرى سيبين لك معالم سياسة السادات ربما افضل منى بكثير ٠

قـــال :

ـ بشأن السودان ٠٠ أريد أن اقول لك اننى بعثت بشـــير الرابطى للسادات ليقول له زمان لا تضع البيض كله فى سلة واحدة هى النميرى ٠٠ فالنميرى محكوم عليه بالسقوط ٠٠ وصدقنى لن يبقى النميرى ٠٠ وهــو حليف غير أمين ٠

قــلت :

ـ كيف ترى أن النميرى لابد سيسقط ؟ ٠٠

ـ لأن الشعب كله يمينا ويسارا ضده ٠

قــلت :

لكن هناك معاهدة دفاع مشترك بينه وبين مصر ؟

ضحك القــذافى وقــال :

ـ يعنى الجيش المصرى سيحارب الشعب السودانى فى الخرطوم ؟٠ أما نشــوف ٠

قــلت :

الا يمكن ان يراب الصدع بينك وبين النميرى ·· وبينك وبين مصر ·· وتعود افريقيا الصغرى كما نحلم وتركزون على مشاريع للتنمية ليكون ذلك الثلاثى قلعة ضد الاستعمار ومن اجل رفاهية الانسان بأى شكل ·· مش عاوزين منكم ماركسية ولا حاجة ·· عاوزين تنمية اقتصادية وشوية تنازلات من البرجوازية ·· اصلاحية لا أكثر ولا اقل !

قــال :

ـ هو انا الذى اخلق المشاكل ؟·· انا مصدر شغب فى المنطقة ؟·

قــلت :

ـ الحقيقة انك كالشوكة فى المنطقة ·· تشك كل الأنظمة يمينا أو يسارا ·· وصدقنى انك لو سقطت سيتنفس جميع القادة العرب يمينا أو يسارا الصعداء ·

ضحك القــذافى وقال :

ـ الى هذا الحد أصبحت سيئا فى المنطقة ؟

قــلت :

لا أعنى انك سيىء ··أعنى أن الخط السياسى الذى تشكله لم يؤد الا الى طريق مسدود · وعلى أى حال يهمنا مصر الآن ·

سأحكى لك قصة صغيرة :

كان المرحوم شهدى عطية الشافعى وهو احد زعماء الحركة الشيوعية المؤسسين وقتله بوليس عبد الناصر ·

قاطعنى القــذافى قائلا :

ـ أعرف حكاية شــهدى ·

ثم استطردت قائلا :

كان المرحوم شهدى يقول تعليقا على الوضع الانقسامى فى الحركة الشيوعية المصرية ·· انى افضل ان اكون عضوا فى حزب شيوعى موحد بدلا من ان اكون زعيما لحلقة الانقسام ·

قاطعنى العقيد مرة ثانية وقد فهم مغزى حكايتى وقال :

ـ وانا مؤمن تماما باللى قاله شهدى ·· وده اللى باعمله ·· انا مش عاوز ابقى زعيم ليبيا ولا رئيس ولا حاجة ·· عاوز دولة عربية واحدة اكون فيها جندى فى أى موقع ·

لكن اعمل ايه ٠٠ بيروحوا يقول للرئيس السادات ده عاوز يورثك ٠٠ عاوز يبقى جمال عبد الناصر ٠٠ عاوز يبقى رئيس مصر ٠٠ هى مصر يمكن يبقى رئيسها لحد مائة سنة قدام بعد الوحدة العربية غير مصرى ؟

قـلت :

ـ حكاية انك تريد ان تكون جمال عبد الناصر دى صحيحة وليس الرئيس السادات فى حاجة ليسمعها من أحد ٠ ان العالم كله يقولها ٠

ثم انك الآن تمارس عملية منظمة ضد حكم الرئيس السادات وتسمح للطلبة الصغار أن تهتف هتافات معادية للنظام وتطالب الشعب المصرى بالثورة ضد السادات ٠

اريد ان اسالك سؤالا :

ما هو النظام الذى يمكن ان ياتى الآن بديلا لنظام السادات ؟

قال القذافى على الفور بالحرف :

ـ نظام رجعى واشد يمينية ٠

قلت صائحا :

ـ حسنا ٠٠ ماذا تريد اذن ٠٠ ماذا تنتظر ؟ هل تتعاون مع الاستعمار الأمريكى للاطاحة بحكم السادات لياتى ذلك النظام الرجعى واليمينى ؟

اقول لك سياتى حكم البرجوازية المتخلفة ٠٠ التى ستقضى نهائيا على أية مكتسبات ناصرية لثورة يوليو ٠٠ وستتحالف مع الاستعمار الأمريكى ٠٠ وستصبح مصر ألعن من ايران ٠

ويومها يا سيادة العقيد سيكون من مهمة ذلك النظام الجديد لا قدر الله العمل على الاطاحة بنظامك وكل النظم الوطنية فى المنطقة ٠

لن يحدث تناقض بينك وبينه كالتناقض الحادث الآن بينك وبين مصر ٠٠ تناقض مؤقت ٠٠ اذاعة ٠٠ كلام جرائد ٠٠ لأسباب طارئة ٠٠ انمـا ستكون مهمة أساسية لذلك النظام القضاء عليك ٠٠٠

انا مندهش اذن كيف وانت تدرك هذا المخطط الاستعمارى أن تهاجم مصر ولا تبذل محاولة جدية لتسوية الأمر معها ٠

قـــال :

حسنا ٠٠ أريد التسوية ما هى اقتراحاتك ؟

قـلت :

ليست لدى اقتراحات محددة وانما لدى افكار من بنات افكارى ربما تساعد على وجود حل ٠٠ بادىء ذى بدء نحن نريد الآن اطفاء النيران

المشتعلة ٠٠ جوا من التهدئة ٠٠ يمكن أن يساعد على خلق مرحلة تعايش سلمى اذا جاز التعبير ٠

ثم بعد ذلك يدور التفاهم حول مراحل متقدمة مثل التعاون والتضامن ٠٠ والآن كيف تطفأ النيران المشتعلة ؟

ان بيننا وبينك أرضية مشتركة هى قضية فلسطين ومواقفنا تجاهها واحدة ٠ أى الوقوف ضد ابادة الفلسطينيين ٠ أليس كذلك ؟

قـــال :

ـ نعـــم ٠

قـلت :

اظن لو انك استدعيت السـفير المصرى فى طرابلس وابلغته انك حريص على التعاون من اجـل انقـاذ الفلسطينيين وقررت وقف حملة الكراهية على مصر ثم يأتى دور هذه الاجراءات التالية من جانبك ٠

ـ وقف الحملات الاعلامية تماما ٠

ـ السماح بدخول الصحف المصرية ٠

ـ الكف عن اساءة معاملة المصريين ٠

ـ الافراج عن المسجونين المصريين الموجودين الآن (٤٠٠ مسجون) ٠

ـ السماح للمصريين بدخول ليبيا بدون تاشيرة دخول ٠

كما اقترحت على العقيد دعوة الوفد المصرى وخصوصا عبد اللطيف بلطية الوزير فى مؤتمر التضامن لمقابلتهم والاستماع اليهم ٠

واستطردت أقول :

ـ ولابد أن نضع فى الاعتبار انك لن تجد تجاوبا من القاهرة فى الحال لأنها لا تثق بك ٠٠ لابد أن تصر وتثابر على اتخاذ هذه المواقف لمدة طويلة حتى يهدأ الجـو ٠

ثم انا أرى أن الاعلام المصرى يركز فى الهجوم عليكم مثلما كان الأمر من فتـرة ٠

قال القـــذافى :

ما هى حكاية المصريين المسجونين ٠٠ لقد أفرجت عنهم ؟

قـلت :

علمت من السفارة انه افرج عن ٣٨ شخصا فقط بينما يوجد ٤٠٠ آخـــرون ٠

استدعى القذافى الوزير طه وقال له :

ـ يا اخ طه بلغ وزارة الداخلية تفرج عن كل مصرى فى السجون حتى اللى متهم بالتخريب .. عبد الستار يقول هناك ٤٠٠ .. مش عاوز حد مصرى فى السجن ·

واضاف القذافى قائلا :

ـ هناك حكاية طنطنت لها الصحف المصرية وهى طرد المصريين منذ شهور .. الحقيقة أن طرد المتسللين لم يكن ضد المصريين فقط بل ضد النيجيريين والتشاديين ايضا بعد أن امتلأت البلاد شحاتين وناس تموت فى الطريق واعطيت انا بعض الصور لمحمود رياض قلت له يقول لممدوح سالم عليها ·

قلت :

على اى حال لا يمكن معاملة المصريين مثل النيجيريين والتشاديين لأن المصريين عرب وانت تقول ان مصر وليبيا بلد واحد اما النيجيريين والتشاديين فهم مجرد اخوة افريقيين ينطبق عليهم قانون حق الجوار الدولى فقط ..

انكم اسأتم معاملة المصريين بالتأكيد ·

قال :

ـ اعترف لك حدثت تجاوزات من بعض الشرطة وانا عنفت وزارة الداخلية بشدة ·

قلت :

اسمح لى .

قاطعنى قائلا :

بلاش اسمح دى .. تكلم يا اخى على طول ·

قلت انك خلقت طبقة العرفاء ·

قال :

ايش يعني دى ؟

قلت :

ـ عرفاء جمع عريف .. اى الاومباشية وضباط الصف والمخابرات والمباحث الذين يتجسسون على الشعب ويسومونه سوء العذاب وهم اجلاف

فلاظ ٠٠ تعطى الواحد منهم سلطة ضخمة لأنه لا توجد صحافة حرة ولا برلمان وعندهم طباع قبلية حتى رؤسائهم لا يستطيعون ردعهم ٠٠ لابد من معالجة هذا الأمر ٠

قـــال :

طبعا ناس بدو لسه لم يتعلموا ٠٠ اعذرونا لم يكن هناك دولة فى ليبيا وعلى العموم المؤتمرات الشعبية ستقيد سلطة أى بوليس او مخابرات ٠

ثم استطرد القذافى قائلا :

لو فتحنا الباب لدخول المصريين دون تأشيرة دخول ٠٠ الا يفتح ذلك الباب للمخابرات المصرية لادخال عملائها وعمل تخريب عندنا ؟

قـلت :

هذه المرة ساقول سيادة العقيد ٠٠ ان من يتعرض للتخريب هى مصر ٠٠ نحن نريد أن تكفوا اذاكم عنا !

انت الذى تستعمل أساليب قديمة مكشوفة ولا تجدى ٠٠ واكرر لك انك غير محبوب فى مصر اطلاقا بل هناك ســـخط عليـك كثير جـدا ٠ ولا تصدق اية تقارير عكس هذا ٠

وسالته :

هل كان يصح انك لا تستقبل ممدوح سالم رئيس الوزراء المصرى ؟ اسمح لى يعنى ليبيا محافظة صغيرة فى مصر ٠٠ وحاكمها زى محـــافظ عندنا وممدوح سالم رئيس وزراء كل الـ ٢٤ محافظة شوف يكون ايه يعنى مكانته بالنسبة لمحافظ محافظة ؟ ٠

كيف لا تستقبله ؟ ٠٠ هل تريد استفزاز كل مسئول مصرى ؟

قال القـــذافى :

الأخ ممدوح سالم يعرف مكانته عندى ٠٠ وأنا لا اريد استفزاز أى مسئول مصرى ٠٠ انا قلت وما زلت اقول الرئيس السادات والدى ٠٠ ووافقت على نشر كلام فى العالم كله أن زوجتى قالت لى انه لازم يضربنى بالكرباج فقلت انه والدى ومعه حق ٠٠ لا يوجد رئيس فى العالم قـــال كلام زى ده ٠

انما عدم مقابلة الأخ ممدوح سالم كانت مسالة سياسية قصـدتها فعلا ٠ كان الرئيس السادات فى أمريكا يقول لهم انى قدمت بعد مشاورة

الزعماء العرب .. فكانت مقابلتى للاخ ممدوح معناها انى موافق على رحلة السادات التى ليس لى بها شأن .. لذلك لم اقابله .

قلت :

انك مخطىء أيضا .. لا لموقفك السياسي من الزيارة فحسب .. بل كان مفروضا ان تقابل السيد ممدوح سالم ولو مقابلة شخصية وتقول له انك غير موافق على الرحلة واستطردت قائلا :

سيدى الرئيس : اقول لك ان قيادة امة لا يمكن أن تمارس بعقلية سن الخامسة والثلاثين من الشباب وثورته واندفاعه .. لابد أن من يقود أمة ولو كان شابا أن يمارس القيادة بعقلية وحكمة الشيوخ .. بالهدوء والرزانة .

ضحك القــذافى وقال :

وأنت تمارس الصحافة بعقلية كم سنة ؟ والله يا عبد الستار انا عاوز اتصافى واعرف ماذا يريد الرئيس السادات منى .

قلت :

– أين دورك فى المساهمة فى التنمية .. ماذا فعلت فى اقتراحى باقراض مصر بليون جنيه مع فترة سـماح ؟

قـــال :

– ما هو انتم تقولون ان هناك شروطا من جانبى لمثل هذا القرض . بينما انا لم اضع أى شرط بالعكس انا قلت انه بعد الوحدة تظل ميزانية كل بلد مستقلة حتى لا ينخفض مستوى المعيشة فى ليبيا .. ثم رصيد ليبيا فى البنوك يستخدم فى مشاريع للدولة الموحدة .. ولم افرض شرط عمل الوحدة لاقراض مصر .

قلت :

حسنا .. تقدم الآن .

سكت ولم يرد .

عدت اقول :

– ما رأيك فى الأفكار التى طرحتها عليك كخطوة فى الطريق للتصفية؟

قال بعـد لحظـــات :

انا موافق عليها .. وسأعمل ما يرضى ضميرى وضمير هذه الأمة .. وبالمناسبة لماذا لا يعقد الرئيس السادات مجلس الاتحاد الثلاثى ؟ انسه

فرصة كى نلتقى ونتكلم ·· وعلاقتى بحافظ الأسد ما زالت غير سـيئة فكان ممكن ان يلعب دورا فى التصفية · على اى حال أنا أريد مقـابلة الرئيس خمس ساعات وحدنا · وأرجوك تبلغه هذا مرة أخرى ·

ومش معقول لا يقابل سفيرنا عبد القادر غوجه الراجل زهق وعايز يرجع لأن الطريق مسدود امامه ·

قلت : هذا ممكن بعد هدوء الجـو نسبيا كما قلت ·

ثم تحدثت عن رأيى فى وجود مخطط أمريكى واسع النطاق لتدمير التضامن العربى وربما دخلت فيه عناصر من أجهزة الدولة هنا وهناك ·· من خلف القيادات الوطنية ·

فقال القـذافى :

سأقول لك بعض المعلومات لتقولها للرئيس : لقد اكتشفنا أخيـرا ثلاثة من عناصر الأمن الليبيين يتصرفون وحدهم كما أنت تقول ·

كما اكتشفنا ايضا أن بعض عناصر اذاعة صوت الوطن العـربى تصرفت بطريقة مخالفة للتعليمات · فقد هاجموا مثلا اتفاقية سيناء وقت أن كانت هناك تعليمات منى بعدم الهجوم عليها ·

اننا جمعنا فى هذه المحطة عناصر سورية وعراقية وفلسطينية ·

وقاطعته قائلا :

ومصرية ·· وشـذاذ الآفاق ·

قـال :

ـ تمام شذاذ الآفاق يتصرفون بروح من الحقد وعـدم المسئولية وأضروا بالعلاقات بيننا وبين مصر وبلاد كثيرة ·

قـلت :

اذن يجب أن تتخذ اجراءات لمنع هـذه الفوضى والازدواجية فى الدولة ··

قـال :

ـ سيحصل وحصل فعلا ·

ـ وقبل أن أقوم من أرض الخيمة ·· قال القذافى :

ـ أنا أشكرك كثيرا على تلبيتك دعوتى ·· وياليتك جئت بزوجتك وكانت تقعد مع مرتى ·· فى الخيمة المجاورة وتتفرج على ليبيا شوية ·

وسائل الفزر دائما انكم فى روز اليوسف الوحيدون الذين حاولتم عمل شىء للم الفضيحة دى بين مصر وليبيا ٠

فقاطعته :

هذا بفضل مساندة السادات لنا ٠٠ السادات وحده وعدد قليل جدا من رجال الحكم هم الذين يساندوننا ويحموننا من اليمين ٠

قال ٠٠

ـ مش عارف يا اخ عبد الستار ٠٠ انا ارجو ان اراك مرة اخرى لتكمل الكلام ٠٠ لا اظن انهم فى مصر سيسمحون باستمرار الحوار ٠٠ عندى احساس ان الرئيس السادات لا يريد ٠

قـلت :

ـ انت مخطىء تماما ٠٠ تصرف لتؤكد حسن النية وستجد كثيرين رسميين من قبل الرئيس يأتون لمواصلة الحوار ٠

وانا ارجو ان اراك فى القاهرة قريبا متصافيا مع السادات قائد حركة التحرير العربية دون منازع ٠٠ والذى تقول انه مثل والدك ٠

وارجو ان تختلف معه بعد ذلك فى غرفة مغلقة والا يتكرر ما شاهدناه من مهزلة خلال السنوات الثلاثة الماضية ٠

واعتذرت للعقيد القذافى عن حضور لقائه بالجامعة فى بنغـازى حتى اسافر بسرعة وابلغ رسالته للرئيس السادات ٠

الملحق الخامس

من مذكرة الى الرئيس انور السادات

هذه فقرات طويلة من مذكرة قدمتها للرئيس انور السادات فى ٢٩/٨/١٩٧٧ اى بعد الانقلاب الذى قام به فى روز اليوسف باربعة شهور تقريبا ٠٠ ولأن المذكرة تتناول موضـــوعات سياسية كثيرة تلقى ضوءا على الأوضاع فى تلك المرحلة وسياسة السادات نفسه ٠٠ وموقفى انا من هذه الســـياسة ٠٠ وكيفية محاورته حولها ٠٠ فقد نشرنا اغلب ما جاء فيها ٠

وهذه المذكرة لم تقدم بيدى للسادات فقد كان على قطيعة معى ٠٠ منذ اجتماع المعمورة فى يونيو ١٩٧٧٠ ولكنى قدمتها للسيد فوزى عبد الحافظ ٠٠ ولم يصلنى اى رد عليها من السادات نفسه ٠٠ وان كان الحـديث بين السيدة جيهان السادات وانا قد تناول ما جاء فيها من خلال المقابلات العديدة التى استمرت بين سيادتها وبينى رغم قطيعة السادات نفسه كما قرا القارىء فى سـياق الكتاب ٠

السيد الرئيس انور السادات

رئيس الجمهـــورية

سيدى الرئيس ٠٠

رمضان كريم ٠٠ وكل عام وانتم طيبون ٠ وأرجو الا ياتى رمضـــان

القادم الا وتكون قد حققت استكمال التحرر الوطنى وانزاح عن كاهلك ذلك العبء الرهيب الذى ورثته بين ما ورثت من تركة مثقلة ٠

فى فترة التأمل والعبادة التى تعيش فيها هذه الأيام ٠٠ وجدت من المناسب أن أبعث اليك ببعض خواطرى وآرائى فى الأوضاع الحالية ٠

ولقد كان مفروضا أن يكون هذا الحديث شفاهة بينكم وبينى على ما عودتكم عليه من الصدق فى القول ازاء رحابة الصدر التى ابديتموها وتبدونها دائما ازاء كل المواطنين ٠

بيد أن محاولاتى كى يكون ذلك الحديث شفويا ذهبت سدى ، لأنه للأسف الشديد انت توصد بابك يا سيدى وانت ابو الأسرة المصرية فى وجه الرأى الآخر ، ووصل بك حد الغضب يا سيدى الى رفض مقابلة أحد من اليسار ولو كان أخلص المخلصين اليك ٠

وبادىء ذى بدء يا سيدى دعنى أعبر عن اعجابى الشديد بالبراعة السياسية « والمكر الفلاحى » المنقطع النظير عندما وضعت فى بساطة شعار الجبهة الوطنية المتحدة الذى حلمت به كل قوى التقدم فى مصر منذ فجر الحركة الوطنية ، لقد وضعت ذلك الشعار موضع التطبيق لأول مرة دون أن تطلق عليه ذلك الاسم الذى يثير حساسية وثائرة البعض ٠ وانما سميته اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ٠

اذ ما هى الجبهة الوطنية الا تجمعا اختياريا بين أحزاب وهيئات وممثلون للنقابات وبعض الشخصيات العامة ؟

لنسمها اللجنة المركزية ٠٠ العائلة المصرية ٠٠ الخ فالعائلة الواحدة داخلها تناقضات ولكن المهم كيفية تسوية تلك التناقضات ٠

ودعنى أهنئك يا سيدى بهذا التدشين الديمقراطى البارع لتلك الجبهة بذلك الحوار المفتوح الحر بينك وبين عضوى اللجنة اليسارى والناصرى ، ولا عبرة برتوش الأخطاء فى أدب الحوار فتلك ردود فعل نتيجة حرمان الممارسة ربع قرن تقريبا ٠٠ ولكن المهم هو أن الشعب المصرى استطاع أن يتمسك بهذا التقليد الديمقراطى العظيم الذى علمته أنت وطبقته عمليا على شاشة التليفزيون سواء فى الحوار مع الطلبة أو عضوى اللجنة المركزية ٠٠ (هما السيد خالد محيى الدين والمرحوم قبارى عبد الله عضو مجلس الشعب عن حزب اليسار) ٠

لو تمسك الشعب بهذا لما استطاع ديكتاتور مهما كان عادلا أن « يخصى » الشعب سياسيا مرة أخرى ٠

ولا يمكن أن يمر حديثنا عن الديمقراطية دون التهنئة أيضا بثمار سياسة دءوبة منذ أعوام لتعقب الجلادين وزبانية التعذيب ، فها نحن اليوم نرى لأول مرة قضية سياسية اتهم فيها العشرات بالقتل واستخدام القوة المسلحة لقلب نظام الحكم لقضايا التكفير والهجرة دون أن يعذب أحد ٠٠ ذلك لأن قرارك بمحاكمة الجلادين القدامى قد أعقم أجهزة الأمن الحالية من ولادة جلادين عملا بحكمة التعلم من راس الذئب الطائر ٠٠

ودعنى يا سيدى أهنئك على انتصار خطك السياسى بالنسبة للقضية الفلسطينية فها هى فرق المقاومة الفلسطينية على وشك العدول عن الخط الوهمى المتطرف بالنسبة لرفض قبول دولة فلسطينية على بعض الأرض الفلسطينية (الضفة الغربية وغزة) ٠

كما أنك قد وصلت الى عتبة الهدف الذى رسمت له منذ زمان بعيد مستغلا نتائج حرب أكتوبر وهو ايجاد التناقص بين رؤية الولايات المتحدة لحل مشكلة الشرق الأوسط والرؤية الاسرائيلية لذلك الحل ٠٠ وما عبرت عنه فى أحاديث مختلفة انك تريد « حيادا امريكيا » بين العرب واسرائيل ٠

وأهنئك أيضا بالبراعة السياسية فيما يتعلق بالميدان الايدولوجى فى مصر ذاتها ٠ ان المرء بعد كل حملاتك على فترة الستينات وعلى « الانحراف والتطرف » فى الاشتراكية والغائك بجرة قلم للميثاق وبيان مارس ٠٠ وورقة اكتوبر كان يخيل للمراقب السياسى لأول وهلة أن النظام سيأخذ بأيدولوجية النظام الرأسمالى الحر ٠٠

لكن تلك الوثيقة التى فاجات بها الناس ملفوفة بضباب حملة شديدة ضد الماركسية انما تحمل أفكار الميثاق تقريبا ما عدا تلك الكلمات « الرنانة المثيرة » عن الصراع الطبقى والمتناقضات الطبقية ٠

ولقد قرأت وثيقة أساتذة الجامعة عن الاشتراكية الديمقراطية فوجدتها لا تضع برنامجا مختلفا لتطوير مصر عن برنامج الميثاق الا فى تفاصيل تحتمها ضرورة التنمية فى ظروف اليوم الجديد فى هذه الوثيقة يا سيدى ٠

ان كاتبيها لم يخفوا انهم استوردوا أفكارهم من زعماء الاشتراكية الديمقراطية فى أوربا !! مؤكدين بذلك أن سلاح الأفكار « المستوردة » انما يشن فقط فى وجه استيراد أفكار معينة !

وانا أعد مقالا الآن لتقييم هذه الوثيقة وداعيا كل القوى الوطنية للالتفاف حولها لوضعها موضع التطبيق وأرجو أن ينشر ؟!

وفيما يبدو لى أن معظم الكتاب والصحفيين فى مصر لا يفهمون تلك

الوثيقة ولا يتبينون مغزاها ولذلك فهم سادرون فى تمجيد قيم المجتمع الفردى ولعن الاشتراكية ليل نهار !

وبعد هذا يا سيدى الرئيس انتقل الى جانب آخر من الحديث ..

عن الديمقراطية :

اننا لن نتحدث عن المماطلة الاسرائيلية ـ الأمريكية بهدف جعل العبور تاريخا بعيدا باهتا .. فان اليقظة والحضور المستمرين من جانب قيادتكم الرشيدة يفشلان هذه الخطة سواء عن طريق التحرك السياسى الدءوب أو الاستمرار فى تسليح الجيش وجعله على أهبة الاستعداد والاصرار على الأمانى القومية كاملة غير منقوصة .

على أن الخطر الحقيقى هو ما يجرى من مؤامرة حول الديمقراطية اذ فيما يبدو أن المتآمرين يحققون نجاحا تلو النجاح .

انهم يريدون دفع النظام الى التخلى عن الديمقراطية شيئا فشيئا .. حتى يمكن توسيع الهوة بينه وبين الجماهير فى وقت استفحلت فيـــه مشاكلها الاقتصادية . ولم تحل القضية الوطنية .

والهدف معروف .. وهو تصفية ثورة يوليو .

فاذا كان الأمريكيون واليمين يوافقون على ما يسمونهم «بالمعتدلين» فى العالم العربى فان ذلك الى حين ، وهم لم يكفوا ولن يكفوا عن التآمر ضدهم حتى يأتوا بعملاء طيعين .. فالمعتدلون فى النهاية وطنيون ولا يوجد حتى ضمان لاستمرارهم معتدلين .

منذ زمان طويل وكل مراقب سياسى عميق الفكر بعض الشىء يستطيع أن يتبين أنكم تعمدون الى مناورة واسعة النطاق وتهدف الى الالتفاف حول اليمين العالمى لخلق ثغرة بينه وبين اسرائيل مستثمرا نتائج حرب ١٩٧٣ .

وقد عبرت عن هذا الهدف فى أحاديث عديدة لك « اننا نريد من أمريكا أن تكون محايدة بين العرب واسرائيل » .

وأنت فى سبيل تحقيق هذا الهدف تستخدم بذكاء شديد ودهاء أكثر كل كروت اليمين المحلى والعربى كل ذلك من أجل التوصل الى حل المشكلة الوطنية دون حرب جديدة .. وأحيانا كنت أتشكك فى أنه حتى حملتك على اليسار المصرى واتهامه بالمسئولية عن أحداث ١٨ و ١٩ يناير ليس الا كارت من تلك الكروت . يستهدف التلويح بالخطر على النظام الاجتماعى المصرى من

جراء التقاعس العربى المشين ، وتقاعس الولايات المتحدة عن الضغط على اسرائيـل ٠

فما كنت اتصور انك تعتقد بحق ـ وما زال عقلى ووعيى السياسى يرفض تصديق ذلك حتى الآن ـ ان مائتى او الف ماركسى او يسارى يمكنهم ان يثيروا الجماهير لتحدث تلك الأحداث المروعة يومى ١٨ و ١٩ يناير ٠

على انه يبدو ان المناورة السياسية هذه المرة قد جاوزت حدودها ٠٠ وهذا بالضبط ما يريده المتآمرون الذين يريدون تجريد حركة تصحيح مايو من جوهرها وهو الديمقراطية فقد لاحظت يا سـيدى فى اول خطاب لك بالتليفزيون بعد الأحداث انك متاثر تاثرا شديدا ضد الماركسيين حتى انك اوصيت الناس بحربهم بعد عمر طويل ٠

وسمعتك عند المبعوثين فى اوربا وامريكا تكرر نفس الكلام ٠

وسمعت بعد عودتى من امريكا انك القيت عديدا من الخطب ضد اليسار فى منطقة القنال وسميت الماركسيين بالأوغاد !!

ثم كان عزل عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وفتحى غانم من قيادة « روز اليوسف » ٠

الى ان حضرت اجتماعك بالصحفيين فى المعمورة ٠

سمعتك تدعو الى تطهير الصـحافة والاذاعة والتليفـزيون من الماركسيين واليسار فى اطار قانون المطبوعات ٠٠ اى عدنا الى عهد العزل السياسى وانما باسم القانون ٠

ثم جاءت حكاية سحب بطاقة الرئاسة منى وتصـورت الأمر فى البداية تصرفا من بعض اجهزة الأمن كنتيجة منطقية لحملتك على اليسار ٠٠ والى هنا فان الأمر شيء عادى لا استغربه من جانبى كرجل سياسى ولكن المفاجأة كانت انى علمت ان امر السحب جاء من سيادتك شخصيا ٠٠ وانك غضبت غضبا شديدا لوجودى مع انك صاحب تقليد حضـور محررى الرئاسة لاجتماعاتك مع رؤساء التحرير ٠

اذا كان الأمر قد وصل هذا الحد اذن فالثورة على اليسار حقيقة ٠٠ وعنيفة وكاسحة حتى للاصدقاء المخلصين لمجرد انهم يساريون دون ان يرتكبوا عملا ولو طفيفا ضد النظام ٠٠ والآن انى ساحاول مناقشة الأمر معك يا سيدى فى فترة تأملك بهدوء ٠٠

عن احداث ١٨ و ١٩ يناير :

اننى ادرك الخيار الذى كان أمام النظام عندما جرت احداث ١٨ و ١٩ ينــاير ٠

انه اذا ما اخذ النظام بالتفسير البسيط القائل بأن الجماهير كانت فى حالة ضيق بسبب الغلاء ومشاكلها الاقتصادية الأخرى نتيجة أعبــاء الحرب وتركة الماضى وبعض التطبيقات الخاطئة لسياسة الانفتاح ، وبالتالى قد انفجر هذا الضيق عندما رفعت الحكومة الأسعار فجأة اذ يعنى هــذا الرفع تحميلها بأعباء جديدة فى وقت كانت تتوقع فيه تخفيف تلك الأعباء كما قال بحق زميلنا موسى صبرى فى ندوة التليفزيون يوم ١٨ يناير ٠

وحاولت بعض القوى استغلال هذا الانفجار هنا ٠٠ ولكن كل شيء قد هدأ بمجرد الغاء تلك القرارات الخاطئة والمرتجلة ٠

اذا ما أخذ النظام بهذا التفسير البسيط ، لاتجهت أصابع الاتهــام اذن الى المسئولين عن ذلك الخطأ وهم أعضاء الحكومة ٠

ومعنى ذلك أنه يترتب اتخاذ اجراءات رادعة للمخطئين قد تستدعى احــداث تغيرات ســياسية معينــة طالب بهــا حــزب اليمين وحــده وليس حزب اليسار فى البرلمان يومى ١٨ و ١٩ ينــاير وأولها استقالة الحكومة ٠

وكان الخيار الثانى هو تفسير تلك الأحداث بأنها مدبرة ومخططة حتى منذ الانتخابات ومظاهرة نوفمبر المشهورة و ٠٠ الخ ٠

ولكن من الذى دبر وخطط للمؤامرة ؟

حفنة من الماركسيين والناصريين ؟

من أجــل ماذا ؟

من أجل اسقاط النظام والوثوب على السلطة ٠ أو على الأقل من أجل حفنة من النقود سواء من ليبيا أو الاتحاد السوفيتى ! هراء ما بعده هراء !؟

وحكاية اتخاذ اليسار كبش فداء حكاية قديمة واستخدمت كثيرا فى أرجاء مختلفة من العالم ٠٠ ويتحمل وزير الداخلية السابق مسئولية اطلاق هذا الاتهام لأول مرة تاريخيا يوم ١٩ يناير ٠

وبدا للنظام أن ذلك الاتهام يمكن أن يؤدى الى نتائج مفيدة للحــركة الوطنية بالضغط على اليمين العربى والأمريكى ٠٠

ولكن يا سيدى وأنا أصدقك القول كما تعودت وعودتك دائما ان أحدا فى مصر ولا فى أمريكا ولا فى أوربا يصدق هذا الاتهام اطلاقا ٠

ولقد كان يمكن معالجة الأمر ببساطة اكثر من هذا ٠٠

لأن حركة ١٨ و ١٩ لم تكن أول حركة تلقائية عنيفة تقوم بها الجماهير ٠٠ فقبلها بأيام كانت هناك حركة اهالى بيلا ضـــــد اهمال الدولة هناك لعصابات الجريمة التى روعت امنهم ٠ وقبلها بعام كانت هناك احــداث المحلة الكبرى التى حاول البعض أيامها الصاقها باليسار أيضا ٠٠ وفشلت المحـــاولة ٠

وهناك حركة يناير ١٩٧٥ التى تكررت فيها محاولة الصاق التهمــة بالماركسيين بالذات وقبض البوليس على قضية شيوعية يراقب افرادها منذ عام ١٩٧٠ ٠

ومن حين لآخر كانت تهب حركات تلقائية نتيجة غضب الجماهير فى اي منطقة لأى سبب ولو كان ضربا لجزار فى قسم شرطة أو تقاعس ناظر محطة الأتوبيس عن تسيير أوتوبيسات ٠

وقد كانت حركة عمال هيئة النقل ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

والحركات التلقائية امرها معروف وعادى جدا فى كل انحاء العالم ٠٠ وتحدث حتى فى فرنسا وبريطانيا وايطاليا اعرق الدول تنظيما وديمقراطية ٠

بل تحدث حتى فى البلاد الاشتراكية (أحداث بولنده عام ١٩٧٦ ، والمانيا الشرقية ١٩٥٣) ٠

واذا كانت حركة ١٨ و ١٩ يناير قد اتخذت صفة الاتساع والشمول فلأن التسبب والمحرك (رفع الأسعار المفاجىء) كان شاملا وعلى النطـــاق القومى ٠

وتخدع التقارير نفسها وكاتبيها عندما تستند الى حكاية تكرر نفس الشعارات فى كل مكان ٠

يا سيدى ان نفس هذه الشعارات قيلت فى كل حركة تلقائية محلية قبلت عام ١٩٧٥ ورددت بعضها صحف الحائط المتطرفة وألف النــاس نكتــا حولها ٠٠ وتناقلها الناس فى كل مكان ٠

وبادىء ذى بدء ان هذه الشعارات ليست شعارات شيوعيين فاغلبها بذاءات واستفزازات غير ذات صفة سياسية ٠

والشيوعيون لا يستخدمون مثل تلك الشعارات أبدا ٠٠ لأنها تضــر ولا تنفـــع ٠

ان الشعارات الوحيدة ذات الطابع اليسارى سواء كان ماركسيا أو ناصريا هى الشعارات التى قيلت فى مظاهرات بعض الطلبة ٠

وانا لا انفى استغلال بعض القوى السياسية للأحداث ٠٠

لكنى أنفى أنها دبرت وخططت بواسطة أحد أو جماعة كى تنفجر صباح يوم ١٨ ٠٠

وعندما تفجرت قلت فى اجتماع لتحرير روز اليوسف فى يوم ١٨ انه غدا ستنزل قوى سياسية ومخابرات امريكية وربما « مافيا » الى الشارع ومحاولة استغلال الموقف ٠٠ وهذا هو الذى حدث ٠٠

ولكن ما من قوة سياسية استطاعت أن تسيطر على الأحداث ٠٠

فلا حزب مصر استطاع وقف الجماهير ٠٠

ولا اليسار ولا اليمين استطاع استغلال الحركة لأن الحركة ببساطة أخذت الجميع على غرة ٠٠ لأن كل القوى السياسية فى مصر ضعيفة نسبيا من الناحية التنظيمية بالذات ٠

وصدقنى يا سيدى انه لو كان هناك تنظيم قوى فى مصر لاستطاع أن يقلب النظام أو يحرق القاهرة فعلا أو يتسبب فى حرب أهلية ٠٠ ولكن الحمد لله ٠٠

فى موقف اليسار من ١٨ و ١٩

ان حزب اليسار قد تدخل حقا ٠٠ وهذا أمر لم ينكره بل مسجل فى بيانات عليه باسمه بل انه تدخل من خلال القنوات الشرعية للتدخل وهى أجهزة الاتصال التابعة للاتحاد الاشتراكى ٠ وهى الوسيلة التى كان يثير الدهشة استهجان الحكومة لاستخدامه لها مع أنه منبر رسمى معترف به ٠

وبعض اليساريين الجدد قد تدخلوا ٠٠ وبعض الناصريين تدخلوا ٠٠ بقيادة بعض المظاهرات ٠

وعصابات اللصوص والغوغاء والرعاع استغلوا الموقف ، وسرقوا ونهبوا كما يحدث فى كل مكان فى العالم حتى نيويورك دون أى تنظيم سبق أو تدبير بليل ٠٠ فليس اللصوص بحاجة الى تنظيم يسارى يدعوهم للسرقة والاغتصاب ٠

وعصابات جمعية التكفير والهجرة تدخلوا وحطموا ملاهى بشارع الهرم وهاجموا أقسام الشرطة ٠٠ وهذا أمر أخفى البوليس حقيقته حتى تشكل حلقات الاتهام الظالمة ضد اليسار ٠

بل ان بعض اعضاء حزب الوسط (الحكومة) تدخلوا وقبض على بعضهم ٠

وان اى نظام فى العالم يخطىء خطأ فادحا فى حق نفسه اذا ما استنام لفكرة أن أية حركة جماهيرية تقوم ضد قرآراته انما هى حركة مدفوعة أو مدبرة أو مصطنعة من بضع عشرات من المتآمرين فحسب ٠

ان الاستنامة تريح النفس حقا ٠٠ وتشبع كبرياء الذات لأنها تخلق تبريرا وتفسيرا مزيفا لغضبة جماهيرية ضد قرار خاطىء ٠٠

وأنا ادرك صعوبة تصور أن الجماهير تهتف هتافات معادية للنظام ٠

ولكن ذلك يا سيدى أمر عادى فى حركات تلقائية مهما كان النظام جماهيريا ومحبوبا ٠٠

لقد هتفت الجماهير ضد نظام عبد الناصر مرتين عام ١٩٦٨ ٠ بل ان الجماهير هتفت أحيانا ضد حكومة الوفد ٠

وليس يخفى على أن حركة ١٨ و١٩ يناير كانت حركة تلقائية مدفوعة بصدور قرار خاطىء معين أن الأمور عادت الى نصابها وهدأت الجماهير بعد قرار الغاء هذه القرارات (من الملائم مراجعة الصيغة الغريبة لقرار الالغاء التى تعبر عن توازنات قوى مختلفة فى الدولة) ٠٠

بل انك استقبلت جماهيريا بحرارة شديدة بعد هدوء الأحوال بيومين فى طريقك للصلاة سواء فى طنطا أو السيدة زينب ٠

كان علاج الأمر ابسط مما تصوره البعض ٠

كان يكفى نقد الحكومة لحظتها ٠٠ وسحب القرارات ثم ادارة مناقشة ديمقراطية واسعة لوضع علاج للموقف الاقتصادى بين كل الأحزاب ٠٠

وهو الاختراع الذى دعى اليه محمود أبو وافية فى استنارة سياسية كاملة مع أنه خصم واضح ضد الماركسية ٠

وما كنا قد آثرنا هذه الحملة الصليبية ضد اليسار المصرى التى كسب بسببها عطفا جماهيريا وتضخيما دعائيا لحجم غير حقيقى له ٠ وأنا اقول لك ذلك بكل موضوعية رغم أنى يسارى ٠

وما كنا قد آثرنا ضدنا ـ أى ضد النظام ـ اليسار العالمى ٠٠ ولا سخرية حتى اليمين العالمى ٠

ومع ذلك كان ممكنا استغلال ما حدث فى نفس الوقت للضغط على العرب والأمريكيين ٠

ولكن ما حدث كان امرا مثيرا للدهشة ٠٠ فان السؤال الذى كنت اسأل عنه فى أوربا ٠٠ وفى مصر ٠٠ هل يصدق الرئيس حقا أن اليسار مسئول عن ١٨ و ١٩ ينـاير ؟

والذين يطرحون مثل ذلك السؤال يجيبون هم فى الغالب عليه ٠٠ لا نعتقد انه أمر يصدق ! ٠

ولكنهم يعودون يتساءلون ! عن مغزى هذه الاجراءات الجديدة المستمرة ٠

فثمة حرب أيديولوجية شنت وتشن ضد الماركسية انحطت بالمستوى الى مستوى صحف تايوان وبانكوك وسايجون يرحمها الله ٠٠

وهذا نذير خطر لأنه يغرى بالتعصب وينمى الاتجاهات الفاشية (وقد حدث فعـلا)

وينمى الاتجاه المعادى لأى اصلاح اجتماعى بدعوى أنه شيوعى بل وينمى الاتجاه المكارثى فى حقل الثقافة ٠ وهذا واضح الآن فان الكثيرين من جهلاء الكتاب يهددون من يقول عبارة مثل هذا « ظلم من الناس اللى فوق » على أنه دعوة للشيوعية !

وهذا الاتجاه أيضا يغرى باتخاذ تدابير قمع ضد الحرية فدائما تبدأ الحملة ضد الحرية بالحملة على الماركسية أو الشيوعيين ٠ وليس أكثر مأساوية من أن مصر منارة الحضارة والثقافة فى العالم العربى تسن فيها الآن مشاريع قوانين باعدام من يسمى بالمرتد عن الاسلام ويهاجم مثل تلك المشاريع مصطفى أمين وحده هو موقف يحسب له ٠

واذا كان التبرير هو استرضاء اليمين العربى لاجتذاب بعض أمواله فهذا لعب خطر بالنار ٠٠ انه التربة الخصبة لجمعيات مثل التكفير والهجرة ٠ وهو التربة الخصبة لاثارة فتن طائفية بين المسلمين والمسيحيين بل وتشكيل جمعيات تكفير وهجرة مسيحية أيضا ٠

عن حـزب اليســار ٠٠

وثمة حرب ضد الديمقراطية التى غرستها بيديك مما يقربنا الى عتبة أوضاع لبنانية والعياذ بالله ؟ ورغم تعدد الأحزاب فقد قامت حرب ضد حزب اليسار (بالمناسبة أنا لست عضوا فيه) على أساس مضحك هو أنه يشكك فى الحكومة ويستغل متاعب الجماهير ٠

ما هو دور المعارضة اذن فى أى نظام حزبى ؟ ·· من الطبيعى أنها لا تربت على كتف حزب الحكومة بل انها تستغل كل خطأ له وتكشفه دون رحمة لتزيحه عن دست الحكم وتتولى مكانه بالطرق الدستورية ·

وهذا موجود فى كل بلاد العالم التى تأخذ بالنظام الحزبى ولا أحد يطالب حزب المعارضة أن يكون رفيقا بالحزب الحاكم ·

ان المعارضة ليست مكتب تفكير لحزب الحكومة لترشدها الى السبيل السليم لتبقى فى الحكم عشرات السنين ·

وكان تراجعا عن الديمقراطية أن يلام حزب اليسار لأنه أصدر تعليمات لأعضائه علنا بمعارضة قرارات الحكومة لرفع الأسعار وتعبئة الجماهير ضدها ·

وبدا أن النظام برم وضيق الصدر بأول ممارسة شبه حقيقية للديمقراطية وكأن الأحزاب الثلاثة احزاب « ورقية » كما قال فؤاد سراج الدين ·

وعلى الفور دعى البعض لحل حزب اليسار ·· ووجهت له أكبر حملة فى تاريخ الديمقراطية فى البلاد ·

وهى أكبر حملة لأنه كان أعزل وما زال من أى سلاح للدفاع أو الرد ·· فلا جريدة ولا مجلة ولا حتى كلمة فى أى جريدة من جرائد النظام ولا فى التليفزيون ولا الاذاعة ·

لا أحد يدرى ماذا يفعل حزب اليسار فكأنه حزب سرى ·· حتى نشراته مطبوعة على الرونيو ·· ثم من المضحك أن بعض كتاب النظام يتهمونه بأنه يمارس العمل السرى ··

واذا كان المقصود من الحملة هو تخويف الناس من حزب اليسار فان هذا عمل مشروع فى ظل النظام الحزبى ·· ولكن فقط يجب توفير أسلحة متكافئة ··

وحزب اليسار مجرد من أى سلاح اعلامى كما قلنا ·

لكن حملة التخويف ان كانت نجحت نسبيا فانها اكسبت الحزب عطفا أيضا وأبرزته كقوة سياسية معارضة أولى للحكومة ·

والجماهير عطفت على حزب اليسار لأنها تدرك أنه ليس المسئول عن تحركها فى ١٨ و ١٩ يناير والاتهامات ضده ظالمة تماما ·

وبالمثل أن الحملة ضد الشيوعية لم تجد صدى فى البلاد لأن الناس تعرف أن الشيوعيين لم يحركوهم ولم يدفعوهم نحو التحرك ٠

حتى النيابة لم تجد وصفا لمسئوليتهم الا انهم هيئوا مناخا للاحداث٠ ثم من هم هؤلاء الشيوعيون الذين دبروا احداث ١٨ و ١٩ يناير ؟

ان اغلبية الشيوعيين هم الشيوعيين القدامى الذين هاجمتهم ونعيت عليهم حلهم لحزبهم عام ١٩٦٥ ٠٠ وهؤلاء لم يحركوا اصبعا فى احداث ١٨ و ١٩ لأنهم ببساطة كان يخشون اتهامهم بالمسئولية لو حتى شوهدوا فى شارع تسير فيه مظاهرة ٠ وذلك بفضل خبرتهم الطويلة مع الدولة ٠

ولقد مررت شخصيا بتجربة احكيها لكم ٠٠

لقد شاهدت فى ميدان ابراهيم مظاهرة من اكثر من ثلاثين الفا ٠٠ والنساء فى البلكونات يلقين بالماء من الأوانى على رجال البوليس الذين يقاومون المتظاهرين ٠

هل هؤلاء النسوة منظمات ومحركات بواسطة متآمرين يساريين أم أن محركهن التبرم من الغلاء والتعاطف مع هؤلاء الذين يتظاهرون ضده ؟

المهم اننى فكرت للحظة فى الدخول ومحاولة ابعاد المظاهرة عن الهتافات البذيئة ضد النظام ونحن خبراء فى هذا المجال ٠٠

ولكنى نفضت فكرتى على الفور لأنى سأتهم بقيادتها والتخريب ٠٠ الخ ٠ وتذكرت حكاية الثعلب الذى هرب من مصر لأنهم يقبضون على الجمال فيها ٠

يا سيدى لقد كان بوسع هؤلاء الشيوعيين أن يفعلوا شيئا ضد هذه الموجة المعادية لولا الخوف من خبرة الماضى ٠٠ واقربها اتهام اليسار بمظاهرات يناير ١٩٧٥ وهو منها برىء ايضا ٠

وما زلنا نذكر حكمة نظام عبد الناصر التى عبر عنها احد رجال الأمن البارزين لزعماء مؤتمر مناصرة عبد الناصر فى الجامعة عام ١٩٥٧ بعد اسقاط حكومة النابلسى فى الأردن ٠

« من يملك التأييد يملك المعارضة فاذا سمحنا لكم بالتظاهر لتأييدنا اليوم فستطالبوننا بالسماح بالتظاهر لمعارضتنا » !!

حسنا هذه هى فلسفة النظام وهى فلسفة لا تبنى وحدة وطنية ولا تكسب قوى من المصلحة كسبها ٠٠ وهى نوع من الوصاية المهينة على القوى السياسية والجماهيرية واحتقار لها ٠٠

وما حدث لى حدث لمعظم هؤلاء الشيوعيين القدامى المقول انهم نظموا وأداروا وخططوا لأحداث ١٨ و ١٩ يناير ٠

اننا نعلم علم اليقين ان القوة الوحيدة التى كان ممكنا أن تستغل تلك الأحداث وتحقق نجاحا هى قوة اليمين ٠

فى ظل دخان الحريق والتخريب يثب اليمين للسلطة وليس اليسار ٠ ولو نجح اليمين فى استغلال ١٨ و ١٩ لكنا نحن أول الضحايا ٠

عن اليســـار الجـديد :

حقا ان بعض اليسار الجديد يعارضونكم ٠٠ بل ويدعون للاطاحة بالنظام الوطنى ٠٠ ولكنهم قلة ٠٠ وهم ايضا يتناقضون مع الشيوعيين القدامى (الأغلبية فى اليسار) ويتهمونهم بالاستسلام والتقاعد و ٠٠ الخ٠

والحكمة السياسية تقضى بالتفرقة بين يسار ويسار ٠٠ وبين يسار مستنير ويسار متحجر ٠٠ ونحن أقدر على مجابهة ذلك اليسار وحصاره فكريا بل واقناع بعض أقسام منه أما استخدام القوة فى مواجهة الأفـكار فقد أثبتت كل تجارب العالم فشل هذا السلاح ولو بدا نجاحه مؤقتا ٠ وكل اتجاه مضاد للديمقراطية يساعد على ترعرع التطرف اليسارى واليمينى معـــا ٠

ولكن النظام مضى يضرب كل اليسار ٠٠ وبالذات اليسار المستنير ٠٠ والذى لم يتحرك مع الأحداث أو ضدها ٠

فاغلق منبر الطليعة الذى يعتبر متنفسا للمثقفين الماركسيين ووسيلة ليعرف الحاكمون الرأى الآخر علهم يستفيدون شيئا ٠ وأى حاكم الآن لابد أن يضع على مائدة البحث أمامه وجهة نظر اليسار ببساطة لأنه يحكم ويتحكم فى مجريات كثيرة فى عالم اليوم ٠

وقد رأيت فى الجامعات الأمريكية أشد الأساتذة يمينية يحرصون على تدريس الماركسية للطلبة على الأقل ليعرفوا كيف يحاربونها !

ثم كانت ازاحة العنـــاصر الماركسية والمتعاطفـــة معها من قيادة روز اليوســف ٠

وكان مثيرا للدهشـــة أن يقف ابراهيم البعثى يحـــذر فى اجتماع الصحفيين من عملية التطهير ضد الصحفيين اليساريين ٠٠

الا أن المؤامرة واضحة خيوطها تماما وهى تكرار لمؤامرات عديدة

ضد النظم الوطنية نراها من حولنا ضد نظم وطنيـــة أخرى وقعت فى أخطـــاء ٠

لقد نجحت المخابرات المركزية الأمريكية في مؤامراتها فعلا ٠٠ في سيلان ٠٠ نجحت فى الهند بالاطاحة بحكم مسز غاندى ٠٠ ومسز بندرانيكا ٠٠ ثم بعلى بهوتو فى باكستان ٠

والخطة بسيطة جدا ٠٠ وتكررت عشرين مرة ولا يتعظ زعماء العالم الثالث منهـا ٠٠

تدفع النظم الوطنية فى اتجـاه وأد الديمقراطية ٠٠ فى وقت تتفاقم فيه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وينتشر الفساد والانحراف ٠

وتبتلع تلك النظم الطعم فتنعزل نسبيا عن الجماهير أو حتى كليـا وتسقط اما عن الطريق البرلمانى (الهند وسيلان) واما عن طريق الجيش (باكستان) ٠

واليمين يأتي في جميع الأحيان بطلا نظيفا يقتات بعيوب ومفاسـد العهد الوطنى السابقة ٠

ولقد نجحت جزئيا المؤامرة فى مصر ٠٠

لقد دفع النظام الى اتخاذ اجراءات غريبة ضد الديمقراطية لأول مرة ٠٠ فعندما تسن قوانين تعاقب بالأشغال المؤبدة من ينظم تنظيما سريا أو يقوم باضراب أو اعتصام أي ضرب حركة الجماهير ٠٠ ولكنه ايضا وهذا هو الأخطر ٠٠ عزل للنظام عن جماهيره حتي لو صوت فى الاستفتاء ٩ر٩٩٪ من النـاس ؟ ٠

ان ضرب الديمقراطية كما علمتنا التجربة يبدأ بضرب اليســار ٠٠ وهذا قانون سياسى اذا جاز التعبير ٠

ولذلك لم يكن صدفة أن أحزاب اليمين فى أسبانيا هى التى أصرت على السماح بالحزب الشيوعي لأن ذلك كان هو الدليل العملي والحقيقى على جدية الملك كارلوس فى تطبيق الديمقراطية وازالة عهد فرانكو عـدو الشيوعية الأول الذى طوح به الى زبالة التاريخ ٠

ان المؤامرة تريد سلب جوهر نظامك يا سيدي وهو الديمقراطية وفى ظل الضائقة الاقتصادية وعدم التوصل الى حل نهائى للمشكلة الوطنيـة يتراكم السخط ويتراكم حتى يمكن لليمين أن يتحرك ٠٠

وأنا أقول اليمين ٠٠ لأنك يا ســـيدى حتى لو فتحت أبواب مصر للرأسمال الأجنبى بلا قيد أو شرط ٠٠ ولو أعفيت الرأسمالية المصرية من كل قيد ٠٠ فلن يغفر لك الاستعمار ولا اليمين المحلى أنك واحد من تســعة قاموا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بثورة ضد الاستعمار والرجعية ٠

ولن يغفر لك أنك شاركت عبد الناصر وما زلت تصر على تلك الشركة باعلانك تحمل مسؤولية حتى أخطائه ٠٠

ولن يغفر لك ماضيك ضد الاستعمار وانت شاب ضابط من أسرة فقيرة مفروض انك كنت تتمسك بما حققته ولا تبالى بشـــئون الشعب بعد اذ اصبحت ضابطا !

وأنا أقول اليمين وأصر عليه لأن اليسار لا يمكن أن يقلب نظام الحكم حتى ولو أراد ضاربين بعرض الحائط بموقف اليسار التقليدى من السعى الدءوب للتحالف مع سائر القوى الوطنية ولو حاولت التخلص والمراوغة، واذكرك بما قلته لى مرة بل ربما أول مرة لقيتك فيها من انك لا تخشى انقلاب اليسار ٠٠

ان البعض يقول ما سر تلك الحملة الظالمة على اليسار ؟ ان ذلك محاولة لتطويق اليسار فى المستقبل ٠ لأن مصر ستمر بصعوبات اقتصادية شديدة ٠٠ كما أن المشكلة الوطنية سيطول حلها ٠٠ وبالتالى فان اليسار هو القوة الوحيدة حتى لو كان صغيرا اليوم التى يمكن أن تطرح شعارات تجد هوى لدى الجماهير وتسبب المتاعب للنظام ٠

لذلك يجب حصاره من اليوم وتخويف الناس منه ٠٠

وهو منطق يبدو سليما ٠٠ ولكن من وجهة نظر رجعية صرفة ٠٠ وجهة من لا يريدون حل مشاكل الشعب حتى بمنطق بعض الاصلاحات ٠٠ ومن يريدون تجاهل القضية الوطنية تحت ستار انها تأخذ وقتا طويلا ٠٠

لكن لماذا لا تعمد الى الحل البسيط والمنطقى الذى تنتهجه أى قــوى وطنيـــة ؟

لندرس الخريطة السياسية لمصر (نذكر القارىء ان هذا الكلام كتب فى مذكرة قدمت للسادات فى أغسطس عام ١٩٧٧ ؟ كى يقارن بين ماجرى بعد ذلك وما يجرى اليوم وما ينتظر ان يجرى غدا !؟ ٠٠)

أولا : عندنا النظام الوطنى الذى تقودونه ٠٠ وريث ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ الذى يطرح وثيقة الاشتراكية الديمقراطية التى أرى أنها وثيقة تقدمية فى مجال الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى ٠

وليس مطلوبا من ذلك النظام تطبيق اشتراكية ماركس أو ما شـابه ذلك ·· ان امامه مرحلة استراتيجية كاملة تمتد لعشرات السـنين بعد استكمال التحرر الوطني وبناء الاستقلال الاقتصادي ·

ثم عندنا اليمين الذي له السند الاجتماعي الضخم ··

فوق وجوده في الجيش فهو موجـــود في شركات محلية وشركات أجنبية ذات طابع طفيلي أساسا ··

و ٨٥٪ من أجهزة الدولة تتعاطف مع ذلك اليمين وكذلك في الاعلام·

وأجهزة الاستعمار تملأ البـلد ·

ثم هناك رصيد ضخم من أخطاء ثورة يوليو وقضايا الفساد التي يمكن الهاء الناس بها ثلاث ســنوات على الأقل ينقض فيها اليمين على مكاسب الشعب ·

ثم هناك اليســـار ·· ويشمل الماركسيين ومن يســـمون أنفسهم بالناصريين ونوعيات أخرى عديدة ·

وسنده الاجتماعي ضعيف ·· ولكن تأثيره وسط المثقفين بالغ ويستمد قوته أساسا من تاريخ النضال ومن قوة اليسار العالمي وقدرته على التحرك وفقا لمنهج علمي ·

ماذا يريد نظـامك يا سيدي ؟

يريد :

ـ تحرير الأرض المحتـلة ·

ـ اقامة تنمية صناعية وزراعية شاملة ·

ـ تحقيـــق قدر من العـــدل الاجتماعي تحت شـــعار الاشتراكية الديمقراطية ·

ـ اقامة نظام ديمقراطي ليبرالي الى حد ما يتخذ شعارات مثل سيادة القانون ودولة المؤسسات ·

ـ على النطاق العالمي يعلن النظام اتباع سياسة الحياد ·

ـ بالتأكيد يريد النظام المحافظة على مكاسب ثورة ٢٣ يوليو ومن مصلحته ذلك ومن مصلحتك انت شخصيا يا سيدي ·

ماذا يريد اليمين ؟ ·

يريد أولا تصفية ثورة ٢٣ يوليو ·

ـ يختلف معنى التحرر الوطنى عنده ولو رفع شعارات متطرفة ·

ـ لا يهمه التنمية وانما يهمه الأرباح بطريقة طفيلية مثل الوكالات عن الشركات الأجنبية ·

ـ يعارض أى ديمقراطية حقيقية ويريدها لتصفية ما انجزته الثورة التى بينه وبينها ثار وهو اما يرفع شعارات اقامة دولة دينية فاشية لأنه يبتعد عن العمق الاجتماعى للدين واما يدعو للعودة الى الوراء ·

ـ اما العدالة الاجتماعية التى يتوخاها اليمين فلا حاجة لنا الى القول أنها بعيدة كل البعد عن افكار حتى يمين الثورة الذى عبر عنه اخيرا الأستاذ حسن التهامى · وهذا اليمين فوق قدراته الاقتصادية والحكومية فهو معزز ومؤيد أدبيا وماديا من :

ـ اليمين العالمى واجهزته ·

ـ السخط الشعبى ازاء مشاكل الجماهير ·

لنر اذن ماذا يريد اليسار ؟

يريد اليسار على الأقل لمرحلة استراتيجية كاملة لا تقل عن عشرين او ثلاثين عاما : استمرار ثورة ٢٣ يوليو وبقاء سلطتها · ويتمسك بك اليسار بالذات رئيسا لتلك السلطة ·

وصـــدقنى أننى لن انسى انه بعد تعيينك حسنى مبارك نائبا لرئيس الجمهورية كان اليمينيون هم الذين يسخرون ويهاجمون تلك الخطوة فى منتدياتهم ·· بينما كان معظم اليساريين يؤيدونها باعتبارها تاكيدا منك أن الثورة ماضية ·· فها هو شاب من الشبان الذين رضعوا وعاشوا فى كنف الثورة ثم شاركوا فى تحقيق نصر اكتوبر الذى هو وليد شرعى لها ·· ويصبح نائبا للرئيس ·· ولعلك تذكر كيف قدمنا فى روز اليوسف نائب الرئيس ·

(يسجل الكاتب هنا انه فى أول اجتماع لحسنى مبارك مع الصحفيين عقب توليه رئاسة الجمهورية ١٩٨١ ذكر له الكاتب أن الذى يهاجمه هم رجال الأعمال ورواد نادى الجزيرة والطفيليون وذلك ردا على ملاحظة قالها مبارك ·· انه سمع أن حزب اليسار يهاجمه !)

ـ يدعو اليسار الى تنمية اقتصادية ·

ـ يتفق عموما فى اهداف النضال الوطنى ·

ـ يدعو الى الديمقراطية والى تعميقها ٠

ـ يؤيد سياسة الحياد الايجابى ٠

وبعد هذا الاستعراض العام والمختصر ٠٠

ايهما اقرب اليكم يا سيدى ؟ اليمين او اليسار ؟

ان المصلحة تحتم التعاون مع اليسار ٠٠

ان الخلاف بينكم وبين اليسار خلاف ثانوى فقد يدعو اليسار مثلا الى عدم بيع اجزاء من بعض شركات القطاع العام ٠٠ او يدعو الى تنمية فى الصناعة الثقيلة اولا ٠٠ ولكن كل هذا فى اطار اتفاق مشترك بينكم وبين اليسار على المحافظة على القطاع العام وتحقيق التنمية ايضا ٠٠

وقد يرى اليسار ان الحملة المتزايدة على الاتحاد السوفيتى خرجت بنا عن نطاق الحياد او تضر بسياسة كسب الأصدقاء ٠٠

ولكن فى جميع الأحوال ان اليسار حليف واضح ٠٠ مفيد ٠٠ عنده ما يقدمه لاثراء وتنمية التجربة الوطنية وتدعيم الحكم الوطنى ٠٠

وان ظروف اليمين حيث تتلمظ القوى القديمة للخروج من اوكارها ٠٠ ان الحليف الطبيعى هو اليسار والمسئولية الوطنية توجب هذا التحالف لصد هذه القوى ٠٠ فحتى اليوم ان اليسار من أصلب القوى للدفاع عن مكاسب يوليو ، بينما تتلمظ القوى الرجعية القديمة للقضاء على الثورة ٠

ولقد بدا يا سيدى فى بداية عهدك انك متجه هذا الاتجاه ٠٠ اتجاه التعاون مع اليسار ٠٠ ولكنك فى نفس الوقت اطلقت العنان لقوى اليمين المجهزة أصلا والمسيطرة على وسائل الاعلام فاوشكت على الانقضاض على ثورة يوليو كلها بادانة عبد الناصر تماما جملة ٠٠ وتفصيلا لتكون الخطوة الثانية توجيه الاتهام اليك باعتبارك واحدا من الذين صنعوا الثورة ورفيق نضاله وحليفه والذى اعلن تحمله للمسئولية عن كل اخطائه ٠

وكان من بين قوى اليمين التى اطلقت عقالها احطها واكثرها تخلفا وهى قوى اليمين الدينى فى تصور انها قادرة على صد رياح اليسار ٠٠

ولكن تلك القوى كالعادة عبرت بالضبط عن سياسة الاستعمار الذى لا يريد الا عملاء من طراز بارك كوريا الجنوبية فتمردت على نظامك نفسه وتآمرت على السلطة الوطنية ودبرت لاغتيالها فى حادث الفنية العسكرية ٠٠ وتدعو اليوم الى الردة الى ابشع من ايام محاكم التفتيش !

واتجهت الى الخطف والاغتيال ٠٠ والبقية تأتي ٠٠ ومن عجب أن الجماعة التى تخطف عالما كبيرا من حضن عائلته فى هدأة الليل وتقتله شر قتلة وتفجر القنابل والشراك الخداعية بدلا من كشفها والهجوم عليها يهاجم النظام اليسارى والماركسية ليل نهار وحتى ذلك الهجوم لا يتم بالعـــدل والقسطاط بين الاثنين ٠

دائما تركز معظم الخطب ضد اليسار ثم مجرد كلمتين أو بضـــع كلمات عن جماعة التكفير والهجرة تقال على استحياء غالبا !!

ان اليسار المصرى كان وما زال يعمل صادا تلك الرياح اليمينيــة العاتية دفاعا عن نظامك وعن مستقبل الوطن كله ٠

ولكن اليمين نجح فى جعل النظام يتهم اليسار بحوادث ١٨ و ١٩ ٠٠ ومنذ ذلك النجاح ونحن نعيش نكسة فكرية مروعة ٠٠ وتبدو فى الأفق معالم أزمة بين الثورة والمثقفين أعنف وأحط مستوى من الأزمة التى كانت بين نظام عبد الناصر وبينهم ٠

وبرز أحط الكتاب مستوى فى مجال محاربة الفكر التقــدمى ٠٠ وارتفعت الرايات السوداء بالاتهام بالالحاد للمفكرين كاننا فى العصــور الوسطى ٠٠

واصبح من اكثر الأمور مدعاة للسخرية أن يقسم بعض المثقفين أو السياسيين على أنهم مسلمون فيكفرون مع ذلك كأن البعض يحمل صكوك الغفــران ٠

عن الاتحـــاد الســـوفيتى

ولقد اثرت يا سيدى انه لا أمان لمن لا ايمان له ٠٠ وانا استميحك عذرا يا سيدى لنعود الى التاريخ من الذى نكب الأمة المصرية والعربية ٠٠ واحتلها واستعمرها ونهب بترولها وغدر بها ؟

اليست هى الأمم أو الدول التى ترفع شعار الايمـــان بالله وبعض رسله ؟ ٠٠ اليس الذين غدروا بنا هم الانجليز والفرنسيون والأمريكيون والبلجيكيون و ٠٠ وكل دول أهل الكتاب المؤمنين ؟ ٠

ان الذى شرد أهل فلسطين وغدر بنا عدة مرات هم اليهود المؤمنون بل المتعصبون لايمانهم ؟ ٠٠

ومن الذى ساعد ولو الى حد ما شعوب العالم ومن بينها الأمم الاسلامية فى نضالنا لتحرير انفسنا من هؤلاء المحتلين المؤمنين ؟ ٠٠

أليست هى الدولة الملحدة ؟ سواء أكانت روسيا أو الصين ؟٠٠

ان الحملة الحالية على الاتحاد السوفيتى ليست لأنه احتل أرضنا أو نهب ثروتنا ٠٠ أو قتل جدودنا أو سلط اسرائيل علينا ومدها بالمدفع الطـــائرة ؟ ٠٠

انما هى حملة فقط لأنه كف عن مساعدتنا ٠٠ ويعنى ذلك أننا ننظر اليه كأنه ملزم بمساعدتنا ٠

ولو صحح الاتحاد السوفيتى أخطاءه معنا لصار صديقا حميما ٠٠ بل لو أعطانا السلاح الناجع لطرد اسرائيل لأصبح ذا وضع خاص ولعقدنا معه معاهدات صداقة رغم انه دولة ملحدة ! ٠٠

عن التحالف مع اليسار ٠٠

من الذى يتحلى « بأخلاق القرية » اليوم بين القوى السياسية المختلفة فى مصر ؟٠٠ من الذى يدافع عن عبد الناصر أى عن الثورة أى عنــك أنت يا سيدى حتى اليوم ٠٠ رغم ان عبد الناصر آذاهم ايذاء شديدا ؟

أليسوا هم الذين نصفهم بأنهم لا ايمان لهم وبالتالى لا أمان لهم ٠ ٠ انه من الممكن توجيه أى تهمة للماركسية الا تهمة النفاق ٠٠

أى أن هناك أمانا كبيرا ولا حد له بهــم ٠٠ انهم واضحون وصرحاء تماما اذا أيدوا أعلنوا تأييدهم صراحة دون اكتراث بشىء ، ولو كان من يؤيدوه سجانهم وجلادهم ٠٠

واذا عارضوا أعلنوا ذلك دون تردد على الملأ كله ولو جلسوا على خــازوق !٠٠

وهكذا كان تاريخ الماركسيين مع الثورة وهو تاريخ تعلمه جيــدا سيادتك فهم أناس تعرف موقفهم جيدا وبالتالى تستطيع تحديد الموقف منهــم ٠٠

يا سيدى أنت غاضب على اليسار لماذا ؟

لقد رأيت لطفى الخولى فى موسكو يدافع عنك أمام المثقفين السوفيت وأمناء اللجنة المركزية دفاعا باسلا باقتناع كامل ٠٠ وهــو صاحب مقالات « الطريقة الساداتية » المشهورة التى أزعم أن كل كتـــاب مصر الحاليين لا يستطيعون أن يأتو بمثلها !

ثم صديقك عبد الرحمن الشرقاوى ٠٠ هذا العملاق الذى قدم لك

ولنظامك الوطنى أعظم خــدمة طوال الســنوات الست التى قضاها فى روز اليوسف ٠

فقد جمع من حولك كثيرا من الشيوعيين واليساريين يؤيدونك تأييدا عقلانيا وينقدون ما يرونه خاطئا فى منبر علنى هو أحد منابرك ٠٠

ويدعون اليسار العربى والعالمى للدفاع عنك ويتصدون للرافضين ٠

عن روز اليـوسف

لقد حولت قيادة روز اليوسف السابقة (الشرقاوى وصلاح حافظ وفتحى غانم) المؤسسة الى قلعة وطنية « ساداتية » ٠ ولم يكن عبثا ذلك الهجوم الذى دأب الرافضون على توجيهه ضدنا عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وأنا باعتبارنا مرتدين أو «كلاب» السلطة ؟ ٠٠ الخ ٠

ولعبت روز اليوسف دورا هائلا للنظــام باعتبــارها تجسيدا لديمقراطية حركة مايو ٠ لقد كانت واجهة عظيمة لتلك الديمقراطية اذ من المتفق عليه نظريا وواقعيا انه لا ديمقراطية حقيقية دون حرية عمل اليسار أو على الأقل حرية الرأى له ٠

ولقد كان السؤال الذى نسـأله فى سفرياتنا فى السنوات الأولى لنهضة روز اليوسف ٠ هل صحيح أن تلك المجلة تصدر فى مصر ؟ ٠

ودعت المجلة أو المجلتان روز اليوسف وصباح الخير الى الوحدة الوطنية وكشفت عيوبا وأخطاء صدت بها رياحا يمينية عاتية كما نفست عن الناس سخطهم فيما وصف بأنه مقالات تشكيك وصححت أخطاء سياسية ورسمت اتجاهات وطنية صائبة ٠

وغير مجهول أن الناس تميل الى تصــديق من ينقد الحــاكم اذا ما امتدحه وأشاد به لأنه بالنقد يؤكد مصداقيته ولذلك كان الناس يصدقوننا عندما نؤيد خطوة من خطواتك عن اقتناع من جانبنا حقا وصدقا ٠

ونحن نعلم أن هذا الدور الذى قامت به روز اليوسف قد ألب عليها قوى عديدة من أقصى اليمين ٠٠ ووضعت عراقيل عنيفة ضدها ٠

لكننا ٠٠ صمدنا ٠٠ فقد كنا نلمس أولا تأييدك وتشجيعك لحــرية الصــحافة ٠

وكنا نلمس أيضا مساندة رئيس الوزراء ممدوح سالم الذى قدمناه للجماهير أحسن تقديم ولم ندع الى استقالته ٠

كما كنا نلمس مساندة اسماعيل فهمى وزير الخارجية الذى بذلت

روز اليوسف بموضوعية كاملة جهدا في دحض كل ما اشيع عن موالاته للولايات المتحدة نتيجة تلك الندوة المعروفة عندما كان وكيلا للوزارة ·· وواجهنا هجمة وتخرصات الرافضين ضده ·

لكن جبهة الخصوم تكاثرت وحصلت تعديلات فى المواقف ·· وبدا للبعض أن اليسار هو الخطر والبعبع ·· مع أن ورثة ثورة ٢٣ يوليو هم يسار ·· لأن الثورة يسار ·· والمفروض ان الأقرب اليها هم الماركسيون باعتبارهم مجرد فريق من اليسار ··

ماذا حدث الآن مع الشرقاوى وصلاح وغانم ؟

لقد اقتلعتهم يا سيدى من مناصبهم ··

فهل يمكن أن تقول هنا انه لا أمان لهم ؟ ·

وماذا فعلت بالنسبة لى أنا ؟ لماذا هذه الحرب ضد اليسار ؟

عن الحرب ضد اليسار ··

انهم وجدوا انفسهم متهمين بابشـــع تهمة ·· التخريب والتدبير ومسئولية حرق القاهرة · ومصر كلها ·· وهى كما تعلمون سيادتكم جيدا انه ضد مبادئهم وتاريخهم ·

فماذا يفعلون ؟

اليس من حقهم الدفاع عن انفسهم ·· خاصة ان مثل ذلك الاتهام قد تكرر عدة مرات فى مناسبات سبق توضيحها ؟

ماذا فعلوا اكثر من ذلك يا سيدى ؟

ان لطفى الخولى كتب يدحض التهمة عن اليسار ويتهم الحكومة بالمسئولية ·· وعزل وزير الداخلية كان دليلا على بعض تلك المسئولية !

وكتبنا فى روز اليوسف ننقد الاتهام ونكشف حقيقة موقف اليســار المؤيد لنظامك البرىء من الأحـداث ·

وفعل حزب اليسار نفس الشىء ·

وكذلك فعل الذين اتهموا أمام النيابة والمحاكم ·

هذه هى كل القضية ·· دفاع عن النفس مع عدم خروج عن اطـار الجبهة الوطنية ·

لو لم يوجد الأتهام لليسار لما كتب احد ما كتبه ، ولكانت الكتابة قد اتجهت وجهة اخرى وهى أصلاح المسار الاقتصادى بأساليب كـذا وكذا حتى يمكن عدم تكرار ما حدث ولظلت النغمة السائدة هى تاييد النظام ٠

ولما اضطر اليسار العالمي الى الدفاع عن اليساريين فى مصر ٠٠

ولما نشب الحريق بيننا وبين الاتحاد السوفيتى لأنه اتهم انه يحرك عملاء له فى مصر لتدبير الحريق ٠

والذى يحول دون حصر التناقض فى داخل الصف الوطنى حتى الآن هو استمرار تلك الحملة على اليسار والماركسيين ٠٠ فهى فوق انها حملة غير علمية فهى غير ديمقراطية لأنه لا توجد وسيلة واحدة للرد عليها ٠ والذى يريد الرد لابد وأن يشكل تنظيما سريا ٠٠ أو « يهبهب » خـارج مصر ٠٠

وحتى « الهبهبة » يريدون تصريحها ٠٠ كمثل تلك المهزلة التى ارادوا عملها مع خالد محيى الدين والتقارير الكاذبة عن تصريحات للطفى الخولى وغيـره ٠

ومع ذلك هل استجاب اليسار لهذا الاستفزاز ؟

ان كل من اقابلهم أجدهم يضعون أيديهم على قلوبهم يخشون النتائج المترتبة على تلك الحملة من سيطرة اليمين وتوجيهه لمسارها ٠ وضياع البلد كلها حتى مع حياتهم الشخصية ٠

انك لم تعلم علم اليقين يا سـيدى الرئيس أن الماركسيين فى مصر يعتقدون أن وجودهم الجسدى فى مصر مرتبط بوجودك على قمة السلطة وعندما قال لك صلاح حافظ ونحن فى الاسكندرية عام ١٩٧٦ فى رمضان « انت موجود ٠٠ اذن فنحن موجودون » لم يكن يبالغ وأنما كان يلخص الموقف السياسى كله فى مصر ٠

ولم يتغير الموقف بحملتك الغاضبة علينا بل وغير العادلة ايضا ٠ ما زال الشعار انت موجود اذن نحن موجودون حقيقة رغم الغبار المثار ٠٠ لاننا نعلم انك وطنى عنيد ٠٠ وان الفاشية الدينية تتربص بنا وبك ٠

وانك تقدر اليسار وتعرف امانته ٠

واخيرا ان بعد نظامك ٠٠ نظام يوليو ببساطة هو الطوفان ٠

يا سيدى ان الذين يحملون على عبد الناصر هم ممن دفع بهم الى الصفوف الأولى أو الثانية فهل هذا هو الوفاء ٠٠ أو أخلاق القرية ؟

وصدقنى أن التحدى الحقيقى للصحافة المصرية سيظل هو الفراغ الذى تركه محمد حسنين هيكل بعد عزله من الأهرام ٠ والذين يتصدون لمهاجمته اليوم يساعدون على بناء مكانة أكثر رسوخا له ٠٠ لأنهم يهاجمونه بحجج تافهة ٠٠ كما أنهم أنفسهم مجروحون ٠

وان كان لى أن أرشح رئيسا لتحرير الأهرام فان أكفأ الناس لهذا المنصب هو صلاح حافظ ٠

وقد يكون اقتراحا جنونيا فى هذه المرحلة بالذات ٠٠ ولكنى هنا قد آليت على نفسى أن أكون صادقا معك تماما فيما أفكر فيه وفيما أعتقد وانى لأتحمل مسئولية الأمانة التاريخية ٠٠

يا سيدى ٠٠ ان أمجد أيام عبد الناصر هى تلك التى كان فيها حليفا لليسار العربى والعالمى ٠٠ والمرء يحار ٠٠ ما هو التناقض بينك وبين اليسار ؟ ٠٠ حتى لأنك تهاجم حزب اليسار ذاته الذى صرحت به رسميا ٠

اذا كنت تريد استخدام اليسار فى لعبة الشطرنج الدولية فاظن اننا مستعدون للقيام بهذه التضحية ما دام فيه تحقيق مصالح الوطن وجلاء المحتلين واقامة دولة فلسطين ٠

ولكن هـذا الاســتخدام ٠٠ أليس من حقنا أن نطـالب بأن يكون برفق وبالتنسيق معنا ولو فى كتمان شديد ؟!

أليس من حقنا أن نحذر أن الزمام سيفلت ٠٠ وأن بلادنا قد اصطدمت باليسار العربى والمحلى والعالمى وهو أقوى قوة جماهيرية فى العالم تؤازرنا فى مواجهة العدو وحتى لو كانت أمريكا هى مركز المناورة السياسية الكبـــرى ؟

وأفضل من ذلك ٠٠ أليس من حقنا أن نقول أن الطريق السليم لتحقيق الأهداف القومية هو التعاون والتلاحم بين كل القوى الوطنية ؟ بدلا من حكايات لعبة الشطرنج وتوجيه الحملات الظالمة بل والايذاء الفعلى لقوى وطنية مخلصة وتقدمية أيضا ؟ ٠٠

انك يا سيدى كنت دائما تفرق بين يسار مستنير ٠٠ ويسار متحجر موجود فى كل بلاد العالم وهو يهاجمنا قبل أن يهاجمك ٠٠ وتأثيره المحلى والعالمى محدود بل ينحسر تأثيره ٠٠

اننى اناشدك أن تدعو الى كلمة سواء ·· وتوقف هــذا الطوفان اليمين الشرس ·· ونحن قادرون بعد ذلك على افقاد أى جماعة متحجرة يسارية ســواء هنا أو خارج مصر تأثيرها السياسى وذلك بالمناقشــة والاقناع ··

ان معاداة اليسار هكذا ·· انما هى مسألة عشوائية لا تفيد وانما تضر ضررا بليغا ·

عن الاتحاد الســوفيتى ··

اما بالنسبة للاتحاد السوفيتى ··

ان أخطاءه مع بلادنا معروفة ·· ومع ذلك ان المرء ليدهش من هذا الاشتعال المستمر والتوتر فى العــلاقات ··

فعندما يذهب اسماعيل فهمى ويقابل جروميكو فى صوفيا يتصور الناس أن الأمور ستهدأ على الأقل اعلاميا حتى يمكن للقادة فى البلدين على الأقل تدبر الموقف ··

لكن فجأة تشتعل النــار ··

ثم يلتقى الوزيران مرة أخرى ويتوقع الناس الهدوء ·· ثم ينفجر الموقف مرة أخرى ··

الا يمكن الانتظار قليلا شهرين أو ثلاثة ·· دون حملات اعلامية ·· ان المسألة تبدو كما لو كانت تمثيلية ··

ثم يا سيدى أود أن أشير الى أن الهجوم على الاتحــاد السوفيتى بسبب انه يريد ثمن أسلحته بالعملة الصعبة فى الوقت الذى تدفــع فيه للغرب عملة صعبة للأسلحة أولا بأول · وهو ثمن تدفعه السعودية ·

هذا الهجوم يثير بين الناس تساؤلات :

ـ أليس من حق الاتحاد السوفيتى أن يحصل على عملة صعبة ؟·

ـ ان المعونات السعودية مشروطة بدفع ثمن السلاح للغرب ·

وأنا طبعا أوافق على شرط كهذا من السعودية للحصــول على أى مساهمة منها فالسلاح هو السلاح سواء كان من الشرق أو الغــرب المهم حصولنا على السلاح ·

ولكنى ألفت النظر الى أن هذه نقطة خاطئة ـ اعلاميا :

وما زلت عند رأيي عن تحميل الاتحـاد السوفيتى المسئولية الأولى لتدهور العلاقات مع مصر وهذا مسجل فى كتابى رفض الرفض وفى مقالات عديدة لى فى روز اليوسف ٠

على اننى ما زلت أجد أن السوفيت هم أصدقاء واننا يجب جذبهم فهم رصيد ضخم لحل المشكلة الوطنية والتنمية الاقتصادية فى المستقبل ٠ ٠ ويجب الاستفادة من علاقتنا بهم للضغط على الولايات المتحدة ٠٠ وان العداء للسوفيت قد يجرنا الى ورطات ومآزق نحن فى غنى عنهـا ٠٠ واود هنا أن أوضح أن بعض المعلقين السياسيين فى أمريكا يأملون أو يخططون أن تصبح مصر فى افريقيا بمثابة اسرائيل فى الشرق الأوسط اى تدافع عن المصالح الأمريكية وتحارب اليسار ٠

وتجربة من سبقونا فى آسيا قد أثبتت فشل كل محاولاتهم لمحـــاربة اليسار فى تلك القارة وارتدوا الآن على أعقابهم خاسرين يحاولون اليـوم مخاطبة ود كل من فيتنام وكمبوديا ولاوس ؟

عن شخصى المتواضـــع :

وبعد يا سيدى فاسمح لى أن انتقل الى مناقشة مسالة ذاتية وان كانت مرتبطة تماما بالموضوع ذاته ٠

وهى مسالة موقفكم الأخير منى شخصيا ٠

ان هذا الموقف لم يدهشنى أنا فقط بل أدهش الجميع ٠٠ كان البعض يحسدوننى على التقدير الذى شرفتمونى به طويلا ٠

وقد أثار هذا الوضع تساؤلا عند الجميع ٠٠ هل هناك أمان لدى السلطة ؟ ٠٠ لقد سمعنا كثيرا عبارة « السلطان من بعد من السلطان » ٠٠ ورغم أنى أعى جيدا معنى الدولة وانه لا مكان للعواطف فى علاقات الدولة فعلا حتى بالأفراد ٠٠ الا انى مندهش وغير مستريح لهذا الموقف من جانبكم تجـــاهى ٠٠

على أى حال كما قلت لكم فى برقيتى فان ذلك لن يغير موقفى السياسى منكم لمثل هذا الاعتبار الذاتى ٠٠

والواقـــع اننى منذ تشرفت بلقاء ســــيادتكم وأنا اواجه حملة من التشـــهير ٠٠

ـ جبهة الرفض واليسار الجديد تتهمنى بالارتداد والعمالة لكم بل والقبض شأن أى مرتزق أجير حقير ٠٠

ـ عندما بذلت جهودى للتوفيق بين مصر وليبيا واجهت حملة من الاتهامات من الجانبين ··

سمعت فى مصر ان القذافى اشترانى وفحص اموالا ··

وسمعت انهم فى ليبيا هاجمونى واتهمونى بالتجارة لحساب فلان ·· وفلانة ·· واشاعات عديدة ·

كل هذا لم ابال به ·· فهى ضريبة اى نشاط ·· واى نجاح ··

على ان هناك سلاحا خبيثا يســـتخدم عادة بالايقـــاع بين الكبير والصغير ·· وهو مالوف الاستخدام فى مصر ·· كأن يشى واش بأن فلانا يستغل علاقته بالحاكم لمصالح شخصية او يخطط للظفر بمنصب او مغنم ··

واود فقط ان اسجل بعـــد مقاطعتكم لى ولا ادرى متى تنتهى تلك المقاطعة انه لم يكن لى مطمع خاص من علاقتى بكم ·· وحريصـــا على الاكتفاء بكونى كاتبا وصحفيا امينا يكتسب معرفة وتجربة وانتشارا ·

ولعلكم تذكرون انه لم يحدث قط ان التمست منـــكم تحقيق مطلب شخصى لى ·· ان تلميحا او تصريحا ·· وكنت احمل لكم بعض مشـــاكل الآخرين ولم اثر مرة واحدة أية مشكلة خاصة لى رغم توفرها ·· ولم اطلب ترقية او غنيمة ·· وحددت دائما وبصراحة قاطعة أن علاقتى بالنظام انى حليف له ولست جزءا منه واعلنت لكم مرتين انى لا اقبل ولا اريد منصبا ولو وزاريا عندما حدث تلميح لذلك فى مناسبات معينة ·· وحتى كتبى التى كنت اؤلفها دفاعا عنكم لم اكن ابيع بعضها للرئاسة او اى جهاز كما يفعل الآخرون بل كنت اهديك وكل رجال الرئيس نسخا منها ·· ولم أستفد أو أتقاضى مليما واحدا منكم أو اى جهاز دولة وكل سفرياتى كانت على حســـاب المؤسسة التى اعمل بها حتى عندما كلفتنى بالسفر لموسكو كان على حساب دعوة من وكالة نوفوستى السوفيتية ·

ان كل ما حصلت عليه ماديا من الرئاسة هو دعوات الغداء والعشاء وقطع الشوكولاته التى كان يحصل عليها اطفالى عندما يلتقون مع والدتهم بالسيدة حرمكم السيدة الكريمة جيهان السادات !

لقد حرصت على ان تكون كل دقيقة فى الحديث فى مسائل ســـياسية او تاليفية ·

وأنا أعلم جيدا إني لست من النوع الذي يمكن للحاكم اسناد منصب له لأني أملك أن اقول لا وصريح صراحة زائدة .. ولذلك فانى انعم بالسكينة النفسية وأحمد الله أن اى زيادة فى دخلى انما بفضل ما ألفت من كتب أو من حملات الاعلانات التى قمت بها لصالح المؤسسة التى أعمل بها فقط لا غير .. ثم اننى دفعت ثمنا فادحا لعلاقتى بسيادتك اذ وجهت لى ابشع الاتهامات وأكثرها كذبا وبهتانا ولم اكترث قط .. وواصلت طريقى وتوجهى السياسى .. حتى اليوم .

ترجمة لبرقية للعقيد القذافى بالانجليزية ..

ارسلتها له من ميلانو ٧ يونية ١٩٧٧ بمناسبة ما قراته وانا هناك فى الصحف من أن هناك محاولات لتحسين الجو بين مصر وليبيا بدأت باجتماع بين ممدوح سالم وعلى التريكى ممثل ليبيا حاليا فى الجامعة العربية .

الرئيس القذافى ..

قرأت أثناء عودتى من الولايات المتحدة الى الوطن أخبارا طيبة عن اجتماعات ستعقد للتوصل الى تسوية مع مصر . أمل أن تبذل جهدا كبيرا هذه المرة لتحقيق هذا بعد التدهور الفظيع فى العلاقات بين البلدين . أرجوك أن تستبعد مستشاريك المراهقين اللذين يعارضون أى تقارب مع مصر وينشرون دعايات سخيفة . ان نظام السادات نظام قوى مستقر ولن يتخلى ابدا عن النضال بكل الوسائل لتحقيق الأهداف القومية .

ان عليك أن تقف مع السادات مساعدا لمصر ماليا وعسكريا دون أى شروط محتفظا بأيدولوجيتك الخاصة وعاملا على تهدئة الموقف مع النظم العربية الأخرى .

اقترح عليك بعد التسوية مع مصر عقد مؤتمر مائدة مستديرة يضم ليبيا واثيوبيا والسودان والصومال ومصر من اجل تسوية شاملة بين هذه المجموعة من الدول .

تحياتى الطيبة آملا أن نراك فى القاهرة يدك فى يد السادات والشعب المصرى .

عبد الستار الطويله

برقية في ١٩٧٧/١١/١٧

بمناسبة مبادرة السادات لزيارة القدس

الرئيس معمـــر القـــذافي ..

طرابلس ـ ليبيـــا

ارجوك الا يتكرر نفس الخطأ الذي تسبب فيه المستشارون عقب أحداث ١٨ يناير فصوروا لك قرب انهيار نظام السادات الوطني فتراجعت بخطوات التقارب وبادرت مصر بالعداء حتى وصل الأمر الى صـــدام مســـلح مؤسف .

صدقني وانت تعلم تقديري وحرصي على وحدة الصف الوطني العربي. أن الشعب المصري لا يؤيد السادات في قراره التاريخي الشجاع فحسب بل معجب بالقرار وازداد التفافا حول قيادته ولا تصدق أي تقارير أخـرى وتعال بنفسك لترى وتسمع .

ان الشعب المصري منذ ١٩٤٨ وعبد الناصر نفسه لم يحلم بالقضاء على اسرائيل .. وانما كان موقفه هو صد عدوانها دائما مع اعتبارها حقيقة . لذلك لا يخاف الشعب مناقشة العدو بل يعتبر خطوة السادات عزلا دوليا لاسرائيل حتى اذا فشل الحـــل السلمي أيدنا معظم العالم في حربهـــا .

واذكرك يا سيادة العقيد بقولك لي انك توافق على تحديد أهداف مصر الوطنية بالجلاء وبالدولة الفلسطينية . فلماذا تتظاهرون ضد مصر بينما الأولى أن تكون المظاهرات سند لخطواتها الجـــديدة وأن تؤازرها انت شخصيا باعلانك تحويل معظم السلاح الليبي للجيش المصري او تعاون بين الجيشين .

ارجوك الا تنتكس خطوات التقارب هذه المرة من أجل الوحدة الوطنية العربية فنظام السادات ثابت ثابت ..

عبد الســتار الطويله

برقيــة فى ١٧/١١/١٩٧٧

تحدد موقفى من مبــادرة السادات

السيد / الرئيس انور السادات

الاسماعيلية

تحية وتقديرا لا حد له لشجاعتكم الثورية فى اتخاذ ذلك القــرار التاريخى المسئول بمواجهة العدو فى عقر داره ٠ ان ذلك القرار هو اعظـم استعداد للتحرير بالقوة المسلحة بقدر ما هو خطوة عظمى نحو الحــل السلمى فعبقرية فائقة تعزلون العدو دوليا وتقطعون خط الرجعة عـلى جماعات الضغط الصهيونية الأمريكية وتعمقون تحييد امريكا وتســلبون جبهة الرفض الطفولى اقصى ما عندها ٠

ولم يبق يا سيدى الرئيس بعد اعجاب الشعب بخطواتكم وجــراتكم الوطنية الا ان ترابوا الصدع الوطنى بعد احداث ١٨ و ١٩ يناير فالجميع جنود خلف قيادتكم الوطنية البارعة والموفقة دائما لتحقيــق التحرير الوطنى ٠

عبد الســتار الطويله

كتب للمـؤلف

كتب سـياسية :

أوروبا والعـدوان الاسرائيلى
اليســار الأوربى
حـرب الساعات الست
رفض الرفض
ماذا يريد العقيد القذافى من مصر
الســادات فى اسرائيل
اسرائيـل بعيـون مصرية
أزمة اليســار المصرى
افغانستان الحيقة والمستقبل
ثورة بعد سبعين عاما من الثـورة
شركات توظيف الأموال
أزمة الخـليج
النـور فوق مصر
السادات الذى عرفته

ادب رحـلات :

الانسان الأوربى فى الجد واللعب
المعجزة الألمانية الحقيقية
فلاح من سنتريس فى باريس
دليل المسافر الذكى الى أوربا

ادب :

الرجل الذى يعدو (رواية)
يسوع المسيح أسمى النجوم (مسرحية مترجمة)

للكاتب تحت الطبع

- أمريكا خلف نظارة حمراء
- من الاشتراكية الى الراسمالية وليس العكس !
- فوق حصير يابانى ساخن
- الزوجة الثالثة (ثلاثية روائية)
- مقدمة كتاب رسائل زوجة معتقل لسميرة سعيد رفاعى

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٨٤ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 2949 — 6

مـر أنور الســادات فى حياة مصر كـالاعصار بـأسلوب الصدمة الكهربائية الذى اتبعه فى كل قراراته السياسية الخطيرة التى أثرت عـلى مجرى السياسة المصرية ... والكاتب من خلال علاقته الوثيقة بالسادات يقدم من خلال مناقشاته وحواره المستفيض معـه ما وراء قـراراته تلـك سواء حرب أكتـوبر أو معـاهدة الســلام مع اسـرائيل . وعـلاقته بـالولايـات المتـحدة والاتحـاد السـوفيتى ... وبـاليســار وبـاليمــين ... ولمـاذا انقلــب عــلى الديمقراطية ...ولماذا اختار حسنى مبارك نائبا للرئيس ... والدور الحقيقى لجيهان السادات ... وكيف اختلفت معه فى موقفه من الصحافة والمحامين والأحـزاب السياسيـة والتيار الدينى ... وأسرار أخرى كثيرة .. يقدمها الكاتب فى تحليل وتقييم موضـوعى لدور أنـور السادات فى تـاريخ مصر ...



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٠٠ قرشـا